

(١٢٢٤)

الغواية

والتحذير منها

من مصنفات التفسير وشروح الأحاديث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"والرؤيا ما رآها النبي عليه السلام من نزوهم على منبره. (لأحتنكن ذريته)لأستولين عليهم، وأستأصلنهم، كما يحتنكن الجراد الزرع. وقيل: لأقودنهم إلى **الغواية**، كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيه حبل.(واستفزز)." (١)

"كرسل الملوك في الشاهد، ولم يعلم أن رسل الله إنما أيدوا بالجنود السماوية، وكل عاقل يعلم أن حفظ الله موسى مع تفرده ووحدته من فرعون مع كثرة أتباعه، وإمداد موسى بالعصا واليد البيضاء كان أبلغ من أن يكون له أسورة أو ملائكة يكونون معه أعوانا- في قول مقاتل- أو دليلا على صدقه- في قول الكلبي- وليس يلزم هذا لان الاعجاز كاف، وقد كان في الجائز أن يكذب مع مجيء الملائكة كما كذب مع ظهور الآيات. وذكر فرعون الملائكة حكاية عن لفظ موسى، لأنه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم.[سورة الزخرف (٤٣): آية ٥٤]فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين (٥٤)قوله تعالى:" فاستخف قومه" قال ابن الأعرابي: المعنى فاستجهل قومه" فأطاعوه" لخفة أحلامهم وقلة عقولهم، يقال: استخفه الفرح أي أزعجه، واستخفه أي حمله على الجهل، ومنه" ولا يستخفنك الذين لا يوقنون" «١» [الروم: ٦٠]. وقيل: استفزهم بالقول فأطاعوه على، التكذيب. وقيل: استخف قومه «٢» أي وجدهم خفاف العقول. وهذا لا يدل على أنه يجب أن يطيعوه، فلا بد من إضمار بعيد تقديره وجدهم خفاف العقول فدعاهم إلى **الغواية** فأطاعوه. وقيل: استخف قومه وقهرهم حتى اتبعوه، يقال استخفه خلاف استثقله، واستخف به أهانه." إنهم كانوا قوما فاسقين" أي خارجين عن طاعة الله.[سورة الزخرف (٤٣): آية ٥٥]فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين (٥٥)قوله تعالى:" فلما آسفونا انتقمنا منهم" روى الضحاك عن ابن عباس: أي غاظونا وأغضبونا. وروى عنه علي بن أبي طلحة: أي أسخطونا. قال الماوردي: ومعناهما مختلف، والفرق بينهما أن السخط إظهار الكراهة، والغضب إرادة الانتقام. القشيري: والأسف ها هنا بمعنى الغضب، والغضب من الله إما إرادة العقوبة فيكون من صفات الذات، وإما عين العقوبة فيكون من صفات الفعل، وهو معنى قول الماوردي.______________(١). آية ٦٠ سورة الروم.(٢). في أز ل ... استخف بقومه ...." (٢)

"إليهم الناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون يوم غبها) وهو معنى قوله تعالى: (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم). (كل شرب محتضر) الشرب- بالكسر-

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ٨٣٢/٢

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠١/١٦

الحظ من الماء، وفي المثل: (آخرها أقلها شربا) وأصله في سقي الإبل، لأن آخرها يرد وقد نزف الحوض. ومعنى (محتضر) أي يحضره من هو له، فالناقة تحضر الماء يوم وردها، وتغيب عنهم يوم وردهم، قاله مقاتل. وقال مجاهد: إن ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون، ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون. قوله تعالى: (فنادوا صاحبهم) يعني بالحض على عقرها (فعقر) ها ومعنى تعاطى تناول الفعل، من قولهم: عطوت أي تناولت، ومنه قول حسان:كلتاهما حلب العصير فعاطني ... بزجاجة أرخاهما للمفصلقال محمد بن إسحاق: فكمن لها في أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها، فخرت ورغت رغاءة واحدة تحدر سقبها من بطنها ثم نحرها، وانطلق سقبها حتى أتى صخرة في رأس جبل فرغا ثم لاذ بها، فأتاهم صالح عليه السلام، فلما رأى الناقة قد عقرت بكى وقال: قد انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله. وقد مضى في (الأعراف) «١» بيان هذا المعنى. قال ابن عباس: وكان الذي عقرها أحمر أزرق أشقر أكشف أقفى. ويقال في اسمه قدار بن سالف. وقال الأفوه الأودي:أو قبله «٢» كقدار حين تابعه ... على الغواية أقوام فقد بادواوالعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بمقدار بن سالف مشئوم آل ثمود، قال مهلهل:إنا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ... ضرب القدار نقيعة القدام «٣»__________(١). راجع ج ٧ ص ٢٤١.(٢). الذي في شعراء النصرانية: (أو بعده).(٣). القدار: الجزار. والنقيعة: ما ينحر للضيافة. والقدام: القادمون من سفر جمع قادم. وقيل: القدام الملك. ويروى:انا لنضرب بالصوارم هامهم." (١)

"أي من يخب. وقال ابن الأعرابي: يقال غوى الرجل يغوي «١» غيا إذا فسد عليه أمره، أو فسد هو في نفسه. وهو أحد معاني قول تعالى:" وعصى آدم ربه فغوى «٢» " أي فسد عيشه في الجنة. ويقال: غوى الفصيل إذا لم يدر لبن أمه. الثانية- مذهب أهل السنة أي أن الله تعالى أضله وخلق فيه الكفر، ولذلك نسب الإغواء في هذا إلى الله تعالى وهو الحقيقة، فلا شي في الوجود إلا وهو مخلوق له، صادر عن إرادته تعالى. وخالف الإمامية والقدرية وغيرهما شيخهم إبليس الذي طاوعوه في كل ما زينه لهم، ولم يطاوعوه في هذه المسألة ويقولون: أخطأ إبليس، وهو أهل للخطأ حيث نسب الغواية إلى ربه، تعالى الله عن ذلك. فيقال لهم: وإبليس وإن كان أهلا للخطأ فما تصنعون في نبي مكرم معصوم، وهو ونوح عليه السلام حيث قال لقومه:" ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون «٣» " وقد روي أن طاوسا جاءه رجل في المسجد الحرام، وكان متهما بالقدر، وكان من

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤١/١٧

الفقهاء الكبار، فجلس إليه فقال له طاوس: تقوم أو تقام؟ فقيل لطاوس: تقول هذا لرجل فقيه! فقال: إبليس أفقه منه، يقول إبليس: رب بما أغويتني. ويقول هذا: أنا أغوي نفسي. الثالثة- قوله تعالى:" (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) " أي بالصد عنه، وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك، أو يضلوا كما ضل، أو يخيبوا كما خيب، حسب ما تقدم من المعاني الثلاثة ف" أغويتني". والصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الجنة. و" صراطك" منصوب على حذف" على" أو" في" من قوله:" صراطك المستقيم"، كما حكى سيبويه" ضرب زيد الظهر والبطن". وأنشد:لدن بهز الكف يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريق الثعلب «٤»__________(١). من ج. [.....](٢). راجع ج ١١ ص ٢٥٥.(٣). راجع ج ٩ ص ٢٨.(٤). البيت لساعدة بن جوية. يريد في الطريق. وصف في البيت رمحا لين الهز فشبه اضطرابه في نفسه أو في حال هزه بعسلان الثعلب في سيره. والعسل العسلان (بالتحريك): سير سريع في اضطراب. واللدن: الناعم اللين. (عن شرح الشواهد).." [١]

"الثامن والعشرون: قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) فإن من يهدى إلى هذا الصراط الذي هو صراط من أنعم الله عليهم يستحق أن لا يشتغل بغيره ولا ينظر إلى سواه، لأن الإيصال إلى طرائق النعم هو المقصود من المشي والمراد بحركات السائرين، وذلك كناية عن الوصول إلى النعم نفسها إذ لا اعتبار بالوصول إلى طرائقها من دون وصول إليها، فكان وقوع الهداية على الصراط المستقيم نعمة بمجردها، لأن الاستقامة إذا تصورت عند تصور الاعوجاج كان فيها راحة بهذا الاعتبار، فكيف إذا كان ذلك كناية عن طريق الحق، فكيف إذا كان حقا موصلا إلى الفوز بنعم الله سبحانه.التاسع والعشرون: قوله (غير المغضوب عليهم) ووجه ذلك أن الوصول إلى النعم قد يكون منغصا مكدرا بشيء من غضب المنعم سبحانه، فإذا صفا ذلك عن هذا الكدر وانضم إلى الظفر بالنعم الظفر بما هو أحسن منها موقعا عند العارفين، وأعظم قدرا في صدور المتقين، وهو رضا رب العالمين، كان في ذلك من البهجة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ولا الوقوف على حقيقته ولا تصور معناه. وإذا كان المولى لهذه النعمة والمتفضل بها هو الله تعالى ولا يقدر على ذلك غيره ولا يتمكن منه سواه، فهو المستحق لإخلاص توحيده وإفراده بالعبادة.الموفى ثلاثين: قوله (ولا الضآلين) ووجهه أن الوصول إلى النعم مع الرضا قد يكون مشوبا بشيء من **الغواية**، مكدرا بنوع من أنواع المخالفة وعدم الهداية، وهذا باعتبار أصل الوصول إلى نعمة من النعم مع رضا المنعم بها فإنه لا يستلزم سلب كون المنعم عليه على ضلالة لا باعتبار هذه النعمة الخاصة من هذا المنعم عز وجل.ولما كان الأمر في الأصل

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧٥/٧

هكذا كان في وصول النعم إلى المنعم عليه من المنعم بها مع كونه راضيا عليه غير غاضب عنه، إذا كان ذلك الوصول مصحوبا بكون صاحبه على ضلالة في نفسه قصور عن وصولها إلى من كان." (١)

"(أولئك) أي الذين هذه صفتهم وما فيه من البعد للإشعار بعلو درجتهم ورفعة مرتبتهم في الفضل وهو مبتدأ وخبره (على هدى من ربهم) أي على رشاد ونور، وقيل على استقامة منحوها من عنده وأوتوها من قبله، وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضل والإبهام المفهوم من التنكير في (هدى) لكمال تفخيمه أي على هدى أي هدى، لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره، وهذا كلام مستأنف بياني، ويمكن أن يكون خبرا عن الذين يؤمنون بالغيب فيكون متصلا بما قبله.قال في الكشاف: قوله (وعلى هدى) مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه، ونحوه هو على الحق وعلى الباطل، وقد صرحوا بذلك في قوله جعل **الغواية** مركبا، وامتطى الجهل، واقتعد غارب الهوى اهـ.وقال أبو السعود وإيراد كلمة الاستعلاء على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للإيذان بقوة تمكنهم منه، وكمال رسوخهم فيه انتهى.وقال الخفاجي الاستعارة في الحرف تبعية متعلقة وهو المعنى الكلي الشامل له كما حققوه والتمثيل ضرب المثل والإتيان بمثال ومطلق التشبيه والمركب منه، وهذا ظاهر لا نزاع فيه، وإنما النزاع في الاستعارة التبعية هل تكون تمثيلية أم لا، فذهب الفاضل المحقق إلى جوازه متمسكا بما صرح." (٢)

"طائفة من العلماء إلى أن الساحر لا يقدر على أكثر مما أخبر الله به من التفرقة، لأن الله ذكر ذلك في معرض الذم للسحر وبين ما هو الغاية في تعليمه، فلو كان يقدر على أكثر من ذلك لذكره، وقالت طائفة أخرى أن ذلك خرج مخرج الأغلب وأن الساحر يقدر على غير ذلك المنصوص عليه، وقيل ليس للسحر تأثيرا في نفسه أصلا لقوله تعالى.(وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) والحق أنه لا تنافي بين القولين المذكورين، فإن المستفاد من جميع ذلك أن للسحر تأثير في نفسه وحقيقة ثابتة، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة وأبو حنيفة كما تقدم وهذا استثناء مفرغ من أعم الأحوال.(ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) يعني السحر لأنهم يقصدون به العمل أو لأن العلم يجر إلى العمل غالبا، وفيه تصريح بأن السحر لا يعود على صاحبه بفائدة ولا يجلب إليه منفعة بل هو ضرر محض، وخسران صرف، وشر بحت، قال أبو السعود

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/٦٠

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/٨٥

فيه أن الاجتناب عما لا تؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى **الغواية**، وإن قال من قال:عرفت الشر لا للشر ... ولكن لتوقيهومن لا يعرف الشر ... من الناس يقع فيه(ولقد علموا) يعني اليهود (لمن اشتراه) أي اختار السحر، والمراد بالشراء هنا الاستبدال أي من استبدل ما يتلو الشياطين (ما له في الآخرة من خلاق) أي من نصيب كما عند أهل اللغة، كذا قال الزجاج (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أي باعوها وقد أثبت لهم العلم في قوله ولقد علموا، ونفاه عنهم في قوله (لو كانوا يعلمون) واختلفوا في توجيه ذلك فقال قطرب والأخفش أن المراد بقوله (ولقد علموا) الشياطين والمراد بقوله (لو كانوا يعلمون) الأنس وقال الزجاج أن الأول للملكين وإن كان بصيغة الجمع فهو مثل قولهم الزيدان قاموا، والثاني المراد به علماء اليهود، وإنما قال لو كانوا يعلمون لأنهم تركوا العمل بعلمهم.." (١)

"(يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) لما ذكر سبحانه أن الناس ينقسمون إلى ثلاث طوائف مؤمنين وكافرين ومنافقين، أمرهم بعد ذلك ما يكون على ملة واحدة، وإنما أطلق على الثلاث الطوائف لفظ الإيمان لأن أهل الكتاب مؤمنون بنبيهم وكتابهم، والمنافق مؤمن بلسانه وإن كان غير مؤمن بقلبه، والسلم بفتح السين وكسرها، قال الكسائي: معناهما واحد، وكذا عند البصريين وهما جميعا يقعان للإسلام والمسالمة.وقال أبو عمرو بن العلاء: أنه بالفتح للمسالمة وبالكسر للإسلام، وأنكر البرد هذه التفرقة.وقال الجوهري: السلم بفتح السين ويكسر ويذكر ويؤنث أصله من الاستسلام والانقياد، ورجح الطبري أنه هنا بمعنى الإسلام، وقد حكى البصريون في سلم وسلم أنها بمعنى واحد، (وكافة) حال من السلم أو من ضمير المؤمنين فمعناه على الأول لا يخرج منكم أحد، وعلى الثاني لا يخرج من أنواع السلم شيء بل ادخلوا فيها جميعا أي في خصال الإسلام، وهو مشتق من قولهم كففت أي منعت أي لا يمتنع منكم أحد من الدخول في الإسلام، والكف المنع، والمراد به هنا الجميع.(ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تسلكوا الطريق التي يدعوكم إليها الشيطان، وقيل لا تلتفتوا إلى الشبهات التي تلقيها إليكم أصحاب الضلاله **والغواية** والأهواء المضلة لأن من تبع سنة إنسان فقد اتبع أثره، وقد." (٢)

"(ولأضلنهم) اللام جواب قسم محذوف، والإضلال الصرف عن طريق الهداية إلى طريق **الغواية** والمراد به التزيين والوسوسة وإلا فليس إليه من الإضلال شيء، قال بعضهم لو كان الإضلال إلى إبليس لأضل جميع الخلق وهكذا اللام في قوله (ولأمنينهم) والمراد بالأماني التي يمنيهم بها الشيطان هي الأماني

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٤٢/١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤١٩/١

الباطلة الناشئة عن تسويله ووسوسته قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيره.قال الكلبي: أمنيهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث، وقيل إدراك الجنة مع المعاصي وقيل أزين لهم ركوب الأهواء والأهوال الداعية إلى العصيان وقيل طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة، ولا مانع من حمل اللفظ على الجميع.(ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) أي ولآمرنهم بتبتيك آذانها أي تقطيعها فليبتكنها بموجب أمري والبتك القطع ومنه سيف باتك يقال بتكة وبتكة مخففا ومشددا، وقد فعل الكفار ذلك امتثالا لأمر الشيطان واتباعا لرسمه فشقوا آذان البحائر والسوائب (١) كما ذلك معروف، قال قتادة: التبتيك في البحيرة والسائبة يبتكون آذانها لطواغيتهم (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) بموجب أمري لهم.واختلف العلماء في هذا التغيير ما هو فقالت طائفة: هو الخصي وفقء العين وقطع الأذن، وقال آخرون: إن المراد هو أن الله سبحانه خلق الشمس والقمر والأحجار والنار ونحوها من المخلوقات لما خلقها له فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة وبه قال الزجاج، وقيل المراد تغيير الفطرة التي فطر الله______________(١) البحيرة هي الناقة تشق أذنها وتخلى للطواغيت إذا ولدت خمسة أبطن آخرها ذكر والسائبة هي الناقة تسيب للأصنام لنحو برء من مرض أو نجاة في حرب.." (١)

"(واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) بتوفيقنا للأعمال الصالحة أو تفضل علينا بإفاضة النعم من الحياة الطيبة والعافية وسعة الرزق (و) اكتب لنا (في الآخرة) الجنة بما تجازينا به أو بما تتفضل به علينا من النعيم في الآخرة (إنا هدنا) تعليل لما قبلها من سؤال المغفرة والرحمة والحسنة في الدنيا وفي الآخرة أي إنا تبنا (إليك) ورجعنا عن **الغواية** التي وقعت من بني إسرائيل، والهود التوبة، وقد تقدم في البقرة وبه قال جميع المفسرين قيل وبه سميت اليهود، وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم ثم صار اسم ذم وهو لازم لهم، وأصل الهود الرجوع برفق والمهادنة المصالحة قال عكرمة فكتب الرحمة يومئذ لهذه الأمة.وقال أبو وجزة السعدي: وكان من أعلم الناس بالعربية: لا والله ما أعلمها في كلام العرب هدنا قيل فكيف؟ قال: هدنا بكسر الهاء يقول ملنا.(قال عذابي أصيب به من أشاء) قيل المراد بالعذاب هنا الرجفة، وقيل." (٢)

"وكفر به، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم، وقيل: هو أبو عامر بن صيفي، وكان يلبس المسوح في الجاهلية فكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم -.وكانت الأنصار تقول هو ابن الراهب الذي بنى له مسجد الشقاق، وقيل: نزلت في البسوس رجل من بني إسرائيل قاله ابن عباس

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٤٥/٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١/٥

وقيل: نزلت في منافقي أهل الكتاب قاله الحسن وابن كيسان وقيل نزلت في قريش آتاهم الله آياته التي أنزلها على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكفروا بها، وقيل: نزلت في اليهود والنصارى انتظروا خروج محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكفروا به.وقال قتادة: هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى ولم يقبله، قيل والمراد بالآيات اسم الله الأكبر قاله ابن عباس، وقال ابن زيد: كان لا يسأل الله شيئا إلا أعطاه قال السدي: كان يعلم اسم الله الأعظم، وقيل إنه أوتي كتابا وقيل إن الله آتاه حجة وأدلة (١).(فانسلخ منها) كما تنسلخ الحية والشاة عن جلدها فلم يبق له بها اتصال، وقال ابن عباس: نزع منه العلم والإنسلاخ التعري من الشيء، وليس في الآية قلب إذ لا ضرورة تدعو إليه وإن زعمه بعضهم وأن أصله فانسلخت منه.(فأتبعه الشيطان) عند انسلاخه عن الآيات أي لحقه فأدركه وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وصيره تابعا لنفسه وقيل أتبعه بمعنى استتبعه (فكان من الغاوين) أي المتمكنين في الغواية وهم الكفار.____________(١) راجع فقه اسم الله الأعظم في زاد المسير ٣/ ٢٨٨.." [1]

"(والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم أهل مكة والأول أولى، لأن صيغة العموم تتناول الكل إلا ما دل الدليل على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الاستدراج هو الأخذ بالتدريج منزلة بعد منزلة والدرج كف الشيء يقال أدرجته ودرجته ومنه إدراج الميت في أكفانه وقيل هو من الدرجة فالاستدراج أن يخطو درجة بعد درجة إلى المقصود، ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه، وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء، ودرج القوم مات بعضهم في إثر بعض.والمعنى سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم وذلك بإدرار النعم عليهم وإنسائهم شكرها فينهمكون في الغواية ويتنكبون طرق الهداية لاغترارهم بذلك وأنه لم يحصل لهم إلا بما لهم عند الله من المنزله والزلفة.قال الأزهري: سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون، وقال السدي سنأخذهم من حيث لا يعلمون، قال عذاب بدر: وعن يحيى بن المنى قال كلما أحدثوا ذنبا جددنا لهم نعمة تنسيهم الاستغفار، وبه قال الضحاك وقال سفيان: نسبغ عليهم النعمة ونمنعهم شكرها، وعن ثابت البناني أنه سئل عن الاستدراج فقال: ذلك مكر الله بالعباد المضيعين، قال الكلبى: نزين أعمالهم ثم نهلكهم بها روي أن عمر بن الخطاب لما حمل إليه كنوز كسرى، قال: اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا فإني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون.." [2]

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥/٧٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥/٨٨

"(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا) أي شر ما يدب على وجه الأرض في حكم الله وقضائه المصرون على الكفر المتمادون في الضلال، وجعلهم شر الدواب لا شر الناس إيماء إلى انسلاخهم عن الإنسانية ودخولهم في جنس غير الناس من أنواع الحيوان لعدم تعقلهم لما فيه رشادهم، ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها حسبما نطق به قوله تعالى: (إن هم إلا كالانعام بل هم أضل) عن سعيد بن جبير قال: نزلت في ستة رهط من اليهود فيهم ابن تابوت ولهذا قال: (فهم لا يؤمنون) أي هذا شأنهم لا يؤمنون أبدا ولا يرجعون عن **الغواية** أصلا،وهذا حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من أهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف أصلا. جيء به على وجه الاعتراض لا أنه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل، قاله أبو السعود." (١)

"(فأخلفتكم) ما وعدتكم به من ذلك (وما كان لي عليكم من سلطان) أي تسلط عليكم بإظهار حجة على ما وعدتكم به وزينته لكم.(إلا أن دعوتكم) أي مجرد دعائي لكم إلا **الغواية** والضلال بلا حجة ولا برهان ودعوته لهم ليست من جنس السلطان حتى يستثنى منه بل الاستثناء منقطع أي لكن دعوتكم وقيل المراد بالسلطان هنا القهر أي ما كان لي عليكم من قهر يضطركم إلا إجابتي وقيل هذا الاستثناء هو من باب " تحية بينهم ضرب وجيع " مبالغة في نفيه للسلطان عن نفسه كأنه قال إنما يكون لي عليكم سلطان إذا كان مجرد الدعاء من سلطان وليس منه قطعا.(فاستجبتم لي) أي فسارعتم إلى إجابتي (فلا تلوموني) بما وقعتم فيه بسبب وعدى لكم بالباطل وإخلافي هذا الموعد فإن من صرح بالعداوة لا يلام بأمثال ذلك (ولوموا أنفسكم) باستجابتكم لي بمجرد الدعوة التي لا سلطان عليها ولا حجه فإن من قبل المواعيد الباطلة والدعاوي الزائغة عن طريق الحق فعلى نفسه جنى ولمارنه قطع ولا سيما ودعوتي هذه الباطلة وموعدى الفاسد وقعا معارضين لوعد الله لكم وهو الحق ودعوته لكم إلا دار السلام مع قيام الحجة التي لا تخفى على عاقل ولا تلتبس إلا على مخذول.وقريب من هذا من يقتدي بآراء الرجال المخالفة لما في كتاب الله ولما في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويؤثرها على ما فيهما فإنه قد استجاب للباطل الذي لم تقم عليه حجة، ولا دل عليه برهان، وترك الحجة والبرهان خلف ظهره كما يفعله كثير من المقتدين بالرجال المقلدين لهم، المتنكبين عن طريق الحق بسوء اختيارهم، اللهم غفرا.(ما أنا بمصرخكم وما أنتم

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٩٧/٥

بمصرخي) يقال صرخ فلان إذا استغاث يصرخ صراخا وصرخا واستصرخ بمعنى صرخ والمصرخ المغيث والمستصرخ." (١)

"مقسما به غير متعارف، قاله الكرخي.قلت: وإقسامه هنا بإغواء الله له لا ينافي اقسامه في موضع آخر بعزة الله التي هي سلطانه وقهره لأن الإغواء هو من جملة ما يصدق عليه العزة، وقال أهل العراق الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين، والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين، قيل والأصح أن الأيمان مبنية على العرف فما تعارف الناس الحلف به يكون يمينا وما لا فلا.وجواب القسم (لأزينن لهم) أي لذرية آدم وإن لم يجر لهم ذكر للعلم بهم (في الأرض) أي ما داموا في الدنيا والتزيين منه إما بتحسين المعاصي لهم وإيقاعهم فيها أو بشغلهم بزينة الدنيا وحبها عن فعل ما أمرهم الله به فلا يلتفتون إلى غيرها.(ولأغوينهم أجمعين) أي لأضلنهم عن طريق الهدى وأوقعهم في طريق الغواية وأحملهم عليها بالقاء الوسوسة في قلوبهم، وذلك أن إبليس لما علم أنه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على إضلال الخلق بالكفر وإغوائهم، وفي الآية حجة على المعتزلة في خلق الأفعال وحملهم على التسبب عدول عن الظاهر.." (٢)

"يتحيرون، جعل الغواية لكونها تذهب بعقل صاحبها كما تذهب به الخمر سكرة، والضمير لقريش على أن القسم بمحمد صلى الله عليه وسلم، والجملة اعتراض، أو لقوم لوط على أن القسم بلوط، قال قتادة: أي في ضلالهم يلعبون، وقال الأعمش لفي غفلتهم يترددون، وعمه من باب تعب كما في المختار.." (٣)

"(ولقد صرفنا في هذا القرآن) أي بينا أو كررنا ضروب القول فيه من الأمثال والعبر والحكم والحجج والمواعظ والقصص والأخبار والأوامر والنواهي وغيرها. وقيل في زائدة والتقدير ولقد صرفنا هذا القرآن، والتصريف في الأصل صرف الشيء من جهة إلى جهة والتشديد فيه للتكثير والتكرير، وقيل معنى التصريف المغايرة؛ أي غايرنا بين المواعظ.ثم علل سبحانه ذلك فقال (ليذكروا) أي ليتعظوا ويعتبروا ويتدبروا بعقولهم ويتفكروا فيه حتى يقفوا على بطلان ما يقولونه (و) الحال أن هذا التصريف والتذكير (ما يزيدهم إلا نفورا) أي تباعدا عن الحق وغفلة عن النظر في الصواب لأنهم قد اعتقدوا في القرآن أنه حيلة وسحر وكهانة وشعر

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠٥/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٧٠/٧

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٨٧/٧

وهم لا ينزعون عن هذه **الغواية** ولا وازع لهم يزعهم إلى الهداية، وكان الثوري إذا قرأها يقول: زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا.." (١)

"(قل) لهم يا محمد (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) أي منتظر لما يؤول إليه الأمر (فتربصوا) أنتم (فستعلمون) عن قريب (من أصحاب الصراط السوي) أي الطريق المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة، ونزع عن **الغواية**، أنحن أم أنتم؟ قال النحاس والفراء: نذهب إلى أن معنى من أصحاب الصراط السوي من لم يضل، ومعنى: من اهتدى من ضل ثم اهتدى، ومن في الموضعين استفهامية أو موصولة.." (٢)

"وقال ابن زيد الفرقان: الحق، وقيل الفرقان هنا هو النصر على الأعداء كما في قوله: وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان؛ قال الثعلبي: وهذا القول اشبه بظاهر الآية، ومعنى ضياء أنهم استضاؤوا بها في ظلمات الجهل **والغواية**، ومعنى الذكر الموعظة أي أنهم يتعظون بما فيها.وخص المتقين لأنهم ينتفعون بذلك ووصفهم بقوله." (٣)

"(فأصبح في المدينة) أي دخل في وقت الصباح في المدينة التي قتل فيها القبطي (خائفا يترقب) المكروه أو متى يؤخذ به، أو يترقب الفرج، أو الخبر هل وصل إلى فرعون أم لا قال النسفي: وفيه دليل على أنه لا بأس بالخوف من دون الله، بخلاف ما يقوله بعض الناس أنه لا يسوغ الخوف من دون الله سبحانه، زاد القرطبي وأن الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه.(فإذا الذي استنصره) إذا هي الفجائية أي فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي استغاثه (بالأمس) يقاتل قبطيا آخر أراد أن يسخره ويظلمه، كما أراد القبطي الذي قد قتله موسى بالأمس (يستصرخه) أي يستغيث به، والاستصراخ الاستغاثة، وهو من الصراخ، وذلك أن المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث.(قال له) أي للإسرائيلي (موسى) وإليه ذهب الخازن والمحلي، أو للقبطي؛ وإليه ذهب القرطبي (إنك لغوي مبين) أي بين **الغواية**، وذلك أنك تقاتل من لا تقدر على مقاتلته ولا تطيقه، وقيل إنما قال له هذه المقالة لأنه تسبب بالأمس لقتل رجل، ويريد اليوم أن يتسبب لقتل آخر.." (٤)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٩٥/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٩٨/٨

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٣٦/٨

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠١/١٠

"(قال الذين حق عليهم القول) أي حقت عليهم كلمة العذاب، بدخول النار وهم رؤساء الضلال، الذين اتخذوهم أربابا من دون الله كذا قال الكلبي وقال قتادة: هم الشياطين.(ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أي: دعوناهم إلى الغواية، يعنون الأتباع في الكفر (أغويناهم كما غوينا) أي: أضللناهم كما ضللنا، وآثروا الكفر على الإيمان، كما آثرنا نحن، وكنا السبب في كفرهم، فقبلوا منا، فلا فرق إذا بين غينا وغيهم، وإن كان تسويلنا لهم داعيا إلى الكفر، فقد كان في مقابلته دعاء الله تعالى لهم إلى الإيمان بما وضع فيهم من أدلة العقل، وما بعث إليهم من الرسل، وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد، والمواعظ والزواجر، وناهيك بذلك صارفا عن الكفر، وداعيا إلى الإيمان.(تبرأنا إليك) ممن أطاعنا؛ وهذا مقرر لما قبله، ولذلك لم يعطف، قال الزجاج: برئ بعضهم من بعض وصاروا أعداء، كما قال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو). (ما كانوا إيانا يعبدون) إنما كانوا يعبدون أهواءهم. قيل: ما مصدرية،." (١)

"(فأغويناكم) أي أضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا فيه من الغي وزينا لكم ما كنتم عليه من الكفر، فاستجبتم لنا باختياركم، واستحبابكم الغي على الرشد.(إنا كنا غاوين) فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك الدعوة لأنا أردنا أن تكونوا أمثالنا في الغواية، ومعنى الآية: أقدمنا على إغوائكم لأنا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية، فأقروا ههنا بأنهم تسببوا لإغوائهم لكن لا بطريق القهر والغلبة، ونفوا عن أنفسهم فيما سبق أنهم قهروهم وغلبوهم فقالوا: (وما كان لنا عليكم من سلطان) ثم أخبر الله سبحانه عن الاتباع والمتبوعين بقوله:." (٢)

"(فإنهم يومئذ) أي يوم إذ يتساءلون ويتحاورون ويتخاصمون بما سبق (في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية." (٣)

"بحذف مضمر، وقيل: جملة لأملأن جواب القسم على قراءة الجمهور، وجملة والحق أقول معترضة بين القسم وجوابه.(منك) أي من جنسك من الشياطين (وممن تبعك منهم) أي من ذرية آدم، فأطاعوك إذ دعوتهم إلى الضلالة والغواية، و (أجمعين) تأكيد للمعطوف والمعطوف عليه، وجوز الزمخشري أن يكون تأكيدا للضمير في منهم خاصة، أي لأملأن جهنم من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس، لا تفاوت في

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤٠/١٠

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٨٢/١١

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٨٢/١١

ذلك بين ناس وناس، ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بأنه إنما يريد بالدعوة إلى الله امتثال أمره، لا عرض الدنيا الزائل فقال:." (١)

"الحق فإن سماعها لذكر الله لا يزيدها إلا قسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح، فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه، ولا يزيد الكافرين إلا قسوة.قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة، وأخرج الترمذي، وابن مردويه وابن شاهين في الترغيب في الذكر، والبيهقي في الشعب، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي " (١).والإشارة بقوله (أولئك) إلى القاسية قلوبهم (في ضلال مبين) أي **غواية** ظاهرة واضحة ثم ذكر سبحانه بعض أوصاف كتابه العزيز فقال:__________(١) روى ابن ماجه (٤١٩٣) لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب. وروى البوصيري في الزوائد (ق ٢٥٨/ ١) والترمذي (٢/ ٥٠)..." (٢)

"يريدون بها باطلا.قال أبو المنصور: هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة، وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم (لو هدانا الله لهديناكم) ولكن علم منا اختيار الضلالة **والغواية** فخذلنا ولم يوفقنا، والمعتزلة يقولون: بل هداهم وأعطاهم التوفيق، لكنهم لم يهتدوا ثم ذكر سبحانه مقالة أخرى مما قالوه فقال:." (٣)

"شيء تأثرونه عن نبي كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم، قال مقاتل أو رواية من علم عن الأنبياء، وقال الزجاج: أو أثارة أي علامة والأثارة مصدر كالسماحة والشجاعة، وأصل الكلمة من الأثر، وهي الرواية يقال: أثرت الحديث أثره أثرة وأثاره وأثرا إذا ذكرته عن غيرك، قرأ الجمهور " آثارة " على المصدر كالسماحة **والغواية**.وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما بفتح الهمزة والثاء أثرة من غير ألف وقرىء أثرة بضم الهمزة وسكون الثاء، قال ابن عباس: " أو أثارة من علم أي خط " وأخرجه أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم قال سفيان لا أعلم إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم يعني أن هذا الحديث مرفوع لا موقوف على ابن عباس.وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان نبي من الأنبياء يخط فمن

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧٢/١٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠٤/١٢

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٣٧/١٢

صادف مثل خطه علم " أخرجه عبد بن حميد، وابن مردويه، ومعنى هذا ثابت في الصحيح، ولأهل العلم فيه تف ا سير مختلفة، ومن أين لنا أن هذه الخطوط الرملية موافقة لذلك الخط؟ وأين السند الصحيح إلى ذلك النبي؟ أو إلى نبينا صلى الله عليه وسلم إن هذا الخط هو على صورة كذا فليس ما يفعله أهل الرمل إلا جهالات وضلالات.وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أو أثارة من علم قال: حسن الخط " أخرجه ابن مردويه، وعن ابن عباس قال: " خط كان تخطه العرب في الأرض " وعنه قال بينة من العلم (إن كنتم صادقين) في دعواكم التي تدعونها وهي قولكم: إن لله شريكا، أو إن الله أمركم بعبادة الأوثان ولم يأتوا بشيء من ذلك فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلي والنقلي على خلافه.." (١)

"" صفحة رقم ٨٥ " فذلك ان يهلك فحسبي ثناؤهوإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمماومعنى الاستعلاء في قوله (على هدى) مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم بهشبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطلوقد صرحوا بذلك في قولهم جعل **الغواية** مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوىومعنى) هدى من ربهم (أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضلونكر) هدى (ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلاوقال الهذلي(فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم)والنون في) من ربهم (أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون الا أبا عمرو فقد روى عنه فيه ا روايتانوفي تكرير) أولئك (تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالهافإن قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله) أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (الأعراف ١٧٩ قلت قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزلو) هم (فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيرهأو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك." (٢)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١/١٣

(٢) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، ٨٥/١

"" صفحة رقم ١٩٩ " من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له أثر في نفسه بدليل قوله تعالى) وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله (لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث) ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم (لأنهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التى لا يؤمن ان تجر إلى **الغواية**ولقد علم هؤلاء اليهود ان من اشتراه أي استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله) ما له في الآخرة من خلاق (من نصيب) ولبئس ما شروا به أنفسهم (أي باعوهاوقرا الحسن (الشياطون) وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعدوقرا الزهري (هاروت وماروت) بالرفع على هما هاروت وماروتوهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفاوقرا طلحة (وم، يعلمان) من اعلم وقرىء (بين المرء) بضم الميم وكسرها مع الهمزوالمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج وإجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الأعمش (وما هم بضاري) بطرح النون والإضافة إلى أحد والفصل بينهما بالظرف فإن قلت كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرورفإن قلت كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله) ولقد علموا (على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله) لو كانوا يعلمون (قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنهولو أنهم ءامنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يأيها الذين ءامنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشآء والله ذو الفضل العظيم ١٠٣ - ١٠٥البقرة : (١٠٣ - ١٠٥) ولو أنهم آمنوا . . . ." (١)

"" صفحة رقم ٤٣ " الحسنات والشمال لكاتب السيئات ؛ ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه ، والمسيء أن يؤتاه بشماله : استعيرت لجهة الخير وجانبه ، فقيل : أتاه عن اليمين ، أي : من قبل الخير وناحيته ، فصده عنه وأضله . وجاء في بعض التفاسير : من أتاه الشيطان من جهة اليمين : أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق . ومن أتاه من جهة الشمال : أتاه من قبل الشهوات . ومن أتاه من بين يديه : أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب . ومن أتاه من خلفه : خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده ؛ فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة . فإن قلت : قولهم : أتاه من جهة الخير وناحيته : مجاز في نفسه ، فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز ؟ قلت : من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى الحق بالحقائق

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ١/١٩٩

، وهذا من ذاك ؛ ولك أن تجعلها مستعارة للقوة والقهر ؛ لأن اليمين موصوفة بالقوة ، وبها يقع البطش .
والمعنى : أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر ، وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه . وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم ، والغواة لشياطينهم) بل لم تكونوا مؤمنين (بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه ، مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر . غير ملجئين إليه) وما كان لنا عليكم (من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم) بل كنتم قوما (مختارين الطغيان) فحق علينا (فلزمنا) قول ربنا إنا لذائقون (يعني : وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة ، لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ، ولو حكى الوعيد كما هو لقال : إنكم لذائقون ، لكنه عدل به إلى لفظ المتكلم ؛ لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم . ونحوه قول القائل : لقد زعمت هوازن قل مالي ؛ولو حكى قولها لقال : قل مالك . ومنه قول المحلف للحالف : احلف لأخرجن ، ولتخرجن : الهمزة لحكاية لفظ الحالف ، والتاء لإقبال المحلف على المحلف) فأغويناكم (فدعونا إلى الغي دعوة محصلة للبغية ، لقبولكم لها واستجابتكم الغي على الرشد) إنا كنا غاوين (فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا) فإنهم (فإن الأتباع والمتبوعين جميعا) يومئذ (يوم القيامة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في **الغواية**) إنا (مثل ذلك الفعل) نفعل (بكل مجرم ، يعني أن سبب العقوبة هو الإجرام ، فمن ارتكبه استوجبها) إنهم." (١)

"لأنه الأصل والمرسوم كما كتبوا المصيطر بالصاد مع العلم بأن أصله السين فهذا مما يرجع الخلاف فيه إلى الاختلاف في أداء اللفظ لا في مادة اللفظ لشهرة اختلاف لهجات القبائل في لفظ مع اتحاده عندهم.والصراط اسم عربي ولم يقل أحد من أهل اللغة أنه معرب ولكن ذكر في الإتقان عن النقاش وابن الجوزي أنه الطريق بلغة الروم وذكر أن أبا حاتم ذكر ذلك في كتاب الزينة له وبنى على ذلك السيوطي فزاده في منظومته في المعرب،والصراط في هذه الآية مستعار لمعنى الحق الذي يبلغ به مدركه ألى الفوز برضاء الله لأن ذلك الفوز هو الذيب جاء الإسلام بطلبه.والمستقيم اسم فاعل استقام مطاوع قومته فاستقام، والمستقيم الذي لا عوج فيه ولا تعاريج، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيما وهو الجادة لأنه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره فلا يضل فيه سالكه ولا يتردد ولا يتحير. والمستقيم هنا مستعار للحق البين ،الذي لا تخلطة شبهة باطل فهو كالطريق الذي لا تتخلله بنيات، عن ابن عباس أن الصراط المستقيم دين الحق، ونقل عنه أنه ملة الإسلام، فكلامه يفسر بعضه بعضا ولا يريد أنهم لقنوا الدعاء بطلب الهداية إلى دين مضى وإن كانت الأديان الإلهية كلها صرطا مستقيمة بحسب أحوال أممها يدل لذلك قوله

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، ٤/٤٣

تعالى في حكاية غواية الشيطان: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ [لأعراف:١٦]فالتعريف في "الصراط المستقيم" تعريف العهد الذهني، لأنهم سألوا الهداية لهذا الجنس في ضمن فرد وهو الفرد المنحصر فيه الاستقامة لأن الاستقامة لا تتعدد كما قال تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ [يونس: ٣٢] ولأن الضلال أنواع كثيرة كما قال ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ [المائدة: ١٠٠] وقد يوجه هذا التفسير بحصول الهداية إلى الإسلام فعلمهم الله هذا الدعاء لإظهار منته وقد هداهم الله بما سبق من القرآن قبل نزول الفاتحة ويهديهم بما لحق من القرآن والإرشاد النبوي. وإطلاق الصراط المستقيم على دين الإسلام ورد في قوله تعالى: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما﴾ [الأنعام: ١٦١].والأظهر عندي أن المراد بالصراط المستقيم المعارف الصالحات كلها من اعتقاد وعمل بأن يوقفهم إلى الحق والتمييز بينه وبين الضلال على مقادير استعداد النفوس وسعة." (١)

"ولله صعلوك يساور همه ... ويمضي على الأحداث والدهر مقدمافتى طلبات لا يرى الخمص ترحة ... ولا شبعة إن نالها عد مغنماإلى أن قال:فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه ... وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما١فقوله: ﴿أولئك على هدى﴾ جملة مستأنفة استئنافا بيانيا لأن السامع إذا سمع ما تقدم من صفات الثناء عليهم ترقب فائدة تلك الأوصاف، واسم الإشارة هنا حل محل ذكر ضميرهم والإشارة أحسن منه وقعا لأنها تتضمن جميع أوصافهم المتقدمة فقد حققه التفتزاني في باب الفصل والوصل من الشرح المطول أن الاستئناف بذكر اسم الإشارة أبلغ من الاستئناف الذي يكون بإعادة اسم المستأنف عنه. وهذا التقدير أظهر معنى وأنسب بلاغة وأسعد باستعمال اسم الإشارة في مثل هاته المواقع، لأنه أظهر في كون الإشارة لقصد التنويه بتلك الصفات المشار إليها وبما يرد بعد اسم الإشارة من الحكم الناشئ عنها، وهذا لا يحصل إلا بجعل اسم الإشارة مبتدأ أول صدر جملة استئناف. فقوله: ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ رجوع إلى الإخبار عنهم بأن القرآن هدى لهم والإتيان بحرف الاستعلاء تمثيل لحالهم بأن شبهت هيئة تمكنهم من الهدى وثباتهم عليه ومحاولتهم الزيادة به والسير في طريق الخيرات بهيأة الراكب في الاعتلاء على المركوب والتمكن من تصريفه والقدرة على إراضته فشبهت حالتهم المنتزعة من متعدد بتلك الحالة المنتزعة من متعدد تشبيها ضمنيا دل عليه حرف الاستعلاء لأن الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيء من شيء، ووجه جعلنا إياها مؤذنة بتقدير مركوب دون كرسي أو مسطبة مثلا، لأن ذلك هو الذي تسبق إليه أفهامهم عند سماع ما يدل على الاستعلاء، إذ الركوب هو أكثر أنواع استعلائهم فهو الحاضر في أذهانهم، ولذلك تراهم حين يصرحون

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨٨/١

بالمشبه به أو يرمزون إليه ما يذكرون إلا المركوب وعلائقه، فيقولون جعل **الغواية** مركبا وامتطى الجهل وفي المقامة لما اقتعدت غارب الاغتراب وقالوا في الأمثال ركب متن عمياء. تخبط خبط عشواء. وقال النابغة يهجو عامر بن الطفيل الغنوي:ــ١ الصعلوك – بضم الصاد – أصله الفقير، ويطلق على المتلصص لأن الفقر يدعوه للتلصص عندهم لأنهم ماكانوا يرضون باكتساب ينافي الشجاعة ويكسب المذلة كالسرقة والسؤال. فحاتم يمدح الصعلوك الذي لا يقتصر على التلصص بل يكون بشجاعته عدة لقومه عند الحاجة.." (١)

"ودل قوله: ﴿ما يكون لك﴾ على أن ذلك الوصف لا يغتفر منه، لأن النفي بصيغة ﴿ما يكون لك﴾ كذا أشد من النفي بـ "ليس لك كذا" كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب﴾ الآية في آل عمران [٧٩]، وهو يستلزم هنا نهيا لأنه نفاه عنه مع وقوعه، وعليه فتقييد نفي التكبر عنه بالكون في السماء لوقوعه علة للعقوبة الخاصة وهي عقوبة الطرد من السماء، فلا دلالة لذلك القيد على أنه يكون له أن يتكبر في غيرها، وكيف وقد علم أن التكبر معصية لا تليق بأهل العالم العلوي.وقوله: ﴿فاخرج﴾ تأكيد لجملة ﴿فاهبط﴾ بمرادفها، وأعيدت الفاء مع الجملة الثانية لزيادة تأكيد تسبب الكبر في إخراجه من الجنة.وجملة: ﴿إنك من الصاغرين﴾ يجوز أن تكون مستأنفة استئنافا بيانيا، إذا كان المراد من الخبر الإخبار عن تكوين الصغار فيه بجعل الله تعالى إياه صاغرا حقيرا حيثما حل، ففصلها عن التي قبلها للاستئناف، ويجوز أن تكون واقعة موقع التعليل للإخراج على طريقة استعمال إن في مثل هذا المقام استعمال فاء التعليل، فهذا إذا كان المراد من الخبر إظهار ما فيه من الصغار والحقارة التي غفل عنها فذهبت به الغفلة عنها إلى التكبر.وقوله: ﴿إنك من الصاغرين﴾ أشد في إثبات الصغار له من نحو: إنك صاغر، أو قد صغرت، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين﴾ . في سورة الأنعام [٥٦] وقوله آنفا: ﴿لم يكن من الساجدين﴾ . والصاغر المتصف بالصغار وهو الذل والحقارة، وإنما يكون له الصغار عند الله لأن جبلته صارت على غير ما يرضي الله، وهو صغار **الغواية**، ولذلك قال بعد هذا: ﴿فبما أغويتني﴾ [لأعراف: ١٦].[١٤,١٥] ﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين﴾.لما كون الله فيه الصغار والحقاري بعد عزة الملكية وشرفها انقلبت مرامي همته إلى التعلق بالسفاسف إذا ما لم تكن إبل فمعزى فسأل النظرة بطول الحياة إلى يوم البعث، إذ كان يعلم قبل ذلك أنه من الحوادث الباقية لأنه من أهل العالم الباقي، فلما أهبط إلى العالم الأرضي ظن أنه صائر إلى العدم فلذلك سأل النظرة إبقاء

(١) التحرير والتنوير، ٢٣٩/١

لما كان له من قبل، وإذ قد كان ذلك بتقدير الله تعالى وعلمه، وبدر من إبليس طلب النظرة، قال الله تعالى: ﴿إنك من المنظرين﴾ أي أنك من المخلوقات الباقية.وقد أفاد التأكيد بإن والإخبار بصيغة ﴿من المنظرين﴾ : أن إنظاره أمر قد قضاه الله." (١)

"استنزالا لطائر نفوسهم مما سيعقب النداء من الرد عليهم وإبطال قولهم: ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾ [الأعراف: ٦٠].والضلالة مصدر مثل الضلال، فتأنيثه لفظي محض، والعرب يستشعرون التأنيث غالبا في أسماء أجناس المعاني، مثل **الغواية** والسفاهة، فالتاء لمجرد تأنيث اللفظ وليس في هذه التاء معنى الوحدة لأن أسماء أجناس المعاني لا تراعى فيها المشخصات، فليس الضلال بمنزلة اسم الجمع للضلالة، خلافا لما في الكشاف، وكأنه حاول إثبات الفرق بين قول قومه له: ﴿إنا لنراك في ضلال﴾ [الأعراف:٦٠]، وقوله هو ﴿ليس بي ضلالة﴾ وتبعه فيه الفخر، وابن الأثير في المثل السائر، وقد تكلف لتصحيحه التفتزاني، ولا حاجة إلى ذلك، لأن التخالف بين كلمتي ضلال وضلالة اقتضاه التفنن حيث سبق لفظ ضلال، وموجب سبقه إرادة وصفه بـ ﴿مبين﴾ [الأعراف:٦٠]، فلو عبر هنالك بلفظ ضلالة لكان وصفها بمبينة غير مألوف الاستعمال، ولما تقدم لفظ ﴿ضلال﴾ [الأعراف:٦٠] استحسن أن يعاد بلفظ يغايره في السورة دفعا لثقل الإعادة؛ فقوله: ﴿ليس بي ضلالة﴾ رد لقولهم ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾ [الأعراف:٦٠] بمساوية لا بأبلغ منه.والباء في قوله: ﴿بي﴾ المصاحبة أو الملابسة، وهي تناقض معنى الظرفية المجازية من قولهم: ﴿في ضلال﴾ فإنهم جعلوا الضلال متمكنا منه، فنفى هو أن يكون للضلال متلبس به.وتجريد ﴿ليس﴾ من تاء التأنيث مع كون اسمها مؤنث اللفظ جرى على الجوار في تجريد الفعل من علامة التأنيث، إذا كان مرفوعة غير حقيقي التأنيث، ولمكان الفصل بالمجرور.والاستدراك الذي في قوله: ﴿ولكني رسول﴾ لرفع ما توهموه من أنه في ضلال حيث خالف دينهم، أي هو في حال رسالة عن الله، مع ما تقتضي الرسالة من التبليغ والنصح والإخبار بما لا يعلمونه، وذلك ما حسبوه ضلالا، وشأن "لكن" أن تكون جملتها مفيدة معنى يغاير معنى الجملة الواقعة قبلها، ولا تدل عليه الجملة السابقة وذلك هو حقيقة الاستدراك الموضوعة له "لكن" فلا بد من مناسبة بين مضموني الجملتين: إما في المسند نحو: ﴿ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم﴾ [الأنفال: ٤٣] أو في المسند إليه نحو: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٥/٨

الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] فلا يحسن أن تقول: ما سافرت ولكني مقيم، وأكثر وقوعها بعد جملة منفية، لأن النفي معنى واسع، فيكثر أن." (١)

"لأمية بن أبي الصلت، أو دلائل الإنجيل على صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالنسبة للراهب أبي عامر بن صيفي.والانسلاخ حقيقته خروج جسد الحيوان من جلده حينما يسلخ عنه جلده، والسلخ إزالة جلد الحيوان الميت عن جسده، واستعير في الآية للانفصال المعنوي، وهو ترك التلبس بالشيء أو عدم العمل به، ومعنى الانسلاخ عن الآيات الإقلاع عن العمل بما تقتضيه، وذلك أن الآيات أعلمته بفساد دين الجاهلية.وأتبعه بهمزة قطع وسكون المثناة الفوقية بمعنى لحقة غير مفلت كقوله ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ [الصافات: ١٠] ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ [طه: ٧٨] وهذا أخص من اتبعه بتشديد المثناة ووصل الهمزة.والمراد بالغاوين: المتصفين بالغي وهو الضلال ﴿فكان من الغاوين﴾ أشد مبالغة في الاتصاف **بالغواية** من أن يقال: وغوى أو كان غاويا، كما تقدم عند قوله تعالى ﴿قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين﴾ في سورة الأنعام [٥٦].ورتبت أفعال الانسلاخ والاتباع والكون من الغاوين بفاء العطف على حسب ترتيبها في الحصول، فانه لما عاند ولم يعمل بما هداه الله إليه حصلت في نفسه ظلمة شيطانية مكنت الشيطان من استخدامه وإدامة إضلاله، فالانسلاخ عن الآيات أثر من وسوسة الشيطان، وإذا أطاع المرء الوسوسة تمكن الشيطان من مفاده، فسخره وأدام إضلاله، وهو المعبر عنه بـ ﴿أتبعه﴾ فصار بذلك في زمرة الغواة المتمكنين من **الغواية**.وقوله تعالى ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أفاد أن تلك الآيات شأنها أن تكون سببا للهداية والتزكية، لو شاء الله له التوفيق وعصمه من كيد الشيطان وفتنته فلم ينسلخ عنها، وهذه عبرة للموفقين ليعلموا فضل الله عليهم في توفيقهم، فالمعنى: ولو شئنا لزاد في العمل بما آتيناه من الآيات فلرفعه الله بعمله.والرفعة مستعارة لكمال النفس وزكائها، لأن الصفات الحميدة تخيل صاحبها مرتفعا على من دونه، أي ولو شئنا لاكتسب بعمله بالآيات فضلا وزكاء وتميزا بالفضل، فمعنى لرفعناه ليسرنا له العمل بها الذي يشرف به.وقد وقع الاستدراك على مضمون قوله ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ بذكر ما يناقض تلك المشيئة الممتنعة، وهو الاستدراك بأنه انعكست حاله فأخلد إلى الأرض، أي ركن." (٢)

"فجملة جالوا خبر عن الخيل وضمير جالوا عائد على ما عاد عليه ضمير وهم لا عن الخيل.وقوله فوارس خبر ضمير الجمع.ويجوز أن يكون المراد من الإخوان الأولياء ويكون الضميران للمشركين أيضا، أي

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤٨/٨

(٢) التحرير والتنوير، ٣٥٢/٨

وإخوان المشركين وأوليائهم، فيكون "الإخوان" صادقا بالشياطين كما فسر قتادة، لأنه إذا كان المشركون إخوان الشياطين، كما هو معلوم، كان الشياطين إخوانا للمشركين لأن نسبة الإخوة تقتضي جانبين، وصادقا بعظماء المشركين، فالخبر جار على من هو له، وقد كانت هذه المعاني مجتمعة في هذه الآيات بسبب هذا النظم البديع.وقرأ نافع، وأبو جعفر: ﴿يمدونهم﴾ بضم الياء وكسر الميم من الإمداد وهو تقوية الشيء بالمدد والنجدة كقوله: ﴿أمدكم بأنعام وبنين﴾ [الشعراء:١٣٣]، وقرأه البقية: يمدونهم بفتح الياء وضم الميم من مد الحبل يمده إذا طوله، فيقال: مد له إذا أرخى له كقولهم مد الله في عمرك وقال أبو علي الفارسي في كتاب الحجة عامة ما جاء في التنزيل مما يستحب أمددت على أفعلت كقوله: ﴿أنما نمدهم به من مال وبنين﴾ [المؤمنون: ٥٥] و ﴿وأمددناهم بفاكهة﴾ [الطور: ٢٢] و﴿أتمدونن بمال﴾ [النمل: ٣٦]، وما كان بخلافه يجيء على مددت قال تعالى: ﴿ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ [البقرة: ١٥]﴾.فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء كما ذهب إليه الأكثر من القراء والوجه في قراءة من قرأ يمدونهم أي بضم الياء انه مثل ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران: ٢١] أي هو استعارة تهكمية والقرينة قوله في الغي كما أن القرينة في الآية الأخرى قوله ﴿بعذاب﴾ وقد علمت أن وقوع أحد الفعلين أكثر في أحد المعنيين لا يقتضي قصر إطلاقه على ما غلب إطلاقه فيه عند البلغاء وقراءة الجمهور يمدونهم بفتح التحتية تقتضي أن يعدى فعل ﴿يمدونهم﴾ إلى المفعول باللام، يقال مد له إلا أنه كثرت تعديته بنفسه على نزع الخافض كقوله تعالى: ﴿ويمدهم في طغيانهم﴾ وقد تقدم في سورة البقرة[١٥].والغي الضلال وقد تقدم آنفا.و"في" من قوله: ﴿يمدونهم في الغي﴾ على قراءة نافع وأبي جعفر استعارة تبعية بتشبيه الغي بمكان المحاربة، وأما على قراءة الجمهور فالمعنى: وإخوانهم يمدون لهم في الغي من مد للبعير في الطول.أي يطيلون لهم الحبل في الغي، تشبيها لحال أهل **الغواية** وازديادهم فيها بحال النعم المطال لها الطول في المرعى وهو الغي، وهو تمثيل صالح لاعتبار تفريق التشبيه في." (١)

"والشر كما تقدم.وجملة الشرط في قوله: ﴿ إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ هي المقصود من الكلام، فجوابها في معنى قوله: ﴿لا ينفعكم نصحي﴾ ، ولكن نظم الكلام بني على الإخبار بعدم نفع النصح اهتماما بذلك فجعل معطوفا على ما قبله وأتي بالشرط قيدا له.وأما قوله: ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾ فهو شرط معترض بين الشرط وبين دليل جوابه لأنه ليس هو المقصود من التعليق ولكنه تعليق على تعليق، وغير مقصود به التقييد أصلا، فليس هذا من الشرط في الشروط المفروضة في مسائل الفقه وأصوله في نحو قول

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٠٧/٨

القائل: إن أكلت إن شربت فأنت طالق، لأنها مفروضة في شرط مقيد لشرط آخر. على أن المقصود إذا اجتمع فعلا الشرطين حصل مضمون جوابهما. ومثلوه بقول الشاعر:إن تستغيثوا بنا إن تذعروا تجدوا ... منا معاقل عز زانها كرمفأما قوله: ﴿إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ فكل من الشرطين مقصود التعليق به. وقد حذف جواب أحدهما لدلالة جواب الآخر عليه.والتعليق بالشرط في قوله: ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾ مؤذن بعزمه على تجديد النصح في المستقبل لأن واجبه هو البلاغ وإن كرهوا ذلك.وأشار بقوله: ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ إلى ما هم فيه من كراهية دعوة نوح عليه السلام سببه خذلان الله إياهم ولولاه لنفعهم نصحه، ولكن نوحا عليه السلام لا يعلم مراد الله من إغوائهم ولا مدى استمرار غوايتهم فلذلك كان عليه أن ينصح لهم إلى نهاية الأمر.وتقدم الكلام على دخول اللام على مفعول "نصح" عند قوله تعالى: ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ في براءة [٩١].والإغواء: جعل الشخص ذا غواية، وهي الضلال عن الحق والرشد.وجملة ﴿هو ربكم﴾ ابتدائية لتعليمهم أن الله ربهم إن كانوا لا يؤمنون بوجود الله، أو لتذكيرهم بذلك إن كانوا يؤمنون بوجوده ويشركون معه ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا.والتقديم في ﴿وإليه ترجعون﴾ للاهتمام ولرعاية الفاصلة وليس للقصر، لأنهم لا." (١)

"بالحق على الباطل﴾ [سورة الانبياء:١٨] وقال: ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾ [الرعد:١٧]. فلذلك لم يستغن نظام العالم عن إقامة قوانين العدل والصلاح وإيداعها إلى الكفاة لتنفيذها والذود عنها.وعطفت مقولات هذه الأقوال بالفاء لأن كل قول منها أثاره الكلام الذي قبله فتفرع عنه.[٣٩،٣٩] ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾الباء في ﴿بما أغويتني﴾ للسببية، و "ما" موصولة، أي بسبب إغوائك إياي، أي بسبب أن خلقتني غاويا فسأغوي الناس.واللام في ﴿لأزينن﴾ لام قسم محذوف مراد بها التأكيد، وهو القسم المصرح به في قوله: ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [ص:٨٢].والتزيين: التحسين، أي جعل الشيء زينا، أي حسنا. وحذف مفعول ﴿لأزينن﴾ لظهوره من المقام، أي لأزينن لهم الشر والسيئات فيرونها حسنة، وأزين لهم الإقبال على الملاذ التي تشغلهم عن الواجبات. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾ في سورة البقرة [٢١٢].والإغواء: جعلهم غاوين. والغواية - بفتح الغين -: الضلال. والمعنى: ولأضلنهم. وإغواء الناس كلهم هو أشد أحوال غاية المغوي إذ كانت غوايته متعدية إلى أيجاد غواية غيره.وبهذا يعلم أن قوله: ﴿بما أغويتني﴾ إشارة إلى غواية يعلمها الله وهي التي جبله عليها، فلذلك اختير لحكايتها طريقة الموصولية،

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥٢/١١

ويعلم أن كلام الشيطان هذا طفح بما في جبلته، وليس هو تشفيا أو إغاظة لأن العظمة الإلهية تصده عن ذلك.وزيادة ﴿في الأرض﴾ لأنها أول ما يخطر بباله عند خطور **الغواية** لاقتران **الغواية** بالنزول إلى الأرض الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿فاخرج منها﴾ [سورة الحجر:٣٤]، أي اخرج من الجنة إلى الأرض كما جاء في الآية الأخرى قال: ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر﴾ [سورة البقرة:٣٦]، ولأن جعل التزيين في الأرض يفيد." (١)

"انتشاره في جميع ما على الأرض من الذوات وأحوالها.وضمائر: ﴿لهم﴾، و ﴿لأغوينهم﴾ و ﴿منهم﴾ ، لبني آدم، لأنه قد علم علما ألقي في وجدانه بان آدم عليه السلام ستكون له ذرية، أو اكتسب ذلك من أخبار العالم العلوي أيام كان من أهله وملئه.وجعل المغوين هم الأصل، واستثنى منهم عباد الله المخلصين لأن عزيمته منصرفة إلى الإغواء، فهو الملحوظ ابتداء عنده، على أن المغوين هم الأكثر. وعكسه قوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [سورة الحجر:٤٢]. والاستثناء لا يشعر بقلة المستثنى بالنسبة للمستثنى منه ولا العكس.وقرئ ﴿المخلصين﴾ - بفتح اللام - لنافع وحمزة وعاصم والكسائي على معنى الذين أخلصتهم وطهرتهم. و - بكسر اللام - لابن كثير وابن عامر وأبي عمرو، أي الذين أخلصوا لك في العمل.[٤١-٤٤] ﴿قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾الصراط المستقيم: هو الخبر والرشاد.فالإشارة إلى ما يؤخذ من الجملة الواقعة بعد اسم الإشارة المبينة للإخبار عن اسم الإشارة وهي جملة ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾، فتكون الإشارة إلى غير مشاهد تنزيلا له منزلة المشاهد، وتنزيلا للمسموع منزلة المرئي.ثم إن هذا المنزل منزلة المشاهد هو مع ذلك غير مذكور لقصد التشويق إلى سماعه عند ذكره. فاسم الإشارة هنا بمنزلة ضمير الشأن، كما يكتب في العهود والعقود: هذا ما قاضى عليه فلان فلانا أنه كيت و كيت، أو هذا ما اشترى فلان من فلان أنه باعه كذا وكذا.ويجوز أن تكون الإشارة إلى الاستثناء الذي سبق في حكاية كلام إبليس من قوله: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [سورة الحجر:٤٠] لتضمنه أنه لا يستطيع **غواية** العباد الذين أخلصهم الله للخير، فتكون جملة ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ مستأنفة." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣/٤٠

(٢) التحرير والتنوير، ١٣/٤١

"أفادت نفي سلطانه.والصراط: مستعار للعمل الذي يقصد منه عامله فائدة. شبه بالطريق الموصل إلى المكان المطلوب وصوله إليه، أي هذا هو السنة التي وضعتها في الناس وفي غوايتك إياهم وهي أنك لا تغوي إلا من اتبعك من الغاوين، أو أنك تغوي من عدا عبادي المخلصين.و ﴿مستقيم﴾ نعت لـ ﴿صراط﴾، أي لا اعوجاج فيه. واستعيرت الاستقامة لملازمة الحالة الكاملة.و ﴿علي﴾ مستعملة في الوجوب المجازي، وهو الفعل الدائم الذي لا يتخلف كقوله تعالى: ﴿إن علينا للهدى﴾ [سورة الليل:١٢]، أي أنا التزمنا الهدى لا نحيد عنه لأنه مقتضى الحكمة وعظمة الإلهية.وهذه الجملة مما يرسل من الأمثال القرآنية.وقرأ الجمهور ﴿علي﴾ بفتح اللام – وفتح الياء على أنها "على" اتصلت بها ياء المتكلم. وقرأه يعقوب – بكسر اللام وضم الياء وتنوينها – على أنه وصف من العلو وصف به صراط، أي صراط شريف عظيم القدر.والمعنى أن الله وضع سنة في نفوس البشر أن الشيطان لا يتسلط إلا على من كان غاويا، أي مائلا **للغواية** مكتسبا لها دون من كبح نفسه عن الشر. فإن العاقل إذا تعلق به وسواس الشيطان علم ما فيه من إضلال وعلم أن الهدى في خلافه فإذا توفق وحمل نفسه على اختيار الهدى وصرف إليه عزمه قوي على الشيطان فلم يكن له عليه سلطان، وإذا مال إلى الضلال واستحسنه واختار إرضاء شهوته صار متهيئا إلى **الغواية** فأغواه الشيطان فغوى. فالاتباع مجاز بمعنى الطاعة واستحسان الرأي كقوله: ﴿اتبعوني يحببكم الله﴾ [سورة آل عمران:٣١].وإطلاق ﴿الغاوين﴾ من باب إطلاق اسم الفاعل على الحصول في المستقبل بالقرينة لأنه لو كان غاويا بالفعل لم يكن لسلطان الشيطان عليه فائدة. وقد دل على هذا المعنى تعلق نفي السلطان بجميع العباد، ثم استثناء من كان غاويا. فلما كان سلطان الشيطان لا يتسلط إلا على من كان غاويا علمنا أن ثمة وصفا **بالغواية** هو مهيئ تسلط سلطان الشيطان على موصوفه. وذلك هو الموصوف **بالغواية** بالقوة لا بالفعل، أي بالاستعداد." (١)

"**للغواية** لا بوقوعها.فالإضافة في قوله تعالى: ﴿عبادي﴾ للعموم كما هو شأن الجمع المعرف بالإضافة، والاستثناء حقيقي ولا حيرة في ذلك.وضمير"موعدهم"عائد إلى ﴿من اتبعك﴾، والموعد مكان الوعد. وأطلق هنا على المصير إلى الله استعير الموعد لمكان اللقاء تشبيها له بالمكان المعين بين الناس للقاء معين وهو الوعد.ووجه الشبه تحقق المجيء بجامع الحرص عليه شأن المواعيد، لأن إخلاف الوعد محذور، وفي ذلك تمليح بهم لأنهم ينكرون البعث والجزاء، فجعلوا بمنزلة من عين ذلك المكان للإتيان.وجملة ﴿لها سبعة أبواب﴾ مستأنفة لوصف حال جهنم وأبوابها لإعداد الناس بحيث لا تضيق عن

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٢/١٣

دخولهم.والظاهر أن السبعة مستعملة في الكثرة فيكون كقوله: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ [سورة الرعد:٢٣]؛ أو أريد بالأبواب الكناية عن طبقات جهنم لأن الأبواب تقتضي منازل فهي مراتب مناسبة لمراتب الإجرام بان تكون أصول الجرائم سبعة تتفرع عنها جميع المعاصي الكبائر. وعسى أن نتمكن من تشجيرها في وقت آخر.وقد يكون من جملة طبقاتها طبقة النفاق قال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [سورة النساء:١٤٥]. وانظر ما قدمناه من تفريع ما ينشأ عن النفاق من المذام في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ في سورة البقرة [٨].وجملة ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ صفة لـ ﴿أبواب﴾ وتقسيمها بالتعيين يعلمه الله تعالى. وضمير ﴿منهم﴾ عائد لـ ﴿من اتبعك من الغاوين﴾، أي لكل باب فريق يدخل منه، أو لكل طبقة من النار قسم من أهل النار مقسوم على طبقات أقسام النار.واعلم أن هذه الأقوال التي صدرت من الشيطان لدى الحضرة القدسية هي انكشاف لجبلة التطور الذي تكيفت به نفس إبليس من حين أبى من السجود وكيف تولد كل فصل من ذلك التطور عما قبله حتى تقومت الماهية الشيطانية بمقوماتها كاملة عندما صدر منه قوله: ﴿لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [سورة." (١)

"على أنه لم يكن يومئذ نبيا. ولأنه كان في عالم غير عالم التكليف وكانت **الغواية** كذلك، فالعصيان **والغواية** يومئذ: الخروج عن الامتثال في التربية كعصيان بعض العائلة أمر كبيرها، وإنما كان شنيعا لأنه عصيان أمر الله.وليس في هذه الآية مستند لتجويز المعصية على الأنبياء ولا لمنعها، لأن ذلك العالم لم يكن عالم تكليف.وجملة ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ معترضة بين جملة ﴿وعصى آدم﴾ وجملة ﴿قال اهبطا منها جميعا﴾ ، لأن الاجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم وزوجه بالخروج من الجنة كما في سورة البقرة، وهو المناسب لترتب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة.وفائدة هذا الاعتراض التعجيل ببيان مآل آدم إلى صلاح.والاجتباء: الاصطفاء. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ [الأنعام: ٨٧] في الأنعام، وقوله: ﴿اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾ [النحل: من الآية١٢١] في النحل.والهداية: الإرشاد إلى النفع. والمراد بها إذا ذكرت مع الاجتباء في القرآن النبوءة كما في هذه الآيات الثلاث.[١٢٣-١٢٧] ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٣/١٣

وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو﴾استئناف بياني، لأن الإخبار عن آدم بالعصيان **والغواية** يثير في نفس السامع سؤالا عن جزاء ذلك. وضمير ﴿قال﴾ عائد إلى ﴿ربه﴾ [طه: ١٢١] من قوله: ﴿وعصى آدم ربه﴾ . والخطاب لآدم وإبليس.والأمر في ﴿اهبطا﴾ أمر تكوين، لأنهما عاجزان عن الهبوط إلى الأرض بتكوين من الله إذ كان قرارهما في عالم الجنة بتكوينه تعالى.." (١)

"[٩٠ - ٩٥] ﴿وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون﴾ .الظاهر أن الواو في قوله ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ واو الحال، والعامل فيها ﴿لا ينفع مال﴾ [الشعراء: ٨٨]، أي يوم عدم نفع من عدا من أتى الله بقلب سليم وقد أزلفت الجنة للمتقين. والخروج إلى تصوير هذه الأحوال شيء اقتضاه مقام الدعوة إلى الإيمان بالرغبة والرهبة لأنه ابتدأ الدعوة بإلقاء السؤال على قومه فيما يعبدون إيقاظا لبصائرهم، ثم أعقب ذلك بإبطال إلهية أصنامهم. والاستدلال على عدم استئهالها الإلهية بدليل التأمل، وهو أنها فاقدة السمع والبصر وعاجزة عن النفع والضر، ثم طال دليل التقليد الذي نحا إليه قومه لما عجزوا عن تأييد دينهم بالنظر.فلما نهضت الحجة على بطلان إلهية أصنامهم انتصب لبيان الإله الحق رب العالمين، الذي له صفات التصرف في الأجسام والأرواح، تصرف المنعم المتوحد بشتى التصرف إلى أن يأتي تصرفه بالإحياء المؤبد وأنه الذي نطمع في تجاوزه عنه يوم البعث فليعلموا أنهم إن استغفروا الله عما سلف منهم من كفر فإن الله يغفر لهم، وأنهم أن لم يقلعوا عن الشرك لا ينفعهم شيء يوم البعث، ثم صور لهم عاقبة حالي التقوى **والغواية** بذكر دار إجزاء الخير ودار إجزاء الشر.ولما كان قومه مستمرين على الشرك ولم يكن يومئذ أحد مؤمنا غيره وغير زوجه وغير لوط ابن أخيه كان المقام بذكر الترهيب أجدر ، فلذلك أطنب في وصف حال الضالين يوم البعث وسوء مصيرهم حيث يندمون على ما فرطوا في الدنيا من الإيمان والطاعة ويتمنون أن يعودوا إلى الدنيا ليتداركوا الإيمان ولات ساعة مندم.والإزلاف: التقريب. وقدم تقدم في قوله ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ في هذه السورة. والمعنى: أن المتقين يجدون الجنة حاضرة فلا يتجشمون مشقة السوق إليها.واللام في ﴿للمتقين﴾ لام التعدية.﴿وبرزت﴾ مبالغة في أبرزت لأن التضعيف فيه مبالغة ليست

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦/١٩٧

في التعدية بالهمزة، ونظيره في قوله تعالى ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ في [سورة النازعات: ٣٦]. والمراد بـ ﴿الغاوين﴾ الموصوفون **بالغواية**، أي ضلال الرأي.." (١)

"الآية حال من يتبع الشعراء بحالهم تشويها للفريقين وتنفيرا منهما. ومن هؤلاء النضر بن الحارث، وهبيرة بن أبي وهب، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة الجمحمي، وابن الزبعرى، وأمية بن أبي الصلت، وأبو سفيان ابن الحارث، وأم جميل العوراء بنت حرب زوج أبي لهب التي لقبها القرآن: ﴿حمالة الحطب﴾ [المسد: ٤] وكانت شاعرة وهي التي قالت:مذمما عصينا...وأمره أبينا...ودينه قلينافكانت هذه الآية نفيا للشعر أن يكون من خلق النبي صلى الله عليه وسلم وذما للشعراء الذين تصدوا لهجائه.فقوله ﴿يتبعهم الغاوون﴾ ذم لأتباعهم وهو يقتضي ذم المتبوعين بالأحرى. والغاوي: المتصف بالغي **والغواية**، وهي الضلالة الشديدة، أي يتبعهم أهل الضلالة والبطالة الراغبون في الفسق والأذى. فقوله ﴿يتبعهم الغاوون﴾ خبر، وفي كناية عن تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون منهم فإن أتباعه خيرة قومهم وليس فيهم أحد من الغاوين فقد اشتملت هذه الجملة على تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم وتنزيه أصحابه وعلى ذم الشعراء وذم أتباعهم وتنزيه القرآن عن أن يكون شعرا.وتقديم المسند إليه على المسند الفعلي هنا يظهر أنه لمجرد التقوي والاهتمام بالمسند إليه للفت السمع إليه والمقام مستغن عن الحصر لأنه إذا كانوا يتبعهم الغاوون فقد انتفى أتباعهم عن الصالحين لأن شأن المجالس أن يتحد أصحابها في النزعة كما قيل:عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهوجعله في الكشاف للحصر، أي لا يتبعهم إلا الغاوون، لأنه أصرح في نفي اتباع الشعراء عن المسلمين. وهذه طريقته باطراد في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي أنه يفيد تخصيصه بالخبر، أي قصر مضمون الخبر عليه، أي فهو قصر إضافي كما تقدم بيانه عند قوله تعالى ﴿الله يستهزئ بهم﴾ في [سورة البقرة: ١٥].والرؤية في ﴿ألم تر﴾ قلبية لأن الهيام والوادي مستعاران لمعاني اضطراب القول في أغراض الشعر وذلك مما يعلم لا مما يرى.والاستفهام تقريري، وأجري التقرير على نفي الرؤية لإظهار أن الإقرار لا محيد عنه كما تقدم في قوله ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ [الشعراء: ١٨]، والخطاب لغير معين. وضمائر "إنهم – ويهيمون – ويقولون – ويفعلون" عائدة إلى الشعراء.." (٢)

"والغوي: الشديد **الغواية** وهي الضلال وسوء النظر، أي أنك تشاد من لا تطيقه ثم تروم الغوث مني يوما بعد يوم، وليس المراد أنه ظالم أو مفسد لأنه لو كان كذلك لما أراد أن يبطش بعدوه.والبطش: الأخذ

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩/١٦٠

(٢) التحرير والتنوير، ١٩/٢١١

بالعنف، والمراد به الضرب. وظاهر قوله ﴿عدو لهما﴾ أنه قبطي. وربما جعل عدوا لهما لأن عداوته للإسرائيلي معروفة فاشية بين القبط وأما عداوته لموسى فلأنه أراد أن يظلم رجلا والظلم عدو لنفس موسى لأنه نشأ على زكاء نفس هيأها الله للرسالة. والاستفهام مستعمل في الإنكار.والجبار: الذي يفعل ما يريد مما يضر بالناس ويؤاخذ الناس بالشدة دون الرفق. وتقدم في [سورة الرعد: ١٥] قوله ﴿ وخاب كل جبار عنيد﴾ ، وفي [سورة مريم: ٣٢] قوله ﴿ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ .والمعنى: إنك تحاول أن تكون متصرفا بالانتقام وبالشدة ولا تحاول أن تكون من المصلحين بين الخصمين بأن تسعى في التراضي بينهما. ويظهر أن كلام القبطي زجر لموسى عن البطش به وصار بينهما حوارا أعقبه مجيء رجل من أقصى المدينة.[٢٠-٢١] ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ظاهر النظم أن الرجل جاء على حين محاورة القبطي مع موسى فلذلك انطوى أمر محاورتهما إذ حدث في خلاله ما هو أهم منه وأجدى في القصة.والظاهر أن أقصى المدينة هو ناحية قصور فرعون وقومه فإن عادة الملوك السكنى في أطراف المدن توقيا من الثورات والغارات لتكون مساكنهم أسعد بخروجهم عند الخوف. وقد قيل: الأطراف منازل الأشراف. وأما قول أبي تمام:كانت هي الوسط المحمي فاتصلت ... بها الحوادث حتى أصبحت طرفافلذلك معنى آخر راجع إلى انتقاص العمران كقوله تعالى ﴿يقولون إن بيوتنا عورة﴾ [الأحزاب: ١٣].وبهذا يظهر وجه ذكر المكان الذي جاء منه الرجل وأن الرجل كان يعرف موسى.." (١)

"إجابة ذلك السؤال. ويكون المراد بالقول جنس القول، أي الكلام الذي يقال في ذلك المقام وهو الجواب عن الاستفهام بقوله ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ وعلى كلا الاحتمالين فالذين حق عليهم القول هم أئمة الكفر كما يقتضيه قوله تعالى ﴿هؤلاء الذين أغوينا...﴾ الخ.والتعريف في ﴿القول﴾ الأظهر أنه تعريف الجنس وهو ما دل عليه ﴿قال﴾ ، أي قال الذين حق عليهم يقولوا، أي الذين كانوا أحرى بأن يجيبوا لعلهم بأن تبعة المسؤول عنه واقعة عليهم لأنه لما وجه التوبيخ إلى جملتهم تعين أن يتصدى للجواب الفريق الذين ثبتوا العامة على الشرك وأضلوا الدهماء.وابتدأوا جوابهم بتوجيه النداء إلى الله بعنوان أنه ربهم، نداء أريد منه الاستعطاف بأنه الذي خلقهم اعترافا منهم بالعبودية وتمهيدا للتنصل من أن يكونوا هم المخترعين لدين الشرك فإنهم إنما تلقوه عن غيرهم من سلفهم، والإشارة بـ ﴿هؤلاء﴾ إلى بقية المنادين معهم قصدا لأن يتميزوا عمن سواهم من أهل الموقف وذلك بإلهام من الله ليزدادوا رعبا، وأن يكون لهم

(١) التحرير والتنوير، ٣٤/٢٠

مطمع في التخليص. و ﴿الذين أغوينا﴾ خبر عن اسم الإشارة وهو اعتراف بأنهم أغووهم.وجملة ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ استئناف بياني لجملة ﴿الذين أغوينا﴾ لأن اعترافهم بأنهم أغووهم يثير سؤال سائل متعجب كيف يعترفون بمثل هذا الجرم فأرادوا بيان الباعث لهم على إغواء إخوانهم وهو أنهم بثوا في عامة أتباعهم **الغواية** المستقرة في نفوسهم وظنوا أن ذلك الاعتراف يخفف عنهم من العذاب بقرينة قولهم ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾وإنما لم يقتصر على جملة ﴿أغويناهم﴾ بأن يقال: هؤلاء الذين أغويناهم كما غوينا، لقصد الاهتمام بذكر هذا الإغواء بتأكيده اللفظي، وبإجماله في المرة الأولى وتفصيله في المرة الثانية، فليست على إعراب الحماسة عند قول الأحوص:فإذا تزول تزول عن متخمط ... تخشى بوادره على الأقرانإنم| جاز أن يقول: فإذا تزول تزول، لما اتصل بالفعل الثاني من حرف الجر المفاد منه الفائدة، ومثله قول الله تعالى ﴿هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا﴾ ولو قال:." (١)

"هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم لم يفد القول شيئا، لأنه كقولك: الذي ضربته ضربته، والتي أكرمتها أكرمتها، ولكن لما اتصل بـ ﴿أغويناهم﴾ الثانية قوله ﴿كما غوينا﴾ أفاد الكلام كقولك: الذي ضربته لأنه جاهل. وقد كان أبو علي امتنع في هذه الآية مما اخترناه غير أن الأمر فيها عندي على ما عرفتك اهـ. وقد تقدم بيان كلامه عند قوله تعالى ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ في [سورة الإسراء: ٧]، وقوله ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ في [سورة الشعراء: ١٣٠]، وقوله ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ في [سورة الفرقان: ٧٢]، فإن تلك الآيات تطابق بيت الأحوص لاشتمالهن على ﴿إذا﴾ .و ﴿كما غوينا﴾ صفة لمصدر، أي إغواء يوقع في نفوسهم غيا مثل الغي الذي في قلوبنا. ووجه الشبه في أنهم تلقوا **الغواية** من غيرهم فأفاد التشبيه أن المجيبين أغواهم مغوون قبلهم، وهم يحسبون هذا الجواب يدفع التبعة عنهم ويتوهمون أن السير على قدم الغاوين يبرر **الغواية**، وهذا كما حكى عنهم في [سورة الشعراء: ٩٦-٩٩] ﴿قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين﴾ . وحذف مفعول فعل ﴿أغوينا﴾ الأول وهو العائد من الصلة إلى الموصول لكثرة حذف أمثاله من كل عائد صلة هو ضمير نصب متصل وناصبه فعل أو وصف شبيه بالفعل، لأن اسم الموصول مغن عن ذكر هو دال عليه فكان حذف العائد اختصار. وذكر مفعول فعل ﴿أغويناهم﴾ الثاني اهتماما بذكره لعدم الاستغناء عنه في الاستعمال.وجملة ﴿تبرأنا إليك﴾ استئناف. والتبرؤ: تفعل من البراءة وهي انتفاء ما يصم، فالتبرؤ: معالجة إثبات البراءة وتحقيقها. وهو يتعدى إلى من يحاول إثبات البراءة لأجله بحرف (إلى) الدال على الانتهاء المجازي؛ يقال: إني أبرأ

(١) التحرير والتنوير، ٨٩/٢٠

إلى الله من كذا، أي أوجه براءتي إلى الله، كما يتعدى إلى الشيء الذي يصم بحرف (من) الاتصالية التي هي للابتداء المجازي قال تعالى ﴿فبر أه الله مما قالوا﴾ [الأحزاب: ٦٩] وقد تدخل (من) على اسم ذات باعتبار مضاف مقدر نحو قوله تعالى ﴿وقال إني بريء منكم﴾ [الأنفال: ٤٨] أي من كفركم. والتقدير: من أعمالكم وشؤونكم إما من أعمال خاصة يدل عليها المقام أو من عدة أعمال.فالمعنى هنا تحقق التبرؤ لديك، والمتبرأ منه هو مضمون جملة ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ فهي بيان لإجمال التبرؤ.والمقصود: أنهم يتبرأون من أن يكونوا هم المزعوم أنهم شركاء وإنما قصارى." (١)

"الحقائق للناظرين، مع ما فيه من البشارة للذين يكونون عند مرضاة الله تعالى، وذلك هو ما ورد بيانه بعد إجمالا من قوله: ﴿لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ [يس: ٦]، ثم تفصيلا بقوله: ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ [يس: ٧] وبقوله: ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ [يس: ١١]فاللام في ﴿لتنذر﴾ متعلقة ب ﴿تنزيل﴾ وهي لام التعليل تعليلا لإنزال القرآن.واقتصر على الإنذار لأن أول ما ابتدئ به القوم من التبليغ إنذارهم جميعا بما تضمنته أول سورة نزلت من قوله: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ [العلق: ٦، ٧] الآية. وما تضمنته سورة المدثر لأن القوم جميعا كانوا على حالة لا ترضي الله تعالى فكان حالهم يقتضي الإنذار ليسرعوا إلى الإقلاع عما هم فيه مرتبكون.والقوم الموصوفون بأنهم لم تنذر آباؤهم: إما العرب العدنانيون فإنهم مضت قرون لم يأتهم فيها نذير، ومضى آباؤهم لم يسمعوا نذيرا، وإنما يبتدأ عد آبائهم من جدهم الأعلى في عمود نسبهم الذين تميزوا به جدما وهو عدنان، لأنه جذم العرب المستعربة، أو أريد أهل مكة. وإنما باشر النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء بعثته دعوة أهل مكة وما حولها فكانوا هم الذين أراد الله أن يتلقوا الدين وأن تتأصل منهم جامعة الإسلام ثم كانوا هم حملة الشريعة وأعون الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ دعوته وتأييده. فانضم إليهم أهل يثرب وهم قحطانيون فكانوا أنصارا ثم تتابع إيمان قبائل العرب.وفرع عليه قوله: ﴿فهم غافلون﴾ أي فتسبب على عدم إنذار آبائهم أنهم متصفون بالغفلة وصفا ثابتا، أي فهم غافلون عما تأتي به الرسل والشرائع فهم في جهالة وغواية إذ تراكمت الضلالات فيهم عاما فعاما وجيلا فجيلا.فهذه الحالة تشمل جميع من دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم سواء من آمن بعد ومن لم يؤمن.والغفلة: صريحها الذهول عن شيء وعدم تذكره، وهي هنا كناية عن الإهمال والإعراض عما يحق التنبيه إليه كقول النابغة:يقول أناس يجهلون خليقتي

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠/٩٠

... لعل زيادا لا أبا لك غافل[٧] ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون [٧]﴾.هذا تفصيل لحال القوم الذين أرسل محمد صلى الله عليه وسلم لينذرهم، فهم قسمان: قسم لم تنفع." (١)

"صراط الجحيم﴾ [الصافات:٢٣].وفرعوا على مضمون ردهم عليهم من قولهم: ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ إلى ﴿قوما طاغين﴾ قولهم : ﴿فأغويناكم﴾ ،أي ما أكرهناكم على الشرك ولكنا وجدناكم متمسكين به وراغبين فيه فأغويناكم، أي فأيدناكم في غوايتكم أنا كنا غاوين فسولنا لكم ما اخترناه لأنفسنا فموقع جملة ﴿إنا كنا غاوين﴾ موقع العلة.و"إن" مغنية غناء لام التعليل وفاء التفريع كما ذكرناه غير مرة.وزيادة ﴿كنا﴾ للدلالة على تمكين **الغواية** من نفوسهم،وقد استبان لهم أن ما كانوا عليه **غواية** فأقروا بها،وقد قدمنا عند قوله تعالى في سورة المؤمنين[١٠١] ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ أن تساؤلهم المنفي هنالك هو طلب بعضهم من بعض النجدة والنصرة وأن تساؤلهم هنا تساؤل عن أسباب ورطتهم فلا تعارض بين الآيتين.[٣٤.٣٣] ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾هذا الكلام من الله تعالى موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين،ويشبه أن يكون اعتراضا بين حكاية حوار الله أهل الشرك في القيامة وبين توبيخ الله إياهم بقوله: ﴿إنكم لذائقو العذاب الأليم﴾ [الصافات:٣٨].والفاء للفصيحة لأنها وردت بعد تقرير أحوال وكان ما بعد الفاء نتيجة لتلك الأحوال فكانت الفاء مفصحة عن شرط مقدر،أي إذ كان حالهم كما سمعتم فإنهم يوم القيامة في العذاب مشتركون لاشتراكهم في الشرك وتمالئهم،أي لا عذر للكلام للفريقين لا للزعماء بتسويلهم ولا لدهماء بنصرهم. وقد يكون عذاب الدعاء المغوين أشد من عذاب الآخرين وذك لا ينافي الإشراك في جنس العذاب كما دلت عليه أدلة أخرى،لأن المقصود هنا بيان عدم إجداء معذرة كلا الفريقين وتنصله. وهذه الجملة معترضة بين جملة حكاية موقفهم في الحساب.وجملة ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ تعليل لما اقتضته جملة ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ أي فإن جزاء المجرمين يكون مثل ذلك الجزاء في مؤاخذة التابع المتبوع.." (٢)

"يثير في نفس السامع أن يسأل:فماذا حصل حين اطلع؟فيجاب بأنه حين رأى قرينه أخذ يوبخه على ما كان يحاول منه حتى كاد أن يلقيه في النار مثله.وهذا التوبيخ يتضمن تنديمه على محاولة إرجاعه عن الإسلام.والقسم بالتاء من شأنه أن يقع فيما جواب قسمه غريب، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿قالوا تالله لقد

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩٧/٢٢

(٢) التحرير والتنوير، ٢٦/٢٣

علمتم﴾ في سورة يوسف[٧٣]،وقوله: ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾ في سورة الأنبياء[٥٧].ومحل الغرابة هو خلاصه من شبكة قرينه واختلاف حال عاقبتيهما مع ما كانا عليه من شدة الملازمة والصحبة وما حفه من نعمة الهداية وما تورط قرينه في أوحال **الغواية**.و ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة واتصل بها الفعل الناسخ على ما هو الغالب في أحوالها إذا أهملت.واللام الداخلة على خبر كاد هي الفارقة بين ﴿إن﴾ المخففة والنافية.و"ترديني" توقعني في الردى وهو الهلاك، واصل الردى:الموت ثم شاعت استعارته لسوء الحال تشبيها بالموت لما شاع من اعتبار الموت أعظم ما يصاب به المرء.والمعنى:أنك قاربت أن تفضي بي إلى حال الردى بإلحاحك في صرفي عن الإيمان بالبعث لفرط الصحبة.ولولا نعمة هداية الله وتثبيته لكنت من المحضرين معك في العذاب.وقرأ الجمهور ﴿لتردين﴾ بنون مكسورة في آخره دون ياء المتكلم على التخفيف،وهو حذف شائع في الاستعمال الفصيح وهو لغة نجد.وكتب في المصاحف بدون ياء.وقرأه ورش عن نافع بإثبات الياء ولا ينافي رسم المصحف لأن كثيرا من الياءات لم تكتب في المصحف،وقرأ القراء بإثباتها فإن كتاب المصحف قد حذفوا مدودا كثيرة من ألفات وياءات.والمحضرون أريد بهم المحضرون في النار،أي لكنت من المحضرين معك للعذاب.وقد كثر إطلاق المحضر ونحوه على الذي يحضر لأجل العقاب.وقد فسر بعض المفسرين القرين هنا بالشيطان الذي يلازم الإنسان لإضلاله وإغوائه.وطريق حكاية تصدي القائل من أهل الجنة لإخبار أهل مجلسه بحاله يبطل هذا التفسير لأنه لو كان المراد الشيطان لكان إخباره به غير مفيد فما من أحد منهم إلا كان له قرين من الشياطين،وما منهم إلا عالم بأن مصير الشياطين إلى النار.." (١)

"وعند أبي طالب مجلس رجل،فقام أبو جهل يمنع النبي صلى الله عليه وسلم من أن يجلس وشكوه إلى أبي طالب،فقال:"يا بن أخي ما تريد من قومك؟"قال:"إني أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية".قال:"كلمة واحدة". قال:"يا عم يقولوا لا إله إلا الله" فقالوا:"أإلها واحدا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق،قال فنزل فيهم القرآن ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ [ص:١]إلى قوله: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ [ص:٧]"قال:"حديث حسن".فهذا نص في أن نزولها في آخر حياة أبي طالب وهذا المرض مرض موته كما في أبن عطية فتكون هذه الصورة قد نزلت في سنة ثلاث قبل الهجرة.أغراضهاأصلها ما علمت من حديث الترمذي في سبب نزولها.وما اتصل به من توبيخ المشركين على تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتكبرهم عن قبول ما أرسل به،وتهديدهم بمثل

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٦/٢٣

ما حل بالأمم المكذبة قبلهم وأنهم إنما كذبوه لأنه جاء بتوحيد الله تعالى ولأنه اختص بالرسالة من دونه وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وأن يقتدي بالرسل من قبله داود وأيوب وغيرهم وما جوزوا عن صبرهم،واستطراد الثناء على داود وسليمان وأيوب،وأتبع ذكر أنبياء آخرين لمناسبة سنذكرها.وإثبات البعث لحكمة جزاء العاملين بأعمالهم من خير وشر.وجزاء المؤمنين المتقين وضده من جزاء الطاغين والذين أضلوهم وقبحوا لهم الإسلام والمسلمين.ووصف أحوالهم يوم القيامة.وذكر أول **غواية** حصلت وأصل كل ضلالة وهي **غواية** الشيطان في قصة السجود لآدم.وقد جاءت فاتحتها مناسبة لجميع أغراضها إذ ابتدئت بالقسم بالقرآن الذي كذب به المشركون،وجاء المقسم عليه أن الذين كفروا في عزة وشقاق وكل ما ذكر فيها من أحوال المكذبين سببه اعتزازهم وشقاقهم،ومن أحوال المؤمنين سببه ضد ذلك، مع ما في الافتتاح بالقسم من التشويق إلى ما بعده فكانت فاتحتها مستكملة خصائص حسن الابتداء.[١] ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾﴿ص﴾القول في هذا الحرف كالقول في نظائره من الحروف المقطعة الواقعة في أوائل." (١)

"أنه متولد من معنى السببية.والأحسن عندي أن يكون متولدا من معنى المصاحبة بطريق الاستعارة التبعية ثم غلب استعمال الباء في مثله في كلامهم فصار كالحقيقة لأنه لما صار إنشاء دعاء لم تبق معه ملاحظة الإخبار بحصول الرحب معهم أو بسببهم كما يتجه بالتأمل.وجملة ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ علة لقلب سبب الشتم إليهم،أي لأنكم قدمتم العذاب لنا،فضمير النصب في ﴿قدمتموه﴾ عائد إلى العذاب المشاهد،وهو حاضر في الذهن غير مذكور في اللفظ،مثل ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ [ص:٣٢].ووقوع ﴿أنتم﴾ قبل ﴿قدمتموه﴾ المسند الفعلي يفيد الحصر،أي لم يضلنا غيركم فأنتم أحقاء بالعذاب.والتقديم:جعل الشيء قدام غيره،قال تعالى: ﴿ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم﴾ [آل عمران:١٨١,١٨٢].فتقديم العذاب لهم جعله قدامهم،أي جعله حيث يجدونه عند وصولهم.وإسناد تقديم العذاب إلى المخاطبين مجاز عقلي لأن الرؤساء كانوا سببا في تقديم العذاب لأتباعهم بإغوائهم وكان العذاب جزاء عن **الغواية**.وجعل العذاب مقدما وإنما المقدم العمل الذي استحق العذاب،وهذا مجاز عقلي في المفعول فاجتمع في قوله: ﴿قدمتموه﴾ مجازان عقليان.وقوله: ﴿فبئس القرار﴾ موقعه كموقع قوله آنفا: ﴿فبئس المهاد﴾ [ص:٥٦].وهو ذم لإقامتهم في جهنم تشنيعا عليهم فيما تسببوا لأنفسهم فيه.والمعنى:فبئس القرار ما قدمتموه لنا،أي العذاب.والقرار: المكث.[٦١] ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار﴾﴿قالوا﴾ أي الفوج المقتحم وهو فوج الأتباع،فهذا من كلام الذين قالوا: ﴿بل أنتم لا

---

(١) التحرير والتنوير، ١٠٧/٢٣

مرحبا بكم﴾ [ص:٦٠]لأن قولهم: ﴿من قدم لنا هذا﴾ يعين هذا المحمل.ولذلك حق أن يتساءل الناظر عن وجه إعادة فعل ﴿قالوا﴾ وعن وجه عدم عطفه على قولهم الأول.فأما إعادة فعل القول فلإفادة أن القائلين هم الأتباع فأعيد فعل القول تأكيدا للفعل الأول لقصد تأكيد فاعل القول تبعا لأنه محتمل لضمير القائلين.والمقصود من حكاية قولهم: ﴿هذا﴾ تحذير كبراء المشركين من عواقب رئاستهم وزعامتهم التي يجرون بها الويلات على أتباعهم فيوقعونهم في هاوية السوء حتى لا يجد الأتباع لهم جزاء بعد الفوت إلا طلب مضاعفة العذاب لهم.وأما تجريد فعل ﴿قالوا﴾ عن العاطف فلأنه قصد به التوكيد اللفظي والتوكيد اللفظي على مثال المؤكد.." (١)

"ومن مناسبات هذا يجيء قوله : ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ في هذه السورة، وتلك اعتبارات لهم تخيلية شائعة بينهم فمن النافع موعظة الناس بذلك لأنه كاف في إقناعهم وصولا إلى الحق.فيكون قوله : ﴿إذا هوى﴾ إشعارا بأن النجوم كلها مسخرة لقدرة الله في مسيرة في نظام أوجدها عليه ولا اختيار لها فليست أهلا لأن تعبد فحصل المقصود من القسم بما فيها من الدلالة على القدرة الإلهية مع الاحتراس عن اعتقاد عبادتها.وقال الراغب قيل أراد بذلك أي ﴿النجم﴾ القرآن المنزل المنجم قدرا فقدرا، ويعني بقوله : ﴿هوى﴾ نزوله اه.ومناسبة القسم ب ﴿والنجم إذا هوى﴾ ، أن الكلام مسوق لإثبات أن القرآن وحي من الله منزل من السماء فشابه حال نزوله الاعتباري حال النجم في حالة هويه مشابهة تمثيلية حاصلة من نزول شيء منير إنارة معنوية نازل من محل رفعة معنوية، شبه بحالة نزول نجم من أعلى الأفق إلى أسفله وهو تمثيل المعقول بالمحسوس، أو الإشارة إلى مشابهة حالة نزول جبريل من السماوات بحالة نزول النجم من أعلى مكانه إلى أسفله، أو بانقضاض الشهاب تشبيه محسوس بمحسوس، وقد يشبهون سرعة الجري بانقضاض الشهاب، قال أوس بن حجر يصف فرسا:فانقض كالدري يتبعه ... نقع يثور تخاله طنباوالضلال: عدم الاهتداء إلى الكريق الموصول إلى المقصود، وهو مجاز في سلوك ما ينافي الحق.**والغواية**: فساد الرأي وتعلقه بالباطل.والصاحب: الملازم للذي يضاف إليه وصف صاحب، والمراد بالصاحب هنا: الذي له ملابسات وأحوال مع المضاف إليه، والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا كقول أبي معبد الخزاعي الوارد في أثناء قصة الهجرة لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم بيته وفيها أم معبد وذكرت له معجزة مسحه على ضرع شاتها هذا صاحب قريش ، أي صاحب الحوادث الحادثة بينه وبينهم.وإيثار التعبير عنه بوصف

---

(١) التحرير والتنوير، ١٨١/٢٣

﴿صاحبكم﴾ تعريض بأنهم أهل بهتان إذ نسبوا إليه ما ليس منه في شيء مع شدة اطلاعهم على أحواله وشؤونه إذ هو بينهم في بلد لا تتعذر فيه إحاطة." (١)

"علم أهله بحال واحد معين مقصود من بينهم. ووقع في خطبة الحجاج بعد دير الجماجم قوله للخوارج ألستم أصحابي بالأهواز حين رمتم الغدر واستبطنتم الكفر يريد أنه لا تخفى عنه أحوالهم فلا يحاولون التنصل من ذنوبهم بالمغالطة والتشكيك.وهذا رد من الله على المشركين وإبطال في قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم لأنهم قالوا: مجنون، وقالوا: شاعر، وقالوا في القرآن: إن هذا إلا اختلاق.فالجنون من الضلال لأن المجنون لا يهتدي إلى وسائل الصواب، والكذب والسحر ضلال **وغواية**، والشعر المتعارف بينهم **غواية** كما قال تعالى : ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [الشعراء:٢٢٤] أي يحبذون أقوالهم لأنها **غواية**.وعطف على جواب القسم ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ وهذا وصف كمال لذاته. والكلام الذي ينطق به هو القرآن لأنهم قالوا فيه ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾ [الفرقان:٤] وقالوا ﴿أساطير الأولين اكتتبها﴾ [الفرقان: ٥] وذلك ونحوه لا يعدو أن يكون اختراعه أو اختياره عن محبة لما يجترع وما يختار بقطع النظر عن كونه حقا أو باطلا، فإن من الشعر حكمة، ومنه حكاية واقعات، ومنه تخيلات ومفتريات. وكله ناشئ عن محبة الشاعر أن يقول ذلك، فأراهم الله أن القرآن داع إلى الخير.و"ما" نافية نفت أن ينطق عن الهوى.والهوى: ميل النفس إلى ما تحبه أو تحب أن تفعله دون أن يقتضيه العقل السليم الحكيم، ولذلك يختلف الناس في الهوى ولا يختلفون في الحق، وقد يحب المرء الحق والصواب فالمراد بالهوى إذا أطلق أنه الهوى المجرد عن الدليل.ونفي النطق عن هوى يقتضي نفي جنس ما ينطق به عن الاتصاف بالصدور عن هوى سواء كان القرآن أو غيره من الإرشاد النبوي بالتعليم والخطابة والموعظة والحكمة، ولكن القرآن هو المقصود لأنه سبب هذا الرد عليهم.واعلم أن تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن النطق عن هوى يقتضي التنزيه عن أن يفعل أو يحكم عن هوى لأن التنزه عن النطق عن هوى أعظم مراتب الحكمة. ولذلك ورد في صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه يمزح ولا يقول إلا حقا وهنا تم إبطال قولهم فحسن الوقف على قوله: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ .وبين ﴿هوى﴾ و ﴿الهوى﴾ جناس شبه التام.." (٢)

"من أهل الجنة يستأذن ربه أن يزرع، فيقول الله: أو لست فيما شئت قال: بلا ولكن أحب أزرع، فأسرع وبذر فيبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال". وكان رجل من أهل البادية

---

(١) التحرير والتنوير، ٩٩/٢٧

(٢) التحرير والتنوير، ١٠٠/٢٧

عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله لا نجد هذا إلا قرشيا أو أنصاريا فإنهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم إقرارا لما فهمه الأعرابي.وفي حديث جابر بن عبد الله عن مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "يبعث كل عبد على ما مات عليه". قال عياض في الإكمال هو عام في كل حالة مات عليها المرء. قال السيوطي: يبعث الزمار بمزماره. وشارب الخمر بقدحه اهـ. قلت: ثم تتجلى لهم الحقائق على ما هي عليه إذ تصير العلوم على الحقيقة.وختم هذا الكلام بقوله تعالى: ﴿ألا أنهم ألا إنهم هم الكاذبون﴾ وهو تذييل جامع لحال كذبهم الذي ذكره الله بقوله ﴿ويحلفون على الكذب﴾ [المجادلة: ١٤]. فالمراد أن كذبهم عليكم لا يماثله كذب، حتى قصرت صفة الكاذب عليهم بضمير الفصل في قوله: ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ وهو قصر ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد بكذب غيرهم. وأكد ذلك بحرف التوكيد توكيدا لمفاد الحصر الادعائي، هو أن كذب غيرهم كلا كذب في جانب كذبهم، وبأداة الاستفتاح المقتضية استماله السمع لخبرهم لتحقيق تمكن صفة الكذب منهم حتى أنهم يلازمهم يوم البعث.[١٩] ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ .استئناف بياني لأن ما سيق من وصفهم بانحصار صفة الكذب فيهم يثير سؤال السامع أن يطلب السبب الذي بلغ بهم إلى هذه الحال الفظيع فيجاب بأنه استحواذ الشيطان عليهم وامتلاكه زمام أنفسهم يصرفها كيف يريد وهل يرضى الشيطان إلا بأشد الفساد **والغواية**.والاستحواذ: الاستيلاء والغلب، وهو استفعال من حاذ حوذا، إذا حاط شيئا وصرفه كيف يريد يقال: حاذ العير إذا جمعها وساقها غالبا لها. فاشتقوا منه استفعل للذي يستولي بتدبير ومعالجة، ولذلك لا يقال استحواذ إلا في استيلاء العاقل لأنه يتطلب وسائل استيلاء. ومثله استولى. والسين والتاء للمبالغة في الغلب مثلها في: استجاب.والأحوذي: القاهر للأمور الصعبة. وقالت عائشة: كان عمر أحوذيا نسيج وحده.." (١)

"طريق بقية عن أرطاة عن رجل من أهل الطائف في قوله ﴿فبما أغويتني﴾ قال : عرف إبليس أن **الغواية** جاءته من قبل الله فآمن بالقدر.وأخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ قال : الحق.وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في قوله ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ قال : طريق مكة.وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير وأبو الشيخ عن عون بن عبد الله ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ قال : طريق مكة.وأخرج أبو الشيخ من طريق عون

---

(١) التحرير والتنوير، ٤٨/٢٨

ابن مسعود ، مثله.وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال : ما من رفقة تخرج إلى مكة إلا جهز إبليس معهم بمثل عدتهم.وأخرج أبو الشيخ عن الضحاك في الآية يقول : أقعد لهم فأصدهم عن سبيلك.وأخرج أحمد والنسائي ، وابن حبان والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان عن سبرة بن الفاكه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الشيطان." (١)

" صفحة رقم ٥٣١ بقاؤه في الدنيا بخرق لا بعقل ، يقبل في محل الإدبار ويدبر في محل الإقبال انتهى .وهو مؤيد بالمشاهدة فإنا لم نر ولم نسمع قط بآكل ربا ينطق بالحكمة ولا يشهر بفضيلة بل هم أدنى الناس وأدنسهم) إلا كما يقوم (المصروع) الذي يتخبطه) أي يتكلف خبطه ويكلفه إياه ويشق به عليه) الشيطان (ولما كان ذلك قد يظن أنه يخبط الفكر بالوسوسة مثلا قال : (من) أي تخبطا مبتدئا من) المس) أي الجنون ، فأشار سبحانه وتعالى بذلك إلى المنع من أن تكون النفقة من حرام ولا سيما الربا ، وإلى أن الخبيث المنهي عن تيمم إنفاقه قسمان : حسي ومعنوي ، والنهي في المعنوي أشد .وقال البيضاوي تبعا للزمخشري : وهو أي التخبط والمس وارد على ما يزعمون أي العرب أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع وأن الجني يمسه فيختلط عقله - انتهى .وظاهره إنكار ذلك وليس بمنكر بل هو الحق الذي لا مرية فيه ، قال المهدوي في تفسيره : وهذا دليل على من أنكر أن الصرع من جهة الجن وزعم أنه فعل الطبائع .وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد : وبالجملة فالقول بوجود الملائكة والجن والشياطين مما انعقد عليه إجماع الآراء ونطق به كلام الله سبحانه وتعالى وكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وحكي مشاهدة الجن عن كثير من العقلاء وأرباب المكاشفات من الأولياء ، فلا وجه لنفيها ؛ وقال : الجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة ويظهر منها أحوال عجيبة ، والشياطين أجسام نارية شأنها إلقاء الناس في الفساد **والغواية** ؛ ولكون الهواء والنار في غاية اللطافة والتشفيف كانت الملائكة والجن والشياطين يدخلون المنافذ الضيقة حتى أجواف الناس ولا يرون بحس البصر إلا إذا اكتسبوا من الممتزجات - انتهى .وقد ورد في كثير من الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أن (الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) وورد (أنه (صلى الله عليه وسلم) أخرج الصارع من الجن من جوف المصروع في صورة كلب) ونحو ذلك ؛ وفي كتب الله سبحانه وتعالى المتقدمة ما لا يحصى من مثل." (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٣٧/٦

(٢) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٣١/١

" صفحة رقم ٤٠٤ الأكبر أتبعه الأصغر فقال) أو جاء أحد منكم (وهو غير جنب) من الغائط) أي الموضع المطمئن من الأرض وهو أي مكان التخلي ، أي قضيتم حاجة الإنسان التي لا بد له منها ، وينزه الكتاب عن التصريح بها لأنها من النقائص المذكرة له بشديد عجزه وعظيم ضرورته وفقره ليكف من إعجابه وكبره وترفعه وفجره .كما ورد أن بعض الأمراء لقي بعض البله في طريق فلم يفسح ، فغضب وقال :كأنك ما تعرفني ؟ فقال بلى والله إني لأعرفك ، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة .ولما ذكر ما يخص الأصغر ذكر ما يعم الأكبر فقال : (أو لمستم النساء) أي بالذكر أو غيره أمنيتم أولا) فلم تجدوا ماء) أي حسا أو معنى بالعجز عن استعماله للمرض بجرح أو غيره) فتيمموا) أي اقصدوا قصدا متعمدا) صعيدا) أي ترابا) طيبا) أي طهورا خالصا) فامسحوا (ولما كان التراب لكثافته لا يصل إلى ما يصل إليه الماء بلطافته ، قصر الفعل وعداه بالحرف إشارة إلى الاكتفاء بمرة والعفو عن المبالغة ، وبينت السنة أن المراد جميع العضو ، فقال : (بوجوهكم وأيديكم منه) أي حال النية التي هي القصد الذي هو التيمم ، ثم أشار لهم إلى حكمته سبحانه في هذه الرخصة فقال مستأنفا : (ما يريد الله) أي الغنى الغنى المطلق) ليجعل عليكم (وأغرق في النفي بقوله : (من حرج) أي ضيق علما منه بضعفكم ، فسهل عليكم ما كان عسرة على من كان قبلكم ، وإكراما لكم لأجل نبيكم (صلى الله عليه وسلم) ، فلم يأمركم إلا بما يسهل عليكم ليقل عاصيكم) ولكن يريد ليطهركم) أي ظاهرا وباطنا بالماء والتراب وامتثال الأمر على ما شرعه سبحانه ، عقلتم معناه أو لا ، مع تسهيل الأوامر والنواهي لكيلا يوقعكم التشديد في المعصية التي هي رجس الباطن) وليتم نعمته) أي في التخفيف في العزائم ثم في الرخص ، وفي وعدكم بالأجور على ما شرع لكم من الأفعال) عليكم (لأجل تسهيلها ، ليكون فعلكم لها واستحقاقكم لما رتب عليها من الأجر مقطوعا به ، إلا لمن لج طبعه في العوج ، وتمادى في الغواية والجهل والبطر) لعلكم تشكرون) أي وفعل ذلك كله .هذا التسهيل وغيره ليكون حالكم لما سهل عليكم حال من يرجى صرفه لنعم ربه عليه في طاعته المسهلة له المحببة إليه ، روى البخاري في التفسير وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت :.." (١)

" صفحة رقم ٢٣٢ عيش الحيوان فيه ، وعدم النفع به ، ومن جهة فظاعة منظرة – وغير ذلك من أمره) للمتوسمين (جمع متوسم ، وهو الناظر في السمة الدالة – وهي الأثر ذلك ، فهو إلهاب لهم وتبكيت ؛ ثم بين أن ذلك غير خفي عنهم ولا بعيد عمن أراد الاتعاظ به ، فقال جعلا لهم – لعدم اعتبارهم بها ومع

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٤٠٤

رؤيتهم إياها في كل حين – في عداد المنكرين : (وإنها) أي هذه المدائن) لبسبيل مقيم) أي ثابت ، وهو مع ذلك مبين ، فالاعتبار بها في غاية السهولة لقومك ، وكانوا يمرون عليها في بعض أسفارهم إلى الشام .ولما أشار سبحانه إلى الاستدلال بالتوسم الدال – مما هي عليه من المخالفة لسائر مياه الأرض العذبة الورادة إليها على كيثرتها ومع أن البلاد التي هي بها من أبهج البلاد في عذوبة المياه وطراوة الأرض وحسن الأشجار وغير ذلك – على أن لها نبأ هو في غاية الغرابة ، وأتبع ذلك سهولة الوصول إليها حثا على إتي ا نها بقصد نظرها والاعتبار بها والسؤال عن سبب كونها كذلك ، قال تعالى مشيرا إلى زيادة الحث بالتأكيد : (إن في ذلك) أي الأمر العظيم من حالها) لآية) أي علامة عظيمة في الدلالة علينا) للمؤمنين) أي الراسخين في الصدق والتصديق ، فإذا أخبروا أن سبب كونها هكذا أن الله أمر بعض جنده فرفعها ثم قلبها ثم أتبعها الحجارة ثم خسف بها وغمرها بهذا الماء – الذي هو في القذارة وعدم الثمرة مناسب لأفعال أهلها – لأجل عصيانهم رسوله صلى الله علية وعلى آله وسلم ، آمنوا حذرا من مثل هذا العذاب إيمانا بالغيب .ولما ذكر هذه القصة ، ضم إليها ما هو على طريقها مما عذب قومه بنوع آخر من العذاب يشابه عذاب قوم لوط في كونه نارا من السماء ، فقال مؤكدا لأجل إنكار الكفار أن يكون عذابهم لأجل التكذيب ، أو عدا لهم – لأجل تماديهم على **الغواية** مع العلم به – عداد المنكرين : (وإن) أي وإنه) كان) أي جبلة وطبعا) أصحاب الأيكة (وهم قوم شعيب عليه السلام ؛ والأيكة : الشجرة – عن الحسن ، وجمعه الأيك كشجرة وشجر ، وقيل : الأيكة : الشجر الملتف) لظالمين) أي العريقين في الظلم) فانتقمنا منهم) أي بسبب ذلك ؛ ثم أخبر عن البلدين لتقاربهما في العذاب والمكان وكونهما على طريق واحدة من طرق متاجر قريش فقال : (وإنهما) أي قرى قوم لوط ومحال أصحاب الأيكة) لبإمام) أي طريق يؤم ويتبع ويهتدي به) مبين (واضح لمت أراده ، بحيث إنه من شدة وضوحه موضح لعظمة الله وانتصاره لأبيائه ممن يكذبهم ، وهو مع وضوحه مقيم في مكانه لم تندرس أعلامه ، ولم تنطمس آثاره ، فالآية من الاحتباك : ذكر في الأولى) مقيم (دلالة على حذف مثله ثانيا ، وفي الثانية) مبين (دلالة على حذف مثله أولا .." (١)

" صفحة رقم ٥٣ يلصقان) عليهما من ورق الجنة (ليسترا عوراتهما) وعصى ءادم (وإن كان إنما فعل المنهي نسيانا ، لأن عظم مقامه وعلو رتبته يقتضيان له مزيد الاعتناء ودوام المراقبة مع ربط الجأش ويقظة الفكر) ربه) أي المحسن إليه بما لم ينله أحدا من بنيه من تصويره له بيده وإسجاد ملائكته له

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٢/٤

ومعاداة من عاداه) فغوى (من **الغواية** وهي الضلال ، ولذلك قالوا : المعنى : فضل عن طريق السداد ، فأخطأ طريق التوصل إلى الخلد بمخالفة أمره ، وهو صفيه ، لم ينزله عن رتبة الاصطفاء ، لأن رحمته واسعة ، وحلمه عظيم ، وعفوه شامل ، فلا يهمنك أمر القوم اللد ، فإنا قادرون على أن نتقبل بقلوب من شءنا منهم فنجعلهم من أصفى الأصفياء ، ونخرج من أصلاب من شئنا منهم من نجعل قلبه معدن الحكمة والعلم .ولما كان الرضى عنه – مع هذا الفعل الذي أسرع فيه اتباع العدو وعصيان الولي بشيء لا حاجة به إليه – مستبعدا ءدا ، أثبت ذلك تعالى مشيرا إليه بأداة التراخي فقال : (ثم احتباه ربه (اي المحسن إليه) فتاب عليه) أي بسبب الاجتباء بالرجع إلى ما كان عليه من طريق السداد) وهدى (بالحفظ في ذلك كما هو الشأن في أهل الولاية والقرب .طه : (١٢٣ – ١٢٧) قال اهبطا منها. .. . .) قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (( )ولما كانت دور الملوك لا تحتمل مثل ذلك ، وكان قد قدن سبحانه عنايته بآدم عليه السلام اهتماما به ، وكان الخبر عن زوجه وعن إبليس لم يذكر ، فكانت نفس السامع لم تسكن عن تشوفها إلى سماع بقية الخبر ، أجاب عن ذلك بأنه أهبط من دراه المقدسة الحامل على المخالفة والمحمول وإن كان قد هيأه بالاجتباء لها ، فقال على طريق الاستئناف : (قال) أي الرب الذي انتهكت حرمة داره : (اهبطا منها (أيها الفريقان : آدم وتبعه ، وإبليس) جميعا (.ولما كان السياق لوقوع النسيان وانحلال العزم بعد أكيد العهد ، حرك العزم بعث." (١)

" صفحة رقم ٤٢١ تعلوا علي وأتوني مسلمين قالت يأيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) ٧٣( ) ٧١ولما كان هذا الضلال عجبا في نفسه فضلاص عن أن يكون من قوم يجمعهم جامع ملك مبناه السياسة التي محطها العقل الذي هو نور الهداية ، ودواء **الغواية** ، علله بانتفاء أعظم مقرب إلى الله : السجود ، تعظيما له وتنويها به فقال : (ألا (اي لئن لا) يسجدوا) أي حصل لهم هذا العمى العظيم الذي استولى به عليهم الشيطان لانتفاء سجودهم ، ويجوز أن يتعلق بالتزيين ، اي زين لهم لئلا يسجدوا) لله) أي يعبدوا الذي له الكمال كله بالسجود الذي هو محل الإنس ، ومحط القرب ، ودارة المناجاة ، وآية المعافاة ، فإنهم لو

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٣

سجدوا له سبحانه لاهتدوا ، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ففات الشيطان ما يقصده منهم من الضلال ، وعلى قراءة الكسائي وأبي جعفر بالتخفيف وإشباع فتح الياء يكون استئنافا ، بدىء بأداة الاستفتاح تنبيها لهم على عظم المقام لئلا يفوت الوعظ أحدا منهم بمصادفته غافلا ، ثم نادى لمثل ذلك وحذف المنادى إيذانا بالاكتفاء بالإشارة لضيق الحال ، خوفا من المبادرة بالنكال عن استيفاء العبارة التي كان حقها : : ألا يا هؤلاء اسجدوا لله ، أي لتخلصوا من أسر الشيطان ، فإن السجود مرضاة للرحمن ، ومجلاة للعرفان ، ومجناة لتمام الهدى والإيمان .ولما كانت اقصة في بيان علمه سبحانه السابق لعلم الخلائق المستلزم للحكمة ، وصفه بما يقتضي ذلك فقال : (الذي يخرج الخبء (وهوالشيء المخبوء بالفعل المخفي في غيره ، وهو ما وجد وغيب عن الخلق كالماء الذي في بطن الأرض ، أو بالقوة وهو ما لم يوجد أصلا ، وخصه بقوله : (في السماوات والأرض (لأن ذلك منتهى مشاهدتنا ، فننظر ما يتكون فيهما بعد أن لم يكن من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك من الرعد والبرق وغيرهما ، وما يشرق من الكواكب ويغرب – إلى غير ذلك من الرياح ، والبرد والحر ، الحركة والسكون ، والنطق والسكوت ، وما لا يحصيه إلا الله تعالى ، والمعنى أنه يخرج ما هو في عالم الغيب فيجعله في عالم الشهادة .ولما كان ذلك قد يخص بما لم يضمر في القلوب كالماء الذي كان يخرجه الهدهد وكان ذلك قد يعرف بأمارات ، وكان ما تضمره القلوب أخفى ، قال : (ويعلم ما يخفون (ولما كان هذا مستزما لعلم الجهر ، وكان التصريح ما ليس لغيره من المكنة والطمأنينة ، مع أن الإعلان ربما كان فيه من اللغط واختلاط الأصوات ما يمنع المستمع من العلم ، قال : (وما يعلنون) أي يظهرون .ولما كام هذا الوصف موجبا لأن يعبد سبحانه وحده ، صرح بما يقتضيه في قوله ؛." (١)

" صفحة رقم ٥١١ لم يكن مكررا لتويل ذلك اليوم وتبشيعه وتعظيمه وتفظيعه ، سائلا عن حق رسله عليهم الصلاة والسلام بعد السؤال عن حقه سبحانه ، مناديا بعجز الشركاء في الأخرى كما كانوا عاجزين في الأولى) ويوم يناديهم (وهم بحيث يسمعهم الداعي ، وينفذهمالبصر ، قد برزو الله جميعا من كان منهم عاصيا ومن كان مطيعا في صعيد واحد ، قد أخذ بأنفاسهم الزحام ، وتراكبت الأقدام على الأقدام ، وألجمهم العرق ، وعمهم الغرق) فيقول ماذا) أي أوضحوا أو عينوا جوابكم الذي) أجبتم المرسلين) أي به ، ولما لم يكن لهم قدم صدق ولا سابق حق بما أتتهم الرسل به من الحجج ، وتابعت عليهم من الأدلة ، لم يكن لهم جواب إلا السكوت ، وهو المراد بقوله : (فعميت) أي خفيت وأظلمت في غواية ولجاج

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٢١/٥

) عليهم الأنباء) أي الأخبار التي هي من العظمة بحيث يحق لها في ذلك اليوم أن تذكر ، وهي التي يمكن أن يقع بها الخلاص ، وعداه بعلى إشارة إلى أن عماها وقع عليهم ، فعم الكل العمى فصاروا بحيث لا تهتدي الأنباء لعماها إليهم لتجددها ، ولا يهتدون إليها بحق أن يذكر في ذلك اليوم ، بل أسلفوا من التكذيب والإساءة ما يودون لو أن بينهم وبينه أمدا بعيداً ، وقالك) يومئذ (تكريرا لتخويف ذلك اليوم وتهويلهن وتقريرا لتعظيمه وتبجيله .ولما تسبب عن هذا السؤال السكوت علما منهم بأنه ليس عند أحد منهم ما يغني في جوابه من حسن القول وصوابه ، وأنهم لا يذكرون شيئا من المقال إلا عاد عليهم بالوبال ، قال مترجما عن ذلك : (فهم لا يتسألون) أي لا يسأل أحد منهم أحدا عن شيء يحصل به خلاص ، لعلمهم أنه قد عمهم الهلاك ، ولات حين مناص ، ولأن كل منهم أبغض الناس في الآخر .ولما علم بهذه الآيات حال من أصر على كفره وعمل سيئا بطريق العبارة ، وأشير إلى حال من تاب فوعد الحسن ألطف إشارة تسبب عن ذلك التشوف إلى التصريح بحالهم ، فقال مفصلا مرتبا على ما تقديره : هذا حال من أصر على كفره) فأما من تاب) أي كفره وقال : (وآمن (تصريحابما علم التزاما ، فإن الكفر والإيمان ضدان ، لا يمكن ترك أحدهما إلا بأخذ الآخر) وعمل (تصديقا لدعواه باللسان) صالحا (.ولما كانت النفس نزاعة إلى النقائص ، مسرعة إلى الدنايا ، أشيرإلى صعوبة الاستمرار على طريق الهدى إلا بعظيم المجاهدة بقوله : (فعسى) أي فإنه يتسبب عن حاله هذا الطمع في) أن يكون) أي كونا هتو في غاية الثبات) من المفلحين (أي." (١)

" صفحة رقم ٣٠٦ الصافات : (٢٩ - ٣٧) قالوا بل لم. .. . .) قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنآ إنا لذآئقون فأغويناكم إنا كنا غاوين فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أإنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون بل جآء بالحق وصدق المرسلين (( )ولما أشار سبحانه بتسمية كلامهم هذا سؤالا إلى أن مرادهم : فهل أنتم مغنون عنا شيئا أو حاملون عنا جزءا من العذاب ؟ وكان كأنه قيل : بم أجاب الرؤساء بعد هذا القول من الأتباع ؟ قيل : (قالوا بل) أي لم يكن كفرهم سببا بل : (لم تكونوا مؤمنين) أي عريقين في هذا الوصف بجبلاتكم فلذلك تابعتمونا فيما أمرناكم به لأنه كان في طبعكم ، وهذا دليل على أن من لم يكن راسخا في الإيمان كان منهم ، ثم أكدوا هذا المعنى بقوله نافيں لما أشاروا باليمين إليه : (وما كان) أي كونا ثابتا) لنا عليكم (وأعرقوا في النفي بقولهم : (من سلطان) أي

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥١١/٥

فأكرهنا بذلك السلطان ، إنما تبعتمونا باختياركم وهو معنى) بل كنتم) أي جبلة وطبعا) قوما) أي ذوي قوة وكفاية لما تحاولونه من الأمور) طاغين) أي مجاوزين لمقاديركم غالين في الكفر مسرفين في المعاصي والظلم ، ولذلك أنكم خلق لا تحتاجون فيه إلى كبير تحرك) فحق علينا) أي كلنا نحن وأنتم بسبب ذلك ، وعبروا بما يدل على ندمهم فقالوا : (قول ربنا) أي الذي قابلنا إحسانه إلينا وتربيته لنا بالكفران ، وقوله هو الحكم بالضلال لما في قلوبنا من لقابلية له والإباء للإيمان ، فالحكم بالعذاب .ولما تصوروا ما صاروا إليه من الخطأ الفاحش عن الطريق الواضح ، وعلموا أن مثل ذلك لا يتركه أحد إلا بقهر قاهر فتصوروا أنه ما قسرهم عليه إلا حقوق الكلمة العليا علموا أنهم مثل ما صاروا إلى حكمها في الكفر يصيرون إلى حكمها في العذاب ، فقالوا لما دهمهم من التحسر مريدين بالتأكيد قطع إطماع الأتباع عما أفهمه كلامهم من أن الرؤساء يغنون عنهم شيئا : (إنا) أي جميعا) لذائقون) أي ما وقع لنا به الوعيد من سوء العذاب .ولما قضوا علالة التحسر والتأسف والتضجر ، رجعوا إلى إتمام ذلك الكلام فقالوا : (فأغويناكم) أي أضللناهم واوقعناكم في الغي بسبب حقوق ذلك القول علينا ، ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدين أيضا لرد ما ادعاه الأتباع من أنه ما كا سبب إغوائهم إلا الرؤسائ : (إنا) أي جميعا) كنا غاوين) أي في طبعنا **الغواية** ، وهي العدول عن الطريق المثلى إلى المهالك .." (١)

" صفحة رقم ١١٨ فقال تعالى منكرا أن يكون أحد أضل منهم ، عاطفا على ما هدى السياق حتما إلى تقديره وهو : فمن أضل ممن يدعي شيئا من الأشياء وإن قل بلا دليل : (ومن أضل ممن (يدعي أعظم الأشيء بغير دليل ما عقلي ولا نقلي ، فهو) يدعوا (ما لا قدرة له ولا علم ، وما انتفت قدرته وعلمه لم تصح عبادته ببديهة العقل ، وأرشد إلى سفولها بقوله تعالى : (من دون الله) أي من أدنى رتبة من رتب الذي له جميع صفات الجلال والجمال والكمال ، فهو سبحانه يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء بحيث يجيب الدعاء ويكشف البلاء ويحقق الرجاء إذا شاء ، ويدبر عبده لما يعلم من سره وعلنه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه به ، ويريد العبد في كثير من الأشيء ما لو وكل العبد فيه إلى نفسه وأجيب إلى طلبته كان فيه حتفه ، فيدبره سبحانه بما تشتد كراهيته له فيكشف الحال عن أنه لم يكن له فرج إلا فيه) من لا يستجيب له) أي ل١ يوجد الإجابة ولا يطلب إيجادها من الأصنام وغيرها لأنه لا أهلية له لذلك .ولما كان أقل الاستجابة مطلق الكلام ، وكانوا في الآخرة يكلمونهم في الجملة وإن كان بما يضرهم ، غيى هذا النفي بوقت لا ينفع فيه استجابة أصلا ولا يغني أحد عن أحد أبدا فقال تعالى : (إلى يوم القيامة) أي

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٠٦/٦

الذي صرفنا لهم من أدلته ما هو أوضح من الشمس ولا يزيدهم لك إلا إنكارا وركونا إلى ما لا دليل عليه أصلا وهم يدعون الهداية ويعيبون أشد عيب **الغواية** .ولما كان من لا يستجيب قد يكون له علم بطاعة الإنسان له ترجى معه إجابته يوما ما ، فنى ذلك بقوله زيادة في عيبهم في دعاء ما لا رجاء في نفعه : (وهم عن دعائهم) أي دعاء المشركين إياهم) غافلون) أي لهم هذا الوصف ثابت لا يفكون عنه ، لا يعلمون من يدعوهم ولا من لا يدعوهم ، وعبر بالغفلة التي هي من أوصاف العقلاء للجماد تغليبا إن كان المراد أعم من الأصنام وغيره ا ممن عبدوه من عقلاء الإنس والجن وغيرهم واتصافا إن كان المراد الأصنام خاصة ، أو تهكما كأنه قيل : هم علماء فإنكم أجل مقاما من أن تعبدوا ما لا يعقل ، وإنما عدم استجابتهم لكم دائما غفلة دائمة كما تقول لمن كتب كتابا كله فاسد : أنت عالم لكنك كنت ناعسا .ونحو هذا .ولما غيى سبحانه بيوم القيامة فأفهم أنهم يستجيبون لهم فيه ، بين ما يحاورونهم به إذ ذاك فقال : (وإذا حشر) أي جمع بكره على أيسر وجه وأسهل أمر) الناس) أي كل من يصح منه النوس - أي التحرك - يوم القيامة) كانوا) أي المدعوون) لهم) أي للداعين) أعداء (ويعطيهم الله قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو عدوه) وكانوا) أي المعبودون) بعبادتهم) أي الداعين ، وهم المشركون - إياهم) كافرين (."[١]

" صفحة رقم ٣٠٧ الله بزعمهم مع علمهم بأنك صادق فيه ، فهم بسبب إرادتهم ذلك هكذا كان الأصل ، ولكنه قال تعميما وتعليقا للحكم بالوصف : (فالذين كفروا) أي ستروا الأجلة تارة عنادا وتارة بالإعراض عن تأملها) هم) أي خاصة) المكيدون) أي يختص وبال الكيد بلزومه لهم وقطعه لدابرهم لأن من كان الإله عليه كان خاسرا ، وأقرب مآلهم من الكيد الظاهر في بدر عن انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من (أم) وهي خمسة عشرة مرة لأن بدرا كانت في الثانية من الهجرة ، وهي الخامسة عشرة من النبوة ، فقد سبب الله فيها من الأسباب ما أوجب سعيهم إلى هلاكهم بأمور خارقة للعادة ، فلو كانت لهم بصائر لكفتهم في الهداية ، والرد عن الضلالة **والغواية** .ولما كان التقدير : أكذلك الأمر عادله بقوله : (أم لهم إله (يمنعهم من التصديق بكتابنا ، أو يستندون إليه للأمان من عذابنا) غير الله (الذي أحاط بجميع صفات الكم ال ، فلا يمكن بوجه من الوجوه ولا على تقدير من التقدير أن يكون معه إله ، ولذلك وصل به قوله : (سبحان الله) أي الملك الأعظم الذي تعالى أن يداني جنابه شائبة نقص) عما يشركون (من الأصنام وغيرها ، وأخر سبحانه هذا القسم وهو من الشركة لكن بالغير لأنه آت على تقدير التصديق

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١١٨/٧

للرسول صلى ولأنه دينهم الذي أوقفهم عن الهدى ، فأوقعهم في الردى ، ليحتم بنفسه والتنزيه عن الإقسام فيحصل به غاية القصد والمرام .والحاصل أنه قسم به سبحانه حالهم ف يردهم القرآن إلى التكذيب وغيره ، ولما كان التكذيب – وهو النسبة إلى الكذب وهو عدم المطابقة للواقع – إما في الإرسال ، وإما في المعاني ، وما وقع به الإرسال إما لنقص في الرسول وإما النقص في المرسل ، والذي في رسول إما أن يكون لأمر خارج عنه أو لأمر داخل فيه ، ولما كان الخارج قد يكون معه نقص دخل بذاته ، ولما كان ذلك قد يكون فيه ما يمجح به ولو من وجه ، وهو الكهانة بدأ بها ، وأتبعه الداخل لذلك بادئا بما قد يمدح به وهو الشعر .ولما كان القول بجميع الكهانة والشعر والجنون في شخص واحد على غاية من ظهور التناقص لا يخفى ، أتبعها الرمي بالتهكم على عقولهم .ولما كان الكذب في الرمي بالتقول قد يخفى ، أتبعه دليله بالعجز عن المعارضة .ولما قسم ما رموا به الرسول ، أتبعهم ما ألزمهم به في المرسل ، ولما كان ذلك إما أن يكون بالتعطيل أو لا ، وكان التعطيل أشد ، بدأ به وهو الخلق من غير شيء ، ولما كان النقص مع الإقرار بالوجود إما أن يكون بالشركة أولا ، وكان بالشركة إما أن يكون المكذب هو المشارك أولا ، وكانت الشركة المكذب أقعد في التكذيب بدأبها ، ولما كانت شركة المكذب إما ان تكون في الخلق أو لا ، وكان الأول إما أن يكون بخلق النفس أو الغير ، وكانت الشركة بخلق النفس ألصق ، ." (١)

" صفحة رقم ٣١٣ الصنع الدال على وحدانية مبدعه من زينة السماء التي فيها ما توعدون والحراسة من المردة حفظا لنجوم الكتاب والاهتداء به الدين والدنيا ، وغير ذلك من الحكم التي يعرفها الحكماءء ، فقال تعالى : (والنجم) أي هذا الجنس من نجوم السماء أو القرآن لنزوله منجما مفرقا وهم يسمون التفريق تنجيما – أو النبات ، قال البغوي : الشياطين عند الاستراق كما رواه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما إن كان المراد السمائي ، فكانت عنده العبادة والاستغفار والدعاء للملك الجبار بالأسحار ، أو صعد فكان به اهتداء المصلي والقارئ والساري ، فإنه يقال : هوى هويا – بالتفح إذا سقط ، وبالضم – إذا علا وصعد ، أو نزل به الملك للإصعاد وللإبعاد والاطلاع على عجائب المقدور ، أو إذا سقط منبسطا على الأرض أو ارتفع عنها إن كان المراد النبات ، لما فيه من غيريب الصنعة وجليل التقدير الدال على عام القدرة وكمال العلم والتوحد بالملك والغنى المطلق .ولما أقسم بهذا القسم الجليل ، أجابه بقوله معبرا بالماضي نفيا لما كانوا رموه به وليسهل ما قبل النبوة فيكون ما بعدها بطريقة الأولى : (ما ضل) أي عدل عن سواء المحجة الموصلة إلى غاية المقصود أي أنه ما عمل الضالين يوما من الأيام فمتى تقول القرآن عنده ولا علم فيه عمل

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٠٧/٧

المجانين ولا غيرهم ما رموه به وأما٧٧ ( ) وجدك ضالا ( ) ٧[الضحى : ٧] فالمراد غير عالم ، وعبر بالصحبة مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيها ومقبلة بهم إليه ومقبحة عليهم اتهامه في إنذاره وهم يعرفون طيب أعراقه وطهارة شمائله وأخلاقه فقال : (صاحبكم) أي في إنذاره لكم في القيامة فلا وجه لكم في اتهامه .ولما كان الهدى قد يصحبه ميل لا يقرب الموصول إلى القصد وإن حصل به نوع خلل في القرب أو نحوه فقد يكون القصد مع غير صالح قال : (وما غوى (وما مال أدنى ميل ولا كان مقصوده مما يسوء فإنه محروس من أسبابه التي هي غواية الشياطين وغيرها ، وقد دفع سبحانه عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، وأما بقية الأنبياء فدفعوا أنفسهم٧٧ ( ) ليس بي ضلالة ( ) ٧[الأعراف : ٦١]٧٧ ( ) ليس بي سفاهة ( ) ٧[الأعراف : ٦٧] ، ونحو ذلك – قاله القشيري .ولما كان قد يكون مع الهدى مصادفة قال : (وما ينطق) أي يجاوز نطقه فمه في وقت من الأوقات لا في الحال ولا في الاستقبال ، نطقا ناشئا) عن الهوى) أي من أمره." (١)

" صفحة رقم ٤٨٦ كان) الناهي ثابتا في نهيه هذا متمكنا (على الهدى) أي الكامل (أو) كان قد (أمر) في ذلك الأمر أو في أمر ما من عبادة الأوثان وغيرها (بالتقوى) وحذف جواب السؤال عن هذا الحال لدلالة جواب الحال الثاني عليه ، وهو ألم يعلم بأن الله يرى كل ما يصح أن يرى ، فينهى عنه إن كان مكروها ولا يقر عليه ويحاسب به ليزن هذا لناهي أفعاله بما شرعه سبحانه من الدليل العقلي والسمعي فيعلم أهي مما يرضيه ليقره عليه كما يقر سائر ما يرضيه أو يسخطه فيمنعه منه .ولما ذكر ما يمكن أن يكون عليه حال الناهي من السداد ، ذكر ما يمكن أن يكون عليه من الفساد ، فقال مقررا معجبا معيدا العامل لزيادة التعجيب على النمط الأول : (أرأيت إن كذب) أي هذا الناهي بالحق في وقت النهي – ولما كان لا يلزم من التكذيب التولي قال : (وتولى) أي عن الدين بنهيه هذا ، فكان على الضلال والهوى متمكنا في ذلك بحيث إنه لا يصدر عنه فعل إلا فاسدا (ألم يعلم بأن الله يرى) فيحسب نفسه بما أرشد إليه سبحانه من البراهين فيعلم أن ما هو عليه من الرشد إن كان الله يقره عليه ويمكنه منه أو الغواية إن كان ينهاه عن ولا يقره عليه ، كما فعل بهذا الذي أقسم : ليرضخن رأس هذا المصلي ، وأقدم عليه بصخرته وهو عند نفسه في غاية القدرة على ذلك بزعمه فمنعه الله منه ورده عن فرجع على عقبيه خاسئا ظاهرا عليه الجبن والرعب وغيرها مما يتحاماه الرجال ، ويأنف منه الضارغمة الأبطال ، والاحتباك هنا بطلب (أرءيت) جملة ليس هو من التنازع لأنه يستدعي إضمارا والجملة لا تضمر ، إنما هو من باب

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣١٣/٧

الحذف لدليل ، فحذف الكون على الضلال ثانيا لدلالة الكون على الهدى عليه أولا ، وحذف (ألم يعلم بأن الله يرى) أولا لدلالة ذكره آخرا عليه .ولما كان هذا الخبيث معرضا عن هذا العلم الذي هو معترف به كله ، وإنما كان إعراضه لما عنده من الحظوظ والشهوات الموقعة له – بحكم الرد أسفل سافلين – إلى رتبة البهائم ، أتى بأعظم أدوات الردع فقال : (كلا) أي ليس عنده علم بشيء من ذلك لسفول رتبته عن رتبة البهائم ولا في يده شيء من الأشياء ، فهو لا يقدر على شيء مما رامه من الأذى ، فليرتدع عن تعاطي ذلك لأنه لا يضر إلا نفسه .ولما كان نفي العلم عنه يوهم أنه في عداد الغافلين الذي لا ملامة عليهم ، بين أن انتفاء العلم عنه ليس عن غفلة يعذبر صاحبها ، إنما هو عن تهاون بالخير ورضى بالعمى والتقليد ، فهو من قسم الضال الذي فرط في استعمال القوة العلمية المذكور في الفاتحة ، ولغيره في محل الرجاء لانتهائه إبقاء للتكليف ومؤكدا لأنهم منكرون : (لئن لم ينته) أي يفتعل هذا الناهي لهذا العبد المطيع فيقف ويكف عما هو فيه من نهيه وتكذيبه وتوليه .." (١)

"الضمير في " يدعون " عائد على من تقدم ذكره من الكفرة في قوله " ومن يشاقق الرسول " " إن " نافية بمعنى ما ويدعون عبارة مغنية موجزة في معنيي يعبدون ويتخذون آلهة وقرأ أبو رجاء العطاردي إن تدعون بالتاء من فوق ورويت عن عاصم واختلف في معنى الإناث فقال أبو مالك والسدي وغيرهما ذلك لأن العرب كانت تسمى أصنامها بأسماء مؤنثة فاللات والعزى ومناة ونائلةقال القاضي أبو محمد عبد الحق ويرد على هذا أنها كانت تسمى بأسماء مذكرة كثيرة وقال الضحاك وغيره المراد ما كانت العرب تعتقده من تأنيث الملائكة وعبادتهم إياها فقيل لهم هذا على جهة إقامة الحجة من فاسد قولهم وقال ابن عباس والحسن وقتادة المراد الخشب والحجارة وهي مؤنثات لا تعقل فيخبر عنها كما يخبر عن المؤنث من الأشياء فيجيء قوله " إلا إناثا " عبارة عن الجمادات وقيل إنما هذا لأن العرب كانت تسمي الصنم أنثى فتقول أنثى بني فلانقال القاضي أبو محمد رحمه الله وهذا على اختلافه يقضي بتعييرهم بالتأنيث وأن التأنيث نقص وخساسة بالإضافة إلى التذكير وقيل معنى " إناثا " أوثانا وفي مصحف عائشة إن يدعون من دونه إلا أوثانا وقرأ ابن عباس فيما روى عنه أبو صالح إلا أنثا يريد وثنا فأبدل الهمزة واوا وهو جمع جمع على ما حكى بعض الناس كأنه جمع وثنا على وثان كجمل وجمال ثم جمع وثانا على وثن كرهان ورهن وكمثال ومثلقال القاضي أبو محمد وهذا خطأ لأن فعالا في جمع فعل إنما هو للتكثير والجمع الذي هو للتكثير لا يجمع وإنما تجمع جموع التقليل والصواب أن تقول وثن جمع وثن دون واسطة كأسد وأسد قال

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٨/٨٦٤

أبو عمرو وبهذا قرأ ابن عمر وسعيد بن المسيب ومسلم بن جندب وعطاء وروي عنابن عباس أنه قرأ إلا وثنا بفتح الواو والثاء على إفراد اسم الجنس وقرأ ابن عباس أيضا وثنا بضم الواو والثاء وقرأت فرقة إلا وثنا وقرأت فرقة إلا أثنا بسكون الثاء وقرأ ا النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنثا بتقديم النون وهو جمع أنيث كغدير وغدر ونحو ذلك وحكى الطبري أنه جمع إناث كثمار وثمر وحكى هذه القراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم أبو عمرو الداني قال وقرأ بها ابن عباس وأبو حيوة والحسن واختلف في المعنى بالشيطان فقالت فرقة هو الشيطان المقترن بكل صنم فكأنه موحد باللفظ جمع بالمعنى لأن الواحد يدل على الجنس وقال الجمهور المراد إبليس وهذا هو الصواب لأن سائر المقالة به تليق١١٤و " مريدا " معناه عاتيا صليبا في غوايته وهو فعيل من مرد إذا عتا وغلا في انحرافه وتجرد للشر **والغواية**." (١)

"بقلب لديغ من خشية الله والسليم اللديغ " وأزلفت " معناه قربت والغاوون التي برزت لهم الجحيم هم المشركون بدلالة أنهم خوطبوا في أمر الأصنام والقول لهم " اين ما كنتم تعبدون من دون الله " هو على جهة التقريع والتوبيخ والتوقيف على عدم نصرتهم نحوه وقرأ الأعمش فبرزت بالفاء والجمهور بالواو وقرأ مالك بن دينار وبرزت بفتح الراء والزاي ورفع الجحيم ثم أخبر عن حال يوم القيامة من أن الأصنام تكبكب في النار أي تلقى كبة واحدة ووصل بها ضمير من يعقل من حيث ذكرت بعبادة وكانت يسند إليها فعل من يعقل وقيل الضمير في قوله " هم " للكفار و " الغاوون " الشياطين وكبكب مضاعف من كب هذا قول الجمهور وهو الصحيح لأن معناها واحد والتضعيف في الفعل بين مثل صر وصرصر وغير ذلك و " الغاوون " الكفرة الذين شملتهم **الغواية** و " جنود إبليس " نسله وكل من يتبعه لأنهم جند له وأعوان .قوله عز وجلسورة الشعراء ١٠٤٦٩ثم وصف تعالى أن أهل النار " يختصمون " فيها ويتلاومون ويأخذون في شأنهم بجدال ومن جملة قولهم لأصنامهم على جهة الإقرار وقول الحق قسم " تالله إن كنا " إلا ضالين في أن نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله تعالى الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم ثم عطفوا يردون الملامة على غيرهم أي ما أضلنا إلا كبراؤنا وأهل الجرم والجرأة والمكانة ثم قالوا على جهة التلهف والتأسف حين رأوا شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء نافعة في أهل الإيمان عموما وشفاعة الصديق في صدقه خاصة " فما لنا من شافعين ولا صديق حميم " وفي هذه اللفظة منبهة على محل الصديق من المرء قال ابن جريج " شافعين " من الملائكة و " صديق " من الناس .قال القاضي أبو محمد ولفظة الشفيع تقتضي رفعة مكانه ولفظ الصديق يقتضي شدة مساهمة ونصرة وهو فعيل من صدق الود والحميم الولي والقريب الذي يخصك أمره

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ١٣٣/٢

ويخصه أمرك وحامة الرجل خاصته وباقي الآية بين قد مضى .قال القاضي أبو محمد وهذهالآيات من قوله تعالى " يوم لا ينفع مال ولا بنون " هي عندي منقطعة من كلام إبراهيم عليه السلام وهي إخبار من الله عز وجل تعلق بصفة ذلك اليوم الذي وقف إبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أن لا يخزى فيه .قوله عز وجلسورة الشعراء ٢٢١٠٥١٢٣٧٢." (١)

"وقوله " من كان يريد " معناه إرادة مستعد عامل عارف لا إرادة متمن لم يدر نفسهوالحرث في هذه الآية عبارة عن السعي والتكسب والإعدادولما كان حرث الارض أصلا من أصول المكاسب استعير لكل متكسب ومنه قول ابن عمر أحرث لدنياك كانك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداوقوله تعالى " نزد في حرثه " وعد منتجزوقوله في " حرث الدنيا نؤته منها " معناه ما شئنا ولمن شئنا فرب ممتحن مضيق عليه حريص على حرث الدنيا مريد له لا يحس بغيره نعوذ بالله من ذلك وهذا الذي لا يعقل غير الدنيا هو الذي نفى ان يكون له نصيب في الآخرةوقرأ سلام " نؤته " برفع الهاء وهي لغة لأهل الحجاز ومثله قراءتهم " فخسفنا به وبداره الأرض " القصص ٨١ برفع الهاء فيهماقوله عز وجلسورة الشورى ٢١ - ٢٣" أم " هذه هي منقطعة لا معادلة وهي بتقدير بل وألف الاستفهاموالشركاء في هذه الآية يحتمل ان يكون المراد بهم الشياطين والمغوين من أسلافهم ويكون الضمير في " لهم " للكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم أي شرع الشركاء لهم ما لم يأذن به الله فالاشتراك ها هنا هو في الكفر٣٣والغواية وليس بشركة الاشراك بالله ويحتمل ان يكون المراد ب (الشركاء) الأصنام والأوثان على معنى ام لهم أصنام جعلوها لله في الوهيته ويكون الضمير في " شرعوا " لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولآبائهموالضمير في " لهم " للأصنام الشركاء أي شرع هؤلاء الكفار لأصنامهم وأوثانهم مالم يأذن به الله و " شرعوا " معناه أثبتوا ونهجوا ورسمواو " الدين " هنا العوائد والأحكام والسيرة ويدخل في ذلك أيضا المعتقدات لأنهم في جميع ذلك وضعوا اوضاعا فأما في المعتقدات فقولهم إن الأصنام آلهة وقولهم إنهم يعبدون الأصنام زلفى وغير ذلك وأما في الأحكام فكالبحيرة والوصيلة والحامي وغير ذلك من السوائب ونحوها والإذن في هذه الآية الأمرو "كلمة الفصل " هي ما سبق من قضاء الله تعالى بأنه يؤخر عقابهم الى الآخرة والقضاء بينهم هو عذابهم في الدنيا ومجازاتهموقرأ جمهور الناس (وإن الظالمين) بكسر الهمزة على القطع والاستئنافوقرا مسلم بن جندب (وان الظالمين) بفتح الهمزة وهي في موضع رفع عطف على "كلمة " المعنى وان الظالمين لهم في الآخرة عذابوقوله " ترى الظالمين " هي رؤية بصر و " الظالمين " مفعول و " مشفقين " حال وليس لهم في هذا

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٢٨٤/٤

الاشفاق مدح لأنهم إنما أشفقوا حين نزل بهم ووقع وليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا مشفقون من الساعة كما تقدم." (١)

"مقدمة المحققالحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.أما بعد:فإن إنزال القرآن الكريم على هذه الأمة منة عظمى؛ لأنه سبيل الهداية، وطريق السلامة من الضلال **والغواية**: ﴿ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ولكن الاستفادة الحقة من هذا الكتاب الكريم تكون بدوام الصلة به علما وعملا تلاوة وتدبرا، وفهما: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ ومن سبل ذلك الـتدبر، والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم؛ فإن من كمال حفظ الله عز وجل لهذا الذكر الحكيم أن قيض له جهابذة فهموا مراد الله عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فألفوا في ذلك كتبا بسطوا فيها ألفاظ القرآن، وأبانوا ما يعسر فهمه، وفصلوا ما جاء فيه من القواعد والكليات، ودفعوا التعارضات المتوهمة، وبينوا مراجع الضمائر، وعينوا المعاني المرادة إذا احتمل الكلام أوجها متعددة وكانوا طرائق قددا في عنايتهم بهذا الكتاب العظيم حتى جاء شيخ مشايخنا العلامة: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي رحمه الله فجعل جل عنايته بالمعاني التي هي المراد الأعظم، فكان كتابه فتحا في هذا العلم؛ إذ أوقف القارئ على المراد، وأعانه على تدبر التنزيل، دون أن يقف به على المشغلات الصارفات عن ذلك كالبحوث اللغوية الصرفة، والإسرائيليات ونحوها، وليس ذلك عن قصور إذ لا يبلغ هذا المبلغ من القدرة على تسهيل المعاني، وبيان المراد إلا من ملك من علوم الآلة، وسعة الاطلاع على كتب التفسير ما يؤهله للقيام بهذه المهمة العظيمة.ولقد من الله علي بالعناية بهذا التفسير، ومحبة صاحبه رحمه الله وقراءة التفسير وإقرائه، والنصح بقراءته، ومن الله علي بالعناية بطبعه في مجلد واحد يهدم الحواجز النفسية الصادة عن قراءته في مجلداته السبعة التي كان عليها في أشهر طبعاته السابقة، وكان الهم منصرفا إلى ذلك، ولم يكن الذهن ملتفتا إلى طبعات الكتاب وما فيها من أخطاء حتى هاتفني بعض أفاضل طلبة العلم من المشايخ الكرام كان منهم: فضيلة الدكتور: عبد الرزاق بن الشيخ عبد المحسن العباد البدر، وفضيلة الدكتور: خالد بن عثمان السبت، حيث جرت مهاتفات معهما ومقابلة للشيخ: عبد الرزاق كانت فاتحة خير للاهتمام

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، ٥/٢٩

بالتفسير وبنسخه المخطوطة، وطبعاته فتبين أن في الطبعات عوارا كثيرا، وأن التفسير لم يخرج حتى الآن على الصورة التي تركها الشيخ -رحمه الله- وبيان ذلك يحتاج إلى تفصيل تأريخي لكتابة الشيخ لهذا التفسير، وما وقع من طباعته، فرأيت أن أعرض الأمر مفصلا في هذه المقدمة حتى يستبين الأمر للقارئ الكريم، ويرى ما يمكن أن يفعله الكتبيون والناشرون في الكتب.تأليف الشيخ للتفسير:بدأ الشيخ -رحمه الله- تأليفه لهذا التفسير المبارك في عام ١٣٤٢ هـ وأنهاه في عام ١٣٤٤ هـ.وبهذا يظهر أنه قد بدأه وله من العمر خمسة وثلاثون عاما وأتمه وله من العمر سبعة وثلاثون عاما.." (١)

"﴿ ١٣٥ ﴾ ﴿ وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ .أي: دعا كل من اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم، زاعمين أنهم هم المهتدون وغيرهم ضال.قل له (١) مجيبا جوابا شافيا: ﴿ بل ﴾ نتبع ﴿ ملة إبراهيم حنيفا ﴾ أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، قائما بالتوحيد، تاركا للشرك والتنديد.فهذا الذي في اتباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر **والغواية**.____________(١) في ب: قال له.." (٢)

"﴿ ٨٦ - ٨٨ ﴾ ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين * أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ .هذا من باب الاستبعاد، أي: من الأمر البعيد أن يهدي الله قوما اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات والبراهين القاطعات ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ فهؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلما وبغيا واتباعا لأهوائهم، فهؤلاء لا يوفقون للهداية، لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية ويصونه من أسباب **الغواية**.ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال ﴿ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ أي: يمهلون،

---

(١) تفسير السعدي، ص/١٣

(٢) تفسير السعدي، ص/٦٧

لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه.." (١)

"﴿ ١٧٠ ﴾ ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما ﴾ .يأمر تعالى جميع الناس أن يؤمنوا بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وذكر السبب الموجب للإيمان به، والفائدة في الإيمان به، والمضرة من عدم الإيمان به، فالسبب الموجب هو إخباره [ص ٢١٦] بأنه جاءهم بالحق.أي: فمجيئه نفسه حق، وما جاء به من الشرع حق، فإن العاقل يعرف أن بقاء الخلق في جهلهم يعمهون، وفي كفرهم يترددون، والرسالة قد انقطعت عنهم غير لائق بحكمة الله ورحمته، فمن حكمته ورحمته العظيمة نفس إرسال الرسول إليهم، ليعرفهم الهدى من الضلال، والغي من الرشد، فمجرد النظر في رسالته دليل قاطع على صحة نبوته.وكذلك النظر إلى ما جاء به من الشرع العظيم والصراط المستقيم. فإن فيه من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة، والخبر عن الله وعن اليوم الآخر -ما لا يعرف إلا بالوحي والرسالة. وما فيه من الأمر بكل خير وصلاح، ورشد وعدل وإحسان، وصدق وبر وصلة وحسن خلق، ومن النهي عن الشر والفساد والبغي والظلم وسوء الخلق، والكذب والعقوق، مما يقطع به أنه من عند الله.وكلما ازداد به العبد بصيرة، ازداد إيمانه ويقينه، فهذا السبب الداعي للإيمان. وأما الفائدة في الإيمان فأخبر أنه خير لكم والخير ضد الشر. فالإيمان خير للمؤمنين في أبدانهم وقلوبهم وأرواحهم ودنياهم وأخراهم. وذلك لما يترتب عليه من المصالح والفوائد، فكل ثواب عاجل وآجل فمن ثمرات الإيمان، فالنصر والهدى والعلم والعمل الصالح والسرور والأفراح، والجنة وما اشتملت عليه من النعيم كل ذلك مسبب عن الإيمان. كما أن الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه. وأما مضرة عدم الإيمان به صلى الله عليه وسلم فيعرف بضد ما يترتب على الإيمان به. وأن العبد لا يضر إلا نفسه، والله تعالى غني عنه لا تضره معصية العاصين، ولهذا قال: ﴿ فإن لله ما في السماوات والأرض ﴾ أي: الجميع خلقه وملكه، وتحت تدبيره وتصريفه ﴿ وكان الله عليما ﴾ بكل شيء ﴿ حكيما ﴾ في خلقه وأمره. فهو العليم بمن يستحق الهداية **والغواية**، الحكيم في وضع الهداية **والغواية** موضعهما.." (٢)

"﴿ ٢٨ - ٣٠ ﴾ ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه

---

(١) تفسير السعدي، ص/١٣٧

(٢) تفسير السعدي، ص/٢١٥

مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون * فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ .يقول تعالى مبينا لقبح حال المشركين الذين يفعلون الذنوب، وينسبون أن الله أمرهم بها. ﴿ وإذا فعلوا فاحشة ﴾ وهي: كل ما يستفحش ويستقبح، ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة ﴿ قالوا وجدنا عليها آباءنا ﴾ وصدقوا في هذا. ﴿ والله أمرنا بها ﴾ وكذبوا في هذا، ولهذا رد الله عليهم هذه النسبة فقال: ﴿ قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ أي: لا يليق بكماله وحكمته أن يأمر عباده بتعاطي الفواحش لا هذا الذي يفعله المشركون ولا غيره ﴿ أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ وأي افتراء أعظم من هذا؟.ثم ذكر ما يأمر به، فقال: ﴿ قل أمر ربي بالقسط ﴾ أي: بالعدل في العبادات والمعاملات، لا بالظلم والجور. ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ أي: توجهوا لله، واجتهدوا في تكميل العبادات، خصوصا "الصلاة" أقيموها، ظاهرا وباطنا، ونقوها من كل نقص ومفسد. ﴿ وادعوه مخلصين له الدين ﴾ أي: قاصدين بذلك وجهه وحده لا شريك له. والدعاء يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة، أي: لا تراءوا ولا تقصدوا من الأغراض في دعائكم سوى عبودية الله ورضاه.﴿ كما بدأكم ﴾ أول مرة ﴿ تعودون ﴾ للبعث، فالقادر على بدء خلقكم، قادر على إعادته، بل الإعادة، أهون من البداءة.﴿ فريقا ﴾ منكم ﴿ هدى ﴾ الله، أي: وفقهم للهداية، ويسر لهم أسبابها، وصرف عنهم موانعها. ﴿ وفريقا حق عليهم الضلالة ﴾ أي: وجبت عليهم الضلالة بما تسببوا لأنفسهم وعملوا بأسباب **الغواية**.ف ﴿ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ﴾ ﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ فحين انسلخوا من ولاية الرحمن، واستحبوا ولاية الشيطان، حصل لهم النصيب الوافر من الخذلان، ووكلوا إلى أنفسهم فخسروا أشد الخسران. ﴿ و ﴾ هم ﴿ يحسبون أنهم مهتدون ﴾ لأنهم انقلبت عليهم الحقائق، فظنوا الباطل حقا والحق باطلا وفي هذه الآيات دليل على أن الأوامر والنواهي تابعة للحكمة والمصلحة، حيث ذكر تعالى أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه وتنكره العقول، وأنه لا يأمر إلا [ص ٢٨٧] بالعدل والإخلاص، وفيه دليل على أن الهداية بفضل الله ومنه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد، إذا تولى - بجهله وظلمه - الشيطان، وتسبب لنفسه بالضلال، وأن من حسب أنه مهتد وهو ضال، أنه لا عذر له، لأنه متمكن من الهدى، وإنما أتاه حسبانه من ظلمه بترك الطريق الموصل إلى الهدى.." (١)

"﴿ يا موسى إني اصطفيتك على الناس ﴾ أي: اخترتك واجتبيتك وفضلتك [ص ٣٠٣] وخصصتك بفضائل عظيمة، ومناقب جليلة، ﴿ برسالاتي ﴾ التي لا أجعلها، ولا أخص بها إلا أفضل الخلق.﴿ وبكلامي

---

(١) تفسير السعدي، ص/٢٨٦

﴾ إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختص بها موسى الكليم، وعرف بها من بين إخوانه من المرسلين، ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ من النعم، وخذ ما آتيتك من الأمر والنهي بانشراح صدر، وتلقه بالقبول والانقياد، ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ لله على ما خصك وفضلك.﴿ وكتبنا له في الألواح من كل شيء ﴾ يحتاج إليه العباد ﴿ موعظة ﴾ ترغب النفوس في أفعال الخير، وترهبهم من أفعال الشر، ﴿ وتفصيلا لكل شيء ﴾ من الأحكام الشرعية، والعقائد والأخلاق والآداب ﴿ فخذها بقوة ﴾ أي: بجد واجتهاد على إقامتها، ﴿ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ وهي الأوامر الواجبة والمستحبة، فإنها أحسنها، وفي هذا دليل على أن أوامر الله – في كل شريعة – كاملة عادلة حسنة.﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ بعد ما أهلكهم الله، وأبقى ديارهم عبرة بعدهم، يعتبر بها المؤمنون الموفقون المتواضعون.وأما غيرهم، فقال عنهم: ﴿ سأصرف عن آياتي ﴾ أي: عن الاعتبار في الآيات الأفقية والنفسية، والفهم لآيات الكتاب ﴿ الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة، حرمه الله خيرا كثيرا وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح.﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ لإعراضهم واعتراضهم، ومحادتهم لله ورسوله، ﴿ وإن يروا سبيل الرشد ﴾ أي: الهدى والاستقامة، وهو الصراط الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته ﴿ لا يتخذوه ﴾ أي: لا يسلكوه ولا يرغبوا فيه ﴿ وإن يروا سبيل الغي ﴾ أي: الغواية الموصل لصاحبه إلى دار الشقاء ﴿ يتخذوه سبيلا ﴾ والسبب في انحرافهم هذا الانحراف ﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾ فردهم لآيات الله، وغفلتهم عما يراد بها واحتقارهم لها – هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشد ما أوجب.﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ العظيمة الدالة على صحة ما أرسلنا به رسلنا.﴿ ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم ﴾ لأنها على غير أساس، وقد فقد شرطها وهو الإيمان بآيات الله، والتصديق بجزائه ﴿ هل يجزون ﴾ في بطلان أعمالهم وحصول ضد مقصودهم ﴿ إلا ما كانوا يعملون ﴾ فإن أعمال من لا يؤمن باليوم الآخر، لا يرجو فيها ثوابا، وليس لها غاية تنتهي إليه، فلذلك اضمحلت وبطلت.﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا ﴾ صاغه السامري وألقى عليه قبضة من أثر الرسول فصار ﴿ له خوار ﴾ وصوت، فعبدوه واتخذوه إلها.وقال ﴿ هذا إلهكم وإله موسى فنسي ﴾ موسى، وذهب يطلبه، وهذا من سفههم، وقلة بصيرتهم، كيف اشتبه عليهم رب الأرض والسماوات، بعجل من أنقص المخلوقات؟"ولهذا قال مبينا أنه ليس فيه من الصفات الذاتية ولا الفعلية، ما يوجب أن يكون إلها ﴿ ألم يروا أنه لا يكلمهم ﴾ أي: وعدم الكلام نقص عظيم، فهم أكمل حالة من هذا الحيوان أو الجماد، الذي لا يتكلم ﴿ ولا يهديهم

سبيلا ﴾ أي: لا يدلهم طريقا دينيا، ولا يحصل لهم مصلحة دنيوية، لأن من المتقرر في العقول والفطر، أن اتخاذ إله لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر من أبطل الباطل، وأسمج السفه، ولهذا قال: ﴿ اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ حيث وضعوا العبادة في غير موضعها، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وفيها دليل على أن من أنكر كلام الله، فقد أنكر خصائص إلهية الله تعالى، لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم للإلهية.﴿ ولما ﴾ رجع موسى إلى قومه، فوجدهم على هذه الحال، وأخبرهم بضلالهم ندموا و ﴿ سقط في أيديهم ﴾ أي: من الهم والندم على فعلهم، ﴿ ورأوا أنهم قد ضلوا ﴾ فتنصلوا، إلى الله وتضرعوا و ﴿ قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ﴾ فيدلنا عليه، ويرزقنا عبادته، ويوفقنا لصالح الأعمال، ﴿ ويغفر لنا ﴾ ما صدر منا من عبادة العجل ﴿ لنكونن من الخاسرين ﴾ الذين خسروا الدنيا والآخرة.." (١)

"﴿ ٨٤ - ٩٥ ﴾ ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا ﴾إلى آخر القصة (١) أي: ﴿ و ﴾ أرسلنا ﴿ إلى مدين ﴾ القبيلة المعروفة، الذين يسكنون مدين في أدنى فلسطين، ﴿ أخاهم ﴾ في النسب ﴿ شعيبا ﴾ لأنهم يعرفونه، وليتمكنوا من الأخذ عنه.ف ﴿ قال ﴾ لهم ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ أي: أخلصوا له العبادة، فإنهم كانوا يشركون به، وكانوا - مع شركهم - يبخسون المكيال والميزان، ولهذا نهاهم عن ذلك فقال: ﴿ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ بل أوفوا الكيل والميزان بالقسط.﴿ إني أراكم بخير ﴾ أي: بنعمة كثيرة، وصحة، وكثرة أموال وبنين، فاشكروا الله على ما أعطاكم، ولا تكفروا بنعمة الله، فيزيلها عنكم.﴿ وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ أي: عذابا يحيط بكم، ولا يبقي منكم باقية.﴿ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ﴾ أي: بالعدل الذي ترضون أن تعطوه، ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ أي: لا تنقصوا من أشياء الناس، فتسرقوها بأخذها، بنقص المكيال والميزان.﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ فإن الاستمرار على المعاصي، يفسد الأديان، والعقائد، والدين، والدنيا، ويهلك الحرث والنسل.﴿ بقية الله خير لكم ﴾ أي: يكفيكم ما أبقى الله لكم من الخير، وما هو لكم، فلا تطمعوا في أمر لكم عنه غنية، وهو ضار لكم جدا.﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ فاعملوا بمقتضى الإيمان، ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ أي: لست بحافظ لأعمالكم، ووكيل عليها، وإنما الذي يحفظها الله تعالى، وأما أنا، فأبلغكم ما أرسلت به.﴿ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ﴾ أي: قالوا ذلك على وجه التهكم بنبيهم، والاستبعاد لإجابتهم له.ومعنى كلامهم: أنه لا موجب لنهيك لنا، إلا أنك تصلي لله، وتتعبد له، أفإن كنت كذلك، أفيوجب لنا أن نترك ما يعبد آباؤنا، لقول ليس عليه دليل إلا أنه موافق لك، فكيف نتبعك، ونترك آباءنا

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٠٢

الأقدمين أولي العقول والألباب؟!وكذلك لا يوجب قولك لنا: ﴿ أن نفعل في أموالنا ﴾ ما قلت لنا، من وفاء الكيل، والميزان، وأداء الحقوق الواجبة فيها، بل لا نزال نفعل فيها ما شئنا، لأنها أموالنا، فليس لك فيها تصرف.ولهذا قالوا في تهكمهم: ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ أي: أئنك أنت الذي، الحلم والوقار، لك خلق، والرشد لك سجية، فلا يصدر عنك إلا رشد، ولا تأمر إلا برشد، ولا تنهى إلا عن غي، أي: ليس الأمر كذلك.وقصدهم أنه موصوف بعكس هذين الوصفين: بالسفه **والغواية**، أي: أن المعنى: كيف تكون أنت الحليم الرشيد، وآباؤنا هم السفهاء الغاوون؟!!وهذا القول الذي أخرجوه بصيغة التهكم، وأن الأمر بعكسه، ليس كما ظنوه، بل الأمر كما قالوه. إن صلاته تأمره أن ينهاهم، عما كان يعبد آباؤهم الضالون، وأن يفعلوا في أموالهم ما يشاءون، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأي فحشاء ومنكر، أكبر من عبادة غير الله، ومن منع حقوق عباد الله، أو سرقتها بالمكاييل والموازين، وهو عليه الصلاة والسلام الحليم الرشيد.﴿ قال ﴾ لهم شعيب: ﴿ يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ﴾ أي: يقين وطمأنينة، في صحة ما جئت به، ﴿ ورزقني منه رزقا حسنا ﴾ أي: أعطاني الله من أصناف المال ما أعطاني.﴿ و ﴾ أنا لا ﴿ أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ فلست أريد أن أنهاكم عن البخس، في المكيال، والميزان، وأفعله أنا، وحتى تتطرق إلي التهمة في ذلك. بل ما أنهاكم عن أمر إلا وأنا أول مبتدر لتركه.﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾ أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي، شيء بحسب استطاعتي.ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿ وما توفيقي إلا بالله ﴾ أي: وما يحصل لي من التوفيق لفعل الخير، والانفكاك عن الشر إلا بالله تعالى، لا بحولي ولا بقوتي.﴿ عليه توكلت ﴾ أي: اعتمدت في أموري، ووثقت في كفايته، ﴿ وإليه أنيب ﴾ في أداء ما أمرني به من أنواع العبادات، وفي [هذا] التقرب إليه بسائر أفعال الخيرات.وبهذين الأمرين تستقيم أحوال العبد، وهما الاستعانة بربه، والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وقال: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾.[ص ٣٨٨]__________(١) في ب: أكمل الآيات إلى قوله تعالى: " ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود "..".(١)

"﴿ ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا * فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ .﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ أي: عظمت شناعتها واشتدت عقوبتها، وأي شناعة أعظم من وصفه بالاتخاذ للولد (١) الذي يقتضي نقصه، ومشاركة

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٨٧

غيره له في خصائص الربوبية والإلهية، والكذب عليه؟" ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ ولهذا قال هنا: ﴿ إن يقولون إلا كذبا ﴾ أي: كذبا محضا ما فيه من الصدق شيء، وتأمل كيف أبطل هذا القول بالتدريج، والانتقال من شيء إلى أبطل منه، فأخبر أولا أنه ﴿ ما لهم به من علم ولا لآبائهم ﴾ والقول على الله بلا علم، لا شك في منعه وبطلانه، ثم أخبر ثانيا، أنه قول قبيح شنيع فقال: ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ ثم ذكر ثالثا مرتبته من القبح، وهو: الكذب المنافي للصدق.ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على هداية الخلق، ساعيا في ذلك أعظم السعي، فكان صلى الله عليه وسلم يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه صلى الله عليه وسلم عليهم، ورحمة بهم، أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ﴾ وقال ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ وهنا قال ﴿ فلعلك باخع نفسك ﴾ أي: مهلكها، غما وأسفا عليهم، وذلك أن أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو علم الله فيهم خيرا لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم، فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غما وأسفا عليهم، ليس فيه فائدة لك. وفي هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال **والغواية** بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله الذي كلف به وتوجه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله له: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾ وموسى عليه السلام يقول: ﴿ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي ﴾ الآية، فمن عداهم من باب أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾______________(١) كذا في ب، وفي أ: الولد.." [١]

"﴿ ٤٨ - ٥٠ ﴾ ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين * الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون * وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ﴾ .كثيرا ما يجمع تعالى، بين هذين الكتابين الجليلين، اللذين لم يطرق العالم أفضل منهما، ولا أعظم ذكرا، ولا أبرك، ولا أعظم هدى وبيانا، [وهما التوراة والقرآن] (١) فأخبر أنه آتى موسى أصلا وهارون تبعا ﴿ الفرقان ﴾ وهي التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأنها ﴿ ضياء ﴾ أي: نور يهتدي به المهتدون، ويأتم به السالكون، وتعرف به الأحكام، ويميز به بين الحلال والحرام، وينير في ظلمة الجهل والبدع **والغواية**، ﴿ وذكرا للمتقين

---

(١) تفسير السعدي، ص/٤٧٠

﴾ يتذكرون به، ما ينفعهم، وما يضرهم، ويتذكر به الخير والشر، وخص ﴿ المتقين ﴾ بالذكر، لأنهم المنتفعون بذلك، علما وعملا.ثم فسر المتقين فقال: ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ أي: يخشونه في حال غيبتهم، وعدم مشاهدة الناس لهم، فمع المشاهدة أولى، فيتورعون عما حرم، ويقومون بما ألزم، ﴿ وهم من الساعة مشفقون ﴾ أي: خائفون وجلون، لكمال معرفتهم بربهم، فجمعوا بين الإحسان والخوف، والعطف هنا من باب عطف الصفات المتغايرات، الواردة على شيء واحد وموصوف واحد.﴿ وهذا ﴾ أي: القرآن ﴿ ذكر مبارك أنزلناه ﴾ فوصفه بوصفين جليلين، كونه ذكرا يتذكر به جميع المطالب، من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن صفات الرسل والأولياء وأحوالهم، ومن أحكام الشرع من العبادات والمعاملات وغيرها، ومن أحكام الجزاء والجنة والنار، فيتذكر به المسائل والدلائل العقلية والنقلية، وسماه ذكرا، لأنه يذكر ما ركزه الله في العقول والفطر، من التصديق بالأخبار الصادقة، والأمر بالحسن عقلا والنهي عن القبيح عقلا وكونه ﴿ مباركا ﴾ يقتضي كثرة خيراته (٢) ونمائها وزيادتها، ولا شيء أعظم بركة من هذا القرآن، فإن كل خير ونعمة، وزيادة دينية أو دنيوية، أو أخروية، فإنها بسببه، وأثر عن العمل به، فإذا كان ذكرا مباركا، وجب تلقيه بالقبول والانقياد، والتسليم، وشكر الله على هذه المنحة الجليلة، والقيام بها، واستخراج بركته، بتعلم ألفاظه ومعانيه، وأما مقابلته بضد هذه الحالة، من الإعراض عنه، والإضراب عنه، صفحا وإنكاره، وعدم الإيمان به فهذا من أعظم الكفر وأشد الجهل والظلم، ولهذا أنكر تعالى على من أنكره فقال: ﴿ أفأنتم له منكرون ﴾____________(١) زيادة من هامش ب.(٢) في النسختين خيره، وغيرت الكلمة لتتوافق مع الضمائر التي بعدها.." (١)

"﴿ ولما بلغ أشده ﴾ من القوة والعقل واللب، وذلك نحو أربعين سنة في الغالب، ﴿ واستوى ﴾ كملت فيه تلك الأمور ﴿ آتيناه حكما وعلما ﴾ أي: حكما يعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم به بين الناس، وعلما كثيرا.﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ في عبادة الله المحسنين لخلق الله، نعطيهم علما وحكما بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام.﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾ إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار. ﴿ فوجد فيها رجلين يقتتلان ﴾ أي: يتخاصمان ويتضاربان ﴿ هذا من شيعته ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿ وهذا من عدوه ﴾ القبط.﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى عليه السلام مبلغا يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة

---

(١) تفسير السعدي، ص/٥٢٥

والسلطان.﴿ فوكزه موسى ﴾ أي: وكز الذي من عدوه، استجابة لاستغاثة الإسرائيلي، ﴿ فقضى عليه ﴾ أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى.فندم موسى عليه السلام على ما جرى منه، و ﴿ قال هذا من عمل الشيطان ﴾ أي: من تزيينه ووسوسته، ﴿ إنه عدو مضل مبين ﴾ فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال.ثم استغفر ربه ﴿ قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾ خصوصا للمخبتين، المبادرين للإنابة والتوبة، كما جرى من موسى عليه السلام.ف ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ رب بما أنعمت علي ﴾ بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة، ﴿ فلن أكون ظهيرا ﴾ أي: معينا ومساعدا ﴿ للمجرمين ﴾ أي: لا أعين أحدا على معصية، وهذا وعد من موسى عليه السلام، بسبب منة الله عليه، أن لا يعين مجرما، كما فعل في قتل القبطي. وهذا يفيد أن النعم تقتضي من العبد فعل الخير، وترك الشر.﴿ ف ﴾ لما جرى منه قتل الذي هو من عدوه ﴿ أصبح في المدينة خائفا يترقب ﴾ [ص ٦١٤] هل يشعر به آل فرعون، أم لا؟ وإنما خاف، لأنه قد علم، أنه لا يتجرأ أحد على مثل هذه الحال سوى موسى من بني إسرائيل.فبينما هو على تلك الحال ﴿ فإذا الذي استنصره بالأمس ﴾ على عدوه ﴿ يستصرخه ﴾ على قبطي آخر. ﴿ قال له موسى ﴾ موبخا له على حاله ﴿ إنك لغوي مبين ﴾ أي: بين **الغواية**، ظاهر الجراءة.﴿ فلما أن أراد أن يبطش ﴾ موسى ﴿ بالذي هو عدو لهما ﴾ أي: له وللمخاصم المستصرخ، أي: لم يزل اللجاج بين القبطي والإسرائيلي، وهو يستغيث بموسى، فأخذته الحمية، حتى هم أن يبطش بالقبطي، ﴿ قال ﴾ له القبطي زاجرا له عن قتله: ﴿ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض ﴾ لأن من أعظم آثار الجبار في الأرض، قتل النفس بغير حق.﴿ وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ وإلا فلو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد، فانكف موسى عن قتله، وارعوى لوعظه وزجره، وشاع الخبر بما جرى من موسى في هاتين القضيتين، حتى تراود ملأ فرعون، وفرعون على قتله، وتشاوروا على ذلك.وقيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادرهم إلى الإخبار لموسى بما اجتمع عليه رأي ملئهم. فقال: ﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾ أي: ركضا على قدميه من نصحه لموسى، وخوفه أن يوقعوا به، قبل أن يشعر، ف ﴿ قال يا موسى إن الملأ يأتمرون ﴾ أي: يتشاورون فيك ﴿ ليقتلوك فاخرج ﴾ عن المدينة ﴿ إني لك من الناصحين ﴾ فامتثل نصحه.﴿ فخرج منها خائفا يترقب ﴾ أن يوقع به القتل، ودعا الله، و ﴿ قال رب نجني من القوم الظالمين ﴾ فإنه قد تاب من ذنبه وفعله غضبا من غير قصد منه للقتل، فتوعدهم له ظلم منهم وجراءة.." (١)

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦١٣

"﴿ وما كنت بجانب الغربي ﴾. أي: بجانب الطور الغربي وقت قضائنا لموسى الأمر ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ على ذلك، حتى يقال: إنه وصل إليك من هذا الطريق.﴿ ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ﴾ فاندرس العلم، ونسيت آياته، فبعثناك في وقت اشتدت الحاجة إليك وإلى ما علمناك وأوحينا إليك. ﴿ وما كنت ثاويا ﴾ أي: مقيما ﴿ في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ﴾ أي: تعلمهم وتتعلم منهم، حتى أخبرت بما أخبرت من شأن موسى في مدين، ﴿ ولكنا كنا مرسلين ﴾ أي: ولكن ذلك الخبر الذي جئت به عن موسى، أثر من آثار إرسالنا إياك، ووحي لا سبيل لك إلى علمه، بدون إرسالنا.﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ﴾ موسى، وأمرناه أن يأتي القوم الظالمين، ويبلغهم رسالتنا، ويريهم من آياتنا وعجائبنا ما قصصنا عليك. والمقصود: أن الماجريات، التي جرت لموسى عليه الصلاة والسلام في هذه الأماكن، فقصصتها كما هي، من غير زيادة ولا نقص، لا يخلو من أحد أمرين.إما أن تكون حضرتها وشاهدتها، أو ذهبت إلى محالها فتعلمتها من أهلها، فحينئذ قد لا يدل ذلك على أنك رسول الله، إذ الأمور التي يخبر بها عن شهادة ودراسة، من الأمور المشتركة غير المختصة بالأنبياء، ولكن هذا قد علم وتيقن أنه ما كان وما صار، فأولياؤك وأعداؤك يعلمون عدم ذلك.فتعين الأمر الثاني، وهو: أن هذا جاءك من قبل الله ووحيه وإرساله، فثبت بالدليل القطعي، صحة رسالتك، ورحمة الله بك للعباد، ولهذا قال: ﴿ ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك ﴾ أي: العرب، وقريش، فإن الرسالة [عندهم] لا تعرف وقت إرسال الرسول وقبله بأزمان متطاولة، ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ تفصيل الخير فيفعلونه، والشر فيتركونه، فإذا كنت بهذه المنزلة، كان الواجب عليهم، المبادرة إلى الإيمان بك، وشكر هذه النعمة، التي لا يقادر قدرها، ولا يدرك شكرها.وإنذاره للعرب لا ينفي أن يكون مرسلا لغيرهم، فإنه عربي، والقرآن الذي أنزل عليه عربي، وأول من باشر بدعوته العرب، فكانت رسالته إليهم أصلا ولغيرهم تبعا، كما قال تعالى ﴿ أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾ ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾.﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿ فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ أي: فأرسلناك يا محمد، لدفع حجتهم، وقطع مقالتهم.﴿ فلما جاءهم الحق ﴾ الذي لا شك فيه ﴿ من عندنا ﴾ وهو القرآن، الذي أوحيناه إليك ﴿ قالوا ﴾ مكذبين له، ومعترضين بما ليس يعترض به: ﴿ لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ﴾ أي: أنزل عليه كتاب من السماء جملة واحدة. أي: فأما ما دام ينزل متفرقا، فإنه ليس من عند الله. وأي: دليل في هذا؟ وأي: شبهة أنه ليس من عند الله، حين نزل مفرقا؟بل من كمال هذا القرآن، واعتناء الله بمن أنزل عليه، أن نزل متفرقا، ليثبت الله به فؤاد رسوله، ويحصل

زيادة الإيمان للمؤمنين ﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾ وأيضا، فإن قياسهم على كتاب موسى، قياس قد نقضوه، [ص ٦١٨] فكيف يقيسونه على كتاب كفروا به ولم يؤمنوا؟ ولهذا قال ﴿ أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا ﴾ أي: القرآن والتوراة، تعاونا في سحرهما، وإضلال الناس ﴿ وقالوا إنا بكل كافرون ﴾ فثبت بهذا أن القوم يريدون إبطال الحق بما ليس ببرهان، وينقضونه بما لا ينقض، ويقولون الأقوال المتناقضة المختلفة، وهذا شأن كل كافر. ولهذا صرح أنهم كفروا بالكتابين والرسولين، ولكن هل كفرهم بهما كان طلبا للحق، واتباعا لأمر عندهم خير منهما، أم مجرد هوى؟.قال تعالى ملزما لهم بذلك: ﴿ فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما ﴾ أي: من التوراة والقرآن ﴿ أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ ولا سبيل لهم ولا لغيرهم أن يأتوا بمثلهما، فإنه ما طرق العالم منذ خلقه الله، مثل هذين الكتابين، علما وهدى، وبيانا، ورحمة للخلق، وهذا من كمال الإنصاف من الداعي أن قال: أنا مقصودي الحق والهدى والرشد، وقد جئتكم بهذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى، فيجب علينا جميعا الإذعان لهما واتباعهما، من حيث كونهما هدى وحقا، فإن جئتموني بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعته، وإلا فلا أترك هدى وحقا قد علمته لغير هدى وحق (١)﴿ فإن لم يستجيبوا لك ﴾ فلم يأتوا بكتاب أهدى منهما ﴿ فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾ أي: فاعلم أن تركهم اتباعك، ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه، ولا إلى هدى، وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم. ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ فهذا من أضل الناس، حيث عرض عليه الهدى، والصراط المستقيم، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته، فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه، ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء (٢) فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل ممن هذا وصفه؟" ولكن ظلمه وعدوانه، وعدم محبته للحق، هو الذي أوجب له: أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله، فلهذا قال: ﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ أي: الذين صار الظلم لهم وصفا والعناد لهم نعتا، جاءهم الهدى فرفضوه، وعرض لهم الهوى، فتبعوه، سدوا على أنفسهم أبواب الهداية وطرقها، وفتحوا عليهم أبواب **الغواية** وسبلها، فهم في غيهم وظلمهم يعمهون، وفي شقائهم وهلاكهم يترددون.وفي قوله: ﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ﴾ دليل على أن كل من لم يستجب للرسول، وذهب إلى قول مخالف لقول الرسول، فإنه لم يذهب إلى هدى، وإنما ذهب إلى هوى.__________(١) كذا في ب، وفي أ: لغيره حق.(٢) كذا في ب، وفي أ: الشقاق.." (١)

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦١٧

"﴿ ٦٢-٦٦ ﴾ ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون * قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون * وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون * ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين * فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون ﴾ .هذا إخبار من الله تعالى، عما يسأل عنه الخلائق يوم القيامة، وأنه يسألهم عن أصول الأشياء، وعن عبادة الله وإجابة رسله، فقال: ﴿ ويوم يناديهم ﴾ أي: ينادي من أشركوا به شركاء يعبدونهم، ويرجون نفعهم، ودفع الضرر عنهم، فيناديهم. ليبين لهم عجزها وضلالهم، ﴿ فيقول أين شركائي ﴾ وليس لله شريك، ولكن ذلك بحسب زعمهم وافترائهم، ولهذا قال: ﴿ الذين كنتم تزعمون ﴾ فأين هم، بذواتهم، وأين نفعهم وأين دفعهم؟ومن المعلوم أنه (١) يتبين لهم في تلك الحال، أن الذي عبدوه، ورجوه باطل، مضمحل في ذاته، وما رجوا منه، فيقرون على أنفسهم بالضلالة **والغواية**.ولهذا ﴿ قال الذين حق عليهم القول ﴾ الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: ﴿ ربنا هؤلاء ﴾ التابعون ﴿ الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا ﴾ أي: كلنا قد اشترك في **الغواية**، وحق عليه كلمة العذاب.﴿ تبرأنا إليك ﴾ من عبادتهم، أي: نحن برآء منهم ومن عملهم. ﴿ ما كانوا إيانا يعبدون ﴾ وإنما كانوا يعبدون الشياطين.﴿ وقيل ﴾ لهم: ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ على ما أملتم فيهم من النفع فأمروا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج، الذي يضطر فيه العابد إلى من عبده.﴿ فدعوهم ﴾ لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب الله من شيء. ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة، ﴿ ورأوا العذاب ﴾ الذي سيحل بهم عيانا، بأبصارهم بعد ما كانوا مكذبين به، منكرين له.﴿ لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ أي: لما حصل عليهم ما حصل، ولهدوا إلى صراط الجنة، كما اهتدوا في الدنيا، ولكن لم يهتدوا، فلم يهتدوا.﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾ هل صدقتموهم، [واتبعتموهم] أم كذبتموهم وخالفتموهم؟﴿ فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون ﴾ أي: لم يحيروا عن هذا السؤال جوابا، ولم يهتدوا إلى الصواب.ومن المعلوم أنه لا ينجى في هذا الموضع إلا التصريح بالجواب الصحيح، المطابق لأحوالهم، من أننا أجبناهم بالإيمان والانقياد، ولكن لما علموا تكذيبهم لهم وعنادهم لأمرهم، لم ينطقوا بشيء، ولا يمكن أن يتساءلوا ويتراجعوا بينهم في ماذا يجيبون به، ولو كان كذبا.______________(١) في ب: أنهم.." (١)

"﴿ ٢٧ - ٣٩ ﴾ ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين * قالوا بل لم تكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين * فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون

---

(١) تفسير السعدي، ص/٦٢٢

* فأغويناكم إنا كنا غاوين * فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون * إنا كذلك نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون * بل جاء بالحق وصدق المرسلين * إنكم لذائقو العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ .لما جمعوا هم وأزواجهم وآلهتهم، وهدوا إلى صراط الجحيم، ووقفوا، فسئلوا، فلم يجيبوا، وأقبلوا فيما بينهم، يلوم بعضهم بعضا على إضلالهم وضلالهم.فقال الأتباع للمتبوعين الرؤساء: ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي: بالقوة والغلبة، فتضلونا، ولولا أنتم لكنا مؤمنين.﴿ قالوا ﴾ لهم ﴿ بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ أي: ما زلتم مشركين، كما نحن مشركون، فأي: شيء فضلكم علينا؟ وأي: شيء يوجب لومنا؟﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ ما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ أي: قهر لكم على اختيار الكفر ﴿ بل كنتم قوما طاغين ﴾ متجاوزين للحد (١) .﴿ فحق علينا ﴾ نحن وإياكم ﴿ إنا لذائقون ﴾ العذاب،أي: حق علينا قدر ربنا وقضاؤه، أنا وإياكم سنذوق العذاب، ونشترك في العقاب.﴿ ف ﴾ لذلك ﴿ أغويناكم إنا كنا غاوين ﴾ أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، وهي الغواية، فاستجبتم لنا، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم.قال تعالى: ﴿ فإنهم يومئذ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ في العذاب مشتركون ﴾ وإن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم.كما اشتركوا في الدنيا على الكفر، اشتركوا في الآخرة بجزائه، ولهذا قال: ﴿ إنا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ثم ذكر أن إجرامهم، قد بلغ الغاية وجاوز النهاية فقال: ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله ﴾ فدعوا إليها، وأمروا بترك إلهية ما سواه ﴿ يستكبرون ﴾ عنها وعلى من جاء بها.﴿ ويقولون ﴾ معارضة لها ﴿ أئنا لتاركوا آلهتنا ﴾ التي لم نزل نعبدها نحن وآباؤنا ﴿ لـ ﴾ قول ﴿ شاعر مجنون ﴾ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم. فلم يكفهم – قبحهم الله – الإعراض عنه، ولا مجرد تكذيبه، حتى حكموا عليه بأظلم الأحكام، وجعلوه شاعرا مجنونا، وهم يعلمون أنه لا يعرف الشعر والشعراء، ولا وصفه وصفهم، وأنه أعقل خلق الله، وأعظمهم رأيا.ولهذا قال تعالى، ناقضا لقولهم: ﴿ بل جاء ﴾ محمد ﴿ بالحق ﴾ أي: مجيئه حق، وما جاء به من الشرع والكتاب حق. ﴿ وصدق المرسلين ﴾ [أي: ومجيئه صدق المرسلين] فلولا مجيئه وإرساله لم يكن الرسل صادقين، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشروا، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق، لئن جاءهم، ليؤمنن به ولينصرنه، وأخذوا ذلك على أممهم، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله، وتبين كذب من خالفهم، .فلو قدر عدم مجيئه، وهم قد أخبروا به، لكان ذلك قادحا في صدقهم.وصدق أيضا المرسلين، بأن جاء بما جاءوا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم وشرعهم.ولما كان قولهم السابق: ﴿ إنا لذائقون ﴾ قولا صادرا منهم، يحتمل أن يكون صدقا أو غيره، أخبر تعالى بالقول الفصل

الذي لا يحتمل غير الصدق واليقين، وهو الخبر الصادر منه تعالى، فقال: ﴿ إنكم لذائقوا العذاب الأليم ﴾ أي: المؤلم الموجع.﴿ وما تجزون ﴾ في إذاقة العذاب الأليم ﴿ إلا ما كنتم تعملون ﴾ فلم نظلمكم، وإنما عدلنا فيكم؟______________(١) كذا في ب، وفي أ: للحق.." [١]

"﴿ ٢٣-٢٦ ﴾ ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون * وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون * وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين * قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .يقول تعالى: ﴿ أفرأيت ﴾ الرجل الضال الذي ﴿ اتخذ إلهه هواه ﴾ فما هويه سلكه سواء كان يرضي الله أو يسخطه. ﴿ وأضله الله على علم ﴾ من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها. ﴿ وختم على سمعه ﴾ فلا يسمع ما ينفعه، ﴿ وقلبه ﴾ فلا يعي الخير ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾ تمنعه من نظر الحق، ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ أي: لا أحد يهديه وقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح له أبواب **الغواية**، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسه وتسبب لمنع رحمة الله عليه ﴿ أفلا تذكرون ﴾ ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه.﴿ وقالوا ﴾ أي: منكرو البعث ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس وما مات فليس براجع إلى الله ولا مجازى بعمله.وقولهم هذا صادر عن غير علم ﴿ إن هم إلا يظنون ﴾ فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان.إن هي إلا ظنون واستبعادات خالية عن الحقيقة ولهذا قال تعالى: ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين ﴾ وهذا جراءة منهم على الله، [ص ٧٧٨] حيث اقترحوا هذا الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان بآبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق، قال تعالى: ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وإلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم، لعملوا له أعمالا وتهيئوا له.." [٢]

---

(١) تفسير السعدي، ص/٧٠٢

(٢) تفسير السعدي، ص/٧٧٧

"﴿منا بين أيديهم ومن خلفهم﴾ ، قال ابن عباس : أي قبلهم وبعدهم ، أي قبل هود وصالح وبعدهما. وقيل : من أرسل إلى آبائهم ومن أرسل إليهم ؛ فيكون ﴿منا بين أيديهم﴾ معناه : من قبلهم ، ﴿ومن خلفهم﴾ معناه : الرسل الذين بحضرتهم. فالضمير في من خلقهم عائد على الرسل ، قاله الضحاك ، وتبعه الفراء ، وسيأتي عن الطبري نحو من هذا القول. وقال ابن عطية : ﴿منا بين أيديهم﴾ : أي تقدموا في الزمن واتصلت نذارتهم إلى عمار عاد وثمود ، وبهذا الاتصال قامت الحجة. ﴿ومن خلفهم﴾ : أي جاءهم رسول بعد تقدم وجودهم في الزمن ، وجاء من مجموع العبارة إقامة الحجة عليهم في أن الرسالة والنذارة عمتهم خبر ومباشرة. انتهى ، وهو شرح كلام ابن عباس. وقال الزمخشري : ﴿منا بين أيديهم ومن خلفهم﴾ : أي آتوهم من كل جانب ، واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة ، فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض. كما حكى الله عن الشيطان : ﴿لاتيِنهم منا بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمآالهم﴾ : أي لآتينهم من كل جهة ، ولأعملن فيهم كل حيلة. وعن الحسن : أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة ، لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ، ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم. انتهى. وقال الطبري : الضمير في قوله : ﴿ومن﴾ عائد على الرسل ، وفي : ﴿وجعلنا منا بين أيديهم﴾ عائد على الأمم ، وفيه خروج عن الظاهر في تفريق الضمائر وتعمية المعنى ، إذ يصير التقدير : جاءتهم الرسل من بين أيديهم وجاءتهم من خلف الرسل ، أي من خلف أنفسهم ، وهذا معنى لا يتعقل إلا إن كان الضمير يعود في خلفهم على الرسل لفظا ، وهو يعود على رسل أخرى معنى ، فكأنه قال : جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلف رسل آخرين ، فيكون كقولهم : عندي درهم ونصفه ، أي ونصف درهم آخر ، وهذا فيه بعد. وخص بالذكر من الأمم المهلكة عاد وثمود لعلم قريش بحالهما ، ولوقوعهم على بلادهم في اليمن وفي الحجر ، وقال الأفوه الأودي : أضحوا كقيل بن عنز في عشيرتهإذ أهلكت بالذي سدى لها عادجزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٧٩أو بعده كقدار حين تابعهعلى الغواية أقوام فقد بادوا﴿أن لا تعبدوا ﴾ : يصح أن تكون أن تفسيرية ، لأن مجيء الرسل إليهم يتضمن معنى القول ، أي جاءتهم مخاطبة ؛ وأن تكون مخففة من الثقيلة ، أي بأنه لا تعبدوا ، والناصبة للمضارع ، ووصلت بالنهي كما توصل بإلا ، وفي نحو : ﴿أن طهرا﴾ ، وكتبت إليه بأن قم ، ولا في هذه إلا وجه للنهي. ويجوز على بعد أن تكون لا نافية ، وأن ناصبة للفعل ، وقاله الحوفي ولم يذكر غيره. ومفعول شاء محذوف ، وقدره الزمخشري : لو شاء ربنا٤٨٩إرسال الرسل لأنزل ملائكة. انتهى. وتتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفا إلا من جنس الجواب ، نحو قوله تعالى :

﴿ولو شآء الله لجمعهم على الهدى ﴾ : أي لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه ، وكذلك : ﴿لو نشآء لجعلناه حطاما﴾ ، لو نشاء جعلناه أجاج﴾ ، ، ﴿ولو شآء ربك لامن﴾ ، ﴿ولو شآء ربك ما فعلوه﴾ ، ﴿لو شآء الله ما عبدنا من دونها من شيء﴾ . قال الشاعر : فلو شاء ربي كنت قيس بن خالدولو شاء ربي كنت عمر بن مرثدوقال الراجز : واللذ لو شاء لكنت صخراأو جبلا أشم مشمخرافعلى هذا الذي تقرر ، لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري ، وإنما التقدير : لو شاء ربنا إنزال ملائكة بالرسالة منه إلى الإنس لأنزلهم بها إليهم ، وهذا أبلغ في الامتناع من إرسال البشر ، إذ علقوا ذلك بأقوال الملائكة ، وهو لم يشأ ذلك ، فكيف يشاء ذلك في البشر ؟ ﴿فإنا بمآ أرسلتم بها كافرون﴾ : خطاب لهود وصالح ومن دعا من الأنبياء إلى الإيمان ، وغلب الخطاب على الغيبة ، نحو قولك : أنت وزيد تقومان. وما مصدرية ، أي بإرسالكم ، وبه توكيد لذلك. ويجوز أن يكون ما بمعنى الذي ، والضمير في به عائد عليه ، وإذا كفروا بما تضمنه الإرسال ، كان كفرا بالإرسال. وليس قوله : ﴿بمآ أرسلتم﴾ إقرارا بالإرسال ، بل هو على سبيل التهكم ، أي بما أرسلتم على زعمكم ، كما قال فرعون : ﴿إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون﴾ .جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٧٩." (١)

"ولما ذكر تعالى الرزق ، ذكر حديث الكسب. ولما كان الحرث في الأرض أصلا من أصول المكاسب ، استعير لكل مكسب أريد به النماء والفائدة ، أي من كان يريد عمل الآخرة ، وسعى لها سعيها ، ﴿نزد له فى حرثها﴾ : أي جزاء حرثه أي من جزاء حرثه من تضعيف الحسنات ، ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتها منها﴾ : أي العمل لها لا لآخرته ، ﴿نؤتها منها﴾ : أي نعطه شيئا منها ، ﴿له فى الاخرة من نصيب﴾ ، لأنه لم يعمل شيئا للآخرة. والجملة الأولى وعد منجز ، والثانية مقيدة بمشيئته تعالى ، فلا يناله إلا رزقه الذي فرغ منه ، وكل ما يريده هو. واقتصر في عامل الآخرة على ذكر حظه في الآخرة ، كأنه غير معتبر ، فلا يناسب ذكر مع ما أعد الله له في الآخرة لمن يشاء ما يشاء. وجعل فعل الشرط ماضيا ، والجواب مجزوم لقوله تعالى : ﴿من كان يريد الحيواة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ ، ولا نعلم خلافا في جواز الجزم ، فإنه فصيح مختار ، إلا ما ذكره صاحب كتاب الإعراب ، وهو أبو الحكم بن عذرة ، عن بعض النحويين ، أنه لا يجيء في الكلام الفصيح ، وإنما يجيء مع كأن لأنها أصل الأفعال ، ولا يجيء مع غيرها من الأفعال. ونص كلام سيبويه والجماعة أنه لا يختص ذلك بكان ، بل سائر الأفعال في ذلك مثلها ، وأنشد سيبويه للفرزدق : دست رسولا بأن القوم إن قدرواعليك يشفوا صدورا ذات توغيروقال

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

آخر : تعال فإن عاهدتني لا تخونينكن مثل من يا ذئب يصطحبانوقرأ الجمهور : نزد ونؤته بالنون فيهما : وابن مقسم ، والزعفراني ، ومحبوب ، والمنقري ، كلاهما عن أبي عمرو : بالياء فيهما. وقرأ سلام : نؤته منها برفع الهاء ، وهي لغة الحجاز.جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠٦﴿أم لهم شركا ؤا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذنا به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين﴾ .٥١٤﴿أم لهم شركا ؤا ﴾ : استفهام تقرير وتوبيخ. لما ذكر تع الى أنه شرع للناس ﴿ما وصى بها نوحا﴾ الآية ، أخذ ينكر ما شرع غيره تعالى. والشركاء هنا يحتمل أن يراد به شركاؤهم في الكفر ، كالشياطين والمغوين من الناس. والضمير في شرعوا عائد على الشركاء ، والضمير في لهم عائد على الكفار المعاصرين للرسول ؛ ويحتمل أن يراد به الأصنام والأوثان وكل من جعلوه شريكا لله. وأضيف الشركاء إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله ، فتارة إليهم بهذه الملابسة ، وتارة إلى الله. والضمير في شرعوا يحتمل أن يعود على الشركاء ، ولهم عائد على الكفار ، لما كانت سببا لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر ، كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿رب إنهن أضللن كثيرا من الناس﴾ . واحتمل أن يعود على الكفار ، ولهم عائد على الشركاء ، أي شرع الكفار لأصنامهم ومعبوداتهم ، أي رسموا لهم غواية وأحكاما في المعتقدات ، كقولهم : إنهم آلهة ، وإن عبادتهم تقربهم إلى الله ؛ ومن الأحكام البحيرة والوصيلة والحامي وغير ذلك. ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ : أي العدة بأن الفصل في الآخرة ، أو لولا القضاء بذلك لقضي بين المؤمن والكافر ، أو بين المشركين وشركائهم. وقرأ الجمهور : ﴿إن الظالمين﴾ ، بكسر الهمزة على الاستئناف والإخبار ، بما ينالهم في الدنيا من القتل والأسر والنهب ، وفي الآخرة النار. وقرأ الأعرج ، ومسلم بن جندب : وأن بفتح الهمزة عطفا على كلمة الفصل ، فهو في موضع رفع ، أي ولولا كلمة الفصل وكون الظالمين لهم عذاب في الآخرة ، لقضي بينهم في الدنيا وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا ، كما فصل في قوله : ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى﴾ .﴿ترى الظالمين﴾ : أي تبصر الكافرين لمقابلته بالمؤمنين ، ﴿مشفقين﴾ : خائفين الخوف الشديد ، ﴿مما كسبوا ﴾ من السيآت ، ﴿وهو﴾ : أي العذاب ، أو يعود على ما كسبوا على حذف مضاف : أي وبال كسبوا من السيآت ، أو جزاؤه حال بهم ، ﴿وهو واقع﴾ : فإشفاقهم هو في هذه الحال ، فليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا مشفقون من الساعة. ولما كانت الروضات أحسن ما في الجنات وأنزهها وفي أعلاها ، ذكر أن المؤمنين فيها. واللغة الكثيرة تسكين الواو في روضات ، ولغة هذيل بن مدركة فتح الواو إجراء للمعتل مجرى الصحيح نحو جفنات ، ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم. وعند ظرف ، قال الحوفي : معمول ليشاءون. وقال الزمخشري : منصوب بالظرف لا يشاءون. انتهى ، وهو الصواب. ويعني

بالظرف : الجار والمجرور ، وهو لهم في الحقيقة غير معمول للعامل في لهم ، والمعنى : ما يشاءون من النعيم والثواب ، مستقر لهم. ﴿عند ربهم﴾ : والعندية عندية المكانة والتشريف ، لا عندية المكانة.جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٠٦." (١)

"وقرأ الجمهور : ترجعون مبنيا للمفعول من رجع المتعدي.وقرأ مجاهد ، ويحيى بن يعمر ، وابن أبي إسحاق ، وابن محيصن ، والفياض بن غزوان ، وسلام ، ويعقوب : مبنيا للفاعل ، حيث وقع في القرآن من رجع اللازم ، لأن رجع يكون لازما ومتعديا. وقراءة الجمهور أفصح ، لأن الإسناد في الأفعال السابقة هو إلى الله تعالى ، ﴿فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ ، فكان سياق هذا الإسناد أن يكون الفعل في الرجوع مسندا إليه ، لكنه كان يفوت تناسب الفواصل والمقاطع ، إذ كان يكون الترتيب : ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ ، فحذف الفاعل للعلم به وبنى الفعل للمفعول حتى لا يفوت التناسب اللفظي. وقد حصل التناسب المعنوي بحذف الفاعل ، إذ هو وقبل البناء للمفعول مبني للفاعل. وأما قراءة مجاهد ، ومن ذكر معه ، فإنه يفوت التناسب المعنوي ، إذ لا يلزم من رجوع الشخص إلى شيء أن غيره رجعه إليه ، إذ قد يرجع بنفسه من غير راد. والمقصود ہنا إظهار القدرة والتصرف التام بنسبة الإحياء والإماتة ، والإحياء والرجوع إليه تعالى ، وإن كنا نعلم أن الله تعالى هو فاعل الأشياء جميعها. وفي قوله تعالى : ﴿ثم إليه ترجعون﴾ من الترهيب والترغيب ما يزيد المسيء خشية ويرده عن بعض ما يرتكبه ، ويزيد المحسن رغبة في الخير ويدعوه رجاؤه إلى الازدياد من الإحسان ، وفيها رد على الدهرية والمعطلة ومنكري البعث ، إذ هو بيده الإحياء والإماتة والبعث وإليه يرجع الأمر كله.جزء : ١ رقم الصفحة : ١١٨﴿هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا﴾ : مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة ، وهو أنه لما ذكر أن من كان منشئا لكم بعد العدم ومفنيا لكم بعد الوجود وموجدا لكم ثانية ، إما في جنة ، وإما إلى نار ، كان جديرا أن يعبد ولا يجحد ، ويشكر ولا يكفر. ثم أخذ يذكرهم عظيم إحسانه وجزيل امتنانه من خلق جميع ما في الأرض لهم ، وعظيم قدرته وتصرفه في العالم العلوي ، ١٣٢وأن العالم العلوي والعالم السفلي بالنسبة إلى قدرته على السواء ، وأنه عليم بكل شيء. ولفظة هو من المضمرات وضع للمفرد المذكر الغائب ، وهو كلي في الوضع كسائر المضمرات ، جرى في النسبة المخصوصة حالة الاستعمال ، فما من مفرد مذكر غائب إلا ويصح أن يطلق عليه هو ، ولكن إذا أسند لهذا الاسم شيء تعين. ومشهور لغات العرب تخفيف الواو مفتوحة ، وشددتها همدان ، وسكنتها أسد وقيس ، وحذف الواو مختص بالشعر. ولهؤلاء المنسوبين إلى علم الحقائق

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

وإلى التصوف كلام غريب بالنسبة لمعقولنا ، رأيت أن أذكره هنا ليقع الذكر فيه.قالوا : أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام : مظهرات ، ومضمرات ، ومستترات. فالمظهرات : أسماء ذات ، وأسماء صفات ، وهذه كلها مشتقة ، وأسماء الذات مشتقة وهي كثيرة ، وغير المشتق واحد وهو الله. وقد قيل : إنه مشتق ، والذي ينبغي اعتقاده أنه غير مشتق ، بل اسم مرتجل دال على الذات. وأما المضمرات فأربعة : أنا في مثل : ﴿الله لا إله إلا أنا ﴾ ، وأنت في مثل : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك﴾ ، وهو في مثل : ﴿هو الذى خلق لكم﴾ ، ونحن في مثل : ﴿نحن نقص عليك﴾ . قالوا : فإذا تقرر هذا فالله أعظم أسمائه المظهرات الدالة على الذات ، ولفظة هو من أعظم أسمائه المظهرات والمضمرات للدلالة على ذاته ، لأن أسماءه المشتقة كلها لفظها متضمن جواز الاشتراك لاجتماعهما في الوصف الخاص ، ولا يمنع أن يكون أحد الوصفين حقيقة والآخر مجازا من الاشتراك ، وهو اسم من أسماء الله تعالى ينبىء عن كنه حقيقته المخصوصة المبرأة عن جميع جهات الكثرة من حيث هو هو. فلفظة هو توصلك إلى الحق وتقطعك عما سواه ، فإنك لا بد أن يشرك مع النظر في معرفة ما يدل عليه الاسم المشتق النظر في معرفة المعنى الذي يشتق منه ، وهذا الاسم لأجل دلالته على الذات ينقطع معه النظر إلى ما سواه ، اختاره الجلة من المقربين مدارا لذكرهم ومنارا لكل أمرهم فقالوا : يا هو ، لأن لفظة هو إشارة بعين المشار إليه بشرط أن لا يحضر هناك شيء سوى ذلك الواحد ، والمقربون لا يخطر في عقولهم وأرواحهم موجود آخر سوى الذي دلت عليه إشارته ، وهو اسم مركب من حرفين وهما : الهاء والواو ، والهاء أصل والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية ، والجمع في هما وهم ، والأصل حرف واحد يدل على الواحد الفرد. انتهى ما نقل عن بعض من عاصرناه في هو بالنسبة إلى الله تعالى مقررا لما ذكروه ومعتقدا لما حبروه. ولهم في لفظة أنا وأنت وهو كلام غريب جدا بعيد عما تكلم عليها به أهل اللغة والعربية ، وحديث هؤلاء المنتمين إلى هذه العلوم لم يفتح لي فيه ببارقة ، ولا ألممت فيه إلى الآن بغادية ولا طارقة ، نسأل الله تعالى أن ينور بصائرنا بأنوار الهداية ، وأن يجنبنا مسالك **الغواية** ، وأن يلهمنا إلى طريق الصواب ، وأن يرزقنا اتباع الأمرين النيرين : السنة والكتاب.جزء : ١ رقم الصفحة : ١١٨." (١)

"وذكروا في هذه الآيات أنواعا من الفصاحة وعلم البيان ، منها في آية الكرسي : حسن الافتتاح لأنها افتتحت بأجل أسماء الله تعالى ، وتكرار اسمه في ثمانية عشر موضعا ، وتكرير الصفات ، والقطع للجمل بعضها عن بعض ، ولم يصلها بحرف العطف. والطباق : في قوله ﴿الحى القيوما لا تأخذه سنة ولا نوم﴾

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٠٩/١

فإن النوم موت وغفلة ، والحي القيوم يناقضه. وفي قوله : ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون﴾ والتشبيه : في قراءة من قرأ ﴿وسع كرسيه السماوات والارض﴾ أي كوسع ، فإن كان الكرسي جرما فتشبيه محسوس بمحسوس ، أو معنى فتشبيه معقول بمحسوس.ومعدول الخطاب في ﴿لا إكراه فى الدين﴾ إذا كان المعنى لا تكرهوا على الدين أحدا. والطباق : أيضا في قوله ﴿قد تبين الرشد من الغى﴾ وفي قوله : ﴿الكفر وكفروا ﴾ وفي قوله ﴿من الظلمات إلى النور﴾ والتكرار : في الإخراج لتباين تعليقهما ، والتأكيد : بالمضمر في قوله : ﴿هم فيها خالدون﴾ .وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة الإشارة إلى الرسل المذكورين في قوله : ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ وأخبر تعالى أنه فضل بعضهم على بعض ، فذكر أن ﴿منهم من كلم الله﴾ وفسر بموسى عليه السلام ، وبدىء به لتقدمه في الزمان ، وأخبر أنه ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ وفسر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ثالثا عيسى بن مريم ، فجاء ذكر رسولالله صلى الله عليه وسلم وسطا بين هذين النبيين العظيمين ، فكان كواسطة العقد ، ثم ذكر تعالى أن اقتتال المتقدمين بعد مجيء البينات هو صادر عن مشيئته.ثم ذكر اختلافهم وانقسامم إلى مؤمن وكافر ، وأنه تعالى يفعل ما يريد ، ثم أمر المؤمنين بالإنفاق مما رزقهم من قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه توسيل بصداقة ولا شفاعة.ثم ذكر أن الكافرين هم المجاوزون الحد الذي حده الله تعالى ، ثم ذكر تعالى أنه هو المتوحد بالإلهية ، وذلك عقيب ذكر الكافرين. وذكرا أتباع موسى عليهما السلام.جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٧١ثم سرد صفاته العلا وهي التي يجب أن تعتقد في الله تعالى من كونه واحدا حيا قائما بتدبير الخلق ، لا يلحقه آفة ، مالكا للسموات والأرض ، عالما بسرائر المعلومات ، لا يعلم أحد شيئا من علمه إلا بما يشاء هو تعالى ، وذكر عظيم مخلوقاته ، وأن بعضها ، وهو الكرسي ، يسع السموات والأرض ، ولا يثقل ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض.ثم ذكر أنه بعد وضوح صفاته العلا ف ﴿لا إكراه فى الدين﴾ إذ قد تبينت طرق الرشاد من طرق الغواية ، ثم ذكر أن من كفر بالطاغوت وآمن بالله فهو مستمسك بالعروة الوثقى ، عروة الإيمان ، ووصفها بالوثقى لكونها لا تنقطع ولا تنفصم ، واستعار للإيمان عروة إجراء للمعقول مجرى المحسوس ، ثم ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، وأن الكافرين أولياؤهم الأصنام٢٨٤والشياطين ، وهم على العكس من المؤمنين . ثم أخبر عن الكفار أنهم أصحاب النار وأنهم مخلدون فيها والحالة هذه ، والله أعلم بالصواب.جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٧١بهت : تحير ودهش ، ويكون متعديا على وزن فعل ، ومنه : فتبهتهم ، ولازما على وزن فعل كظرف وفعل كدهش ، والأكثر في اللازم الضم وحكي عن بعض العرب : بهت بفتح الهاء لازما ، ويقال بهته وباهته واجهه بالكذب ، وفي

الحديث أن اليهود قوم بهت.الخاوي : الخالي ، خوت الدار تخوى خوى غير ممدود ، وخويا ، والأولى أفصح ، ويقال خوى البيت انهدم لأنه بتهدمه يخلو من أهله ، والخوى : الجوع : لخلو البطن من الغذاء ، وخوت المرأة وخويت خلا جوفها عند الولادة ، وخويت لها تخوية علمت لها خوية تأكلها ، وهي طعام. والخوي على وزن فعيل : البطن السهل من الأرض ، وخوي البعير جافى بطنه عن الأرض في مبركه ، وكذلك الرجل في سجوده قال الراجز : خوى على مستويات خمسكركرة وثفنات ملسالعرش : سقف البيت ، وكل ما يهيأ ليظل أو يكن فهو عريش الدالية ، وقال تعالى : ﴿ومما يعرشون﴾ وفي الحديث لما أمر ببناء المسجد قالوا : نبنيه لك بنيانا قال : "لا بل عرش كعرش أخي موسى" فوضعوا النخل على الحجارة وغشوه بالجريد وسعفه ، وقيل : العرش البنيان قال الشاعر : جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٨٥إن يقتلونك فقد ثللت عروشهمبعتيبة بن الحارث بن شهابمائة : اسم لرتبة من العدد معروفة ، ويجمع على مئات ومئين ، وهي مخففة محذوفة اللام ، ولا مهاياء ، فالأصل مئية ، ويقال : أمأيت الدراهم إذا صيرتها ، وأمأت هي ، أي : صارت مائة.." (١)

"﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ قال ابن عباس ومقاتل : هو الشرع. وقال أبو سليمان الدمشقي : أخبار الأولين والآخرين. وذكر الماوردي : الكتاب والحكمة ، وذكر أيضا مقدار نفسك النفيسة. وقيل : خفيات الأمور ، وضمائر الصدور التي لا يطلع عليها إلا يوحي. وقال القفال : يحتمل وجهين : أحدهما : أن يراد ما يتعلق بالدين كما قال تعالى : ﴿ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان﴾ وعلى هذا التقدير : وأطلعك على أسرار الكتاب والحكمة ، وعلى حقائقهما ، مع أنك ما كنت عالما بشيء ، فكذلك بفعل بك في مستأنف أيامك ، لا يقدر أحد من المنافقين على إضلالك ولا على استزلالك. الثاني : ما لم تكن تعلم من أخبار القرون السالفة ، فكذلك يعلمك من حيل المنافقين وكيدهم ما لا يقدر على الاحتراز منه انتهى. وفيه بعض تلخيص. والظاهر العموم ، فيشمل جميع ما ذكروه. فالمعنى : الأشياء التي لم تكن تعلمها. لولا إعلامه إياك إياها.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤١﴿وكان فضل الله عليك عظيما﴾ قيل : المنة بالإيمان. وقال أبو سليمان : هو ما خصه به تعالى. وقال أبو عبدالله الرازي : هذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف الفضائل والمناقب. وذلك أن الله تعالى ما أعطى الخلق من العلم إلا قليلا ، ونصيب الشخص من علوم الخلائق يكون قليلا ، ثم إنه سمى ذلك القليل عظيما.وتضمنت هذه الآيات أنواعا منم الفصاحة والبيان والبديع. منها الاستعارة في : وإذا ضربتم في الأرض ، وفي : فيميلون استعار الميل للحرب. والتكرار

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢١٢/٢

في : جناح ولا جناح لاختلاف متعلقهما ، وفي : فلتقم طائفة : ولتأت طائفة ، وفي : الحذر والأسلحة ، وفي : الصلاة ، وفي : تألمون ، وفي : اسم الله. والتجنيس المغاير في : فيميلون ميلة ، وفي : كفروا إن الكافرين ، وفي : تختانون وخوانا ، وفي : يستغفروا غفورا. والتجنيس المماثل في : فأقمت فلتقم ، وفي : لم يصلوا فليصلوا ، وفي : يستخفون ولا يستخفون ، وفي : جادلتم فمن يجادل ، وفي : يكسب ويكسب ، وفي : يضلوك وما يصلون ، وفي : وعلمك وتعلم. قيل : والعام يراد به الخاص في : فإذا قضيتم الصلاة ظاهره العموم ، وأجمعوا على أن المراد بها صلاة الخوف خاصة ، لأن السياق يدل على ذلك ، ولذلك كانت أل فيه للعهد انتهى. وإذا كانت أل للعهد فليس من باب العام المراد به الخاص ، لأن أل للعموم وأل للعهد فهما قسيمان ، فإذا استعمل لأحد القسيمين فليس موضوعا للآخر. والإبهام في قوله : بما أراك الله وفي : ما لم تكن تعلم. وخطاب عين ويراد به غيره وفي : ولا تكن للخائنين خصيما فإنه صلى الله عليه وسلم محروس بالعصمة أن يخاصم عن المبطلين. والتتميم في قوله : وهو معهم للإنكار عليهم والتغليظ لقبح فعلهم لأن حياء الإنسان ممن يصحبه أكثر من حيائه وحده ، وأصل المعية في الإجرام ، والله تعالى منزه عن ذلك ، فهو مع عبده بالعلم والإحاطة. وإطلاق وصف الإجرام على المعاني فقد احتمل بهتانا. والحذف في مواضع.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٧٣٤١النجوى مصدر كالدعوى يقال : نجوت الرجل أنجوه نجوى إذا ناجيته. قال الواحدي : ولا تكون النجوى إلا بين اثنين. وقال الزجاج : النجزى ما انفرد به الجماعة ، أو الإثنان سرا كان وظاهرا انتهى. وقال ابن عطية : المسارة ، وتطلق النجوى على القوم المتناجين ، وهو من باب قوم عدل وصف بالمصدر. وقال الكرماني : نجوى جمع نجي ، وتقدم الكلام في هذه المادة ، وتكرر هنا لخصوصية البنية.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٧مريد من مرد ، عتا وعلا في الحذاقة ، وتجرد للشر والغواية. وقال ابن عيسى : وأصله التملس ، ومن شجرة مرداء أي ملساء تناثر ورقها ، وغلام أمرد لا نبات بوجهه ، وصرح ممرد مملس لا يعلق به شيء لملاسته ، والمارد الذي لا يعلق بشيء من الفضائل. البتك : الشق والقطع ، بتك يبتك ، وبتك للتكثير ، والبتك القطع واحدها بتكة. قال الشاعر : حتى إذا ما هوت كف الوليد لهاطارت وفي كفه من ريشها بتكمحيص : مفعل من حاص يحيص ، زاغ بنفور ومنه : فحاصوا حيصة حمر الوحش. وقول الشاعر : ولم ندر أن حصنا من الموت حيصةكم العمر باق والمدا متطاولويقال جاض بالجيم والضاد المعجمة والمحاص مثل المحيص. قال الشاعر : تحيص من حكم المنية جاهداما للرجال عن المنون محاصوفي المثل : وقعوا في حيص بيص. وحاص باص إذا وقع فيما لا يقدر على التخلص منه ، ويقال : حاص يحوص حوصا وحياصا إذا نفر وزايل المكان الذي فيه.

والحوص في العين ضيق مؤخرها. الخليل : فعيل من الخلة ، وهي الفاقة والحاجة. أو من الخلة وهي صفاء المودة ، أو من الخلل. قال ثعلب : سمى خليلا لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللا إلا ملأته. وأنشد قول بشار : قد تخللت مسلك الروح منيوبه سمي الخليل خليلا." (١)

"سورة الأعرافبسم الله الرحمن الرحيمجزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٣جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٤كم اسم بسيط لا مركب من كاف التشبيه وما الاستفهامية حذف ألفها لدخول حرف الجر عليها وسكنت كما قالوا لم تركيبا لا ينفك كما ركبت في كأين مع أي وتأتي استفهامية وخبرية وكثيرا ما جاءت الخبرية في القرآن ولم يأت تمييزها في القرآن إلا مجرورا بمن وأحكامها في نوعيها مذكورة في كتب النحو. القيلولة نوم نصف النهار وهي القائلة قاله الليث ، وقال الأزهري الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر ولم يكن نوم ، وقال الفراء : قال : يقيل قيلولة وقيلا وقائلة ومقيلا استراح وسط النهار. العيش الحياة عاش يعيش عيشا ومعاشا وعيشة ومعيشة ومعيشا. قال رؤبة :إليك أشكو شدة المعيشوجهد أيام نتفن ريشيغوى يغوي غيا وغواية فسد عليه أمره وفسد هو في نفسه ومنه غوى الفصيل أكثر من شرب لبن أمه حتى فسد جوفه وأشرف على الهلاك ، وقيل أصله الهلاك ومنه ﴿فسوف يلقون غيا﴾ .الشمائل٢٦٤جمع وهو جمع تكسير وجمعه في القلة على أشمل قال الشاعر :يأتي لها من أيمن وأشملوشمال يطلق على اليد اليسرى وعلى ناحيتها ، والشمائل أيضا جمع شمال وهي الريح والشمائل أيضا الأخلاق يقال هو حسن الشمائل. ذأمه عابه يذأمه ذأما بسكون الهمزة ويجوز إبدالها ألفا قال الشاعر :صحبتك إذ عيني عليها غشاوةفلما انجلت قطعت نفسي أذيمهاوفي المثل لن يعدم الحسناء ذأما. وقيل : أردت أن تديمه فمدحته ، وقال الليث ذأمته حقرته ، وقال ابن قتيبة وابن الأنباري : ذأمه وذمه ، دحره أبعده وأقصاه دحورا قال الشاعر :دحرت بني الحصيب إلى قديدوقد كانوا ذوي أشر وفخروسوس تكلم كلاما خفيا يكرره والوسواس صوت الحلي شبه الهمس به وهو فعل لا يتعدى إلى منصوب نحو ولولت ووعوع. قال ابن الأعرابي : رجل موسوس ، بكسر الواو ، ولا يقال : موسوس بفتحها. وقال غيره : يقال موسوس له وموسوس إليه. وقال رؤبة يصف صيادا :وسوس يدعو مخلصا رب الفلقلما دنا الصيد دنا من الوهقجزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٤يقول لما أحس بالصيد وأراد رميه وسوس في نفسه أيخطىء أم يصيب. قال الأزهري : وسوس وورور معناهما واحد ، نصح بذل المجهود في تبيين الخير وهو ضد غش ويتعدى بنفسه وباللام نصحت زيدا ونصحت لزيد ويبعد أن يكون يتعدى لواحد بنفسه ولآخر بحرف الجر وأصله نصحت لزيد ، من قولهم نصحت لزيد الثوب بمعنى خطته

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٨٣/٣

خلافا لمن ذهب إلى ذلك. ذاق الشيء يذوقه ذوقا مسه بلسانه أو بفمه ويطلق على الأكل. طفق ، بكسر الفاء وفتحها ، ويقال : طبق بالباء وهي بمعنى أخذ من أفعال المقاربة. خصف الفعل وضع جلدا على جلد وجمع بينهما بسير والخصف الخرز. الريش معروف وهو للطائر ويستعمل في معان يأتي ذكرها في تفسير المركبات واشتقوا منه قالوا راشه يريشه ، وقيل الريش مصدر راش. النزع الإزالة والجذب بقوة ﴿الاماصا *كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر بها وذكرى للمؤمنين﴾ هذه السورة مكية كلها قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد والضحاك وغيرهم ، وقال مقاتل إلا قوله ﴿وسالهم عن القرية﴾ إلى قوله : ﴿من ظهورهم﴾ فإن ذلك مدني وروي هذا أيضا عن ابن عباس.٢٦٥وقيل إلى قوله : ﴿المصلحين * وإذ نتقنا﴾ واعتلاق هذه السورة بما قبلها هو أنه لما ذكر تعالى قوله ﴿وهاذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ واستطرد منه لما بعده وإلى قوله آخر السورة ﴿وهو الذى جعلكم خلئاف الارض﴾ وذكر ابتلاءهم فيما آتاهم وذلك لا يكون إلا بالتكاليف الشرعية ذكر ما يكون به التكاليف وهو الكتاب الإلهي وذكر الأمر باتباعه كما أمر في قوله ﴿وهاذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه﴾ وتقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة أوائل السورة في أول البقرة وذكر ما حدسه الناس فيها ولم يقم دليل على شيء من تفسيرهم يعين ما قالوا وزادوا هنا لأجل الصاد أن معناه أنا الله أعلم وأفصل رواه أبو الضحى عن ابن عباس أو المصور قاله السدي : أو الله الملك النصير قاله بعضهم أو أنا الله المصير إلي ، حكاه الماوردي أو المصير كتاب فحذف الياء والراء ترخيما وعبر عن المصير بالمص قاله التبريزي. وقيل عنه : أنا الله الصادق. وقيل معناهجزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٤." (١)

"﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين﴾ . لما كان امتناعه من السجود لسبب ظهور شفوقه على آدم عند نفسه قابلة الله بالهبوط المشعر بالنزول من علو إلى أسفل والضمير في منها لم يتقدم له مفسر يعود عليه ، فقيل : يعود على الجنة وكان إبليس من سكانها ، وقال ابن عباس : كانوا في جنة عدن لا في جنة الخلد وخلق آدم من جنة عدن ، وقال ابن عطية : أهبط أولا وأخرج من الجنة وصار في السماء لأن الأخبار تظافرت أنه أغوى آدم وحواء من خارج الجنة ثم أمر آخرا بالهبوط من السماء مع آدم وحواء والحية وهذا كله بحسب ألفاظ القصة والله أعلم انتهى ، وقيل : يعود على السماء ، قال الزمخشري : فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين ، وقيل : يعود على الأرض فكأنه كان له ملكها

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٢١٥

أمره أن يهبط منها إلى جزائر البحار فسلطانه فيها فلا يدخل الأرض إلا كهيئة السارق يخاف فيها حتى يخرج منها وهذا يحتاج إلى صحة نقل ، وقيل : يعود على صورته التي كان فيها لأنه افتخر أنه من النار فشوهت صورته بالإظلام وزوال إشراقه قاله أبو روق ، وقيل : عائد على المدينة التي كان فيها ذكره الكرماني ويحتاج إلى تصحيح نقل ، وقيل يعود على المنزلة والرتبة الشريفة التي كان فيها في محل الاصطفاء والتقريب إلى محل الطرد والتعذيب ومعنى فما يكون لك لا يصح لك أو لا يتم أو لا ينبغي بل التكبر منهي عنه في كل موضع ، وقيل : هو على حذف معطوف دل عليه المعنى التقدير فيها ولا في غيرها ، وقيل المعنى ما للمتكبر أن يكون فيها وكرر معنى الهبوط بقوله فاخرج لأن الهبوط منها خروج ولكنه أخبر بصغاره وذلته وهو أنه جزاء على تكبره قوبل بالضد مما اتصف به وهو الصغار هو ضد التكبر والتكبر تفعل منه لأنه خلق كبيرا عظيما ولكنه هو الذي تعاطى الكبر ومن كلام عمر ومن تكبر وعدا طوره رهصه الله إلى الأرض.﴿قال أنظرنى إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين﴾ هذا يدل على إقراره بالبعث وعلمه بأن آدم سيكون له ذرية ونسل يعمرون الأرض ثم يموتون وإن منهم من ينظر فيكون طلبه الإنظار بأن يغويهم ويوسوس إليهم فالضمير في يبعثون عائد على ما دل عليه المعنى إذ ليس في اللفظ ما يعود عليه وحكمة استنظاره وإن كان ذلك سبب للغواية والفتنة إن في ذلك ابتلاء تالعباد بمخالفته وطواعيته وما يترتب على ذلك من إعظام الثواب بالمخالفة وإدامة العقاب بالطواعية وأجابه تعالى بأنه من المنظرين أي من المؤخرين ولم يأت هنا بغاية للانتظار وجاء مغيا في الحجر وفي ص بقوله ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ ويأتي تفسيره في الحجر إن شاء الله ، ومعنى من المنظرين من الطائفة التي تأخرت أعمارها كثيرا حتى جاءت آجالها على اختلاف أوقاتها فقد شمل تلك الطائفة انظار وإن لم يكونوا أحياء مدة الدهر ، وقيل من المنظرين جمع كثير مثل قوم يونس.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٤﴿قال فبمآ أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ الظاهر أن الباء للقسم وما مصدرية ولذلك تلقيت الالية بقوله : لأقعدن ، قال٢٧٤الزمخشري وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفا من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا لسعادة الأبد ، فكان جديرا أن يقسم به انتهى ، وقيل : الباء للسبب أي بسبب إغوائك إياي وعبر ابن عطية عنها بأن يراد بها معنى المجازاة قال : كما تقول فبإكرامك لي يا زيد لأكرمنك قال وهذا أليق بالقصة ، قال الزمخشري ، (فإن قلت) : بم تعلقت الباء فإن تعليقها بلأقعدن تصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لأمرن (قلتلله تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره ﴿فبمآ أغويتنى﴾ أقسم بالله ﴿لاقعدن﴾ أي بسبب إغوائك أقسم انتهى ، وما ذكره من أن اللام تصد عن تعلق الباء بلأقعدن ليس حكما مجمعا عليه بل في ذلك خلاف ، وقيل : ما استفهامية كأنه استفهم عن

السبب الذي أغواه وقال بأي شيء أغويتني ثم ابتدأه مقسما فقال : لأقعدن لهم وضعف بإثبات الألف في ما الاستفهامية ، وذلك شاذ أو ضرورة نحو قولهم عما تسأل فهذا شاذ والضرورة كقوله : على ما قام يشتني لئيم." (١)

"﴿وناداهما ربهمآ ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكمآ إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ لما كان وقت النداء شرف بالتصريح باسمه في النداء فقيل ويا آدم اسكن وحين كان وقت العتاب أخبر أنه ناداه ولم يصرح باسمه والظاهر أنه تعالى كلمهما بلا واسطة ويدل على أن الله كلم آدم ما في تاريخ ابن أبي خيثمة أنه عليه السلام سئل عن آدم فقال : نبي مكلم ، وقال الجمهور : إن٢٨٠النداء كان بواسطة الوحي ويؤيده أن موسى عليه السلام هو الذي خص من بين العالم بالكلام وفي حديث الشفاعة أنهم يقولون له أنت الذي خصك الله بكلامه وقد يقال : إنه خصه بكلامه وهو في الأرض وأما آدم فكان ذلك له في الجنة وقد تقدم لنا في قوله منهم من كلم الله إن منهم محمدا كلمه الله ليلة الإسراء ولم يكلمه في الأرض فيكون موسى مختصا بكلامه في الأرض ، وقيل : النداء لآدم على الحقيقة ولم يرو قط أن الله كلم حواء والنداء هو دعاء الشخص باسمه العلم أو بنوعه أو بوصفه ولم يصرح هنا بشيء من ذلك والجملة معمولة لقول محذوف أي قائلا : ألم أنهكما وهو استفهام معناه العتاب على ما صدر منهما والتنبيه على موضع الغفلة في قوله ﴿حيث شئتما ولا تقربا هاذه الشجرة﴾ إشارة لطيفة حيث كان مباحا له الأكل قارا ساكنا أشير إلى الشجرة باللفظ الدال على القرب والتمكن من الأشجار فقيل : ﴿ولا تقربا هاذه الشجرة﴾ وحيث كان تعاطى مخالفة النهي وقرب إخراجه من الجنة واضطراب حاله فيها وفر على وجهه فيها قيل : ألم أنهكما عن تلكما فأشير إلى الشجرة باللفظ الدال على البعد والإنذار بالخروج منها ﴿وأقل لكمآ﴾ إشارة إلى قوله تعالى : ﴿فقلنا يا اادم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ وهذا هو العهد الذي نسيه آدم على مذهب من يحمل النسيان على بابه﴾. قال ابن عباس بين العداوة حيث أبي السجود وقال . قال ابن عباس بين العداوة حيث أبي السجود وقال ﴿لاقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ روى أنه تعالى قال لآدم : ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف كاذبا قال فوعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال إلا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وعجن وخبز ، وقرأ أبي ألم تنهيا عن تلكما الشجرة وقيل لكما.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٦٤﴿قالا ربنا ظلمنآ أنفسنا وإن لم تغفر

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٢٣/٤

لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ قال الزمخشري وسميا ذنبهما وإن كان صغيرا مغفورا ظلما وقالا ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات ، وقال ابن عطية اعتراف من آدم وحواء عليهما السلام وطلب للتوبة والستر والتغمد بالرحمة فطلب آدم هذا وطلب إبليس النظرة ولم يطلب التوبة فوكل إلى رأيه ، قال الضحاك : هذه الآية هي الكلمات التي تلقى آدم من ربه ، وقيل : سعد آدم بخمسة أشياء اعترف بالمخالفة وندم عليها ، ولام نفسه وسارع إلى التوبة ولم يقنط من الرحمة ، وشقي إبليس بخمسة أشياء لم يقر بالذنب ، ولم يندم ، ولم يسلم نفسه بل أضاف إلى ربه **الغواية** ، وقنط من الرحمة ، و﴿لنكونن﴾ جواب قسم محذوف قبل ﴿ءان﴾ كقوله و﴿وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن﴾ التقدير والله إن لم يغفر لنا وأكثر ما تأتي إن هذه ولام التوطئة قبلها كقوله ﴿لان لم ينته﴾ ثم قال : لنغرينك بهم. ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوا ولكم فى الارض مستقر ومتاع إلى حين﴾ تقدم تفسير هذا في البقرة. ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ . هذا كالتفسير لقوله ﴿ولكم فى الارض مستقر ومتاع إلى حين﴾ أي بالحياة إلى حين الموت ولذلك جاء قال بغير واو العطف إذ الأكثر في لسان العرب إذا لم تكن الجملة تفسيرية أو كالتفسيرية أن تعطف على الجملة قبلها فتقول قال فلان كذا ، وقال كذا وتقول زيد قائم وعمرو قاعد ويقل في كلامهم قال فلان كذا قال كذا وكذلك يقل زيد قائم عمرو قاعد وهنا جاء ﴿قال اهبطوا ﴾ الآية ﴿قال فيها تحيون﴾ لما كانت كالتفسير لما قبلها وتمم هنا المقصود بالتنبيه علي البعث والنشور بقوله ﴿ومنها تخرجون﴾ أي إلى المجازاة بالثواب والعقاب وهذا كقوله ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ . وقرأ الأخوان وابن ذكوان تخرجون مبنيا للفاعل هنا وعن ابن ذكوان في أول٢٨١الروم خلاف ، وقرأ باقي السبعة مبنيا للمفعول.." (١)

"وقرأ ابن وثاب والأعمش : ﴿وإلى ثمود﴾ بكسر الدال والتنوين مصروفا في جميع القرآن جعله اسم الحي والجمهور منعوه الصرف جعلوه اسم القبيلة والأخوة هنا في القرابة ، لأن نسبه ونسبهم راجع إلى ثمود بن جاثر وكل واحد من هؤلاء الأنبياء نوح وهود وصالح تواردوا على الأمر بعبادة الله والتنبيه على أنه لا إله غيره إذ كان قومهم عابدي أصنام ومتخذي آلهة مع الله كما كانت قريش والعرب ففي هذه القصص توبيخهوم وتهديدهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك من الهلاك المستأصل من العذاب وكانت قصة نوح مشهورة طبقت الآفاق وقصة هود وصالح مشهورة عند العرب وغيرهم بحيث ذكرها قدماء الشعراء في الجاهلية وشبهوا مفسدي قومهم بمفسدي قوم هود وصالح قال بعض قدمائهم في الجاهلية : فينا معاشر

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٢٢٩

لن يبغوا لقومهموإن بنى قومهم ما أفسدوا عادواأضحوا كقيل بن عنز في عشيرتهإذا أهلكت بالذي سدى لها عادأو بعده كقدار حين تابعهعلى **الغواية** أقوام فقد بادواوقيل ابن عنز هو من قوم هود وسيأتي ذكر خبره عند ذكر إرسال الريح على قوم هود إن شاء الله وقدار هو ابن سالف عاقر ناقة صالح ويأتي خبره إن شاء الله.﴿قد جآءتكم بينة من ربكم﴾ أي آية ظاهرة جلية وشاهد على صحة نبوتي وكثر استعمال هذه الصفة استعمال الأسماء في القرآن فوليت العوامل كقوله حتى جاءتهم البينة وقوله ﴿بالبينات والزبر﴾ والمعنى الآية البينة وبالآيات البينات فقارب أن تكون كالأبطح والأبرق إذ لا يكاد يصرح بالموصول معها وقوله ﴿قد جآءتكم بينة من ربكم﴾ كأنه جواب لقولهم ﴿جئتنا ببينة﴾ تدل على صدقك وأنك مرسل إلينا و﴿من ربكم﴾ متعلق بجاءتكم أو في موضع الصفة لآية على تقدير محذوف أي من آيات ربكم.جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤﴿هاذها ناقة الله لكم ءاية﴾ لما أبهم في قوله ﴿قد جآءتكم بينة من ربكم﴾ بين ما الآية فكأنه قيل له ما البينة قال ﴿هاذها ناقة الله﴾ وأضافها إلى الله تشريفا وتخصيصا نحو بيت الله وروح الله ولكونه خلقها بغير واسطة ذكر وأنثى ولأنه لا مالك لها غيره ولأنها حجة على القوم ولما أودع فيها من الآيات ذكرها في قصة قوم صالح و﴿لكم﴾ بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها كأنه قال ﴿لكم﴾ خصوصا وانتصب ﴿ءاية﴾ على الحال والعامل فيها ها بما فيها من معنى التنبيه أو اسم الإشارة بما فيه من معنى الإشارة أو فعل مضمر تدل عليه الجملة كأنه قيل انظر إليها في حال كونها آية أقوال ثلاثة ذكرت في علم النحو ، وقال الحسن هي ناقة اعترضها من إبلهم ولم تكن تحلب ، وقال الزجاج : قيل إنه أخذ ناقة من سائر النوق وجعل الله لها شربا يوما ولهم شرب يوم وكانت الآية في شربها وحلبها ، قيل : وجاء بها من تلقاء نفسه ، وقال الجمهور : هي آية مقترحة لما حذرهم وأنذرهم سألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا قل صالح نعم فخرج معهم فدعوا أوثانهم وسألوها الإجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو بن جواس وأشار إلى صخرة منفردة من ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء وعشراء ، والمخترجة ما شاكلت البحت من الإبل فأخذ صالح عليه السلام مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا : نعم فصلى ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت فانصدعت عن ناقة كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم وريان

ابن كاهنهم وكانوا من أشراف ثمود وهذه الناقة وسقبها مشهور قصتهما عند جاهلية العرب وقد ذكروا السقب في أشعارهم. قال بعضهم يصف ناسا قتلوا بمعركة حرب بأجمعهم : كأنهم صابت عليهم سحابةصواعقها كالطير هن دبيبجزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٤رغى فوقهم سقب السماء فداحضبشكته لم يستلب وسليبقال أبو موسى الأشعري : أتيت أرض ثمود فذرعت صدر الناقة فوجدته ستين ذراعا.." (١)

"﴿وأزلفت الجنة﴾ : قربت لينظروا إليها ويغتبطوا بحشرهم إليها. ﴿وبرزت الجحيم﴾ : أظهرت وكشفت بحيث كانت بمرأى منهم كقوله : ﴿فلما رأوه زلفة سيائت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم بها تدعون * قل﴾ ، وذلك على سبيل التوبيخ. هل ينفعونكم بنصرهم إياكم ، أو ينتصرون هم فينفعون أنفسهم بحمايتها ، إذ هم وأنتم وقود النار ؟ وقرأ الأعمش : فبرزت بالفاء ، جعل تبريز الجحيم بعد تقريب الجنة يعقبه ، وذلك لأن الواو للجمع ، فيمكن أن يكون كل واحد منهما ظهوره قبل الآخر ، وهو من تقديم الرحمة على العذاب ، وهو حسن ، لو أن رسم المصحف بالواو. وقرأ مالك بن دينار : ﴿وبرزت﴾ بالفتح والتخفيف ؛ ﴿الجحيم﴾ بالرفع ، بإسناد الفعل إليها اتساعا. ولما وبخهم وقرعهم ، أخبر عن حال يوم القيامة ، وجيء في ذلك كله بلفظ الماضي في أتى وأزلفت وبرزت. وقيل : ﴿فكبكبوا ﴾ ، لتحقق وقوع ذلك ، وإن كان لم يقع. والضمير في : فكبكبوا عائد على الأصنام ، أجريت مجرى من يعقل. قال الكرماني : فكبكبوا : قذفوا فيها. وقيل : جمعوا. وقيل : هدروا. وقيل : نكسوا على رؤوسهم بموج بعضهم في بعض. وقيل : ألقوا في جهنم ينكبون مرة بعد مرة حتى يستقروا في قعرها. ﴿والغاوان﴾ : هم الكفرة الذين شملتهم **الغواية**. وقيل : الضمير يعود على الكفار ، والغاوون : الشياطين. ﴿وجنود إبليس﴾ : قبيلة ، وكل من تبعه فهو جند له وعون. وقال السدي : هم مشركو العرب ، والغاوون : سائر المشركين. وقيل : هم القادة والسفلة ، قالوا : أي عباد الأصنام ، والجملة بعده حال ، والمقول جملة القسم ومتعلقه ، والخطاب في ﴿نسويكم﴾ للأصنام على جهة الإقرار والاعتراف بالحق. قال ابن عطية : أقسموا بالله إن كنا إلا ضالين في أن نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله تعالى ، الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم. انتهى. وقوله : إن كنا إلا ضالين ، إن أراد تفسير المعنى فهو صحيح ، وإن أراد أن هنا نافية ، واللام في لفي بمعنى إلا ، فليس مذهب البصريين ، وإنما هو مذهب الكوفيين. ومذهب البصريين في مثل هذا أن إن هي المخففة من الثقيلة ، وأن اللام هي الداخلة للفرق بين إن النافية وإن التي هي لتأكيد مضمون الجملة.جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢﴿ومآ أضلنآ إلا المجرمون﴾ : أي أصحاب الجرائم والمعاصي العظام والجرأة ، وهم ساداتهم ذوو المكانة في

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٢٦٦

الدنيا والاستتباع كقولهم : ﴿أطعنا سادتنا وكبرآءنا فأضلونا السبيلا﴾ . وقال السدي : هم الأولون الذين اقتدوا بهم. وقيل : المجرمون : الشياطين ، وقيل : من دعاهم إلى عبادة الأصنام من الجن والإنس. وقال ابن جريج : إبليس وابن آدم القاتل ، لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي. وحين رأوا شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء نافعة في أهل الإيمان ، وشفاعة الصديق في صديقه خاصة ، قالوا على جهة التلهف والتأسف ، ﴿فما لنا من شافعِين * ولا صديق حميم﴾ . وقال ابن جريج : شافعين من٢٧الملائكة وصديق من الناس. ولفظة الشفيع تقتضي رفعة مكانة عند المشفوع عنده ، ولفظة الصديق تقتضي شدة مساهمة ونصرة ، وهو فعيل من صدق الود من أبنية المبالغة ونفي الشفعاء. والصديق يحتمل أن يكون نفيا لوجودهم إذ ذاك ، وهم موجودون للمؤمنين ، إذ تشفع الملائكة وتتصادق المؤمنون ، كما قال : الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ، أو ذلك على حسب اعتقادهم في معبوداتهم أنهم شفعاؤهم عند الله ، وأن لهم أصدقاء من الإنس والشياطين ، فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع ، لأن ما لا ينفع ، حكمه حكم المعدوم ، فصار المعنى : فما لنا من نفع من كنا نعتقد أنهم شفعاء وأصدقاء ، وجمع الشفعاء لكثرتهم في العادة. ألا ترى أنه يشفع فيمن وقع في ورطة من لا يعرفه ، وأفرد الصديق لقلته ، وأريد به الجمع ؟ إذ يقال : هم صديق ، أي أصدقاء ، كما يقال : هم عدو ، أي أعداء. والظاهر أن لو هنا أشربت معنى التمني ، وفتكون الجواب ، كأنه قيل : يا ليت لنا كرة فنكون. وقيل : هي الخالصة للدلالة لما كان سيقع لوقوع غيره ، فيكون قوله : ﴿فنكون﴾ معطوفا على كرة ، أي فكونا من المؤمنين ، وجواب لو محذوف ، أي لكان لنا شفعاء وأصدقاء ، أو لخلصنا من العذاب. والظاهر أن هذه الجمل كلها متعلقة بقول إبراهيم ، أخبر بما أعلمه الله من أحوال يوم القيامة ، وما يكون فيها من حال قومه.." (١)

"٦٠٢ثم إستغفر إلى الله تعالى فقال عز وجل " فقال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له " يعني غفر الله عز وجل ذنبه " إنه هو الغفور " للذنوب لمن تاب " الرحيم " بخلقهسورة القصص ١٧ - ٢٢ثم قال " قال " موسى " رب بما أنعمت علي " يعني بالمغفرة كقوله " فبما أغويتني " [الحجر : ٣٩] يعني أما إذا أغويتني ثم قال " فلن أكون ظهيرا للمجرمين " يعني أعوذ بالله أن أكون معينا للكافرين لأن الإسرائيلي كان كافرا ولم يستثن على كلامه فابتلاه الله عز وجل في اليوم الثاني بمثل ذلك وكانوا لا يعرفون من قتل خباز الملك وكانوا يطلبون قاتله " فأصبح " موسى " في المدينة خائفا " أن يؤخذ فيقتل " يترقب " يعني ينتظر الطلب ويقال ينتظر الأخبار " فإذا الذي إستنصره بالأمس يستصرخه " يعني رأى الإسرائيلي

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١٩/٧

كان يقاتل مع رجل آخر من القبط يستصرخه يعني يستغيثه كقوله " ما أنا بمصرخكم " [إبراهيم : ٢٢] يعني بمغيثكم " قال له موسى " يعني للإسرائيلي " إنك لغوي مبين " يعني ضال بين ويقال جاهل بين ويقال ظاهر **الغواية** وقد قتلت لك الأمس رجلا وتدعوني إلى لآخر ثم أقبل إليه فظن الذي من شيعته أنه يريده فذلك قوله تعالى " فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما " يعني يريد أن يضرب القبطي فظن الإسرائيلي أنه يريده بعدها عاينه قرأ أبو جعفر المدني " يبطش " بضم الطاء وقراءة العامة بالكسر ومعناهما واحد فظن الإسرائيلي أن موسى يريد ضربه ف " قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس " وقال بعضهم كان ذلك إبليس تشبه بالرجل الإسرائيلي ليظهر أمر موسى وقال بعضهم كان ذلك الرجل بعينه فقال ذلك الرجل من الخوف " إن تريد " يعني ما تريد " إلا أن تكون جبارا في الأرض " يعني قتالا تقتل ظلماقال الكلبي من قتل رجلين فهو جبار ويقال إن من سيرة الجبابرة القتل بغير حق " وما تريد أن تكون من المصلحين " يعني المطيعين لله تعالى فلما قال الإسرائيلي هذا علم القبطي أن موسى هو قاتل القبطي فرجع القبطي فأخبرهم أن موسى هو القاتل فائتمروا بينهم بقتل موسى قال فأذن فرعون بقتله فجاءه خزبيل وهو مؤمن من آل فرعون وأخبر موسى بذلك." (١)

"ص : ٥٧وروي أن عليا رحمه الله كان يقرأ : مثال الجنة أو أمثال الجنة، وهو بمنزلة مثل ، إلا أنه أوضح وأقرب في أفهام الناس إلى المعنى الذي تأولناه في مثل.ونحوه قوله : محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ثم قال : ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل [الفتح : ٢٩] أي ذلك وصفهم ، لأنه لم يضرب لهم مثلا في أول الكلام ، فيقول : ذلك مثلهم وإنما وصفهم وحلاهم ، ثم قال : ذلك مثلهم أي وصفهم.وقوله : يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ثم قال : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له [الحج : ٧٣] ، ولم يأت بالمثل ، لأن في الكلام معناه ، كأنه قال : يا أيها الناس ، مثلكم مثل من عبد آلهة اجتمعت لأن تخلق ذبابا لم تقدر عليه ، وسلبها الذباب شيئا فلم تستنقذه منه.ومثل هذا في القرآن وكلام العرب أشياء قد اقتصصناها في (أبواب المجاز).وأما قوله : وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب (٤٠) [الرعد : ٤٠]. فإنه لم يرد أن عليك البلاغ بعد الوفاة كما ظنوا ، وإنما أراد :إن أريناك بعض الذي نعدهم في حياتك ، أو توفيناك قبل أن نريك ذلك – فليس عليك إلا أن تبلغ ، وعلينا أن نجازي.ومثل هذا : رجل بعثته واليا وقلت له : سر

---

(١) بحر العلوم ـ موافق للمطبوع، ٢/٦٠٢

إلى بلد كذا فادعهم ، فإن استجابوا لك فأحسن فيهم السيرة ، وابسط المعدلة ، وإن عصوك فعظهم وحذرهم عقاب المعصية ، فإن أقاموا على **الغواية** أعلمتني ليأتيهم النكير. فصار إليهم فمانعوه ، ووعظهم فخالفوه ، وأقام حينا مستبطئا ما أوعدتهم به ، فقلت : إن أريناك ما وعدناهم من العقوبة أو عزلناك قبل أن نريك ذلك – فليس لك أن تستبطئنا ، إنما عليك التبليغ والعظة ، وعلينا الجزاء والمكافأة.وأما قوله : فأذاقها الله لباس الجوع والخوف [النحل : ١١٢].وقوله : وبلغت القلوب الحناجر [الأحزاب : ١٠].وقوله : كما أخرجك ربك من بيتك بالحق [الأنفال : ٥].وقوله : سنسمه على الخرطوم (١٦) [القلم : ١٦].فقد ذكرنا الجواب عن ذلك في (باب المجاز) ، وكرهنا إعادته في هذا الموضع وستراه هناك كافيا ، إن شاء الله.." (١)

"ص : ٨٣وقال جميل «١» :أقدر أمرا لست أدري : أناله ؟ وما يقدر الإنسان ؟ فالله قادروقال ابن الدمينة «٢» :زوروا بنا اليوم سلمى أيها النفر ونحن لما يفرق بيننا القدروقال الفرزدق «٣» :ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوارولو ضنت بها كفي ونفسي لكان علي للقدر الخياروقال القس «٤» :قد كنت أعذل في السفاهة أهلها فاعجب لما تأتي به الأيامفاليوم أعذرهم ، وأعلم أنما سبل **الغواية** والهدى أقساموقال ابن أحمر حين سقي بطنه «٥» :شربنا وداوينا ، وما كان ضرنا إذا الله حم القدر – ألا نداوياوقال الشماخ «٦» :وإني عداني عنكما غير ماقت نواران مكتوب علي بغاهماأي حاجتان عسيرتان. والنوار : النفور. مكتوب علي أي مقدور علي طلبهما.وقال الأعشى «٧» :________________(١) البيت من الطويل ، وهو في ديوان جميل بن معمر (جميل بثينة) ص ٨٢.(٢) البيت من البسيط ، وهو في ديوان ابن الدمينة ص ٤٨.(٣) البيتان من الوافر ، وهما في ديوان الفرزدق ١/ ٢٩٤. والبيت الأول في لسان العرب (كسع) ، وتاج العروس (كسع) ، وتهذيب اللغة ١/ ٢٩٩.ويروى صدر البيت الثاني : ولو رضيت يداي بها وضنت والبيت بهذا اللفظ في الخصائص ١/ ٢٥٨ ، والمحتسب ٢/ ١٨١ ، والمقرب ١/ ٢٥٢.(٤) البيتان من الكامل ، ولم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.(٥) البيت من الطويل ، وهو لعبد الله بن أحمر في ديوانه ص ١٧٢ ، والشعر والشعراء ١/ ٣١٦ ، وعيون الأخبار ٣/ ٢٧٤.(٦) البيت من الطويل ، وهو في ديوان الشماخ ص ٨٨ ، والمعاني الكبير ٢/ ٨٧١.(٧) يروى البيت بلفظ :في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعلوالبيت من البسيط ، وهو للأعشى في ديوانه ص ١٠٩ ، والأزهية ص ٦٤ ، والإنصاف ص ١٩٩ ، وتخليص الشواهد ص ٣٨٢ ، وخزانة الأدب ٥/

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٥٧

٤٢٦ ، ٨/ ٣٩٠ ، ١٠/ ٣٩٣ ، ١١/ ٣٥٣ ، ٥٤٣ ، والدرر ٢/ ١٩٤ ، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٧٦ ، والكتاب ٢/ ١٣٧ ، ٣/ ٧٤ ، ١٦٤ ، ٤٥٤ ، والمحتسب ١/ ٣٠٨ ، ومغني اللبيب ١/ ٣١٤ ، والمقاصد النحوية ٢/ ٢٨٧ ، والمنصف ٣/ ١٢٩ ، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١٠/ ٣٩١ ، ورصف المباني ص ١١٥ ، وشرح المفصل ٨/ ٧١ ، والمقتضب ٣/ ٩ ، وهمع الهوامع ١/ ١٤٢.." (١)

"تحسينه الاقتصار على التوراة بسبب أنه دين اتفق الكل على أنه حق ، بسبب أنه جاء في التوارة : وتمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض ، فيكون المراد من خطوات الشيطان الشبهات التي يتمسكون بها في بقاء تلك الشريعة. قال ابن عباس : نزلت الآية في أهل الكتاب ، والمعنى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا﴾ بموسى وعيسى " ادخلوا " في الإسلام بمحمد - صلى الله عليه وسلم - كافة ". وروى " مسلم " عن أبي هريرة ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ، ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " ورابعها : أن المراد بهذا الخطاب المسلمون ، والمعنى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا﴾ دوموا على الإسلام فيما بقي من العمر ولا تخرجوا عنه ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي : ولا تلتفتوا إلى الشبهات التي يلقيها إليكم أصحاب الضلالة والغواية. قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية : الإسلام ثمانية أسهم : الصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصدقة سهم ، والحج سهم ، والعمرة سهم ، والجهاد سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، وقد خاب من لا سهم له. فإن قيل : المؤمن الموصوف بالشيء يقال له : دم عليه ، ولا يقال له : ادخل فيه ، والمذكور في الآية هو قوله : " ادخلوا ". فالجواب : الكائن في الدار إذا علم أن له في المستقبل خروجا عنها ، فلا يمتنع أن يؤمر بدخولها في المستقبل ، وإن كان في الحال كائنا فيها ؛ لأن حال كونه فيها غير الحالة التي أمر أن يدخل فيها ، فإذا كان في الوقت الثاني قد يخرج عنها ، صح أن يؤمر بدخولها. وقال آخرون : المراد بـ " السلم " في الآية الصلح ، وترك المحاربة والمنازعة ، والتقدير : " يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة " أي : كونوا مجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ بأن يحملكم على طلب الدنيا ، والمنازعة مع الناس ، فهو كقوله : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال : ٤٦] ، وقوله : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران : ١٠٣].٤٧٧قوله تعالى : ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي : لا تطعوه فيما يدعوكم إليه ، وتقدم الكلام على خطواته. وقوله : ﴿إنه لكم عدو مبين﴾. قال أبو مسلم : مبين من صفات البليغ الذي يعرب

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص/٨٣

عن ضميره. قال ابن الخطيب : ويدل على صحة هذا المعنى قوله ﴿حما والكتاب المبين﴾ [الدخان : ١ – ٢] ولا يعنى بقوله " مبين " إلا ذلك. فإن قيل : كيف وصف الشيطان بأنه مبين مع أنا لا نرى ذاته ، ولا نسمع كلامه ؟ فالجواب أنه تعالى لما بين عداوته لآدم ونسله ، فلذلك الأمر صح أن يوصف بأنه عدو مبين ، وإن لم يشاهد ؛ مثاله : من يظهر عداوته لرجل في بلد بعيد فقد يصح أن يقال : إن فلانا عدو مبين لك وإن لم يشاهده في الحال. قال ابن الخطيب : وعندي فيه وجه آخر ، وهو : أن الأصل في الإبانة القطع ، والبيان إنما سمي بيانا لهذا المعنى فإنه يقطع بعض الاحتمالات عن بعض ، فوصف الشيطان بأنه مبين بيانه : أنه يقطع الملكف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه. فإن قيل : كون الشيطان عدوا لنا ، إما أن يكون بسبب أنه يقصد إيصال الآلم والمكاره إلينا في الحال ، أو بسبب أنه بوسوسته يمنعنا عن الدين والثواب ، والأول باطل إذ لو كان كذلك لوقعنا في الأمراض والآلم وليس كذلك. والثاني – أيضا – باطل ؛ لأن منء قبل منه تلك الوسوسة فإنه أتي من قبل نفسه ؛ لقوله : ﴿وما كان لنآ أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل﴾ [إبراهيم : ١١] وإذا كان الحال على ما ذكرناه ، فكيف يقال إنه عدو لنا ؟ فالجواب : أنه عدو من الوجهين معا أما من حيث أنه يحاول إيصال البلاء إلينا ، فهو كذلك إلا أن الله تعالى منعه عن ذلك ، ولا يلزم من كونه مريدا لإيصال الضرر إلينا أن يكون قادرا عليه ، وأما من حيث إنه يقدم على الوسوسة ، فمعلوم أن تزيين المعاصي وإلقاء الشبهات ، كل ذلك لوقوع الإنسان في الباطل وبه يصير محروما عن الثواب. قوله تعالى : " فإن زللتم " الجمهور على " زللتم " : بفتح العين ، وأبو السمال قرأها٤٧٨." (١)

"وطائفة قالوا مسي ومذنبقوله : ﴿من الغي﴾ متعلق بتبين ، و " من " للفصل ، والتمييز كقولك : ميزت هذا من ذاك. وقال أبو البقاء : " في موضع على أنه مفعول " وليس بظاهر ؛ لأن معنى كونه مفعولا به غير لائق بهذا المحل. ولا محل لهذه الجملة من الإعراب ؛ لأنها استئناف جار مجرى التعليل لعدم الإكراه في الدين. والتبيين : الظهور والوضوح ، بان الشيء ، واستبان ، وتبيين : إذا ظهر ووضح ومنه المثل : تبين الصبح لذي عينين. قال ابن الخطيب : وعندي أن الإيضاح ، والتعريف ، إنما سمي بيانا ؛ لأنه يوقع الفصلة ، والبينونة بين المقصود وغيره. والغي : مصدر غوى بفتح العين قال : ﴿فغوى ﴾ [طه : ١٢١] ، ويقال : " غوى الفصيل " إذا بشم ، وإذا جاع أيضا ، فهو من الأضداد. وأصل الغي : " غوي " فاجتمعت الياء والواو ، فأدغمت نحو : ميت وبابه. والغي : نقيض الرشد : يقال : غوى يغوي ، غيا ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٦٥٩

وغواية إذا سلك خلاف طريق الرشد. فصل في معنى " الدين " في الآية قال القرطبي : المراد " بالدين " في هذه الآية الكريمة المعتقد ، والملة بدليل قوله ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة ، لا يعيش لها ولد ، فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فإذا عاش ولدها جعلته في اليهودية. فلما جاء الإسلام ، وفيهم منهم ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار ، فأرادت الأنصار استردادهم ، وقالوا : أبناؤنا وإخواننا ، فنزلت : ﴿لا إكراه في الدين﴾ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قد خير الله أصحابكم ، فإن اختاروكم فهم منكم ، وإن اختاروهم ، فأجلوهم معهم ". وقال مجاهد : كان ناس مسترضعين في اليهود من الأوس ، فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإجلاء بني النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم : لنذهبن معهم ولندينن بدينهم ، ٣٢٨فمنعهم أهلوهم وأكرهوهم على الإسلام فنزلت ﴿لا إكراه في الدين...﴾. وقال مسروق : كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان متنصران قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما ، وقال لا أدعكما حتى تسلما فأبيا أن يسلما فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر ، فأنزل الله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾ ، فخلى سبيلهما. وقال قتادة وعطاء : نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية ، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب ، فلم يقبل منهم إلا الإسلام , فلما أسلموا طوعا ، أو كرها ؛ أنزل الله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾ ؛ فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا ، أو يقروا بالجزية ، فمن أعطى منهم الجزية ، لم يكره على الإسلام. وقال ابن مسعود كان هذا في ابتداء الإسلام ، قبل أن يؤمر بالقتال ، فصارت منسوخة بآية السيف. ومعنى ﴿تبين الرشد من الغي﴾ ، أي : تميز الحق من الباطل ، والإيمان من الكفر ، والهدى من الضلالة بالحجج والآيات الظاهرة. قوله : ﴿بالطاغوت﴾ متعلق بـ " يكفر " ، والطاغوت بناء مبالغة كالجبروت والملكوت. واختلف فيه ، فقيل : هو مصدر في الأصل ، ولذلك يوحد ويذكر ، كسائر المصادر الواقعة على الأعيان ، وهذا مذهب الفارسي ، وقيل : هو اسم جنس مفرد ، فلذلك لزم الإفراد والتذكير ، وهذا مذهب سيبويه رحمه الله. وقيل هو جمع ، وهذا مذهب المبرد ، وهو مؤنث لقوله تعالى ﴿والذين كفروا اا أوليآؤهم الطاغوت﴾ [البقرة : ٢٥٧] قال أبو علي الفارسي : وليس الأمر كذلك ، لأن " الطاغوت " مصدر كالرغبوت ، والرهبوت ، والملكوت ، فكما أن هذه الأسماء آحاد ، كذلك هذا الاسم مفرد ، وليس بجمع ومما يدل على أنه مصدر مفرد وليس بجمع

قوله تبارك وتعالى : ﴿أوليآؤهم الطاغوت﴾ ، فأفرد في موضع الجمع ، كما يقال هم رضا ، وهم عدل انتهى. وهو مؤنث لقوله تعالى ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ [الزمر : ١٧].٣٢٩." [1]

"به ، أو مشارك فيه ، وربما أتى بعد ضمير مخاطب ". الوجه الرابع : نصبه على القطع ، أي إنه كان من حقه أن يرتفع ؛ نعتا لله تعالى بعد تعريفه بـ " أل " والأصل : شهد الله القائم بالقسط ، فلما نكر امتنع إتباعه ، فقطع إلى النصب ، وهذا مذهب الكوفيين ، ونقله بعضهم عن الفراء - وحده - ، ومنه عندهم قول امرئ القيس : ١٣٧١ - ....وعالين قنوانا من البسر أحمراوقد تقدم ذلك محققا. الأصل : " من البسر الأحمر " ويؤيد هذا قراءة عبد الله " القائم بالقسط " - برفع القائم ؛ تابعا للفظ الجلالة - وخرجه الزمخشري وغيره على أنه بدل من " هو " أو خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو القائم. قال أبو حيان : ولا يجوز ذلك ؛ لأن فيه فصلا بين البدل والمبدل منه بأجنبي ، وهو المعطوفان ؛ لأنهما معمولان لغير العامل في المبدل منه ، ولو كان العامل في المعطوف هو العامل ف يالمعطوف لم يجز ذلك - أيضا - ؛ لأنه إذا اجتمع العطف والبدل قدم البدل على العطف. لو قلت : جاء زيد وعائشة أخوك ، لم يجز ، إنما الكلام : " جاء زيد أخوك وعائشة ". فيحصل في رفع " القائم " - على هذه القراءة - ثلاثة اوجه : النصب ، والبدل ، وخبر مبتدأ محذوف. ونقل عن عبد الله - أيضا - أنه قرأ " قائم بالقسط " - بالتنكير ، ورفعه من وجهي البدل ، وخبر المبتدأ. وقرأ أبو حنيفة : " قيما " - بالنصب على ما تقدم - . فهذه أربعة أوجه محررة من كلام القوم. والظاهر أن رفع ﴿والملائكة وأولوا العلم﴾ عطف على لفظ الجلالة. وقال بعضهم : الكلام تم عند قوله : ﴿لا إلاه إلا هو﴾ ، وارتفع " الملائكة " بفعل مضمر ، تقديره : وشهد الملائكة وأولو العلم بذلك ، وكأن هذا المذهب يرى أن شهادة الله مغايرة لشهادة الملائكة وأولي العلم ، ولا يجيز إعمال المشترك في معنييه ، فاحتاج من٩٩أجل ذلك إلى إضمار فعل يوافق هذا المنطوق لفظا ، ويخالفه معنى ، وهذا نظير قوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب : ٥٦] كما قدمناه. قال الزمخشري : " فإن قلت : هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة ، وأولي العلم ، كما دخلت الوحدانية ؟ قلت : نعم ، إذا جعلته حالا من " هو " أونصبا على المدح منه ، أو صفة للمنفي ، كأنه قيل : شهد الله والملائكة ، وأولو العلم أنه لا إله إلا هو ، وأنه قائم بالقسط ". فصل معنى " قائما بالقسط " أي : قائما بتدبير الخلق ، كما يقال : فلان قائم بأمر فلان ، أي مدبر له ، رزاق ، مجاز بالأعمال ، والمراد بالقسط : العدل. قال ابن الخطيب : وهذا

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٨٥٣

العدل منه ما هو متصل بباب الدنيا ، ومنه ما هو متصل بباب الدين أما المتصل بالدنيا فانظر – أولا – في كيفية خلقه أعضاء الإنسان ؛ حتى تعرف عدل الله – تعالى – فيها ، ثم انظر إلى اختلاف أحوال الخلق في الحسن والقبح ، والغنى والفقر ، والصحة والسقم ، وطول العمر وقصره ، واللذة والآلام ، واقطع بأن كل ذلك عدل من الله ، وحكمة وصواب ، ثم انظر في كيفية خلق العناصر ، وأجرام الأفلاك ، وتقدير كل واحد منها بقدر معين ، وخاصية معينة ، واقطع بأن كل ذلك حكمة وصواب. وأما ما يتصل بأمر الدين فانظر إلى اختلاف الخلق في العلم والجهل ، والفطانة والبلادة ، والهداية **والغواية** ، واقطع بأن كل ذلك عدل وقسط. قوله تعالى : ﴿لا إله إلا هو﴾ في هذه الجملة وجهان : الأول : أنها مكررة للتوكيد ، قال الزمخشري : " فإن قلت : لم كرر قوله : ﴿لا إله إلا هو﴾ ؟ قلت : ذكره – أولا – للدلالة على اختصاصه بالوحدانية ، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة ، ثم ذكره – ثانيا – بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل ؛ للدلالة على اختصاصه بالأمرين ، كأنه قال : لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين ، ولذلك قرن به قوله تعالى : ﴿العزيز الحكيم﴾ ؛ لتضمنها معنى الوحدانية والعدل ". وقال بعضهم : ليس بتكرير ؛ لأن الأول شهادة الله – تعالى – وحده. والثاني : شهادة الملائكة وأولي العلم ، وهذا عند من يرفع " الملائكة " بفعل آخر مضمر – كما ذكرنا – من أنه لا يرى إعمال المشترك ، وأن الشهادتين متغايرتان ، وهو مذهب مرجوح. وقال الراغب : " إنما كرر ﴿لا إله إلا هو﴾ ؛ لأن صفات التنزيه أشرف من صفات التمجيد ؛ لأن أكثرها مشارك – في ألفاظها – العبيد ، فيصح وصفهم بها ، ولذلك وردت ألفاظ في حقه أكثر وأبلغ ". وقال بعضهم : " فائدة هذا التكرار الإعلام بأن المسلم يجب أن يكون – أبدا – في ١٠٠." (١)

"آية أخرى : ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [ص : ٨٢] يدل على أنه أضاف إغواء العباد غلى نفسه ، فالأول دل على مذهب أهل الجبر ، والثاني يدل على مذهب [أهل] القدر ، وهذا يدل على أنه طكان متحيرا في هذه المسألة. وقد يقال : إنه كان معتقدا بأن الإغواء لا يحصل إلا بالمغوي فجعل نفسه مغويا لغيره من الغاوين ثم زعم أن المغوي له هو الله – تعالى – قطعا للتسلسل. واختلفوا في تفسير هذه الكلمة ، فقال أهل السنة : الإغواء إيقاع الغي في القلب ، والغي هو الاعتقاد الباطل ، وذلك يدل على أنه كان يعتقد أن الحق والباطل أنما يقع في القلب من الله. وأما المعتزلة فلهم ههنا مقامات. أحدها : أن يفسروا الغي بما ذكرناه ، ويعتذروا عنه بوجوه. منها : أن قالوا : هذا قول إبليس ، فهب أن إبليس اعتقد أن خالق الغي ، والجهل ، والكفر هو الله ، إلا أن قول إبليس ليس بحجة. ومنها قالوا : إنه تعالى لما أمره بالسجود

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٠٠٨

لآدم ؛ فعند ذلك ظهر غيه وكفره ، فجاز أن يضيف ذلك إلى الله – تعالى – لهذا المعنى ، وقد يقول القائل : لا تحملني على ضربك أي : لا تفعل ما أضربك عنده. ومنها : أن قوله ﴿رب بما أغويتني﴾ أي : لعنتني ، والمعنى أنك لما لعنتني بسبب آدم ؛ فأنا لأجل هذه العداوة ؛ ألقي الوساوس في قلوبهم. المقام الثاني : أن يفسروا الإغواء بالهلاك ، ومنه قوله تعالى : ﴿فسوف يلقون غيا﴾ [مريم : ٥٩] أي : هلاكا وويلا ، ومنه أيضا قولهم : غوى الفصيل يغوي غوى ؛ إذا أكثر من اللبن حتى يفسد جوفه ويشارف الهلاك والعطب. وفسروا قوله تعالى : ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ [هود : ٣٤] إن كان الله يريد أن يهلككم بعنادكم للحق. فهذا جميع الوجوه المذكورة. قال ابن الخطيب : ونحن لا نبالغ في بيان أن المراد من الإواء في هذه الآية الإضلال ؛ لأن حاصله يرجع إلى قول إبليس ، وإنه ليس بحجة إلا أنا نقيم البرهان اليقيني على أن المغوي لإبليس هو الله – تعالى – وذلك ؛ لأن الغاوي لا بد له من مغو ، والمغوي له إما أن يكون نفسه ، أو مخلوقا آخر ، أو الله – تعالى – والأول باطل ؛ لأن٤٠ العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية ، والثاني أيضا باطل ، وإلا لزم إما التسلسل وإما اغلدور ، والثالث هو المقصود. فصل في المراد من الإقعاد المراد من قوله : ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أنه يواظب على الإفساد مواظبة لا يفتر عنها ، ولهذا المعنى ذكر القعود ؛ لأن من أراد المبالغة في تكميل أمر من الأمور قعد حتى يصير فارغ البال ، فيمكنه إتمام المقصود. ومواظبته على الإفساد ، هي مواظبته على الوسوسة بحيث لا يفتر عنها. قال المفسرون : معنى ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي : بالصد عنه وتزيين الباطل ؛ حتى يهلكوا كما هلك ، أو يضلوا كما ضل ، أو يخيبوا كما خاب. فإن قيل : هذه الآية دلت على أن إبليس كان عالما بالدين الحق ؛ لأنه قال ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ وصراطه المستقيم هو دينه الحق ، ودلت أيضا على أن إبليس كان عالما بأن الذي هو عليه من الاعتقاد هو محض الغواية والضلال لأنه لو لم يكن كذلك لما قال : ﴿رب بمآ أغويتني﴾ [الحجر : ٣٩] ، وإذا كان كذلك فكيف يمكن أن يرضى إبليس بذلك المذهب مع علمه بكونه ضلالا وغواية ، وبكونه مضادا للدين الحق ، ومنافيا للصراط المستقيم ، فإن المرء إنما يعتقد الاعتقاد الفاسد إذا غلب على ظنه كونه حقا ، فأما من علم أنه باطل وضلال وغواية يستحيل أن يختاره ، ويرضى به ، ويعتقده. فالجواب : أن من الناس من قال : إن كفر إبليس كفر عناد لا كفر جهل ، ومنهم من قال : كفره كفر جهل. وقوله : ﴿فبمآ أغويتني﴾ ، وقوله : ﴿لأقعدن لهم صراطك

المستقيم﴾ يريد به في زعم الخصم ، وفي اعتقاده. فصل في بيان هل على الله رعاية المصالح احتج أهل السنة بهذه الآية على أنه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه١٤ ." (١)

"وفي غضون كلام الزمخشري : " إذا عرف الله " وهذا لا يجوز ؛ لأن الله تعالى لا يسند إليه هذا الفعل ولا يوصف بمعناه ، وقد تقدم علة ذلك في غضون كلام أبي حيان وللمعتزلي أن يقول : لا يتعين أن تكون " إن " شرطية بل هي نافية ، والمعنى : " ما كان الله يريد أن يغويكم ". قال شهاب الدين : لا اظن أحدا يرضى بهذه المقالة. فصل دلت هذه الآية على أن الله – تبارك وتعالى – قد يريد الكفر من العبد ، فإذا أراد اله منه ذلك امتنع صدور الإيمان منه ؛ لأن نوحا – عليه الصلاة والسلام – قال : ﴿ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾. قال شهاب الدين : لا أظن أحدا يرضى بهذه المقالة. فصل دلت هذه الآية على أن الله – تبارك وتعالى – قد يريد الكفر من العبد ، فإذا أراد الله منه ذلك امتنع صدور الإيمان منه ؛ لأن نوحا – عليه الصلاة والسلام – قال : ﴿ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾. قالت المعتزلة : ظاهر الآية يدل على أن الله تعالى إذا أراد إغواء القوم لم ينتفعوا بنصح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا مسلم ، فإنا نعلم أن الله – تعالى – لو أراد إغواء عبد فإنه لا ينفعه نصح الناصحين ، لكن لم قلتم إنه تعالى أراد هذا الإغواء ، والنزاع ما وقع إلا فيه ؟ بل نقول إن نوحا – عليه الصلاة والسلام – إنما ذكر هذا الكلام ليدل على أنه تعالى ما أغواهم ، بل فوض الاختيار إليهم ، وبيانه من وجهين : الأول : أنه تعالى لو أراد إغواءهم لما بقي في النصح فائدة ، ولو لم يكن فيه فائدة لما أمره بنصح الكفار ، وأجمع المسلمون على أنه مأمور بدعوة الكفار ونصيحتهم ، فعلمنا أن هذا النصح لا يخلو من الفائدة ، وإن لم يكن خاليا عن الفائدة وجب القطع بأنه تعالى ما أغواهم. الثاني : لو ثبت الحكم عليهم بأن الله تعالى أغواهم ؛ لصار هذا عذرا لهم في عدم الإتيان بالإيمان ولصار نوح منقطعا في مناظرتهم ؛ لأنهم يقولون له : إنك سلمت أن الله تعالى إذا أغوانا فإنه لا يبقى في نصحك ، ولا في اجتهادك فائدة ؛ فإذا ادعيت أن الله تعالى أغوانا ؛ فقد جعلتنا مغلوبين ، فلم يلزمنا قبول هذه الدعوة ؛ فثبت أن الأمر لو كان كما قاله الخصم ؛ لصار هذا حجة للكافر على نوح – عليه الصلاة والسلام – ؛ فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية لا تدل على قول المجبرة ، ثم إنهم ذكروا تأويلات : الأول : أن أولئك الكفار مجبرة ، وكانوا يقولون إن كفرهم بإرادة الله ؛ فعند هذا قال نوح – عليه الصلاة والسلام – إن نصيحتي لا تنفعكم إن كان الأمر كما تقولون. ومثاله : أن يعاقب الرجل ولده على ذنبه ، فيقول الولد

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٢٩٦٢

: لا أقدر على غير ما أنا عليه ؛ فيقول الوالد : فلن ينفعك إذن نصحي ، وليس المراد أنه يصدقه على ما ذكره ، بل على وجه الإنكار لذلك. الثاني : قال الحسن : معنى " يغويكم " أي : يعذبكم والمعنى : لا ينفعكم نصحي٤٧٨اليوم إذا نزل بكم العذاب ؛ فأمنتم في ذلك الوقت ؛ لأن الإيمان عند نزول العقاب لا يقبل وإنما ينفعكم نصحي إذا آمنتم قبل مشاهدة العذاب. الثالث : قال الجبائي : **الغواية** هي الخيبة من الطلب بدليل قوله : ﴿فسوف يلقون غيا﴾ [مريم : ٥٩] ، أي : خيبة من خير الآخرة ؛ قال الشاعر : [الطويل] ٢٩٦٦ - ....ومن يغو لا يعدم على الغيي لائماجزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٦٥." (١)

"قال الزمخشري : زعم بعضهم " فغوى " فبشم من كثرة الأكل ، وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا ، فيقول في فني ، وبقي : فنا وبقا ، وهم بنو طيئ تفسير خبيث. قال شهاب الدين : كأنه لم يطلع على أنه قرئ بكسر الواو ، ولو اطلع عليها لردها ، وقد فر القائل بهذه المقالة من نسبة آدم - عليه السلام - إلى الغي. فصل تمسك بعضهم بقوله : ﴿وعصى ءادم ربه فغوى ﴾ في صدور الكبيرة عنه من وجهين : أحدهما : أن العاصي اسم للذم فلا يطلق إلا على صاحب الكبيرة ، ولقوله تعالى : ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيهآ﴾ [الجن : ٢٣] ولا معنى لصاحب الكبيرة إلا من فعل فعلا يعاقب عليه. الثاني : أن **الغواية** والضلالة اسمان مترادفان ، والغي ضد الرشد ، ومثل هذا لا يتناول إلا الفاسق المنهمك في فسقه. وأجيب عن الأول : بأن المعصية مخالفة الأمر ، والأمر قد يكون بالواجب وبالندب ، فإنك تقول : أمرته فعصاني ، وأمرته بشرب الدواء فعصاني وإذا كان كذلك لم يمتنع إطلاق اسم العصيان على آدم بكونه تاركا للمندوب فأجاب المستدل بأنا قد بينا أن ظاهر القرآن يدل على أن العاصي يستحق العقاب ، والعرف يدل على أنه اسم ذم ، فوجب تخصيص اسم العاصي بتارك الواجب ، ولأنه لو كان تارك المندوب عاصيا لوجب وصف الأنبياء بأسرهم بأنهم عصاة ، لأنهم لا ينفكون من ترك المندوب. فإن قيل : وصف تارك المندوب بأنه عاص مجاز والمجاز لا يطرد.٤١٠قلنا : لما سلمت كونه مجازا فالأصل عدمه ، وأما قوله : يقال أمرته بشرب الدواء فعصاني ، قلنا : لا نسلم أن هذا الاستعمال مروي عن العرب ، ولئن سلمنا ذلك لكنهم إنما يطلقون ذلك إذا أجزموا عليه بالفعل. وحينئذ يكون معنى الإيجاب حاصلا ، وإن لم يكن الوجوب حاصلا ، وذلك يدل على أن لفظ العصيان لا يجوز إطلاقه إلا عند تحقق الإيجاب ، لكنا أجمعنا على أن الإيجاب من الله تعالى يقتضي الوجوب ، فيلزم أن يكون

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٢٨٤٩

إطلاق لفظ العصيان على آدم – عليه السلام – إنما كان لكونه تاركا للواجب ومن الناس من سلم أن الآية تدل على صدور المعصية منه ، لكنه زعم أن المعصية كانت من الصغائر لا من الكبائر ، وهذا قول عامة المعتزلة. وهذا أيضا ضعيف ، لأنا بينا أن اسم العاصي اسم للذم ، وأن ظاهره يدل على أنه يستحق العقاب ، وذلك لا يليق بالصغيرة ، وأجاب أبو مسلم : بأنه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف ، وكذا القول في " غوى ". وهذا أيضا بعيد ، لأن مصالح الدنيا مباحة ، من تركها لا يوصف بالعصيان الذي هو اسم ذم ، ولا يقال : ﴿فدلاهما بغرور﴾ [الأعراف : ٢٢]. وأما التمسك بقوله : " فغوى " فأجابوا عنه من وجوه : أحدها : أنه خاب من نعيم الجنة ، لأنه إنما أكل من الشجرة ليدوم ملكه ، فلما أكل زال ، فلما خاب سعيه قيل : إنه غوى. وتحقيقه أن الغي ضد الرشد ، والرشد هو أن يتوصل بشيء إلى شيء فيصل إلى المقصود ، ومن توصل بشيء إلى شيء فحصل ضد مقصوده كان ذلك غيا. وثانيها : قال بعضهم غوى أي : بشم من كثرة الأكل. قال ابن الخطيب : والأولى عندي في هذا الباب أن يقال : هذه الواقعة كانت قبل النبوة ، وقد تقدم شرح ذلك في البقرة. وهاهنا بحث لا بد منه ، وهو أن ظاهر القرآن وإن دل على أن آدم عصى وغوى ، ولكن ليس لأحد أن يقول : إن آدم كان عاصيا غاويا. ويدل على صحة هذا القول أمور : ٤١١." (١)

"قوله تعالى : ﴿والشعرآء يتبعهم الغاوون﴾. قد تقدم أن نافعا بتخفيف التاء ساكنة وفتح الباء في سورة الأعراف عند قوله : " لا يتبعوكم " والفرق بين المخفف والمثقل. وسكن الحسن العين ، ورويت عن أبي عمرو ، وليست ببعيدة عنه ك " ينصركم " وبابه وروى هارون عن بعضهم نصب العين ، وهي غلط ، ٩٧والقول بأن الفتحة للإتباع خطأ ، والعامة على رفع " الشعراء " بالابتداء ، والجملة بعده الخبر. وقرأ عيسى بالنصب على الاشتغال. فصل لما قال الكفار : لم لا يجوز أن يقالك الشياطين تنزل بالقرآن على محمد ، كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة ، وعلى الشعراء بالشعر ؟ ثم إنه تعالى فرق بين محمد – عليه السلام – وبين الكهنة ، ذكر ههنا ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء : بأن الشعراء يتبعهم الغاوون ، وهم : الضالون : ثم بين أن ذلك لا يمكن القول به لأمرين : الأول : ﴿أنهم في كل واد يهيمون﴾ والمراد منه : الطرق المختلفة ، كقولك : أنا في يعظمونه بعدما يستحقرونه وبالعكس وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق ، بخلاف أمر محمد – عليه السلام – فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحدة ، وهو الدعوة إلى الله ، والترغيب في الآخرة ، والإعراض عن الدنيا. والثاني : ﴿وأنهم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٦١٣

يقولون ما لا يفعلون﴾. وذلك أيضا من علامات **الغواية** ، فإنهم يرغبون في الجود ، ويرغبون عنه ، وينفرون عن البخل ويصيرون إليه ، ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم وعن واحد من أسلافهم. ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش ، وذلك يدل على **الغواية** والضلالة ، وأما محمد – عليه السلام – فإنه بدأ بنفسه ﴿فلا تدع مع الله إلاها آخر فتكون من المعذبين﴾ [الشعراء : ٢١٣] ثم بالأقرب فالأقرب فقال : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء : ٢١٤] وكل ذلك خلاف طريقة الشعراء ، فظهر بهذا البيان أن حال محمد – عليه السلام – لم يشبه حال الشعراء. قوله : " يهيمون ". يجوز أن تكون هذه الجملة خبر " أن " وهذا هو الظاهر ، لأنه محط الفائدة ، و " في كل واد " متعلق به. ويجوز أن يكون ﴿في كل واد﴾ هو الخبر ، أو نفس الجار كما تقدم في نظيره. ويجوز أن تكون الجملة خبرا بعد خبر عند من يرى تعدد٩٨الخبر مطلقا. وهذا من باب الاستعارة البليغة ، والتمثيل الرائع ، شبه جولانهم في أفانين القول ، وطرائق المدح والذم ، والتشبيب ، وأنواع الشعر بهيم الهائم في كل وجه وطريق. وقيل : أراد بـ " كل واد " أي : على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون (القوافي). والهائم : الذي : يخبط في سيره ولا يقصد موضعا معينا ، يقال هام على وجهه ، أي : ذهب والهائم : العاشق من ذلك ، والهيمان : العطشان والهيام داء يأخذ الإبل من العطش ، وجمل أهيم وناقة هيماء والجمع فيهما هيم قال تعالى : " شرب الهيم " من الرمل : اليابس ، فإنهم يخيلون فيه معنى العطش. فصل قال المفسرون : أراد شعراء الكفار ، وكانوا يهجون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذكر مقاتل أسمائهم فقال : منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، ومسافع بن عبد مناف ، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي ، وأمية بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل ، وقالوا : نحن نقول كما قال محمد ، وقالوا الشعر ، واجتمع إليهم غواة من قومهم يشمعون أشعارهم حين يهجون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ، ويروون عنهم ذلك فذلك قوله : " يتبعهم الغاوون " وهم الرواة الذين يريدون هجاء المسلمين. وقال قتادة : هم الشياطين. ثم إنه تعالى لما وصف شعراء الكفار بهذه الأوصاف استثنى شعراء المسلمين الذي كانوا يجيبون شعراء الجاهلية ، ويهجون الكفار ويكافحون عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه منهم حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك ، فقال : ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. روي عن كعب بن مالك أنه قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – " إن الله قد أنزل في الشعراء ما أنزل ، فقال : النبي صلى الله عليه وسلم – : " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نصح النبل

" وفي رواية قال له : " اهجهم فوالذي نفسي بيده هو أشد عليهم من النبل " وكان يقول لحسان : " قل فإن روح القدس معك ".٩٩." [١]

"قال شهاب الدين : وليس في الآي والبيت دلالة على وقوع " لن " موقع " لا " ، لظهور النفي فيهما من غير تقدير دعاء. فصل قال ابن عباس : ﴿بما أنعمت علي﴾ بالمغفرة ، ﴿فلن أكون ظهيرا﴾ عونا " للمجرمين ". أي : للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا ، وهو قول مقاتل ، وقال قتادة : لن أعين بعدها على خطيئة. قال ابن عباس : لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني : (وهذا ضعيف ، لأنه في اليوم الثاني ترك الإعانة ، وإنما خاف منه ذلك العدو ، فقال : ﴿إن تريد إلا أن تكون جبارا﴾ [القصص : ١٩] إلا أنه لم يقع منه).جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢٢٤قوله : ﴿فأصبح في المدينة﴾ التي قتل فيها القبطي " خائفا " الظاهر أنه خبر " أصبح " ، و " في المدينة " مفعول به ، ويجوز أن يكون حالا ، والخبر " في المدينة " ، ويضعف تمام " أصبح " أي : دخل في الصباح.٢٣٠قوله : " يترقب " يجوز أن يكون خبرا ثانيا ، وأن يكون حالا ثانية ، وأن يكون بدلا من الحال (الأولى) ، أو الخبر الأول ، أو حالا من الضمير في " خائفا " فتكون متداخلة ، ومفعول " يترقب " محذوف ، أي : يترقب المكروه ، أو الفرج ، أو الخبر : هل وصل لفرعون أم لا ؟ قوله : " فإذا " " إذا " فجائية ، و " الذي " مبتدأ وخبره إما " إذا " ف " يستصرخه " حال ، وإما " يستصرخه " ف " إذا " فضله على بابها ، و " بالأمس " معرب ، لأنه متى دخلت عليه " أل " أوأضيف أعرب ، ومتى عري منها فحاله معروف ، الحجاز يبنونه ، والتميميون يمنعونه الصرف ، كقوله : ٣٩٨١ - لقد رأيت عجبا مذ أمساعلى أنه قد بني مع " ال " ندورا ، كقوله : ٣٩٨٢ - وإني حبست اليوم والأمس قبلههإلى الشمس حتى كادت الشمس تغربيورى بكسر السين. قوله : ﴿قال له موسى ﴾ الضمير قيل للإسرائيلي ، لأنه كان سببا في الفتنة الأولى ، وقيل للقبطي ، وذلك أن موسى لما أصبح خائفا من قتل القبطي " يترقب " ينتظر سوءا ، والترقب انتظار المكروه. قال الكلبي : ينتظر متى يؤخذ به ، ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ يستغيثه ويصيح به من بعد ، قال ابن عباس : أتى فرعون فقيل له : إن بني٢٣١إسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا ، فقالوا ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه (فلا تنسبوني أن أقضي) بغير بينة ، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الد ، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا ، فاستغاثه على الفرعوني ، فصادق موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي ، فقال موسى للإسرائيلي : ﴿إنك لغوي مبين﴾ (أي : ظاهر **الغواية**). قال أهل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٣٩٤٥

اللغة : " لغوي " يجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعل ، أي : إنك لمغوي ، فإني وقعت بالأمس فيما وقعت فيه بسببك ، ويجوز أن يكون بمعنى الغاوي : قاتلت رجلا بالأمس فقتلته بسببك ، وتقاتل اليوم آخر ، وتستغيثني عليه ، وقيل : إنما قال موسى للفرعوني : ﴿إنك لغوي مبين﴾ بظلمك ، والأكثرون على الأول. قوله : ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾ الظاهر أن الضميرين لموسى ، وقيل للإسرائيلي ، والعدو : هو القبطي ، والضمير في ﴿قال يا موسى ﴾ للإسرائيلي ، كأنه توهم من موسى مخاشنة ، فمن ثم قال ذلك ، وبهذا فشا خبره وكان مشكوكا في قاتله. و " أن " تطرد زيادتها في موضعين : أحدهما : بعد لما كهذه. والثاني : قبل " لو " مسبوقة بقسم كقوله : ٣٩٨٣ – أما والله ن لو كنت حرا٣٩٨٣م – فأقسم أن لو التقينا وأنتملكان لكم يوم من الشر مظلمجزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢٣٠والعامة على " يبطش " بالكسر ، وضمها أبو جعفر ، وقيل : إن القائل " يا موسى " هو القبطي ، وكان قد عرف القصة من الإسرائيلي. قال ابن الخطيب : وهذا هو الظاهر ، لقوله : ﴿فلمآ أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى ﴾ ، فهذا٢٣٢." (١)

"يهتدوا لو أنهم كانوا يهتدون إذا رأوا العذاب ويؤكد ذلك قول ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾ [الشعراء : ٢٠١] قال ابن الخطيب : وعندي أن الجواب غير محذوف وفي تقديره وجوه : أحدها : أن الله تعالى لما خاطبهم بقوله ﴿ادعوا شركآءكم﴾ فهاهنا يشتد الخوف عليهم ويصيرون بحيث لا يرون شيئا ، فقال تعالى : ﴿ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ شيئا ولما صاروا من شدة الخوف لا يبصرون شيئا لا جرم ما رأوا العذاب. وثانيها : أن الله تعالى لما ذكر عن الشركاء وهم الأصنام الذين لا يجيبون الذين دعوهم ، قال في حقهم : ﴿ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ مشاهدين العذاب ، وكانوا من الأحياء لاهتدوا ، ولكنها ليست كذلك ، فلا جرم ما رأت العذاب فإن قيل : قوله : " ورأوا العذاب " ضمير لا يليق إلا بالعقلاء ، وكيف يصح عوده للأصنام ، قلنا : هذا كقوله : ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ ، وإنما أورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا هاهنا. وثالثها : أن يكون المراد من الرؤية رؤية القلب ، أي : والكفار علموا حقيقة هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون ، قال : وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على أن جواب " لو " محذوف ، فإن ذلك يقتضي تفكيك نظم الآية. قوله : " ويوم يناديهم " أي : يسأل الله الكفار ﴿ماذآ أجبتم المرسلين﴾ ، فعميت ، العامة على تخفيفها ، وقرأ الأعمش وجناح بن حبيش بضم العين وتشديد الميم ، وتقدمت القراءتان للسبعة في هود ، والمعنى : خفيت واشتبهت " عليهم

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٩٩٨

الأنباء " وهي الأخبار والأعذار ، وقال مجاهد : الحجج يومئذ فلا يكون لهم عذر ولا حجة ، فهم لا يستاءلون لا يجيبون وقال قتادة : لا يحتجون ، وقيل : يسكتون لا يسأل بعضهم بعضا وقرأ طلحة " لا يساءلون " بتشديد السين على إدغام التاء في السين ، كقراءة ﴿تسآءلون به والأرحام﴾ [النساء : ١].٢٨٠فصل قال القاضي : هذه الآية تدل على بطلان قول الجبرية ، لأن فعلهم لو كان خلقا من الله ويجب وقوعه بالقدر والإرادة لما عميت عليهم الأنبا ولقالوا إنما كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا بتكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك فكانت حجتهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم ، لأن الشيطان كان له أن يقول إنما أغويت بخلقك في **الغواية** ، والجواب : أن علم الله بعدم الإيمان مع وجود الإيمان متنافيان لذاتهما ، فمع العلم بعدم الإيمان إذا أمرنا بإدخال الإيمان في الوجود فقد أمرنا بالجمع بين الضدين ، واعلم أن القاضي لا يترك آية من الآيات المشتملة على المدح والذم والعقاب إلا يعيد استدلاله بها ، كما أن وجه استدلاله في الكل هذا الحرف ، فكذا وجه جوابنا حرف واحد ، وهو كما ذكرنا.جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢٧٧قوله : ﴿فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين﴾ لما بين حال المعذبين أتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة ، وزجرا عن الثبات على الكفر ، وفي " عسى " وجوه : أحدها : أنه من الكرام حقيق ، والله أكرم الأكرمين. وثانيها : أنها للترجي للتائب وطمعه ، كأنه قال : فليطمع في الفلاح. وثالثها : عسى أن يكونوا كذلك إذا داموا على التوبة والإيمان ، لجواز أن لا يدوموا. قوله : ﴿وربك يخلق ما يشآء ويختار﴾ نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا : ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف : ٣١] ، يعني الوليد بن المغيرة ، أو عروة بن مسعود الثقفي ، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم.٢٨١قوله : ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ فيه وجوه : أحدها : أن ما نافية ، فالوقف على " يختار ". والثاني : ما مصدرية أي يختار اختيارهم ، والمصدر واقع موقع المفعول ، أي مختارهم. الثالث : ان يكون بمعنى " الذي " والعائد محذوف ، أي ما كان لهم الخيرة فيه كقوله : ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى : ٤٣] أي منه ، وجوز ابن عطية أن تكون كان تامة ، ولهم الخيرة جملة مستأنفة ، قال : ويتجه عندي أن يكون ما مفعول إذا قدرنا كان التامة ، أي : إن الله يختار كل كائن ، ولهم الخيرة مستأنف معناه : تعديد النعم عليهم في اختيار الله لهم لو قبلوا. وجعل بعضهم في كان ضمير الشأن ، وأنشد : ٤٠١٤ - أمن سمية دمع العين تذريفلو كان ذا منك قبل اليوم معروف." (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٠١٧

"قوله : ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون﴾ قيل : الأتباع والرؤساء يتساءلون متخاصمون. وقيل : هم والشياطين يقولولن إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي من قبل الدين فتضلوننا عنه. قاله الضحاك ، وقال مجاهد : من الصراط الحق واليمين عبارة عن الدين والحق كما أخبر الله عن إبليس : ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمآئلهم﴾ [الأعراف : ١٧] فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فليس عليه الحق ، واليمين ههنا استعارة عن الخيرات والسعادات لأن الجانب الأيمن أفضل من الجانب الأيسر إجماعا ، ولا تباشر الأعمال الشريفة إلا باليمين ويتفاءلون بالجانب الأيمن ويسمونه البارح وكان - عليه (الصلاة و) السلام - يحب التيامن في شأنه كله وكاتب الحسنات من الملائكة على اليمين ووعد الله المحسن أن يعطيه الكتاب باليمين. وقيل : إن الرؤساء كانوا يحلفون للمستضعفين أن ما يدعونهم إليه هوا لحق فوثقوا بأيمانهم ، وقيل : عن اليمين أي عن القوة والقدرة كقوله : ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ [الحاقة : ٤٥]. قوله : ﴿عن اليمين﴾ حال من فاعل : " تأتوننا " واليمين إما الجارحة عبر بها عن القوة وإما الحلف لأن المتعاقدين بالحلف يمسح كل منهما يمين الآخر فالتقدير على الأول وتأتوننا أقوياء وعلى الثاني مقسمين حالفين. قوله : ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ وهذا جواب الرؤساء للأتباع أي ما كنتم موصوفين بالإيمان حتى يقال : إنا أزلناكم عنه وإنما الكفر من قبلكم ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ من قوة وقدرة حتى نقهركم ونجبركم " بل كنتم قوما طاغين " ضالين " فحق علينا " وجب علينا جمعيا " قول ربنا " يعني كلمة العذاب وهو قوله : ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود : ١١٩]. قوله : " إنا لذائقوا العذاب " الظاهر أنه من إخبار الكفرة المتبوعين أو الجن بأنهم ذائقون العذاب. ولا عدول في هذا الكلام وقال الزمخشري ولزمنا قول ربنا إنا لذائقون يعني وعيد الله بأنا لذائقون لعذابه لا محالة ولو حكى الوعيد كما هو لقال إنكم٢٩٥لذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل : ٤١٩١ - لقد علمت هوزان قل مالي......................جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٢٩٥ولو حكمى قولها لقال : قل مالك ، ومنه قول المحلف للحالف احلف (لأخرجن ولتخرجن ، الهمزة لحكاية الحالف ، والتاء لإقبال المحالف على المحلف. قوله : ﴿فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ أي إنما أقدمنا إغوائكم لأنا كنا موصفين في أنفسنا **بالغواية**. وفيه دقيقة أخرى كأنهم قالوا : إن اعتقدتم أن غوايتكم بسبب إغوائنا فغوايتنا إن كانت بسبب إغواء غاو آخر لزم التسلسل. وذلك محال فعلمنا أن حصول **الغواية** والرشاد ليس من قبلنا بل من قبل غيرنا. وذلك الغير هو الذي فيما قبل وهو قوله : ﴿فحق علينا قول ربنآ﴾ ثم قال تعالى بعده : ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ يعني الرؤساء والأتباع

يومئذ يسألو(ن) ويراجعو(ن) الكلام فيما بينهم ثم قال : ﴿إذا قيل لهم لا إلاه إلا الله يستكبرون﴾ أي الكفار. قال ابن عباس : الذين جعلوا لله شركاء ثم وصفهم بأنهم " إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون " يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ﴿ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ يعني النبي – صلى الله علىيه وسلم – وقرأ ابن كثير أينا لتاركوا برهمزة وياء بعدها خفيفة وألف ساكنة بلا مدة وقرأ نافع في رواية قالون وأبو عمرو كذلك ، ويمدان والباقون بهمزتين بلا مد ، ثم إنه تعالى كذبهم في ذلك الكلام بقوله : ﴿بل جآء بالحق﴾ أي جاء بالدين الحق. قوله : ﴿وصدق المرسلين﴾ أي صدقهم محمد – عليه (الصلاة و) السلام – يعني٢٩٦صدقهم فقي مجيئهم بالتوحيد ، وقرأ عبد الله صدق خفيف الدال " المرسلون " فاعلا به أي دصقوا فيما جاءوا به ثم التفت من الغيبة إلى الحضور فقال : ﴿إنكم لذآئقو العذاب الأليم﴾ [الصافات : ٣٨].جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٢٩٥قوله : ﴿إنكم لذآئقو العذاب الأليم﴾ العامة على حذف النون والجر. وقرأ بعضهم بإثباتها والنصب هو الأصل وقرأ أبان بن تغلب – عن عاصم وأبو السمال في رواية – بحذف النون والنصب أجرى النون مجرى التنوين في حذفها لالتقاء الساكنين كقوله : ﴿أحد الله الصمد﴾ [الإخلاص : ١ – ٢] (و).٤١٩٢ – ولا ذاكر الله إلا قليلا." (١)

"سورة الأحقافمكية ، وهي خمس وثلاثون آية ، وستمائة واربع واربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا.جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٣٧٦قوله تعالى : ﴿حما تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهمآ إلا بالحق وأجل مسمى﴾ تقدم الكلام على نظير ذلك.والمراد ههنا بالأجل المسمى يوم القيامة ، وهو الأجل الذين ينتهي إليه السموات والأرض وهو إشارة إلى قيامها.قوله : ﴿والذين كفروا عمآ أنذروا﴾ يجوز أن تكون " ما " مصدرية أي عن إنذارهم أو بمعنى الذي أي عن الذي أنذروه و " عن " متعلقة بالإعراض و " معرضون " خبر الموصول.٣٧٧قوله : ﴿قل أرأيتم﴾ حكم " أرأيتم ".ووقع بعد هذه " أروني " فاحتلمت وجين : أحدهما : أن تكون توكيدا لها ، ولأنهما بمعنى أخبروني ، وعلى هذا يكون المفعول الثاني (لأرأيتم) قوله " ماذا خلقوا " إلا أنه استفهام ، والمفعول الأول هو قوله : " ما تدعون ".الوجه الثاني : أن لا تكون مؤكدة لها وعلى هذا تكون المسألة من باب التنازع ، لأن " أرأيتم) يطلب ثانيا و " أروني "كذلك ، وقوله : " ماذا خلقوا : هو المتنازع فيه ، وتكون المسألة من إعمال الثاني ، والحذف من الأول.وجوز ابن عطية في " أرأيتم " أن لا يتعدى ، وجعل " ما تدعون " استفهاما معناه التوبيخ.وقال : " وتدعون " معناه تبعدون.وهذا رأي الأخفش ، وقد قال بذلك

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٢٧٢

في قوله : ﴿أيت إذ أوينآ إلى الصخرة﴾ [الكهف : ٦٣] وقد تقدم.قوله : " من الأرض " هذا بيان للإبهام الذين في قوله : " ماذا خلقوا ".قوله : " أم لهم " هذه " أم " المنقطعة ، والشرك المشاركة ، وقوله : " من قبل هذا " صفة لكتاب ◌ أي بكتاب منزل من قبل هذا ، كذا قدرها أبو البقاء ، والأحسن أن يقدر كون مطلق أي كائن من قبل هذا.قوله : " أو أثارة " العامة على أثارة ، وهي مصدر على فعالة ، كالسماحة ، **والغواية** والظلالة ومعناها البقية من قولهم : سمنت الناقة على أثارة من لحم إذا كانت سمينة ، ثم هزلت ، وبقي بقية من شحمها ثم سمنت.والأثارة غلب استعمالها في بقية الشرف ، يقال : لفلان أثارة أي بقية شرف ، وتستعمل في غير ذلك قال الراعي : ٤٤٤٩. و◌ذات أثارة أكلت عليهانباتا في أك◌مته قفاراجزء : ١٧ رقم الصفحة : ٣٧٧وقيل : اشتقاقها من أثر كذا أي أسنده.ومنه قوله عمر : " ما خلفت به ذاكرا ولا٣٧٨آثرا " أي مسندا له عن غيري.وقال الأعشى : ٤٤٥٠. إن الذي فيه تماريتمابين للسامع والآثروقيل : فيها غير ذلك.وقرأ علي وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة في آخرين : أثرة دون ألف.وهي الواحدة وتجمع على أثر ، كقترة ، وقتر.وقرأ الكسائي : أثرة ، وإثرة بضم الهمزة وكسرها مع سكون الثاء.وقتادة والسلمي بالفتح والسكون.والمعنى بما يؤثر ويروى ، أي ائتوني بخبر واحد يشضهد بصحة قولكم.وهذا على سبيل التنزيل للعلم بكذب المدعي.و " من علم " صفة لأثارة.فصل قال أبو عبيدة والفراء والزجاج أثارة من علم أي بقية.قال المبرد أثارة ما يؤثر من علم كقولك : هذا الحديث يؤثر عن فلان ، ومن هذا المعنى سيمت الأخبار والآثار ، يقال : جاء في الأثر كذا وكذا.قال الواحدي : وكلام أهل اللغة في هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال : الأول : الأثارة واشقاقها من أثرت الشيء أثيره إثارة ، كأنها بقية تستخرج فتثار.والثاني : من الأثر الذي هو الرواية.والثالث : من الأثر بمعنى العلامة.٣٧٩." (١)

"فصل هذا جواب لكلام مقدر ، كأن الكافر حين يلقى في النار يقول : ربنا أطغاني شيطاني ، فيقول الشيطان : ربنا ما أطغيته بدليل قوله تعالى : ﴿لا تختصموا لدي﴾ ؛ لأن المخاصمة تستدعي كلاما من الجانبين ونظيره قوله تعالى في سورة " ص " : ﴿قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم﴾ [ص : ٦٠] إلى قوله : ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ [ص : ٦٤]. قال الزمخشري : وهذا يدل على أن المراد بالقرين في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذي هو شهيد وقعيد ، وعلى هذا فيكون قوله : ﴿ربنا مآ أطغيته﴾ ، مناقضا لقوله : أعتدته. قال ابن الخطيب : وللزمخشري أن يجيب بوجهين : أحدهما : أن يقول (إن قول) الشيطان : أعتدته بمعنى زينت له. والثاني : أن تكون الإشارة إلى حالين ، ففي الحالة الأولى أنا فعلت به

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٥٤٠٤

ذلك إظهارا للانتقام من بني آدم وتصريحا لقوله : ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ [ص : ٨٢] ثم إذا رأى العذاب وهو معه مشترك يقول : ربنا ما أطغيته فيرجع عن مقاله عند ظهور العذاب. قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل : المراد بالقرين هنا : الملك أي يقول الكافر : رب إن الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك : ربنا ما أطغيته يعني ما زدت عليه وما كتبت إلا ما قال وعمل ﴿ولاكن كان في ضلال بعيد﴾ أي طويل لا يرجع عنه إلى الحق. فإن قيل : القائل هنا واحد وقال : ربنا ما أطغيته ولم يقل : رب وفي كثير من المواضع القائل واحد وقال : رب ، كقوله : ﴿رب أرني﴾ [البقرة : ٢٦٠] وقال نوح : ﴿رب اغفر لي﴾ [نوح : ٢٨] ﴿رب لا تذر على الأرض﴾ [نوح : ٢٦] ﴿رب السجن أحب إلي﴾ [يوسف : ٣٣] ﴿رب ابن لي عندك بيتا﴾ [التحريم : ١١] " رب فأنظرني ". فالجواب : أن في جميع تلك المواضع القائل طالب ، ولا يحسن أن يقول الطالب يا رب أعطني وإنما يحسن أن يقول : أعطنا لأن كونه : " ربا " لا يناسب تخصيص الغالب. وأما هنا فالموضع موضع هبة وعظمة وعرض حال فقال : ربنا ما أطغيته. فإن قيل : ما الوجه في اتصاف الضلال بالبعد ؟ ٣٣فالجواب : أن الضلال يكون أكثر ضلالا من الطريق فإذا تمادى في الضلال وبقي فيه مدة يبعد عن المقصد كثيرا ، وإذا عدم الضلال قصرت الطريق عن قريب فلا يبعد عن المقصد كثيرا فقوله : " ضلال بعيد " وصف للمصدر بما يوصف به الفاعل ، كما يقال : كلام صادق ، وعيشة راضية أي (و) ضلال ذو بعد والضلال إذا بعد مداه وامتد الضلال فيه فيصير بينا ويظهر الضلال لأن من حاد عن الطريق (وبعد عنه يبعد عليه الصواب ولا يرى للمقصد أثرا فبين له أنه ضل عن الطريق) وربما يقع في أودية ومفاوز تظهر له أمارات الضلال بخلاف من حاد قليلا ، فالضلال وصفه الله بالوصفين في كثير من المواضع ، فتارة قال : ﴿في ضلال مبين﴾ ، وأخرى : ﴿في ضلال بعيد﴾. فإن قيل : كيف قال : ما أطغيته مع أنه قال : " لأغوينهم أجمعين " ؟ فالجواب من ثلاثة أوجه تقدم منها وجهان في الاعتذار عما قاله الزمخشري. والثالث : أن المراد من قوله : " لأغوينهم " أي لأديمنهم على الغواية كما أن الضال إذا قال له شخص : أنت على الجادة فلا تتركها ، يقال : إنه يضله. كذا ههنا ، فقوله : " ما أطغيته " أي ما كان ابتداء الإطغاء مني. قوله : " لا تختصموا " استئناف أيضا كأن قائلا قال : فماذا قال الله له ؟ فأجيب : يقال لا تختصموا وقوله : " لدي " يفيد مفهومه أن الاختصام كان ينبغي أن يكون قبل الحضور ، والوقوف بين يدي. قوله : " وقد قدمت " جملة حالية ، ولا بد من تأويلها ، وذلك أن النهي في الآخرة وتقدمه الوعد في الدنيا ، فاختلف الزمنان فكيف يصح جعلها حالية ؟ وتأويلها هو أن المعنى وقد صح أني قدمت وزمان الصحة وزمان النهي واحد. و " قدمت " يجوز أن يكون " قدمت

" على حاله متعديا والباء مزيدة في المفعول أي قدمت إليكم الوعيد ، كقوله تعالى : ﴿تنبت بالدهن﴾ [المؤمنون : ٢٠] على قول من قال بزيادتها هناك. وقيل : الباء هنا للمصاحبة ، كقولك : اشتريت الفرس بلجامه وسرجه أي معه فكأنه قال : قدمت إليكم ما يجب مع الوعيد علي تركه والإنذار.٣٤." (١)

"ودلائل النبوة أيضا كثيرة وهي المعجزات المشهورة وأما الحشر ووقوعه فلا يمكن إثباته إلا بالسمع فأكثر فيه القسم ليقطع بها المكلف ويعتقده اعتقادا جازما.

فصل قال ابن الخطيب : والفائدة في تقييد القسم به بوقت هويه إذا كان في وسط السماء بعيدا عن الأرض لا يهتدي إليه الساري لأنه لا يعلم به المشرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال.

فإذا زال عن وسط السماء تبين بزواله جانب المغرب من المشرق والجنوب عن الشمال.

وخص الهوي دون الطلوع لعموم الاهتداء به في الدين والدنيا كما قال الخليل - عليه الصلاة والسلام - ﴿لا اا أحب الآفلين﴾ [الأنعام : ٧٦].

وفيه لطيفة وهي أن القسم بالنجم يقتضي تعظيمه وقد كان منهم من يعبده فنبه بهويه على عدم صلاحيته للإلهية بأفوله.

١٥٤

فصل أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لفظا ومعنى ، أما لفظا فقوله : " وإدبار النجوم " وافتتح هذه بالنجم مع واو القسم ، وأما معنى فلأنه تعالى لما قال لنبيه : ﴿ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ [الطور : ٤٩] بين له أنه (جزأه في أجزاء مكابدة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنجم) وبعده (عما لا يجوز له) فقال : ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾.

قوله : " إذا هوى " في العامل في هذا الظرف أوجه وعلى كل منها إشكال.

أحدها : أنه منصوب بفعل القسم المحذوف تقديره : أقسم بالنجم وقت هويه.

قاله أبو البقاء.

وهو مشكل ؛ فإن فعل القسم إنشاء والإنشاء حال و " إذا " لما يستقبل من الزمان فكيف يتلاقيان ؟ !.

الثاني : أن العامل فيه مقدر على أنه حال من (النجم) أقسم به حال كونه مستقرا في زمان هويه.

وهو مشكل من وجهين : أحدهما : أن النجم جثة والزمان لا يكون حالا كما لا يكون خبرا.

والثاني : أن (إذا) للمستقبل فيكف يكون حالا ؟ !.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٦٣٩

وقد أجيب عن الأول بأن المراد بالنجم القطعة من القرآن والقرآن قد نزل منجما في عشرين سنة.

وهذا تفسير عن ابن عباس وعن غيره.

وعن الثاني بأنها حال مقدرة.

الثالث : أن العامل فيه نفس النجم إذا أريد به القرآن.

قاله أبو البقاء.

وفيه نظر ؛ لأن القرآن لا يعمل في الظرف إذا أريد أنه اسم لهذا الكتاب المخصوص.

وقد يقال : إن النجم بمعنى المنجم كأنه قيل والقرآن المنجم في هذا الوقت.

وهذا البحث وارد في مواضع منها : ﴿والشمس وضحاها﴾ وما بعده [الشمس : ١ - ٥] وقوله : ﴿والليل إذا يغشى ﴾ [الليل : ١] ﴿والضحى والليل إذا سجى ﴾ [الضحى : ١ و ٢] وسيأتي في الشمس بحث أخص من هذا إن شاء الله تعالى.

والهوي قال الراغب : سقوط

١٥٥

من علو ثم قال : " والهوي ذهاب في انحدار والهوي ذهاب في ارتفاع " ، وأنشد : ٤٥٤٣ - ....

يهوي مخارمها هوي الأجدل

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ١٥٢

وقيل : هوى في اللغة خرق الهواء ، ومقصده السفل أو مصيره إليه وإن لم يقصده قال - (رحمة الله عليه -) : ٤٥٤٤ - ....

هوي الدلو أسلمها الرشاء

وقال أهل اللغة : هوى يهوي هويا أي سقط من علو ، وهوي يهوى هوى أي صبا.

وقد تقدم الكلام في هذا مشبعا.

قوله : ﴿ما ضل صاحبكم﴾ هذا جواب القسم ، والمعنى : ما ضل صاحبكم يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم - ما ضل عن طريق الهدى " وما غوى " ذهب أكثر المفسرين إلى أن الضلال والغي بمعنى واحد.

وفرق بعضهم بينهما قال : الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد ، قال تعالى : ﴿وإن يروا

سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا﴾ [الأعراف : ١٤٦] وقال تعالى : ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة : ٢٥٦].

قال ابن الخطيب : وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع ، تقول : ضل بعيري ورحلي ولا تقول غي ؛ فالمراد من الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا ، **والغواية** أن لا يكون له طريق إلى القصد مسقيم ، ومما يدل على هذا قولك للمؤمن الذي ليس على طريق السداد : إنه سفيه غير رشيد ولا تقول : إنه ضال فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق كأنه تعالى قال : ما ضل أي ما كفر ولا أقل من ذلك فما فسق أو يقال : الضلال كالعدم **والغواية** كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة.

١٥٦

". (١)

"ﷺوأما قوله: ﴿قد تبين الرشد﴾ [البقرة: ٢٥٦] فإنه مصدر من قول القائل: رشدت فأنا أرشد رشدا ورشدا ورشادا، وذلك إذا أصاب الحق والصواب، وأما الغي، فإنه مصدر من قول القائل: قد غوى فلان فهو ينوي غيا **وغواية**، وبعض العرب يقول: غوى فلان يغوى والذي عليه قراءة القراء: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ [النجم: ٢] الفتح، وهي أفصح اللغتين، وذلك إذا عدا الحق وتجاوزه فضل. فتأويل الكلام إذا: قد وضح الحق من الباطل، واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه، فتميز من الضلالة **والغواية**، فلا تكرهوا من أهل الكتابين، ومن أبحت لكم أخذ الجزية منه، على دينكم دين الحق؛ فإن من حاد عن الرشاد بعد استبانته له، فإلى ربه أمره، وهو ولي عقوبته في معاده." (٢)

"ﷺوقوله: ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ [القصص: ١٨] يقول تعالى ذكره: فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الأخبار عن أمره وأمر القتيل، فإذا الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس على الفرعوني يقاتله فرعوني آخر، فرآه الإسرائيلي فاستصرخه على الفرعوني. يقول: فاستغاثه أيضا على الفرعوني، وأصله من الصراخ، كما يقال: قال بنو فلان: يا صباحاه، قال له موسى: ﴿إنك لغوي مبين﴾ [القصص: ١٨] يقول جل ثناؤه: قال موسى للإسرائيلي الذي استصرخه، وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالأمس القتيل، وهو يستصرخه اليوم على آخر: إنك أيها المستصرخ لغوي: يقول: إنك

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٦٩٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤/٥٥٥

لذو **غواية** مبين: يقول: قد تبينت غوايتك بقتلك أمس رجلا، واليوم آخر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.." (١)

"قال أهل المعاني: معنى قوله (فليغيرن خلق الله) إن الله خلق الانعام لتركبوها وتأكلوها فحرموها على أنفسهم، وخلق الشمس والقمر والحجارة مسخرة للناس ينتفعون بها فعبدها المشركون فغيروا خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا أي ربا من دون الله فيطيعوه فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم إلا يلقون خيرا ويمنيهم الفقر ألا ينفقون في خير ولا يصلون رحما، فقال يمنيهم ان لا بعث ولا جنة ولا نار وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أي باطلا أولئك مأواهم جهنم يعني مصيرهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا أي منعا قال عوف:بلغني من المؤمن بكيده من الشيطان بأكثر من مضر لو أبدلهم الله له لمات، وإن قيل خبرونا عن قول إبليس لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا «١» كيف علم ذلك؟يقال: قد قيل في هذا أجوبة، منها: إن قالوا إن الله تبارك وتعالى كان خاطبه بقوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين «٢» فعلم إبليس انه ينال من ذرية آدم ما يتمناه.ومنها: ان قالوا إنه لما وسوس لآدم نال منه ما نال، طمع في ولده ولم ينل من آدم جميع ما يتمناه من **الغواية** فكذلك طمع في بعض ولده وأيس من جميعهم.ومنها ان قالوا ان إبليس قد عاين الجنة والنار وعلم ان الله خلقهما لأن يسكنهما من الناس والشيطان، فعلى هذا التأويل قال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا «٣» وإن قيل:لخبرونا عن إضلال الشيطان هل إليه نجح فعله وإنفاذ أمره أم لا؟يقال له: معنى إضلاله الدعاء إلى الضلالة والتزين له ولو كانت الضلالة إليه لأضل الخلق جميعا ولذلك من به أباهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار أي من تحت الغرف والمساكن خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا أي وهذا ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب.قال قتادة والضحاك: إن المسلمين وأهل الكتاب تناظروا، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم وكتابكم، ونحن أولى بالله منكم، فقال المسلمون: نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين، وكتابنا [يفي] على الكتب التي كانت قبله فأنزل الله تعالى ليس بأمانيكم الآية.وقال مجاهد: قالت قريش: لا نبعث ولا نحاسب.وقال أهل الكتاب لن تمسنا النار إلا أياما معدودة «٤» فأنزل الله ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب.__________(١) سورة النساء: ١١٨.(٢) سورة هود: ١١٩.(٣) سورة النساء: ١١٨.(٤) سورة البقرة: ٨٠.." (٢)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٩٣/١٨

(٢) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٣٨٩/٣

"قال ابن عباس: أتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا منا، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، فقال: أبغوا لي قاتله ومن يشهد عليه، فلا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا ذلك، فبينا هم يطوفون [و] لا يجدون ثبتا إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا آخر يريد أن يسخره، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى، وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتله القبطي، فقال موسى للإسرائيلي: إنك لغوي مبين ظاهر **الغواية** حين قاتلت أمس رجلا وقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه.وقيل: إنما قال للفرعوني: إنك لغوي مبين بتسخيرك وظلمك، والقول الأول أصوب وأليق بنظم الآية.قال ابن عباس: ثم مد موسى يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال له: إنك لغوي مبين [فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس فخاف أن يكون بعد ما قال له: إنك لغوي مبين أراده] ، ولم يكن أراده، إنما أراد الفرعوني، ف قال: يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض بالقتل ظلما، قال عكرمة والشعبي: لا يكون الإنسان جبارا حتى يقتل نفسين بغير حق.وما تريد أن تكون من المصلحين ثم تتاركا، فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى قتل ذلك الفرعوني، فانطلق إلى فرعون، فأخبره بذلك، فأمر فرعون بقتل موسى ولم يكن ظهر على قاتل القبطي حتى قال صاحب موسى ما قال.قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة أي آخرها، واختصر طريقا قريبا] وسبقهم فأخبره وأنذره] حتى أخذ طريقا آخر فذلك قوله: وجاء رجل واختلفوا فيه، فقال أكثر أهل التأويل: هو حزقيل بن صبورا مؤمن آل فرعون، وكان ابن عم فرعون، فقال شعيب الجبائي: اسمه شمعون، وقيل:شمعان «١» .من أقصى المدينة يسعى قال الكلبي: يسرع في مشيه لينذره، مقاتل: يمشي على رجليه، قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك أي يهمون بقتلك ويتشاورون فيك، وقيل: يأمر بعضهم بعضا نظيره قوله عز وجل: وأتمروا بينكم بمعروف، وقال النمر بن تغلب:أرى الناس قد أحدثوا سمة ... وفي كل حادثة يؤتمرفاخرج من هذه المدينة إني لك من الناصحين فخرج موسى منها أي من مدينة فرعون خائفا يترقب ينتظر الطلب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين__________(١) في نسخة أصفهان: سمعان.." (١)

"وتقدير الكلام عند الفراء أنه بمعنى الدعاء، كأنه قال: اللهم فلن أكون عوينا للمجرمين.وقيل: معنى الكلام الخبر، وتقديره /، لا أعصيك لأنك أنعمت علي، وهذا معنى قول ابن عباس.قال تعالى: ﴿فأصبح

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٤٢/٧

في المدينة خآئفا يترقب﴾ أي أصبح موسى خائفا من قوم فرعون، يترقب الأخبار، أن يعرفوا القصة فيقتلوه بالقبطي. ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾، أي فإذا الإسرائيلي الذي استنصر موسى بالأمس على الفرعوني، يستصرخ موسى، أي يصيح وهو من الصراخ. ثم قال له موسى: ﴿إنك لغوي مبين﴾، يوبخ الإسرائيلي، لأن موسى نادم على ما قد سلف منه من قتله القبطي بالأمس. ومعنى: ﴿لغوي﴾، أي لذو غواية ﴿مبين﴾، أي أبنت غوايتك بقتالك أمس رجلا، واليوم آخر.قال ابن عباس: أتي إلى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا." (١)

"﴿فأصبح في﴾ تلك ﴿المدينة خائفا﴾ من قتله القطبي ﴿يترقب﴾ ينتظر الأخبار ﴿فإذا﴾ الإسرائيلي ﴿الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ يستغيثه ﴿قال له موسى: إنك لغوي مبين﴾ ظاهر الغواية قد قلت بك بالأمس رجلا وتدعوني إلى آخر وأقبل إليهما ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾ أي: بالقبطي فظن الذي من شيعته أنه يريده فقال:." (٢)

"وهذا مثل قول السدي في ﴿الفرقان﴾ قال: هو النصر الذي أوتي موسى (١).وعلى هذا قوله "وضياء" يعني التوراة أكبر (٢) استضاؤوا (٣) بها حتى اهتدوا في دينهم، وكأنه قيل: آتيناهما البرهان والنصر والضياء يعني: الكتاب الذي فيه ضياء، وذكرا للمتقين كي يذكروه ويعملوا بما فيه ويتعظوا بمواعظه.__________= العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل. ونصر ابن القيم في "بدائع الفوائد" ٢/ ١٥ هذا القول وأيد آخرون القول بأن الفرقان هنا التوراة.قال ابن كثير ٣/ ١٨١: وجامع القول في هذا أن الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال والغي والرشاد والحلال والحرام، وعلى ما يحصل نورا في القلوب وهداية، وخوفا وإنابة وخشية ...وقال الألوسي ١٧/ ٥٧ والمراد بالفرقان: التوراة، وكذا الضياء والذكر، والعطف كما في قوله:إلى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحمإلى أن قال: والمعنى: وبالله لقد آتيناهما كتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية، وذكرا يتعظ به الناس ويتذكرون. ثم ذكر الألوسي الأقوال الأخرى في معنى الفرقان، ثم قال عن القول الأول -يعني قول مجاهد وقتادة-: وهو اللائق بتناسق النظم الكريم فإنه لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الإلهية لا سيما التوراة فيما ذكر من الصفات.(١) ذكره الثعلبي ٣/ ٣٠ ب عن ابن زيد، وذكره الماوردي ٣/ ٤٥٠ وابن الجوزي ٥/

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٥٠٦/٨

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٨١٥

٣٥٥ عن الكلبي، وذكره الرازي ٢٢/ ١٧٨ عن ابن عباس، ولم أجد من ذكره عن السدي.(٢) هكذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: التي.(٣) في (أ): (استيضاؤا)، وهو خطأ.." [١]

"إذا أزعجه وأقلقه، واستخفه إذا حمله على الجهل (١)، ومنه قوله: ﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون﴾ [الروم: ٦٠] أي [لا يحميك] (٢) على الجهل والميل إليهم، قال مقاتل: فاستفز قومه القبط (٣)، وهو قول الفراء: استفزهم (٤)، والمعنى أزعجهم وحملهم على صفة الجهل بكيده وغروره، وقوله لهم: ﴿ما أريكم إلا ما أرى﴾ [غافر: ٢٩].ومن قال هاهنا في تفسير (استخفهم): وجدهم جهالا خفاف الأحلام (٥)، فليس بالوجه لقوله: ﴿فأطاعوه﴾ وهذا يوجب أنه أمرهم بشيء فيه إزعاجهم فأطاعوه، ولا يقال وجده خفيفا فأطاعه، لأنك قد تجد إنسانا خفيف العقل فلا يطيعك، لأنك لم تأمره أو لم يرد هو طاعتك، ويحتاج في هذا التفسير إلى إضمار لا يجوز، هو أن يكون التقدير: وجده خفيفا فدعاه إلى **الغواية** فأطاعه، وإذا قلت: أزعجه فأطاعه، لم يحتج إلى إضمار.ومعنى ﴿فأطاعوه﴾: قال ابن عباس ومقاتل: على تكذيب موسى (٦)، والمعنى أنه حملهم على الجهل فقبلوا قوله وكذبوا موسى.﴿إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ قالا: عاصين لله (٧).__________(١) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ١٠١.(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب (لا يحملنك).(٣) انظر: "تفسير مقاتل" ٣/ ٣٥.(٤) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٣٥.(٥) ذكر ذلك الماوردي في "تفسيره" ٥/ ٢٣١ وقال: هو معنى قول الكلبي، وذكره البغوي ١٧/ ٢٧، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٣٢٢ بغير نسبة.(٦) انظر: "تفسير مقاتل" ٣/ ٧٩٨، "تفسير الماوردي" ٥/ ٢٣١ وقد نسبه لابن زياد.(٧) انظر: "تفسير مقاتل" ٣/ ٧٩٨، "الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ١٠١.." [٢]

"وقوله تعالى: ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ يقال: بان الشيء وأبان واستبان وبين: إذا ظهر ووضح، ومنه المثل: قد بين الصبح لذي عينين، ويقال: تبين (١).والرشد معناه في اللغة: إصابة الخير، وفيه لغتان: رشد يرشد رشدا، ورشد يرشد رشدا (٢). والرشاد أيضا مصدر كالرشد (٣).والغي: نقيض الرشد، يقال: غوى يغوي غيا **وغواية**، إذا سلك خلاف طريق الرشد (٤)، قال:فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما (٥)قال أبو عبيد: وبعض يقول: غويت أغوى، وليست بمعروفة، إنما__________(١) ينظر في (بان): "تهذيب اللغة" ١/ ٢٦٤، "المفردات" ص ٤٥، "اللسان" ١/

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩٩/١٥

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٦١/٢٠

٤٠٦.(٢) ينظر في (رشد): "تهذيب اللغة" ٢/ ١٤١١، "المفردات" ص ٢٠٢، "اللسان" ٣/ ٦٤٩. وذكر الراكب عن بعضهم الفرق بين الرشد والرشد، بأن الرشد أخص من الرشد، فإن الرشد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرشد يقال في الأمور ال أخروية لا غير. والراشد والرشيد يقال فيهما جميعا.(٣) ذكر في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٤١١ مادة "رشد" أن الليث فرق بين رشد يرشد رشدا ورشادا، ورشد يرشد رشدا، بأن الأول نقيض الغي، والثاني نقيض الضلال، ثم ذكر الأزهري أن غير الليث جعلوهما بمعنى واحد.(٤) ينظر في (غوى): "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٧٠٦، و"القاموس المحيط" ص ١٢٢٠، "اللسان" ٦/ ٣٣٢٠، قال الراغب: الغي: جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا ولا فاسدا، وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد، وهذا النحو الثاني يقال له غي.(٥) البيت للمرقش، كما في "اللسان" ٦/ ٣٣٢٠ مادة "غوص"، وضبطت: يغو، بفتح الواو، بينما في نسخة (أ) من البسيط ضبطت بكسر الواو.." [١]

"قال المفسرون: (إن إبليس -لعنه الله- استنظر إلى يوم البعث، وأراد أن يذوق الموت في النفخة الأولى، فلم يعطه ذلك، وأنظره إلى يوم النفخة الأولى [لا إلى] (١) الثانية؛ لأنه بين مدة المهلة في موضع آخر فقال: ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [الحجر: ٣٨] وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم) (٢).١٦ - قوله تعالى: ﴿قال فبما أغويتني﴾، قال ابن عباس: (يريد: فبما أضللتني، مثل قول نوح: ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾) (٣) [هود: ٣٤].قال أبو بكر الأنباري حاكيا عن أهل اللغة: (الإغواء (٤) إيقاع الغي في القلب، والغي: المذموم من الفعل، وقوله: ﴿فبما أغويتني﴾ أي: فبما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب خروجي من الجنة، وكذلك قوله: ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ [هود: ٣٤] أي: يوقع الشر في قلوبكم_____________(١) لفظ: (لا إلى) ساقط من (ب).(٢) انظر: "تفسير الطبري" ٨/ ١٣٢، ١٣٣، والسمرقندي ١/ ٥٣٣، والماوردي ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥، والبغوي ٣/ ٢١٧ - ٢١٨، وابن عطية ٥/ ٤٤٣ وقال: (هذا أصح وأشهر في الشرع) اهـ. وقال الشنقيطي في "تفسيره" ٢/ ٢٩٥: (طلب الشيطان الإنظار إلى يوم البعث، وقد أعطاه الله الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم، وأكثر العلماء يقولون: المراد به وقت النفخة الأولى، والعلم عند الله تعالى) اهـ.(٣) أخرجه الطبري ٨/ ١٣٣ بسند جيد، وذكره السيوطي في "الدر" ٣/ ١٣٥.(٤) أصل الإغواء: تزيين الرجل للرجل الشيء حتى يحسنه عنده يقال: غوى، بالفتح: الرجل يغوى غيا من الغي، خلاف الرشد، **والغواية**: الانهماك في الغي، ويأتي الغي بمعنى الفساد والضلال

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤/٣٦١

والجهل والخيبة.انظر: "الطبري" ٨/ ١٣٣، و"الجمهرة" ١/ ٢٤٤، و"تهذيب اللغة" ٣/ ٢٧٠٦، و"الصحاح" ٦/ ٢٤٥٠، و"المفردات" ص ٦٢٠، و"اللسان" ٦/ ٣٣٢٠ (غوى).." [1]

"ويحسن القبيح لكم لما سبق لكم عنده من الشقاء.قال: وقال بعضهم: الإغواء الإهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿فسوف يلقون غيا﴾ [مريم: ٥٩] أي: هلاكا وبلاء، ومنه أيضا قولهم: غوي الفصيل يغوى غوى (١)، إذا أكثر من اللبن حتى يفسد جوفه ويشارف (٢) الهلاك والعطب، وفسروا قوله: ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ [هود: ٣٤] إن كان الله يريد أن يهلككم بعنادكم الحق، وهذا قول تحتمله اللغة، وأهل التفسير على القول الأول) (٣)قال أبو إسحاق: (في ﴿أغويتني﴾ قولان: قال بعضهم: أضللتني، وقال بعضهم: فبما دعوتني إلى شيء غويت به، أي: غويت من أجل آدم) (٤).قال أبو بكر: (وأما قوله عز وجل: ﴿فبما﴾؛ فإن الباء تحتمل أمرين: أحدهما: القسم؛ أي: بإغوائك إياي ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لأقعدن لهم على الطريق المستقيم [الذي] (٥)______________(١) جاء في "الزاهر" لابن الأنباري ٢/ ٢٥٢ (ي قال: غوى الرجل يغوى غيا وغواية: إذا جهل وأساء. ويقال: قد غوي الفصيل يغوى إذا بشم من لبن أمه عند الإكثار والازدياد منه) اهـ. ونحوه في "شرح القصائد" ص ٥٢، وفي مصادر اللغة يطلق ذلك عليه، إذا فقد اللبن حتى كاد يهلك، ويقال أيضا: إذا أكثر من اللبن فأتخم. انظر: "العين" ٤/ ٤٥٦، و"البارع" ص ٤٤٣ - ٤٤٥، والمراجع السابقة.(٢) في (ب): (ويشارك)، وهو تحريف.(٣) ذكر بعضه الواحدي في "الوسيط" ١/ ١٦٢، والبغوي ٣/ ٢١٨، وابن الجوزي ٣/ ١٧٥، وقال: (الجمهور على أنه بمعنى: الإضلال) اهـ. وهو بدون نسبة في "تفسير الثعلبي" ١٨٨ أ، والرازي ١٤/ ٣٧(٤) "معاني الزجاج" ٢/ ٣٢٤، وانظر: "معاني النحاس" ٣/ ١٦، و"تفسير السمرقندي" ١/ ٥٣٣، والماوردي ٢/ ٢٠٦.(٥) لفظ: (الذي) ساقط من (ب).." [2]

"الوصف به.فمعنى العلو في وصف الله تعالى: اقتداره وقهره واستحقاقه صفات المدح.والعظيم معناه: أنه عظيم الشأن، لا يعجزه شيء ولا نهاية لمقدوره ومعلومه.﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴿٢٥٦﴾ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦-٢٥٧] قوله: ﴿لا إكراه

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩/٤٨

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٩/٤٩

في الدين﴾ [البقرة: ٢٥٦] قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم: معنى الآية: لا إكراه في الدين بعد إسلام العرب، وذلك أن العرب كانت أمة أمية، لم يكن لهم دين ولا كتاب، فلم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأكرهوا على الإسلام، ولم تقبل منهم الجزية، فلما أسلموا ولم يبق منهم أحد إلا دخل في الإسلام طوعا أو كرها أنزل الله هذه الآية، فلا يكره على الإسلام أهل الكتاب، فإذا أقروا بالجزية تركوا.وقوله: ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة: ٢٥٦] أي: ظهر الإيمان من الكفر، والهدى من الضلالة، بكثرة الحجج والآيات الدالة.والرشد: إصابة الحق، ويراد ههنا: الإيمان، من الغي يقال: غوى يغوي غيا **وغواية**، إذا سلك خلاف طريق الرشد.قوله: ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ [البقرة: ٢٥٦] قال جميع أهل اللغة: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله، يكون واحدا وجمعا، ومؤنثا ومذكرا، وهو في الأصل مصدر نحو الرغبوت والرهبوت.قال ابن عباس والمفسرون: الطاغوت: الشيطان.وقيل: الأصنام.وقوله: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [البقرة: ٢٥٦] استمسك بالشيء: إذا تمسك به، والعروة: جمعها عرى، وهي نحو عروة الدلو الكوز، والوثقى: تأنيث الأوثق.." (١)

"كل أحد في جميع عمره مرة.وإنما قال: ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ ليعلموا (١) أنه قبلتهم بالمدينة وبغيرها من البلاد، لا قبلة لهم غيره (٢).وإنما لم يقل (٣): فولوا وجوهكم إليه، لرفع المشقة إذ لو قال كذلك لوجب على الرجل أن يستقبله استقبالا لو سار على وجهه لصادف عين القبلة، فهذا أمر عسير (٤).﴿وإن الذين أوتوا الكتاب:﴾ علماء اليهود، تواطؤوا ولبسوا الأمر على غيرهم، وهم يعلمون أن التحويل إلى الكعبة حق من ربهم لما قرؤوها في كتابهم (٥).وقيل: الهاء (٦) راجعة إلى المسجد الحرام؛ لأنهم يعلمون فضيلته ويعرفون (٧) بها.واللام في قوله: ﴿ليعلمون﴾ (٨) للتأكيد والقسم.١٤٥ - ﴿ولئن أتيت الذين:﴾ لما قالت اليهود والنصارى: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم﴾ فأنزل الله جوابا محتملا في قوله: ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ [البقرة:١٤٢] أردفه قوله: ﴿ولئن أتيت﴾ (٩)، فآيس النبي صلى الله عليه وسلم عن اتباعهم، وأمنه من نسخ طارئ يرده إلى قبلتهم، وقطع المجادلة بينه وبينهم (١٠).ثم قال: ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض؛﴾ لأنهم خربوا البيت المقدس، وخفي مكان الصخرة، فتفرقوا لخفائه (١١). وقد أعرض بعضهم عنها وتوجه إلى المشرق، وتشتتت أهواؤهم، وتساووا في الضلالة **والغواية**، فأخبر الله عن حالهم، وحذر نبيه صلى الله عليه وسلم عن اتباعهم (١٢). وإنما حذره مع كونه معصوما ليبقى مكلفا مثابا، فلا يكون استبقاء منه إلجاء واضطرارا، كما قال في__________(١) في ع وب: لتعلموا، وهو

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣٦٩/١

تصحيف.(٢) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ٣٣، ومجمع البيان ١/ ٤٢٣، وتفسير القرطبي ٢/ ١٦٨.(٣) ساقطة من ع.(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص ١/ ١١٢، والتفسير الكبير ٤/ ١١٤ - ١١٦، وتفسير القرطبي ٢/ ١٦٠.(٥) ينظر: الكشاف ١/ ٢٠٣، ومجمع البيان ١/ ٤٢٣، وتفسير القرطبي ٢/ ١٦١.(٦) في قوله: (أنه) في الآية نفسها: ليعلمون أنه الحق من ربهم.(٧) في ك: ويعترفون. وينظر: الوجيز ١/ ١٣٧، والبحر المحيط ١/ ٦٠٤.(٨) في ك وع: (ليكتمون).(٩) مكانها في ع: اتبعت.(١٠) ينظر: الكشاف ١/ ٢٠٣، وتفسير النسفي ١/ ٧٧.(١١) في ب: بخفائه.(١٢) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ٣٥، والبيضاوي ١/ ٤٢٣.." (١)

"يصلح ذلك، كما في قوله: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ [النساء:١٧٦]. (١) يريد الفراء كون الفعل المتأخر المنتفي معلولا بالفعل المتقدم المثبت مرتفعا، بحذف الناصبة معنى، قال الحجاج في ابن عباس: إن كان لمثقبا، يريد: ثاقب العلم. (٢) والفضل ما شهدت به الأعداء.١١ - ﴿أهم أشد خلقا أم من خلقنا:﴾ تقرير ضعفهم، وتقريب إعادتهم من أفهامهم على ما يتصور في أوهامهم (٣)، كقوله: ﴿أأنتم (٤)﴾ أشد خلقا أم السماء بناها [النازعات:٢٧].﴿طين لازب:﴾ [. . .] (٥)٢٢ - وعن النعمان بن بشير ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ قال: أمثالهم. (٦)٢٣ - ﴿فاهدوهم:﴾ أمر بالسوق. (٧)٢٤ - ﴿وقفوهم:﴾ أمر بالوقف بعد الأمر بالسوق، (٨) إنما هو، إن شاء الله، لتكرار الأمر بالسوق، وتضعيف الخوف والهول عليهم.٢٨ - ﴿عن اليمين:﴾ اقتصار على أحد طرفي الكلام، ومعناه عن اليمين أو الشمال.وقيل: المراد باليمين جهة الدين والحق، (٩) أي: كنتم تأتوننا من قبل الحق، فتلبسونه علينا، والعرب تنسب الحق والخير إلى اليمين.٢٩ - ﴿لم تكونوا مؤمنين:﴾ باختياركم. (١٠)٣٢ - ﴿فأغويناكم:﴾ دعوناكم إلى **الغواية** من غير (١١) إكراه. (١٢)__________(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٣.(٢) غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ١٢٥، والنهاية في غريب الحديث ١/ ٢١٦، ولسان العرب ١/ ٢٤٠.(٣) ع: وهامهم.(٤) أ: أهم.(٥) هنا سقط في الأصول المخطوطة، وذكر المفسرون أن (اللازب): اللاصق. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٤٥) عن ابن عباس، وتفسير السمعاني ٤/ ٣٩٣، ولسان العرب ١/ ٧٣٨، والكليات ٨٠١.(٦) ينظر: تفسير الصنعاني ٣/ ١٤٨، وزاد المسير ٦/ ٣٠١، وفي المستدرك على الصحيحين ٢/ ٤٦٧ والدر المنثور ٧/ ٧٤ عن النعمان عن عمر.(٧) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٦١) عن ابن عباس، والدر المنثور ٧/ ٧٤ عنه.(٨) ينظر: تفسير الماوردي ٣/

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢٦٠/١

٤٠٩.(٩) ينظر: صحيح البخاري ٨/ ٥٤٢ (الفتح)، وتأويل مشكل القرآن ٢٧١، وتفسير الماوردي ٣/ ٤١١ عن مجاهد والكلبي، وتفسير القرطبي ١٥/ ٧٥.(١٠) ينظر: زاد المسير ٦/ ٣٠٧.(١١) ساقطة من ع.(١٢) ينظر: زاد المسير ٦/ ٣٠٣، والتسهيل لعلوم التنزيل ٣/ ١٧٠.." (١)

"ابن عباس: للكافرين، وهذا يدل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا، وهو قول مقاتل، قال قتادة: لن أعين بعدها على خطيئة، قال ابن عباس: لم يستثن فابتلي به في اليوم الثاني.﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين (١٩) وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين (٢٠) ﴾﴿فأصبح في المدينة﴾ أي: في المدينة التي قتل فيها القبطي، ﴿خائفا﴾ من قتله القبطي، ﴿يترقب﴾ ينتظر سوءا، والترقب: انتظار المكروه، قال الكلبي: ينتظر متى يؤخذ به، ﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ يستغيثه ويصيح به من بعد. قال ابن عباس: أتي فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا، فقال: ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه، فلا يستقيم أن يقضي بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني فصادف موسى، وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، ﴿قال له موسى﴾ للإسرائيلي: ﴿إنك لغوي مبين﴾ ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه؟ وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: إنك لغوي مبين بظلمك، والأول أصوب، وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيلي.﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما﴾ وذلك أن موسى أدركته الرقة (١) بالإسرائيلي فمد يده ليبطش بالفرعوني، فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به لما رأى من غضبه وسمع قوله: إنك لغوي مبين، ﴿قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد﴾ ما تريد، ﴿إلا أن تكون جبارا في الأرض﴾ بالقتل ظلما، ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيلي علم أن موسى هوالذي قتل ذلك الفرعوني، فانطلق إلى فرعون وأخبره بذلك، وأمر فرعون بقتل موسى. قال ابن عباس: فلما أرسل فرعون الذباحين لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم.﴿وجاء رجل﴾ من شيعة موسى، ﴿من أقصى المدينة﴾ أي: من آخرها، قال أكثر

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٥١٠

أهل التأويل: اسمه "حزبيل" مؤمن من آل فرعون، وقيل: اسمه "شمعون"، وقيل: "شمعان"، ﴿يسعى﴾ـــــــــــــــــــــ(١) في "أ": الرأفة.." (١)

"وقد صرحوا بذلك في قولهم: جعل **الغواية** مركبا، وامتطى الجهل «١» واقتعد غارب الهوى.ومعنى هدى من ربهم أى منحوه من عنده وأوتوه من قبله، وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير، والترقي إلى الأفضل فالأفضل. ونكر (هدى) ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه، ولا يقادر قدره كأنه قيل: على أى هدى، كما تقول: لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا. وقال الهذلي:فلا وأبى الطير المربة بالضحى «٢» ... على خالد لقد وقعت على لحم «٣»والنون في: (من ربهم) أدغمت بغنة وبغير غنة. فالكسائى، وحمزة، ويزيد، وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها. وقد أغنها الباقون إلا أبا عمرو. فقد روى عنه فيها روايتان.وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها. فإن قلت:لم جاء مع العا طف؟ وما الفرق بينه وبين قوله: (أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون) ؟ قلت: قد اختلف الخبران هاهنا فلذلك دخل العاطف، بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد، فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزلـــــــــــــــــــ(١) . قوله «وامتطى الجهل» أى اتخذ الجهل مطية، واتخذ الهوى قعودا. والقعود من الإبل: البكر حين يركب. والغارب: ما بين السنام إلى العنق، كما في الصحاح. (ع)(٢) . قوله«وأبى الطير المربة بالضحى»أى المجتمعة العاكفة. أفاده الصحاح (ع)(٣) .فلا وأبى الطير المربة بالضحى ... على خالد لقد وقعت على لحمفلا وأبى لا يأكل الطير مثله ... عشية أمسى لا يبين من السلملأبى كبير الهذلي يرثى خالد بن زهير. ولا زائدة قبل القسم. واستعظم الطير الواقعة عليه فأقسم بها، وكنى عنها بأبى الطير كما يكنى عن العظيم بـأبى فلان. وأصل أبى هنا: أبين، على صيغة جمع المذكر السالم، سقطت نونه للاضافة. ويحتمل أنه مفرد والمراد به النسر لأنه يكنى بأبى الطير. ويجوز أن يريد بأبى الطير خالدا لوقوعها عليه، ويجوز أن يريد به أصلها. ويروى: لعمر أبى الطير المربة غدوة ... الخ. ويروى هذا يرفع الطير. ولعله على الابتداء أو الخبرية لمحذوف، أو على تقدير النداء، وإلى مضاف إلى ضمير المتكلم كالذي بعده.ويقال: أرب بالمكان وألب به. أقام فيه ولازمه، فالمربة المقيمة العاكفة وقت الضحى على خالد القتيل. والتفت إلى خطاب الطير فقال لها: لقد وقعت. ويروى علقت، على لحم- بالتحريك- على

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٩٨/٦

لغة وتنكيره للتعظيم: أى على لحم عظيم. وأنثها لأنها جماعة في المعنى. فان قرئ بفتح التاء فظاهر، وخاطبه لتنزيله منزلة العاقل، ثم أقسم بأبيه أن الطير لا يأكل مثل خالد في العظم عشية أمسى لا يظهر لنا من السلم- وهو شجر العضاه- كناية عن كونه قتيلا فيه والطير حوله على ذلك الشجر. وفي البيتين التفاتان.." (١)

"كما ابتلى قوم طالوت بالنهر، (فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني) . وقرأ الحسن (على الملكين) بكسر اللام، على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل. وما يعلم الملكان أحدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له إنما نحن فتنة أى ابتلاء واختيار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من أحد.أى فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه أى علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه، كالنفث في العقد، ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف «١» ابتلاء منه، لا أن السحر له في نفسه بدليل قوله تعالى:وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لأنهم يقصدون به الشر. وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى **الغواية**. ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أى استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به أنفسهم أى باعوها. وقرأ الحسن: الشياطون. وعن بعض العرب: بستان فلان حوله بساتون. وقد ذكر وجهه فيما بعد. وقرأ الزهري (هاروت وماروت) بالرفع على: هما هاروت وماروت. وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، ولو كانا من الهرت والمرت- وهو الكسر كما زعم بعضهم- لانصرفا. وقرأ طلحة (وما يعلمان) من أعلم، وقرئ (بين المرء) بضم الميم وكسرها مع الهمز. والمر، بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف، «٢» كقولهم: فرج، وإجراء الوصل مجرى الوقف. وقرأ الأعمش: وما هم بضارى، بطرح النون والإضافة إلى أحد والفصل بينهما بالظرف. فإن قلت: كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن؟ قلت: جعل الجار جزءا «٣» من المجرور. فإن قلت: كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله (ولقد علموا) على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله: (لو كانوا يعلمون) ؟ قلت:معناه لو كانوا يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه.______________(١)
. قوله «الفرك والنشوز» في الصحاح الفرك بالكسر البغض ولا يستعمل إلا بين الزوجين وقوله لا أن السحر الخ: مبنى على مذهب المعتزلة من أن السحر لا حقيقة له ولا تأثير له. وذهب أهل السنة إلى إثباته وإثبات

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١/٤٥

تأثيره وإن كان تأثير كل شيء في غيره لا يكون إلا باذنه تعالى وهذا هو ظاهر الكتاب وظاهر السنة. (ع) [.....](٢) . قوله «على تقدير التخفيف والوقف» أى في لغة من وقف بالتضعيف (ع)(٣) . قوله «قلت جعل الجار جزءا» ونظيره لا أبالك. (ع)." (١)

"روى أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازورا وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى «١» . فنزلت. وقيل: كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان أنك رسول الله، وقيل: كتابا نعاينه حين ينزل. وإنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت، قال الحسن: ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم، وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر «٢» . معناه: إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى____________(١) . لم أجده هكذا. ورواه الطبري من طريق أسباط عن السدى قال «قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم:إن كنت صادقا أنك رسول الله فائتنا بكتاب من السماء كما جاء به موسى. فنزلت.(٢) . قال محمود: «فقد سألوا موسى: جواب لشرط مقدر ... الخ» قال أحمد: وهذا من المواضع التي استولى عليه فيها الاغفال، ولوح به اتباع هواه إلى مهواة الضلال، لأنه بنى ع‌ى أن الظلم المضاف إليهم لم يكن إلا لمجرد كونهم طلبوا الرؤية وهي محال عقلا دنيا وآخرة على زعم القدرية، لما يلزم عندهم لو قيل بجوازها من اعتقاد التشبيه، فلذلك سمي أهل السنة المعتقدين لجوازها ووقوعها في الآخرة وفاء بالوعد الصادق مشبهة، وغفل عن كون اليهود اقترحوا على موسى عليه السلام خصوصية علقوا إيمانهم بها، ولم يعتبروا المعجز من حيث هو كما يجب اعتباره فقالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فهذا الاقتراح والتعنت يكفيهم ظلما. ألا ترى أن الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء، أو حتى تفجر الأرض، أو يكون لك بيت من زخرف، كيف هم من أظلم الظلمة؟ وإن كانوا إنما طلبوا أمورا جائزة، ولكنهم اقترحوا في الآيات على الله، وحقهم أن يسندوا إيمانهم إلى أى معجز اختاره الله- دل ذلك دلالة يلجأ على أن ظلمهم مسبب عن اقتراحهم، لا عن كون المقترح ممتنعا عقلا. والعجب بتنظي‌ر هذا السؤال لو كان المسئول جائزا كسؤال إبراهيم عن إحياء الموتى على زعم الزمخشري، غفلة منه عما انطوى عليه سؤال ابراهيم عليه السلام من صريح الايمان حيث قال له تعالى: (أولم تؤمن قال بلى) وعما انطوى عليه سؤال هؤلاء الملاعين من محض الكفر والإصرار عليه في قولهم: لن نؤمن لك. فصدروا كلامهم بالجحد والنفي. وأما دعاء الزمخشري على أهل السنة بالتب

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٧٣/١

والصواعق، فالله أعلم أى الفريقين أحق بها، ويكفيه هذه الغفلة التي تنادى عليه باتباع الهوى الذي يعمى ويصم، نسأل الله العصمة من الضلالة **والغواية**." (١)

"ولو حكى قولها لقال: قل مالك. ومنه قول المحلف للحالف: احلف لأخرجن، ولتخرجن:الهمزة لحكاية لفظ الحالف، والتاء لإقبال المحلف على المحلف فأغويناكم فدعوناكم إلى الغى دعوة محصلة للبغية، لقبولكم لها واستحبابكم الغى على الرشد إنا كنا غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا فإنهم فإن الأتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيامة مشتركون في العذاب كما كانوا مشتركين في **الغواية** إنا مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم، يعنى أن سبب العقوبة هو الإجرام، فمن ارتكبه استوجبها إنهم كانوا إذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا أو استكبروا عنها وأبوا إلا الشرك.[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٣٦ الى ٣٩]ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (٣٦) بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٣٧) إنكم لذائقوا العذاب الأليم (٣٨) وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٣٩)لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه وقرئ: لذائقو العذاب، بالنصب على تقدير النون، كقوله:ولا ذاكر الله إلا قليلا «١»بتقدير التنوين. وقرئ على الأصل: لذائقون العذاب إلا ما كنتم تعملون إلا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيئ.[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٤٠ الى ٤٩]إلا عباد الله المخلصين (٤٠) أولئك لهم رزق معلوم (٤١) فواكه وهم مكرمون (٤٢) في جنات النعيم (٤٣) على سرر متقابلين (٤٤)يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥) بيضاء لذة للشاربين (٤٦) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (٤٧) وعندهم قاصرات الطرف عين (٤٨) كأنهن بيض مكنون (٤٩)______________(١) . تقدم شرح هذا الشاهد بالجزء الأول صفحة ٤٤٨ فراجعه إن شئت اه مصححه.." (٢)

"الواحد فيها، فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك. ومنه بيت الحماسة:من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التى يسرى بها السارى «١»وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها، ثم قالت: لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت.ثكلتهم «٢» إن كنت أعلم أيهم أفضل، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها لعلهم يرجعون إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان «٣» . فإن قلت لو أراد رجوعهم لكان. قلت: إرادته فعل غيره ليس إلا أن يأمره به «٤» ويطلب منه إيجاده، فإن كان ذلك على سبيل القسر

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٨٤/١

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤١/٤

وجد،ـــــــــــــــــ(١) .هينون لينون أيسار ذوو كرم ... سواس مكرمة أبناء أيسارإن يسئلوا الخير يعطوه وإن جهدوا ... فالجهد يخرج منهم طيب أخباروإن تودتهم لانوا وإن شهموا ... كشفت أذمار شر غير أشرارلا ينطقون عن الفحشا وإن نطقوا ... ولا يمارون من مارى بإكثارمن تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسرى بها الساريلعبيد بن الأبرص. وقيل للعرندس. وهينون لينون: جمع هين ولين: تخفيف هين ولين بالتشديد، على فيعل.وأيسار: جمع يسر، كقطب وأقطاب، وهو في الأصل ضد العسر، سمى به الرجل مبالغة، أو جمع يسرة كقصبة، وهي في الأصل: الخط في باطن الكف، أطلقت على الرجل إشعارا بالكرم. وسواس: جمع سائس، بمعنى مالك متصرف بالمصلحة، وبمعنى الولي المصلح، وجهده الطعام: إذا اشتاق إليه واشتهاه. وجهد الرجل فهو مجهود:أصابه القحوط والمشقة. وقوله «فالجهد يخرج منهم» جواب الشرط. ويحتمل أنه استئناف مفرغ على ما قبله.وإن جهدوا: جوابه دل عليه ما قبله. والشهامة: الخشونة، وشهمت الفرس حركته ليسرع. وأذمار شر: أى شجعان حرب: جمع ذمر ككبد، من ذمر الرجل: عبس وغضب. وذمر الأسد زأر بصوته، أى: إن حملتهم على الحرب أظهرت منهم شجعان حرب غير أشرار. وضمن النطق معنى الاخبار، فعداه بعن. ويجوز أنها بمعنى الباء.والمماراة: الجدال. وبإكثار: متعلق بمارى، أو بيمارون. من تلقه منهم تقل فيه: لاقيت أشرفهم لتساويهم في الشرف، فهم مثل النجوم في التساوي في الشرف والاهتداء والاستضاءة بكل، فكما أن النجم يهتدى به المسافر، كذلك هم يهتدى بهم المختبط الطالب للمعروف أو المتحير في أمر معضل. ويروى بدل «وإن جهدوا ... الخ» :... وإن خبروا ... في الجهد أدرك منهم طيب أخبارأى: إن اختبروا علم كرمهم وحسن سيرتهم.(٢) . قوله «ثكلتهم» الثكل: فقدان المرأة ولدها. (ع)(٣) . قال محمود: «معناه إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الايمان ... الخ» قال أحمد: تقدم في غير موضع أن «لعل» حيثما وردت في سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف الرجاء إلى المخلوقين، أى: ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك، هذا هو الحق. وعليه تأول سيبويه ما ورد. وأما الزمخشري فيحمل «لعل» على الارادة، لأنه.لا يتحاشى مع اعتقاد أن الله يريد شيئا ويريد العبد خلافه، فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب- تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا- فما أشنعها زلة وأبشعها خلة. ولقد أساء الأدب في هذا الموضع، حتى إنه لولا تعين الرد عليه لما جرى القلم ينقل ما هذى به وما اهتدى. وقد جرى على سنن أوائله في جعل حقيقة الأمر هو الارادة وأضاف إلى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلقه، وأن مراد العبد يقع، ومراد الرب لا يقع، فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض، نعوذ بالله من هذه **الغواية**: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.(٤) . قوله «ليس إلا أن يأمره به» هذا مذهب

المعتزلة. أما مذهب أهل السنة: فإرادته غير الأمر، سواء كانت لفعل نفسه أو لفعل غيره، ولا يلزم تأويل الآية بالارادة، لجواز أن يكون معناها: ليكون حالهم عند الأخذ بالعذاب حال من يرجي رجوعهم. (ع)." (١)

"ومريدا معناه عاتيا صليبا في غوايته، وهو فعيل من مرد: إذا عتا وغلا في انحرافه وتجرد للشر **والغواية**.وأصل اللعن: الإبعاد، وهو في العرف إبعاد مقترن بسخط وغضب، ويحتمل أن يكون لعنه صفة الشيطان، ويحتمل أن يكون خبرا عنه، والمعنى يتقارب على الوجهين، وقوله تعالى: وقال لأتخذن الآية، التقدير: وقال الشيطان، والمعنى، لأستخلصنهم لغوايتي: ولأخصنهم بإضلالي وهم الكفرة والعصاة، والمفروض معناه في هذا الموضع المنحاز، وهو مأخوذ من الفرض وهو الحز في العود وغيره، ويحتمل أن يريد واجبا أن أتخذه، وبعث النار هو نصيب إبليس.قوله تعالى:[سورة النساء (٤) : الآيات ١١٩ الى ١٢٢]ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (١١٩) يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا (١٢٠) أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا (١٢١) والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا (١٢٢)قوله: ولأضلنهم معناه أصرفهم عن طريق الهدى، ولأمنينهم لأسولن لهم.قال القاضي أبو محمد عبد الحق رحمه الله: وهذا لا ينحصر إلى نوع واحد من الأمنية، لأن كل واحد في نفسه إنما تمنيه بقدر نصبته وقرائن حاله، ومنه قوله عليه السلام: «إن الشيطان يقول لمن يركب ولا يذكر الله: تغن، فإن لم يحسن قال له تمن» ، واللامات كلها للقسم، «والبتك» : القطع. وكثر الفعل إذ القطع كثير على أنحاء مختلفة، وإنما كنى عز وجل عن البحيرة والسائبة ونحوه مما كانوا يثبتون فيه حكما، بسبب آلهتهم وبغير ذلك، وقرأ أبو عمرو بن العلاء ولآمرنهم بغير ألف، وقرأ أبي «وأضلهم وأمنيهم وأمرهم» واختلف في معنى «تغيير خلق الله» ، فقال ابن عباس وإبراهيم ومجاهد والحسن وقتادة وغيرهم:أراد: يغيرون دين الله، وذهبوا في ذلك إلى الاحتجاج بقوله تعالى: فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله [الروم: ٣٠] أي لدين الله، والتبديل يقع موضعه التغيير، وإن كان التغيير أعم منه، وقالت فرقة: «تغيير خلق الله» هو أن الله تعالى خلق الشمس والنار والحجارة وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها وينتفع بها، فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة، وقال ابن عباس أيضا وأنس وعكرمة وأبو صالح:من تغيير خلق الله الإخصاء، والآية إشارة إلى إخصاء البهائم وما

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٢٥٦

شاكله، فهي عندهم أشياء ممنوعة، ورخص في إخصاء البهائم جماعة إذا قصدت به المنفعة، إما السمن أو غيره، ورخصها عمر بن عبد العزيز في الخيل، وقال ابن مسعود والحسن: هي إشارة إلى الوشم وما جرى مجراه من التصنع للحسن، فمن ذلك الحديث: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمات والموشومات والمتنمصات والمتفلجات." (١)

"بقلب لديغ من خشية الله والسليم اللديغ، وأزلفت معناه قربت، و «الغاوون» التي برزت لهم الجحيم هم المشركون بدلالة أنهم خوطبوا في أمر الأصنام، والقول لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هو على جهة التقريع والتوبيخ والتوقيف على عدم نصرتهم نحوه، وقرأ الأعمش «فبرزت» بالفاء والجمهور بالواو، وقرأ مالك بن دينار «وبرزت» بفتح الراء والزاي ورفع «الجحيم» ، ثم أخبر عن حال يوم القيامة من أن الأصنام تكبكب في النار أي تلقى كبة واحدة ووصل بها ضمير من يعقل من حيث ذكرت بعبادة، وكانت يسند إليها فعل من يعقل، وقيل الضمير في قوله «هم» للكفار، والغاوون الشياطين، و «كبكب» مضاعف من كب هذا قول الجمهور وهو الصحيح لأن معناها واحد، والتضعيف في الفعل بين مثل صر وصرصر وغير ذلك، والغاوون الكفرة الذين شملتهم **الغواية**، وجنود إبليس نسله وكل من يتبعه لأنهم جند له وأعوان.قوله عز وجل:[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٩٦ الى ١٠٤]قالوا وهم فيها يختصمون (٩٦) تالله إن كنا لفي ضلال مبين (٩٧) إذ نسويكم برب العالمين (٩٨) وما أضلنا إلا المجرمون (٩٩) فما لنا من شافعين (١٠٠)ولا صديق حميم (١٠١) فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين (١٠٢) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٠٣) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٠٤)ثم وصف تعالى أن أهل النار يختصمون فيها ويتلاومون ويأخذون في شأنهم بجدال، ومن جملة قولهم لأصنامهم على جهة الإقرار وقول الحق قسم تالله إن كنا إلا ضالين في أن نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله تعالى الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم، ثم عطفوا يردون الملامة على غيرهم أي ما أضلنا إلا كبراؤنا وأهل الجرم والجرأة والمكانة، ثم قالوا على جهة التلهف والتأسف حين رأوا شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء نافعة في أهل الإيمان عموما، وشفاعة الصديق في صديقه خاصة فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وفي هذه اللفظة منبهة على محل الصديق من المرء، قال ابن جريج شافعين من الملائكة وصديق من الناس.قال القاضي أبو محمد: ولفظة «الشفيع» تقتضي رفعة مكانه، ولفظ «الصديق» يقتضي شدة مساهمة ونصرة، وهو فعيل من صدق الود، و «الحميم» الولي والقريب الذي يخصك أمره ويخصه أمرك وحامة الرجل خاصته وباقي الآية بين قد مضى.قال القاضي أبو

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/١١٤

محمد: وهذه الآيات من قوله تعالى: يوم لا ينفع مال ولا بنون [الشعراء: ٨٨] هي عندي منقطعة من كلام إبراهيم عليه السلام وهي إخبار من الله عز وجل، تعلق بصفة ذلك اليوم الذي وقف إبراهيم عليه السلام عنده في دعائه أن لا يخزى فيه.قوله عز وجل:[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٠٥ الى ١٢٢]كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥) إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون (١٠٦) إني لكم رسول أمين (١٠٧) فاتقوا الله وأطيعون (١٠٨) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٠٩)فاتقوا الله وأطيعون (١١٠) قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (١١١) قال وما علمي بما كانوا يعملون (١١٢) إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون (١١٣) وما أنا بطارد المؤمنين (١١٤)إن أنا إلا نذير مبين (١١٥) قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (١١٦) قال رب إن قومي كذبون (١١٧) فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين (١١٨) فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون (١١٩)ثم أغرقنا بعد الباقين (١٢٠) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٢١) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٢٢)." [١]

"**والغواية**، وليس بشركة الإشراك بالله، ويحتمل أن يكون المراد ب «الشركاء» : الأصنام والأوثان على معنى:أم لهم أصنام جعلوها شركاء لله في ألوهيته، ويكون الضمير: في: شرعوا لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولآبائهم. والضمير في: لهم للأصنام الشركاء، أي شرع هؤلاء الكفار لأصنامهم وأوثانهم ما لم يأذن به الله، و: شرعوا معناه: أثبتوا ونهجوا ورسموا. والدين هنا العوائد والأحكام والسيرة، ويدخل في ذلك أيضا المعتقدات، لأنهم في جميع ذلك وضعوا أوضاعا، فأما في المعتقدات فقولهم إن الأصنام آلهة، وقولهم إنهم يعبدون الأصنام زلفى وغير ذلك، وأما في الأحكام فكالبحيرة والوصيلة والحامي وغير ذلك من السوائب ونحوها، والإذن في هذه الآية الأمر. وكلمة الفصل: هي ما سبق من قضاء الله تعالى بأنه يؤخر عقابهم إلى الآخرة والقضاء بينهم: هو عذابهم في الدنيا ومجازاتهم.وقرأ جمهور الناس: «وإن الظالمين» بكسر الهمزة على القطع والاستئناف. وقرأ مسلم بن جندب «وأن الظالمين» بفتح الهمزة، وهي في موضع رفع عطف على: كلمة المعنى: وأن الظالمين لهم في الآخرة عذاب.وقوله: ترى الظالمين هي رؤية بصر، والظالمين مفعول، و: مشفقين حال وليس لهم في هذا الإشفاق مدح، لأنهم إنما أشفقوا حين نزل بهم ووقع، وليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا مشفقون من الساعة كما تقدم.وقوله تعالى: وهو واقع بهم جملة في موضع الحال. والروضات: المواضع المؤنقة النظرة، وهي مرتفعة في الأغلب من الاستعمال، وهي الممدوحة عند العرب وغيرهم، ومن ذلك قوله تعالى كمثل جنة بربوة [البقرة: ٢٦٥] ومن ذلك تفضيلهم روضات الحزن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٣٦/٤

لجودة هوائها. قال الطبري: ولا تقول العرب لموضع الأشجار رياض.وقوله تعالى: ذلك الذي يبشر الله عباده إشارة إلى قوله تعالى في الآية الأخرى: وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا [الأحزاب: ٤٧] .وقرأ جمهور الناس: «يبشرهم» بضم الياء وفتح الباء وشد الشين المكسورة، وذلك على التعدية بالتضعيف. وقرأ مجاهد وحميد: «يبشر» بضم الياء وسكون الباء وكسر الشين على التعدية بالهمزة. قرأ ابن مسعود وابن يعمر وابن أبي إسحاق والجحدري والأعمش وطلحة: «يبشر» بفتح الياء وضم الشين، ورويت عن ابن كثير. وقال الجحدري في تفسيرها: ترى النضرة في الوجوه.وقوله تعالى: قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى اختلف الناس في معناه، فقال له ابن عباس وغيره: هي آية مكية نزلت في صدر الإسلام ومعناها استكفاف شر الكفار ودفع أذاهم أي ما أسألكم على القرآن والدين والدعاء إلى الله إلا أن تودوني لقرابة هي بيني وبينكم فتكفوا عني أذاكم. قال ابن عباس وابن إسحاق وقتادة: ولم يكن في قريش بطن إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه نسب أو صهر، فالآية على هذا هي استعطاف ما، ودفع أذى وطلب سلامة منهم، وذلك كله منسوخ بآية السيف، ويحتمل على هذا التأويل أن يكون معنى الكلام استدعاء نصرهم، أي لا أسألكم غرامة ولا شيئا إلا أن." (١)

"قوله تعالى: وإنا لنراك فينا ضعيفا فيه أربعة أقوال: أحدها: ضريرا قال ابن عباس وابن جبير وقتادة: كان أعمى. قال الزجاج: ويقال إن حمير تسمي المكفوف ضعيفا. والثاني: ذليلا، قاله الحسن وأبو روق ومقاتل. وزعم أبو روق أن الله لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيا به زمانة. والثالث: ضعيف البصر، قاله سفيان. والرابع: عاجزا عن التصرف في المكاسب، ذكره ابن الأنباري. قوله تعالى:ولولا رهطك لرجمناك قال الزجاج: لولا عشيرتك لقتلناك بالرجم، والرجم من سيئ القتلات، وكان رهطه من أهل ملتهم، فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم. وذكر بعضهم أن الرجم ها هنا بمعنى الشتم والأذى. قوله تعالى: وما أنت علينا بعزيز فيه قولان: أحدهما: بكريم. والثاني: بممتنع أن نقتلك.قوله تعالى: أرهطي أعز عليكم من الله وأسكن ياء «رهطي» أهل الكوفة، ويعقوب، والمعنى: أتراعون رهطي في، ولا تراعون الله في؟قوله تعالى: واتخذتموه وراءكم في هاء الكناية قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله الجمهور. قال الفراء: المعنى: رميتم بأمر الله وراء ظهوركم. قال الزجاج: والعرب تقول لكل من لا يعبأ بأمر: قد جعل فلان هذا الأمر بظهر، قال الشاعر «١» :تميم بن قيس لا تكونن حاجتي ... بظهر فلا يعيا علي جوابهاوالثاني: أنها كناية عما جاء به شعيب، قاله مجاهد.قوله تعالى: إن ربي بما تعملون محيط أي: عالم بأعمالكم، فهو يجازيكم بها.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٣/٥

وما بعد هذا قد سبق تفسيره «٢» إلى قوله تعالى: سوف تعلمون. فإن قال قائل: كيف قال ها هنا: «سوف» وفي أخرى: «فسوف» «٣» ؟ فالجواب: أن كلا الأمرين حسن عند العرب، إن أدخلوا الفاء، دلوا على اتصال ما بعد الكلام بما قبله، وإن أسقطوها، بنوا الكلام الأول على أنه قد تم، وما بعده مستأنف، كقوله تعالى: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا «٤» والمعنى: فقالوا: أتتخذنا، بالفاء، فحذفت الفاء لتمام ما قبلها. قال امرؤ القيس:فقالت يمين الله ما لك حيلة ... وما إن أرى عنك **الغواية** تنجليخرجت بها أمشي تجر وراءنا ... على إثرنا أذيال مرط مرحل «٥»قال ابن الأنباري: أراد: فخرجت، فأسقط الفاء لتمام ما قبلها. ويروى: فقمت بها أمشي.قوله تعالى: وارتقبوا إني معكم رقيب قال ابن عباس: ارتقبوا العذاب، فإني أرتقب الثواب. قوله تعالى: وأخذت الذين ظلموا الصيحة. قال المفسرون: صاح بهم جبريل فماتوا في أمكنتهم. قال محمد بن كعب: عذب أهل مدين بثلاثة أصناف من العذاب، أخذتهم رجفة في ديارهم حتى خافوا أن تسقط عليهم، فخرجوا منها فأصابهم حر شديد، فبعث الله الظلة، فتنادوا: هلم إلى الظل فدخلوا جميعا في الظلة، فصيح بهم صيحة واحدة فماتوا كلهم. قال ابن عباس: لم تعذب أمتان______________(١) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «ظهر» وعزاه إلى الفرزدق.(٢) سورة الأنعام: ١٣٥.(٣) سورة الأنعام: ١٣٥.(٤) سورة البقرة: ٦٧.(٥) المرحل: ضرب من برود اليمن، سمي مرحلا لأن عليه تصاوير رحل. ومرط مرحل: إذا وخز فيه علم.." (١)

"تعالى كان يعلم منه أنه يموت على أقبح أنواع الكفر والفسق سواء أعلمه بوقت موته أو لم يعلمه بذلك فلم يكن ذلك الإعلام موجبا إغراءه بالقبيح ومثاله أنه تعالى عرف أنبياءه أنهم يموتون على الطهارة والعصمة ولم يكن ذلك موجبا إغراءهم بالقبيح لأجل أنه تعالى علم منهم سواء عرفهم تلك الحالة أو لم يعرفهم هذه الحالة أنهم يموتون على الطهارة والعصمة فلما كان/ لا يتفاوت حالهم بسبب هذا التعريف لا جرم ما كان ذلك التعريف إغراء بالقبيح فكذا هاهنا والله أعلم.المسألة الثانية: قول إبليس: فبما أغويتني يدل على أنه أضاف إغواءه إلى الله تعالى وقوله في آية أخرى: فبعزتك لأغوينهم أجمعين [ص: ٨٢] يدل على أنه أضاف إغواء العباد إلى نفسه. فالأول: يدل على كونه على مذهب الجبر. والثاني: يدل على كونه على مذهب القدر وهذا يدل على أنه كان متحيرا في هذه المسألة أو يقال: إنه كان يعتقد أن الإغواء لا يحصل إلا بالمغوي فجعل نفسه مغويا لغيره من الغاوين ثم زعم أن المغوي له هو الله تعالى قطعا للتسلسل واختلف الناس في تفسيره هذه الكلمة أما أصحابنا فقالوا:الإغواء إيقاع الغي في القلب والغي هو الاعتقاد

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٣٩٨

الباطل وذلك يدل على أنه كان يعتقد أن الحق والباطل إنما يقع في القلب من الله تعالى. اما المعتزلة فلهم هاهنا مقامان: أحدهما: أن يفسروا الغي بما ذكرناه. والثاني: أن يذكروا في تفسيره وجها آخر.أما الوجه الأول: فلهم فيه أعذار. الأول: إن قالوا هذا قول إبليس فهب أن إبليس اعتقد أن خالق الغي والجهل والكفر هو الله تعالى إلا أن قوله ليس بحجة. الثاني: قالوا: إن الله تعالى لما أمر بالسجود لآدم فعند ذلك ظهر غيه وكفره فجاز أن يضيف ذلك الغي إلى الله تعالى بهذا المعنى وقد يقول القائل: لا تحملني على ضربك أي لا تفعل ما أضربك عنده. الثالث: قال فبما أغويتني لأقعدن لهم والمعنى: إنك بما لعنتني بسبب آدم فأنا لأجل هذه العداوة ألقي الوساوس في قلوبهم. الرابع: رب بما أغويتني [الحجر: ٣٩] أي خيبتني من جنتك عقوبة على عملي لأقعدن لهم الوجه الثاني: في تفسير الإغواء- الإهلاك- ومنه قوله تعالى: فسوف يلقون غيا [مريم: ٥٩] أي هلاكا وويلا ومنه أيضا قولهم: غوى الفصيل يغوي غوى إذا أكثر من اللبن حتى يفسد جوفه ويشارف الهلاك والعطب وفسروا قوله: إن كان الله يريد أن يغويكم [هود: ٣٤] إن كان الله يريد أن يهلككم بعنادكم الحق فهذه جملة الوجوه المذكورة.واعلم أنا لا نبالغ في بيان أن المراد من الإغواء في هذه الآية الإضلال لأن حاصله يرجع إلى قول إبليس وأنه ليس بحجة إلا أنا نقيم البرهان اليقيني على أن المغوي لإبليس هو الله تعالى وذلك لأن الغاوي لا بد له من مغو كما أن المتحرك لا بد له من محرك والساكن لا بد له من مسكن والمهتدي لا بد له من هاد. فلما كان إبليس غاويا فلا بد له من مغوي والمغوي له إما أن يكون نفسه أو مخلوقا آخر أو الله تعالى والأول:باطل لأن العاقل لا يختار الغواية مع/ العلم بكونها غواية. والثاني: باطل وإلا لزم إما التسلسل وإما الدور.والثالث: هو المقصود. والله أعلم.المسألة الثالثة: الباء في قوله: فبما أغويتني فيه وجوه: الأول: أنه باء القسم أي بإغوائك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم أي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لأقعدن لهم على الطريق المستقيم الذي يسلكونه." (١)

"إلى الجنة بأن أزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم ولما كانت (الباء) باء القسم كانت (اللام) جواب القسم (وما) بتأويل المصدر واغويتني صلتها. والثاني أن قوله: فبما أغويتني أي فبسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم والمراد أنك لما أغويتني فأنا أيضا أسعى في إغوائهم الثالث: قال بعضهم: (ما) في قوله: فبما أغويتني للاستفهام كأنه قيل: بأي شيء أغويتني ثم ابتدأ وقال: لأقعدن لهم وفيه إشكال وهو أن إثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على «ما» الاستفهامية قليل.المسألة الرابعة: قوله: لأقعدن لهم صراطك المستقيم لا

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/ ٢١١

خلاف بين النحويين أن «على» محذوف والتقدير: لأقعدن لهم على صراطك المستقيم. قال الزجاج. مثاله قولك ضرب زيد الظهر والبطن والمعنى على الظهر والبطن وإلقاء كلمة «على» جائز لأن الصراط ظرف في المعنى: فاحتمل ما يحتمله لليوم والليلة في قولك آتيك غدا وفي غد.إذا عرفت هذا فنقول: قوله: لأقعدن لهم صراطك المستقيم فيه أبحاث.البحث الأول: المراد منه أنه يواظب على الإفساد مواظبة لا يفتر عنها ولهذا المعنى ذكر القعود لأن من أراد أن يبالغ في تكميل أمر من الأمور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه إتمام المقصود ومواظبته على الإفساد هي مواظبة على الوسوسة حتى لا يفتر عنها.والبحث الثاني: أن هذه الآية تدل على أنه كان عالما بالدين الحق والمنهج الصحيح لأنه قال: لأقعدن لهم صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق.البحث الثالث: الآية تدل على أن إبليس كان عالما بأن الذي هو عليه من المذهب والاعتقاد هو محض **الغواية** والضلال لأنه لو لم يكن كذلك لما قال: فبما أغويتني وأيضا كان عالما بالدين الحق ولولا ذلك لما قال: لأقعدن لهم صراطك المستقيم.وإذا ثبت هذا فكيف يمكن: أن يرضى إبليس بذلك المذهب مع علمه بكونه ضلالا **وغواية** وبكونه مضادا للدين الحق ومنافيا للصراط المستقيم فإن المرء إنما يعتقد الفاسد إذا غلب على ظنه كونه حقا فأما مع العلم بأنه باطل وضلال **وغواية** يستحيل أن يختاره ويرضى به ويعتقده.واعلم أن من الناس من قال إن كفر إبليس كفر عناد لا كفر جهل لأنه متى علم أن مذهبه ضلال **وغواية** فقد علم أن ضده هو الحق فكان إنكاره إنكارا بمحض اللسان فكان ذلك كفر عناد ومنهم من قال لا بل كفره كفر جهل وقوله: فبما أغويتني وقوله: لأقعدن لهم صراطك المستقيم يريد به في زعم الخصم وفي اعتقاده. والله أعلم.المسألة الخامسة: احتج أصحابنا بهذه الآية في بيان أنه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه ولا في دنياه وتقريره أن إبليس استمهل الزمان الطويل فأمهله الله تعالى ثم بين أنه إنما استمهله لإغواء الخلق وإضلالهم وإلقاء الوساوس في قلوبهم وكان تعالى عالما بأن أكثر الخلق يطيعونه ويقبلون وسوسته كما قال تعالى: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين [سبأ: ٢٠] فثبت بهذا أن إنظار إبليس وإمهاله هذه المدة الطويلة يقتضي حصول المفاسد العظيمة والكفر الكبير فلو كان تعالى مراعيا لمصالح العباد." (١)

"قالوا: إن نوحا عليه السلام قال: ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم والتقدير: لا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم ويضلكم، وهذا صريح في مذهبنا، أما المعتزلة فإنهم قالوا ظاهر الآية يدل على أن الله تعالى إن أراد إغواء القوم لم ينتفعوا بنصح الرسول، وهذا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/٢١٢

مسلم، فإنا نعرف أن الله تعالى لو أراد إغواء عبد فإنه لا ينفعه نصح الناصحين، لكن لم قلتم إنه تعالى أراد هذا الإغواء فإن النزاع ما وقع إلا فيه، بل نقول إن نوحا عليه السلام إنما ذكر هذا الكلام ليدل على أنه تعالى ما أغواهم، بل فوض الاختيار إليهم وبيانه من وجهين الأول: أنه عليه السلام بين أنه تعالى لو أراد إغواءهم لما بقي في النصح فائدة فلو لم يكن فيه فائدة لما أمره بأن ينصح الكفار، وأجمع المسلمون على أنه عليه السلام مأمور/ بدعوة الكفار ونصيحتهم، فعلمنا أن هذا النصح غير خال عن الفائدة، وإذا لم يكن خاليا عن الفائدة وجب القطع بأنه تعالى ما أغواهم، فهذا صار حجة لنا من هذا الوجه. الثاني: أنه لو ثبت الحكم عليهم بأن الله تعالى أغواهم لصار هذا عذرا لهم في عدم إتيانهم بالإيمان ولصار نوع منقطعا في مناظرتهم، لأنهم يقولون له إنك سلمت أن الله إذا أغوانا فإنه لا يبقى في نصحك ولا في جدنا واجتهادنا فائدة، فإذا ادعيت بأن الله تعالى قد أغوانا فقد جعلتنا معذورين فلم يلزمنا قبول هذه الدعوة، فثبت أن الأمر لو كان كما قاله الخصم، لصار هذا حجة للكفار على نوح عليه السلام، ومعلوم أن نوحا عليه السلام لا يجوز أن يذكر كلاما يصير بسببه مفحما ملزما عاجزا عن تقرير حجة الله تعالى، فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية لا تدل على قول المجبرة، ثم إنهم ذكروا وجوها من التأويلات: الأول:أولئك الكفار كانوا مجبرة، وكانوا يقولون إن كفرهم بإرادة الله تعالى، فعند هذا قال نوح عليه السلام: إن نصحه لا ينفعهم إن كان الأمر كما قالوا، ومثاله أن يعاقب الرجل ولده على ذنبه فيقول الولد: لا أقدر على غير ما أنا عليه، فيقول الوالد فلن ينفعك إذا نصحي ولا زجري، وليس المراد أنه يصدقه على ما ذكره بل على وجه الإنكار لذلك. الثاني: قال الحسن معنى يغويكم أي يعذبكم، والمعنى: لا ينفعكم نصحي اليوم إذا نزل بكم العذاب فآمنتم في ذلك الوقت، لأن الإيمان عند نزول العذاب لا يقبل، وإنما ينفعكم نصحي إذا آمنتم قبل مشاهدة العذاب. الثالث: قال الجبائي: **الغواية** هي الخيبة من الطلب بدليل قوله تعالى: فسوف يلقون غيا [مريم: ٥٩] أي خيبة من خير الآخرة قال الشاعر:ومن يغو لا يعدم على الغي لائماالرابع: أنه إذا أصر على الكفر وتمادى فيه منعه الله تعالى الألطاف وفوضه إلى نفسه، فهذا شبيه ما إذا أراد إغواءه فلهذا السبب حسن أن يقال إن الله تعالى أغواه هذا جملة كلمات المعتزلة في هذا الباب. والجواب عن أمثال هذه الكلمات قد ذكرناه مرارا وأطوارا فلا فائدة في الإعادة.المسألة الثانية: قوله: ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم جزاء معلق على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضي أن يكون الشرط المؤخر في اللفظ مقدما في الوجود وذلك لأن الرجل إذا قال لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار، كان المفهوم كون ذلك الطلاق من لوازم ذلك الدخول، فإذا ذكر بعده شرطا آخر مثل أن يقول: إن أكلت الخبز كان المعنى أن

تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الأول مشروط بحصول هذا الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا إن حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الأول أما إن/ لم يوجد الشرط المذكور ثانيا لم يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الأول." (١)

"شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونظيره «فلان على الحق، أو على الباطل» وقد صرحوا به في قولهم: «جعل الغواية مركبا، وامتطى الجهل» وتحقيق القول في كونهم على الهدى تمسكهم بموجب الدليل، لأن الواجب على المتمسك بالدليل أن يدوم على ذلك ويحرسه/ عن المطاعن والشبه فكأنه تعالى مدحهم بالإيمان بما أنزل عليه أولا، ومدحهم بالإقامة على ذلك والمواظبة على حراسته عن الشبه ثانيا، وذلك واجب على المكلف، لأنه إذا كان متشددا في الدين خائفا وجلا فلا بد من أن يحاسب نفسه في علمه وعمله، ويتأمل حاله فيهما فإذا حرس نفسه عن الإخلال كان ممدوحا بأنه على هدى وبصيرة، وإنما نكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقدر قدره كما يقال لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا. قال عون بن عبد الله: الهدى من الله كثير، ولا يبصره إلا بصير، ولا يعمل به إلا يسير. ألا ترى أن نجوم السماء يبصرها البصراء، ولا يهتدي بها إلا العلماء.المسألة الثالثة: في تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص بالفلاح أيضا، فقد تميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين. فإن قيل: فلم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله: أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون [الأعراف: ١٧٩] قلنا: قد اختلف الخبران هنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمت فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد، وكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل.المسألة الرابعة: هم فصل وله فائدتان: إحداهما: الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة وثانيتهما: حصر الخبر في المبتدأ، فإنك لو قلت الإنسان ضاحك فهذا لا يفيد أن الضاحكية لا تحصل إلا في الإنسان، أما لو قلت: الإنسان هو الضاحك فهذا يفيد أن الضاحكية لا تحصل إلا في الإنسان.المسألة الخامسة: معنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو؟ فقيل زيد التائب، أي هو الذي أخبرت بتوبته، أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحون فهم هم، كما تقول لصاحبك: هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام؟ إن زيدا هو هو.المسألة السادسة: المفلح الظافر بالمطلوب كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه، والمفلج بالجيم مثله، والتركيب دال

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٤٢/١٧

على معنى الشق والفتح، ولهذا سمي الزراع فلاحا، ومشقوق الشفة السفلى أفلح، وفي المثل «الحديد بالحديد يفلح» وتحقيقه أن الله تعالى لما وصفهم بالقيام بما يلزمهم علما وعملا بين نتيجة ذلك وهو الظفر بالمطلوب الذي هو النعيم الدائم من غير شوب على وجه الإجلال والإعظام، لأن ذلك هو الثواب المطلوب للعبادات. المسألة السابعة: هذه الآيات يتمسك الوعيدية بها من وجه، والمرجئة من وجه آخر. أما الوعيدية فمن وجهين: الأول: أن قوله: وأولئك هم المفلحون يقتضي الحصر، فوجب فيمن أخل بالصلاة والزكاة أن لا يكون مفلحا، وذلك يوجب القطع على وعيد تارك الصلاة/ والزكاة. الثاني: أن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك الحكم فيلزم أن تكون علة الفلاح هي فعل الإيمان والصلاة والزكاة، فمن أخل بهذه الأشياء لم يحصل له علة الفلاح، فوجب أن لا يحصل الفلاح. أما المرجئة فقد احتجوا بأن الله حكم." (١)

"القوى الحسية والخيالية ضعيفة فإذا ضعفت قويت القوة العقلية وأشرقت الأنوار الإلهية في جوهر العقل، وحصلت المعارف وكملت العلوم من غير واسطة سعي وطلب في التفكر والتأمل، وهذا هو المسمى بالعلوم اللدنية، إذا عرفت هذا فنقول: جواهر النفس الناطقة مختلفة بالماهية فقد تكون النفس نفسا مشرقة نورانية إلهية علوية قليلة التعلق بالجواذب البدنية والنوازع الجسمانية فلا جرم كانت أبدا شديدة الاستعداد لقبول الجلايا القدسية والأنوار الإلهية، فلا جرم فاضت عليها من عالم الغيب تلك الأنوار على سبيل الكمال والتمام، وهذا هو المراد بالعلم اللدني وهو المراد من قوله: آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وأما النفس التي ما بلغت في صفاء الجوهر وإشراق العنصر فهي النفس الناقصة البليدة التي لا يمكنها تحصيل المعارف والعلوم إلا بمتوسط بشري يحتال في تعليمه وتعلمه والقسم الأول بالنسبة إلى القسم الثاني كالشمس بالنسبة إلى الأضواء الجزئية وكالبحر بالنسبة إلى الجداول الجزئية وكالروح الأعظم بالنسبة إلى الأرواح الجزئية. فهذا تنبيه قليل على هذا المأخذ، ووراءه أسرار لا يمكن ذكرها في هذا الكتاب. ثم قال تعالى: قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا وفيه مسألتان: المسألة الأولى: قرأ أبو عمرو ويعقوب رشدا بفتح الراء والشين وعن ابن عباس رضي الله عنهما بضم الراء والشين والباقون بضم الراء وتسكين الشين قال القفال وهي لغات في معنى واحد يقال رشد ورشد مثل نكر ونكر «١» كما يقال سقم وسقم وشغل وشغل وبخل وبخل وعدم وعدم وقوله رشدا أي علما ذا رشد قال القفال قوله: رشدا يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الرشد راجعا إلى الخضر أي مما علمك الله وأرشدك به. والثاني: أن

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧٩/٢

يرجع ذلك إلى موسى ويكون المعنى على أن تعلمني وترشدني مما علمت.المسألة الثانية: اعلم أن هذه الآيات تدل على ان موسى عليه السلام راعى أنواعا كثيرة من الأدب واللطف عند ما أراد أن يتعلم من الخضر. فأحدها: أنه جعل نفسه تبعا له لأنه قال: هل أتبعك. وثانيها: أن استأذن في إثبات هذا التبعية فإنه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعا لك وهذا مبالغة عظيمة في التواضع.وثالثها: أنه قال على أن تعلمن وهذا إقرار له على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم. ورابعها: أنه قال:مما علمت وصيغة من للتبعيض فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضا مشعر بالتواضع كأنه يقول له لا أطلب منك أن تجعلني مساويا في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزأ من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزأ من أجزاء ماله. وخامسها: أن قوله: مما علمت اعتراف بأن الله علمه ذلك العلم. وسادسها: أن قوله: رشدا طلب منه للإرشاد والهداية والإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت **الغواية** والضلال. وسابعها: أن قوله: تعلمن مما علمت معناه أنه طلب منه أن يعامله بمثل ما عامله الله به وفيه إشعار بأنه يكون إنعامك علي عند هذا التعليم شبيها بإنعام الله تعالى عليك في هذا التعليم ولهذا المعنى قيل أنا عبد من تعلمت منه حرفا. وثامنها: أن المتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير لأجل كونه فعلا لذلك الغير، فإنا إذا قلنا: لا إله إلا الله فاليهود الذين كانوا قبلنا كانوا يذكرون هذه الكلمة فلا يجب كوننا متبعين لهم في ذكر هذه الكلمة، لأنا لا نقول هذه الكلمة لأجل أنهم قالوها بل إنما نقولها لقيام الدليل على أنه يجب ذكرها، أما إذا أتينا بهذه الصلوات الخمس على موافقة فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنما أتينا بها لأجل أنه____________(١) لعل الصواب: مثل شكر شكر.." (١)

"أحدهما: قوله: هل أدلك على شجرة الخلد أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها صار مخلدا بزعمه. الثاني: قوله: وملك لا يبلى أي من أكل من هذه الشجرة دام ملكه، قال القاضي: ليس في الظاهر أن آدم قبل ذلك منه بل لو وجدت هذه الوسوسة حال كون آدم عليه السلام نبيا لاستحال أن يكون آدم عليه السلام قبل ذلك منه، لأنه لا بد وأن تحصل بين حال التكليف وحال المجازاة فترة بالموت، وبالمعنى فآدم لما كان نبيا امتنع أن لا يعلم ذلك. قلنا: لا نسلم بأنه لا بد من حصول هذه الفترة بين حال التكليف وحال المجازاة، ولم لا يجوز أن يقال: لا حاجة إلى الفترة أصلا، وإن كان ولا بد فيكفي حصول الفترة بغشي أو نوم خفيف. ثم إن كان ولا بد من حصول الفترة بالموت فلم قلت: النبي لا بد وأن يعلم ذلك، أليس قوم منكم يقولون إن موسى عليه السلام إنما سأل الرؤية لأنه ما كان يعرف امتناعها على

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٨٣/٢١

الله تعالى فإذا جاز ذلك الجهل فلم لا يجوز هذا الجهل، ثم ما الدليل على أن آدم كان نبيا في ذلك الوقت فإن مذهبنا أن واقعة الزلة إنما حصلت قبل رسالته لا بعدها، / ثم إن الذي يدل على أن آدم عليه السلام قبل ذلك قوله تعالى عقيب ذكر الوسوسة فأكلا منها، وهذا الترتيب مشعر بالعلية كقولهم: «زنى ماعز فرجم» «وسها رسول الله فسجد» فإن هذه الفاء تدل على أن الرجم كالمسبب للزنا والسجود كالمسبب للسهو فكذلك هاهنا يجب أن يكون الأكل كالمعلل باستماع قوله: هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وإنما يحصل هذا التعليل لو قبل آدم ذلك منه، فإنه لو رد قوله لما أقدم على الأكل بناء على قوله، فثبت أن آدم عليه السلام قبل ذلك من إبليس ثم إنه سبحانه بين أنهما لما أكلا بدت لهما سوآتهما، قال ابن عباس: عريا من النور الذي كان الله ألبسهما حتى بدت فروجهما وإنما جمع فقيل سوآتهما كما قال: صغت قلوبكما [التحريم: ٤] فإن قيل: هل كان ظهور سوآتهما كالجزاء على معصيتهما، قلنا: لا شك أن ذلك كالمعلق على ذلك الأكل، لكن يحتمل أن لا يكون عقابا عليه، بل إنما ترتب عليه لمصلحة أخرى أما قوله: وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ففيه أبحاث:البحث الأول: قال صاحب «الكشاف» : طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وأخذ وأنشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة، وهي للشروع في أول الأمر، وكاد لمقاربته والدنو منه.البحث الثاني: قرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل، وهو أن يخرز عليها الخصاف أي يلزقان الورقة على سوآتهما للستر وهو ورق التين، أما قوله: وعصى آدم ربه فغوى فمن الناس من تمسك بهذا في صدور الكبيرة عنه من وجهين: الأول: أن العاصي اسم للذم فلا ينطلق إلا على صاحب الكبيرة لقوله تعالى:ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها [النساء: ١٤] ولا معنى لصاحب الكبيرة إلا من فعل فعلا يعاقب عليه. والوجه الثاني: أن الغواية والضلالة اسمان مترادفان والغي ضد الرشد ومثل هذا الاسم لا يتناول إلا الفاسق المنهمك في فسقه. أجاب قوم عن الكلام الأول فقالوا: المعصية مخالفة الأمر، والأمر قد يكون بالواجب والندب فإنهم يقولون: أشرت عليه في أمر ولده في كذا فعصاني، وأمرته بشرب الدواء فعصاني، وإذا كان الأمر كذلك لم يمتنع إطلاق اسم العصيان على آدم لا لكونه تاركا للواجب بل لكونه تاركا للمندوب، فأجاب المستدل عن هذا الاعتراض بأنا بينا أن ظاهر القرآن يدل على أن العاصي مستحق للعقاب والعرف يدل على أنه اسم ذم فوجب تخصيص اسم العاصي بتارك الواجب، ولأنه لو كان تارك المندوب عاصيا

لوجب وصف الأنبياء بأسرهم بأنهم عصاة في كل حال لأنهم لا ينفكون من ترك المندوب، فإن قيل: وصف." (١)

"من الغيوب، ثم يوحون به إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما (يوحي) «١» به إليهم، لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وثانيها: يلقون إلى أوليائهم السمع أي المسموع من الملائكة وثالثها: الأفاكون/ يلقون السمع إلى الشياطين فيلقون وحيهم إليهم ورابعها: يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس، وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم، فإن قلت يلقون ما محله؟ قلت يجوز أن يكون في محل النصب على الحال أي تنزل ملقين السمع، وفي محل الجر صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع، وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأن قائلا قال: لم تنزل على الأفاكين؟ فقيل يفعلون كيت وكيت، فإن قلت كيف قال: وأكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك؟ قلت: الأفاكون هم الذين يكثرون الكذب، لا أنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب، فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجن وأكثرهم يفتري عليهم.[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٢٢٤ الى ٢٢٧]والشعراء يتبعهم الغاوون (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢٢٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)اعلم أن الكفار لما قالوا: لم لا يجوز أن يقال إن الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة وبالشعر على الشعراء؟ ثم إنه سبحانه فرق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين الكهنة، فذكر هاهنا ما يدل على الفرق بينه عليه السلام وبين الشعراء، وذلك هو أن الشعراء يتبعهم الغاوون، أي الضالون، ثم بين تلك الغواية بأمرين: الأول: أنهم في كل واد يهيمون والمراد منه الطرق المختلفة كقولك أنا في واد وأنت في واد، وذلك لأنهم قد يمدحون الشيء بعد أن ذموه وبالعكس، وقد يعظمونه بعد أن استحقروه وبالعكس، وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق بخلاف أمر محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة إلى الله تعالى والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا الثاني: أنهم يقولون ما لا يفعلون وذلك أيضا من علامات الغواة، فإنهم يرغبون في الجود ويرغبون عنه، وينفرون عن البخل ويصرون عليه، ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عن واحد من أسلافهم، ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش، وذلك يدل على الغواية والضلالة.وأما محمد صلى الله عليه وسلم فإنه بدأ بنفسه حيث قال الله تعالى له: فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين [الشعراء: ٢١٣] ثم بالأقرب

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠٨/٢٢

فالأقرب حيث قال الله تعالى له: وأنذر عشيرتك الأقربين [الشعراء: ٢١٤] وكل ذلك على خلاف طريقة الشعراء، فقد ظهر بهذا الذي بيناه أن حلال محمد صلى الله عليه وسلم ما كان يشبه حال الشعراء، ثم إن الله تعالى لما وصف الشعراء بهذه الأوصاف الذميمة بيانا لهذا الفرق استثنى عنهم الموصوفين بأمور أربعة: أحدها: الإيمان وهو قوله: إلا الذين آمنوا، وثانيها: العمل الصالح وهو قوله: وعملوا الصالحات،__________(١) في الكشاف (يوحون) ٣/ ١٣٢) ط. دار الفكر.." [١]

"اعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر في هذه الآية أنه يسأل الكفار يوم القيامة عن ثلاثة أشياء أحدها: قوله:ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون لما ثبت أن الكفار يوم القيامة قد عرفوا بطلان ما كانوا عليه وعرفوا صحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقول لهم أين ما كنتم تعبدونه وتجعلونه شريكا في العبادة وتزعمون أنه يشفع؟ أين هو لينصركم ويخلصكم من هذا الذي نزل بكم. ثم بين تعالى ما يقوله من حق عليه القول، والمراد من القول هو قوله: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين [هود: ١١٩] ومعنى حق عليه القول أي حق عليه مقتضاه، واختلفوا في أن الذين حق عليهم هذا القول من هم؟ فقال بعضهم الرؤساء الدعاة إلى الضلال، وقال بعضهم الشياطين قوله: ربنا هؤلاء الذين أغوينا هؤلاء مبتدأ والذين أغوينا صفته والراجع إلى الموصوف محذوف وأغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا والمراد كما أن غينا باختيارنا فكذا غيهم باختيارهم يعني أن إغواءنا لهم ما ألجأهم إلى **الغواية** بل كانوا مختارين بالإقدام على تلك العقائد والأعمال، وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان أنه قال: إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم [إبراهيم: ٢٢] وقال تعالى لإبليس: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين [الحجر: ٤٢] فقوله: إلا من اتبعك يدل على أن ذلك الاتباع لهم من قبل أنفسهم لا من قبل إلجاء الشيطان إلى ذلك، ثم قال تبرأنا إليك منهم ومن عقائدهم وأعمالهم ما كانوا إيانا يعبدون إنما كانوا يعبدون أهواءهم، والحاصل أنهم يتبرءون منهم كما قال تعالى: إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا [البقرة: ١٦٦] وأيضا فلا يمتنع في قوله تعالى: أين شركائي أن يريد به هؤلاء الرؤساء والشياطين فإنهم لما أطاعوهم فقد صيروهم لمكان الطاعة بمنزلة الشريك لله تعالى، وإذا حمل الكلام على هذا الوجه كان جوابهم أن يقولوا إلهنا هؤلاء ما عبدونا إنما عبدوا أهواءهم الفاسدة وثانيها: قوله تعالى: وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم والأقرب أن هذا على سبيل التقرير لأنهم يعلمون أنه لا فائدة في دعائهم لهم، فالمراد أنهم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣٨/٢٤

لو دعوهم لم يوجد منهم إجابة في النصرة وأن العذاب ثابت فيهم، وكل ذلك على وجه التوبيخ، وفي ذكره ردع وزجر في دار الدنيا، فأما قوله تعالى: لو أنهم كانوا يهتدون فكثير من المفسرين زعموا أن جواب لو محذوف وذكروا فيه وجوها أحدها: قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما أبصروه في الآخرة وثانيها: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا لعلموا أن العذاب حق وثالثها:ودوا حين رأوا العذاب لو كانوا في الدنيا يهتدون ورابعها: لو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب وخامسها: قد آن لهم أن يهتدوا لو أنهم كانوا يهتدون إذا رأوا العذاب ويؤكد ذلك قوله تعالى:لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم [الشعراء: ٢٠١] وعندي أن الجواب غير محذوف وفي تقريره وجوه أحدها: أن الله تعالى إذا خاطبهم بقوله: ادعوا شركاءكم فههنا يشتد الخوف عليهم ويلحقهم شيء كالسدر والدوار ويصيرون بحيث لا يبصرون شيئا فقال تعالى: ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون شيئا أما لما صاروا من شدة الخوف بحيث لا يبصرون شيئا لا جرم ما رأوا العذاب وثانيها: أنه تعالى لما ذكر عن الشركاء." (١)

"وهي الأصنام أنهم لا يجيبون الذين دعوهم قال في حقهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون أي هذه الأصنام كانوا يشاهدون العذاب لو كانوا من الأحياء المهتدين ولكنها ليست كذلك فلا جرم ما رأت العذاب فإن قيل قوله: ورأوا العذاب ضمير لا يليق إلا بالعقلاء فكيف يصح عوده إلى الأصنام؟ قلنا هذا كقوله:فدعوهم فلم يستجيبوا لهم [الكهف: ٥٢] وإنما ورد ذلك على حسب اعتقاد القوم فكذا هاهنا وثالثها: أن يكون المراد من الرؤية رؤية القلب أي والكفار علموا حقيقة هذا العذاب في الدنيا لو كانوا يهتدون وهذه الوجوه عندي خير من الوجوه المبنية على أن جواب لو محذوف فإن ذلك يقتضي تفكيك النظم من الآية الأمر الثالث:من الأمور التي يسأل الله الكفار عنها قوله: ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء أي فصارت الأنباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي إليهم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لأنهم يتساوون جميعا في عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب، وقرئ فعميت وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك يتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال، ويفوضون الأمر إلى علم الله وذلك قوله تعالى: يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب [المائدة: ١٠٩] فما ظنك بهؤلاء الضلال، قال القاضي هذه الآية تدل على بطلان القول بالجبر لأن فعلهم لو كان خلقا من الله تعالى ويجب وقوعه بالقدرة والإرادة لما عميت عليهم الأنبياء

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٩/٢٥

ولقالوا إنما أتينا في تكذيب الرسل من جهة خلقك فينا تكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك، فكانت حجتهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم لأن الشيطان كان له أن يقول إنما أغويت بخلقك في **الغواية**، وإنما قبل من دعوته لمثل ذلك/ فتكون الحجة لهم في ذلك قوية والعذر ظاهرا والجواب: أن القاضي لا يترك آية من الآيات المشتملة على المدح والذم والثواب والعقاب إلا ويعيد استدلاله بها، وكما أن وجه استدلاله في الكل هذا الحرف فكذا وجه جوابنا حرف واحد وهو أن علم الله تعالى بعدم الإيمان مع وقوع الإيمان متنافيان لذاتيهما فمع العلم بعدم الإيمان إذا أمر بإدخال الإيمان في الوجود فقد أمر بالجمع بين الضدين، والذي اعتمد القاضي عليه في دفع هذا الحرف في كتبه الكلامية قوله خطأ قول من يقول إنه يمكن وخطأ قول من يقول إنه لا يمكن بل الواجب السكوت ولو أورد الكافر هذا السؤال على ربه لما كان لربه عنه جواب إلا السكوت، فتكون حجة الكافر قوية وعذره ظاهرا فثبت أن الإشكال مشترك والله أعلم.[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٦٧ الى ٧٠]فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين (٦٧) وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون (٦٨) وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (٦٩) وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون (٧٠)اعلم أنه تعالى لما بين حال المعذبين من الكفار وما يجري عليهم من التوبيخ أتبعه بذكر من يتوب منهم في الدنيا ترغيبا في التوبة وزجرا عن الثبات على الكفر فقال: فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وفي عسى وجوه: أحدها: أنه من الكرام تحقيق والله أكرم الأكرمين وثانيها: أن يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع في الفلاح وثالثها: عسى أن يكونوا كذلك إن داموا على التوبة والإيمان لجواز." (١)

"واعلم أن الله تعالى لما حكى عنهم أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون شرح كيفية ذلك التساؤل فقال: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين وهذا قول الأتباع لمن دعاهم إلى الضلالة، وفي تفسير اليمين وجوه الأول: أن لفظ اليمين هاهنا استعارة عن الخيرات والسعادات، وبيان كيفية هذه الاستعارة، أن الجانب الأيمن أفضل من الجانب الأيسر لوجوه أحدها: اتفاق الكل على أن أشرف الجانبين هو اليمين والثاني: لا يباشرون الأعمال الشريفة إلا باليمين مثل مصافحة الأخيار والأكل والشرب وما على العكس منه يباشرونه باليد اليسرى الثالث: أنهم كانوا يتفاءلون وكانوا يتيمنون بالجانب الأيمن ويسمونه بالبارح الرابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب التيامن في كل شيء الخامس: أن الشريعة حكمت بأن الجانب الأيمن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥/ ١٠

لكاتب الحسنات والأيسر لكاتب السيئات السادس: أن الله تعالى وعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيء أن يؤتى كتابه بيساره، فثبت أن الجانب الأيمن أفضل من الجانب الأيسر، وإذا كان كذلك لا جرم، استعير لفظ اليمين للخيرات والحسنات والطاعات، فقوله: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين يعني أنكم كنتم تخدعوننا وتوهمون لنا أن مقصودكم من الدعوة إلى تلك الأديان نصرة الحق وتقوية الصدق والوجه الثاني: في التأويل أنه يقال فلان يمين فلان، إذا كان عنده بالمنزلة الحسنة، فقال هؤلاء الكفار لأئمتهم الذين أضلوهم وزينوا لهم الكفر: إنكم كنتم تخدعوننا وتوهمون لنا، أننا عندكم بمنزلة اليمين، أي بالمنزلة الحسنة، فوثقنا بكم وقبلنا عنكم الوجه الثالث: أن أئمة الكفار كانوا قد حلفوا لهؤلاء المستضعفين أن ما يدعونهم إليه هو الحق، فوثقوا بأيمانهم وتمسكوا بعهودهم التي عهدوها لهم، فمعنى قوله: كنتم تأتوننا عن اليمين أي من ناحية المواثيق والأيمان التي قدمتموها لنا الوجه الرابع:أن لفظ اليمين مستعار من القوة والقهر، لأن اليمين موصوفة بالقهر وبها يقع البطش، والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر، وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتعيرونا عليه، ثم حكى الله تعالى عن الرؤساء أنهم أجابوا الأتباع من وجوه الأول: أنهم قالوا لهم بل لم تكونوا مؤمنين يعني أنكم ما كنتم موصوفين بالإيمان حتى يقال إنا أزلناكم عنه الثاني: قولهم: وما كان لنا عليكم من سلطان يعني لا قدرة لنا عليكم حتى نقهركم ونجبركم الثالث: بل كنتم قوما طاغين أي ضالين غالين في معصية الله الرابع: قولهم:فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون والمعنى أن الله تعالى لما أخبر عن/ وقوعنا في العذاب، فلو لم يحصل وقوعنا في العذاب لما كان خبر الله حقا، بل كان باطلا، ولما كان خبر الله أمرا واجبا لا جرم، كان الوقوع في العذاب الأليم لازما، قال مقاتل قوله تعالى: فحق علينا قول ربنا إشارة إلى قول الله لإبليس: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين [ص: ٨٥] وقوله تعالى: إنا لذائقون يعني لما وجب أن يحق علينا قول ربنا وجب أن نكون ذائقين لهذا العذاب الخامس: قولهم: فأغويناكم إنا كنا غاوين والمعنى أنا إنما أقدمنا على إغوائكم لأنا كنا موصوفين في أنفسنا بالغواية، وفيه دقيقة أخرى، كأنهم قالوا: إن اعتقدتم أن غوايتكم بسبب إغوائنا فغوايتنا إن كانت بسبب إغواء غاو آخر ولزم التسلسل وذلك محال، فعلمنا أن حصول الغواية والرشاد ليس من قبلنا، بل من قبل غيرنا، وذلك الغير هو الذي ذكره فيما قبل، وهو قوله: فحق علينا قول ربنا ولما حكى الله تعالى كلام الأتباع للرؤساء وكلام الرؤساء للأتباع قال بعده: فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني فالمتبوع والتابع والمخدوم والخادم مشتركون في الوقوع في العذاب كما كانوا في الدنيا." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦/٣٣٠

"مشتركين في **الغواية**، ثم قال أيضا: إنا كذلك نفعل بالمجرمين وعنى بالمجرمين هاهنا الكفار بدليل أنه تعالى قال بعد هذه الكلمة: إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون والضمير في قوله: إنهم عائد إلى المذكور السابق وهو قوله: بالمجرمين وهذا يدل على أن لفظ المجرم المطلق مختص في القرآن بالكافر، ثم بين تعالى أنهم إنما وقعوا في ذلك العذاب لأنهم كانوا مكذبين بالتوحيد وبالنبوة، أما التكذيب بالتوحيد فهو قوله تعالى: إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون يعني ينكرون ويتعصبون لإثبات الشرك ويستنكفون عن الإقرار بالتوحيد. وأما التكذيب بالنبوة فهو قولهم: أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ويعنون محمدا، ثم إنه تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال: بل جاء بالحق وصدق المرسلين وتقرير هذا الكلام أنه جاء بالدين الحق لأنه ثبت بالعقل أنه تعالى منزه عن الضد والند والشريك فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم بتقرير هذه المعاني كان مجيئه بالدين الحق، قرأ ابن كثير أينا لتاركوا آلهتنا بهمزة وياء بعدها خفيفة ساكنة بلا مد، وقرأ نافع في رواية قالون وأبو عمرو على هذا التفسير يمدان والباقون بهمزتين بلا مد وقوله تعالى: وصدق المرسلون «١» يعني صدقهم في مجيئهم بالتوحيد ونفي الشريك، وهذا تنبيه على أن القول بالتوحيد دين لكل الأنبياء، ولما حكى الله عنهم تكذيبهم بالتوحيد والنبوة نقل الكلام من الغيبة إلى الحضور فقال: إنكم لذائقوا العذاب الأليم كأنه قيل فكيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضر أن يعذب عباده فأجاب عنه بقوله: وما تجزون إلا ما كنتم تعملون والمعنى أن الحكم يقتضي الأمر بالحسن والطاعة والنهي عن القبيح والمعصية والأمر والنهي لا يكمل المقصود منهما/ إلا بالترغيب في الثواب والترهيب بالعقاب وإذا وقع الإخبار عنه وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب، فلهذا السبب وقعوا في العذاب ثم قال: إلا عباد الله المخلصين يعني ولكن عباد الله [المخلصين ناجون وهو] من الاستثناء المنقطع.[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٤١ الى ٥٠]أولئك لهم رزق معلوم (٤١) فواكه وهم مكرمون (٤٢) في جنات النعيم (٤٣) على سرر متقابلين (٤٤) يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥)بيضاء لذة للشاربين (٤٦) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (٤٧) وعندهم قاصرات الطرف عين (٤٨) كأنهن بيض مكنون (٤٩) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٥٠)____________(١) وصدق المرسلون في المصحف مرفوعة بالواو والنون. ولكن المفسر جرى في تفسيره على أنها منصوبة بالياء والنون ومعنى قراءة الرفع أن المرسلين صدقوا في كل ما أخبروا به وإنما شدد الدال من صدق للمبالغة في وصفهم بالصدق.وقراءة

الرفع عامة تشمل جميع الأنبياء ومنهم محمد، وأما قراءة النصب فلا تشمل نبينا عليه السلام إذ يكون الخطاب عنه.." (١)

"الطريق وأبعد عنه تتغير عليه السمات والجهات ولا يرى عين المقصد ويتبين له أنه ضل عن الطريق، وربما يقع في أودية ومفاوز ويظهر له أمارات الضلال بخلاف من حاد قليلا، فالضلال وصفه الله تعالى بالوصفين في كثير من المواضع فقال تارة في ضلال مبين وأخرى قال: في ضلال بعيد.المسألة الثانية: قوله تعالى: ولكن كان في ضلال بعيد إشارة إلى قوله إلا عبادك منهم/ المخلصين [الحجر: ٤٠] وقوله تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان [الحجر: ٤٢] أي لم يكونوا من العباد، فجعلهم أهل العناد، ولو كان لهم في سبيلك قدم صدق لما كان لي عليهم من يد، والله أعلم.المسألة الثالثة: كيف قال ما أطغيته مع أنه قال: لأغوينهم أجمعين؟ [الحجر: ٣٩] قلنا الجواب عنه من ثلاثة أوجه وجهان: قد تقدما في الاعتذار عما قاله الزمخشري والثالث: هو أن يكون المراد من قوله لأغوينهم أي لأديمنهم على **الغواية** كما أن الضال إذا قال له شخص أنت على الجادة، فلا تتركها، يقال أنه يضله كذلك هاهنا، وقوله ما أطغيته أي ما كان ابتداء الإطغاء مني.[سورة ق (٥٠) : آية ٢٨]قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد (٢٨)ثم قال تعالى: قال لا تختصموا لدي.قد ذكرنا أن هذا دليل على أن هناك كلاما قبل قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته [ق: ٢٧] وهو قول الملقى في النار ربنا أطغاني وقوله لا تختصموا لدي يفيد مفهومه أن الاختصام كان ينبغي أن يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي.وقوله تعالى: وقد قدمت إليكم بالوعيد.تقرير للمنع من الاختصام وبيان لعدم فائدته، كأنه يقول قد قلت إنكم إذا اتبعتم الشيطان تدخلون النار وقد اتبعتموه، فإن قيل ما حكم الباء في قوله تعالى: بالوعيد؟ قلنا فيها وجوه أحدها: أنها مزيدة كما في قوله تعالى تنبت بالدهن [المؤمنون: ٢٠] ، على قول من قال إنها هناك زائدة، وقوله وكفى بالله [النساء: ٦] وثانيها: معدية فـقدمت بمعنى تقدمت كما في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله [الحجرات: ١] ثالثها: في الكلام إضمار تقديره، وقد قدمت إليكم مقترنا بالوعيد ما يبدل القول لدي [ق: ٢٩] فيكون المقدم هو قوله، ما يبدل القول لدي، رابعها: هي المصاحبة يقول القائل: اشتريت الفرس بلجامه وسرجه أي معه فيكون كأنه تعالى قال: قدمت إليكم ما يجب مع الوعيد على تركه بالإنذار.[سورة ق (٥٠) : آية ٢٩]ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد (٢٩)وقوله تعالى: ما يبدل القول لدي يحتمل وجهين:أحدهما: أن يكون قوله لدي متعلقا بالقول أي ما يبدل القول لدي وثانيهما: أن يكون ذلك متعلقا

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦/٣٣١

بقوله ما يبدل أي لا يقع التبديل عندي، وعلى الوجه الأول في القول الذي لديه وجوه أحدها: هو أنهم لما قالوا حتى يبدل ما قيل في حقهم ألقيا [ق: ٢٤] بقول الله بعد اعتذارهم لا تلقياه فقال تعالى: ما يبدل هذا القول لدي، وكذلك قوله قيل ادخلوا أبواب/ جهنم [الزمر: ٧٢] لا تبديل له ثانيها: هو قوله ولكن حق." (١)

"بعضهم عند محاولة الفرق: أن الضلال في مقابلة الهدى، والغي في مقابلة الرشد، قال تعالى: وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا [الأعراف: ١٤٦] وقال تعالى: قد تبين الرشد من الغي [البقرة: ٢٥٦] وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع، تقول ضل بعيري ورحلي، ولا تقول غوى، فالمراد من الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا، **والغواية** أن لا يكون له طريق إلى المقصد مستقيم يدلك على هذا أنك تقول للمؤمن الذي ليس على طريق السداد إنه سفيه غير رشيد، ولا تقول إنه ضال، والضال كالكافر، والغاوي كالفاسق، فكأنه تعالى قال: ما ضل أي ما كفر، ولا أقل من ذلك فما فسق، ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى: فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم [النساء: ٦] أو نقول الضلال كالعدم، **والغواية** كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة، وقوله صاحبكم فيه ووجهان الأول:سيدكم والآخر: مصاحبكم، يقال صاحب البيت ورب البيت، ويحتمل أن يكون المراد من قوله ما ضل أي ما جن، فإن المجنون ضال، وعلى هذا فهو كقوله تعالى: ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون [القلم: ١- ٣] فيكون إشارة إلى أنه ما غوى، بل هو رشيد مرشد دال على الله بإرشاد آخر، كما قال تعالى: قل ما أسئلكم عليه من أجر [الشعراء: ١٠٩] وقال: إن أجري إلا على الله [يونس: ٧٢] وقوله تعالى: وإنك لعلى خلق عظيم [القلم: ٤] إشارة إلى قوله هاهنا وما ينطق عن الهوى فإن هذا خلق عظيم، ولنبين الترتيب فنقول: قال أولا ما ضل أي هو على الطريق وما غوى أي طريقه الذي هو عليه مستقيم وما ينطق عن الهوى أي هو راكب متنه آخذ سمت المقصود، وذلك لأن من يسلك طريقا ليصل إلى مقصده فربما يبقى بلا طريق، وربما يجد إليه طريقا بعيدا فيه متاعب ومهالك، وربما يجد طريقا واسعا آمنا ولكنه يميل يمنة ويسرة فيبعد عنه المقصد، ويتأخر عليه الوصول، فإذا سلك الجادة وركب متنها كان أسرع وصولا، ويمكن أن يقال وما ينطق عن الهوى دليل على أنه ما ضل وما غوى، تقديره: كيف يضل أو يغوى وهو لا ينطق عن الهوى، وإنما يضل من يتبع الهوى، ويدل عليه قوله تعالى: ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله [ص: ٢٦] فإن قيل ما ذكرت من الترتيب الأول على صيغة الماضي

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٣٩/٢٨

في قوله ما ضل وصيغة المستقبل في قوله وما ينطق في غاية الحسن، أي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره وما غوى حين/ اختلى بنفسه ورأى منامه ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن حيث أرسل إليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم، فلم يكن أولا ضالا ولا غاويا، وصار الآن منقذا من الضلالة ومرشدا وهاديا. وأما على ما ذكرت أن تقديره كيف يضل وهو لا ينطق عن الهوى فلا توافقه الصيغة؟ نقول بلى، وبيانه أن الله تعالى يصون من يريد إرساله في صغره عن الكفر، والمعايب القبيحة كالسرقة والزنا واعتياد الكذب، فقال تعالى:ما ضل في صغره، لأنه لا ينطق عن الهوى، وأحسن ما يقال في تفسير الهوى أنها المحبة، لكن من النفس يقال هويته بمعنى أحببته لكن الحروف التي في هوي تدل على الدنو والنزول والسقوط ومنه الهاوية، فالنفس إذا كانت دنيئة، وتركت المعالي وتعلقت بالسفاسف فقد هوت فاختص الهوى بالنفس الأمارة بالسوء، ولو قلت أهواه بقلبي لزال ما فيه من السفالة، لكن الاستعمال بعد استبعاد استعمال القرآن حيث لم يستعمل الهوى إلا في المواضع الذي يخالف المحبة، فإنها مستعملة في موضع المدح، والذي يدل على ما ذكرنا قوله تعالى: فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا إلى قوله ونهى النفس عن الهوى [النازعات: ٣٧- ٤٠] إشارة إلى علو مرتبة النفس. ثم قال تعالى:." (١)

"[سورة النجم (٥٣) : آية ٤]إن هو إلا وحي يوحى (٤)بكلمة البيان، وذلك لأنه تعالى لما قال: وما ينطق عن الهوى [النجم: ٣] كأن قائلا قال: فبماذا ينطق أعن الدليل أو الاجتهاد؟ فقال لا، وإنما ينطق عن الله بالوحي، وفيه مسائل:المسألة الأولى: إن استعملت مكان ما للنفي، كما استعملت ما للشرط مكان إن، قال تعالى: ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها [البقرة: ١٠٦] والمشابهة بينهما من حيث اللفظ والمعنى، أما اللفظ فلأن إن من الهمزة والنون، وما من الميم والألف، والألف كالهمزة والنون كالميم، أما الأول: فبدليل جواز القلب، وأما الثاني: فبدليل جواز الإدغام ووجوبه، وأما المعنى فلأن إن تدل على النفي من وجه، وعلى الإثبات من وجه، ولكن دلالتها على النفي أقوى وأبلغ، لأن الشرط والجزاء في صورة استعمال لفظة إن يجب أن يكون في الحالة معدوما إذا كان المقصود الحث أو المنع، تقول إن تحسن فلك الثواب، وإن تسيء فلك العذاب، وإن كان المراد بيان حال القسمين المشكوك فيهما كقولك: إن كان هذا الفص زجاجا فقيمته نصف، وإن كان جوهرا فقيمته ألف، فههنا وجود شيء منهما غير معلوم وعدم العلم حاصل، وعدم العلم هاهنا كعدم الحصول في الحث والمنع، فلا بد في صور استعمال إن عدم، إما في الأمر، وإما في العلم، وإما الوجود فذلك عند وجود الشرط في بيان الحال، ولهذا قال النحاة: لا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣٤/٢٨

يحسن أن يقال إن احمر البسر آتيك، لأن ذلك أمر سيوجد لا محالة، وجوزوا استعمال إن فيما لا يوجد أصلا، يقال في قطع الرجاء/ إن ابيض القار تغلبني، قال الله تعالى: فإن استقر مكانه فسوف تراني [الأعراف: ١٤٣] ولم يوجد الاستقرار ولا الرؤية، فعلم أن دلالته على النفي أتم، فإن مدلوله إلى مدلول ما أقرب فاستعمل أحدهما مكان الآخر هذا هو الظاهر، وما يقال إن وما، حرفان نافيان في الأصل، فلا حاجة إلى الترادف.المسألة الثانية: هو ضمير معلوم أو ضمير مذكور، نقول فيه وجهان أشهرهما: أنه ضمير معلوم وهو القرآن، كأنه يقول: ما القرآن إلا وحي، وهذا على قول من قال النجم ليس المراد منه القرآن، وأما على قول من يقول هو القرآن فهو عائد إلى المذكور والوجه الثاني: أنه عائد إلى مذكور ضمنا وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم وكلامه وذلك لأن قوله تعالى: وما ينطق عن الهوى [النجم: ٣] في ضمنه النطق وهو كلام وقول فكأنه تعالى يقول وما كلامه وهو نطقه إلا وحي وفيه وجه آخر أبعد وأدق، وهو أن يقال قوله تعالى: ما ضل صاحبكم قد ذكر أن المراد منه في وجه أنه ما جن وما مسه الجن فليس بكاهن، وقوله وما غوى أي ليس بينه وبين **الغواية** تعلق، فليس بشاعر، فإن الشعراء يتبعهم الغاوون، وحينئذ يكون قوله وما ينطق عن الهوى ردا عليهم حيث قالوا قوله قول كاهن وقالوا قوله قول شاعر فقال ما قوله إلا وحي وليس بقول كاهن ولا شاعر كما قال تعالى: وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون [الحاقة: ٤١، ٤٢] .المسألة الثالثة: الوحي اسم أو مصدر، نقول يحتمل الوجهين، فإن الوحي اسم معناه الكتاب ومصدر وله معان منها الإرسال والإلهام، والكتابة والكلام والإشارة والإفهام فإن قلنا هو ضمير القرآن، فالوحي اسم معناه." (١)

"المسألة الثانية: أصل هذه الكلمة من الانقياد، قال الله تعالى: إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت [البقرة: ١٣١] والإسلام إنما سمي إسلاما لهذا المعنى، وغلب اسم السلم على الصلح وترك الحرب، وهذا أيضا راجع إلى هذا المعنى لأن عند الصلح ينقاد كل واحد لصاحبه ولا ينازعه فيه، قال أبو عبيدة: وفيه لغات ثلاث: السلم، والسلم، والسلم.المسألة الثالثة: في الآية إشكال، وهو أن كثيرا من المفسرين حملوا السلم على الإسلام، فيصير تقدير الآية: يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في الإسلام، والإيمان هو الإسلام، ومعلوم أن ذلك غير جائز، ولأجل هذا السؤال ذكر المفسرون وجوها في تأويل هذه الآية:أحدها: أن المراد بالآية المنافقون، والتقدير: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا بكليتكم في الإسلام، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، أي آثار تزيينه وغروره في الإقامة على النفاق، ومن قال بهذا التأويل احتج على صحته بأن هذه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣٥/٢٨

الآية إنما وردت عقيب ما مضى من ذكر المنافقين وهو قوله: ومن الناس من يعجبك قوله [البقرة: ٢٠٤] الآية فلما وصف المنافق بما ذكر دعا في هذه الآية إلى الإيمان/ بالقلب وترك النفاق.وثانيها: أن هذه الآية نزلت في طائفة من مسلمي أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه وذلك لأنهم حين آمنوا بالنبي عليه السلام أقاموا بعده على تعظيم شرائع موسى، فعظموا السبت، وكرهوا لحوم الإبل وألبانها، وكانوا يقولون: ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام، وواجب في التوراة، فنحن نتركها احتياطا فكره الله تعالى ذلك منهم وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة، أي في شرائع الإسلام كافة، ولا يتمسكوا بشيء من أحكام التوراة اعتقادا له وعملا به، لأنها صارت منسوخة ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التمسك بأحكام التوراة بعد أن عرفتم أنها صارت منسوخة، والقائلون بهذا القول جعلوا قوله: كافة من وصف المسلم، كأنه قيل: ادخلوا في جميع شرائع الإسلام اعتقادا وعملا.وثالثها: أن يكون هذا الخطاب واقعا على أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي عليه السلام فقوله: يا أيها الذين آمنوا أي بالكتاب المتقدم ادخلوا في السلم كافة أي أكملوا طاعتكم في الإيمان وذلك أن تؤمنوا بجميع أنبيائه وكتبه فادخلوا بإيمانكم بمحمد عليه السلام وبكتابه في السلم على التمام، ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحسينه عند الاقتصار على دين التوراة بسبب أنه دين اتفقوا كلهم على أنه حق بسبب أنه جاء في التوراة: تمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض، وبالجملة فالمراد من خطوات الشيطان الشبهات التي يتمسكون بها في بقاء تلك الشريعة.ورابعها: هذا الخطاب واقع على المسلمين يا أيها الذين آمنوا بالألسنة ادخلوا في السلم كافة أي دوموا على الإسلام فيما تستأنفونه من العمر ولا تخرجوا عنه ولا عن شيء من شرائعه ولا تتبعوا خطوات، الشيطان أي ولا تلتفتوا إلى الشبهات التي تلقيها إليكم أصحاب الضلالة والغواية ومن قال بهذا التأويل قال:هذا الوجه متأكد بما قبل هذه الآية وبما بعدها، أما ما قبل هذه الآية فهو ما ذكر الله تعالى في صفة ذلك المنافق في قوله: سعى في الأرض ليفسد فيها وما ذكرنا هناك أن المراد منه إلقاء الشبهات إلى المسلمين، فكأنه تعالى قال: دوموا على إسلامكم ولا تتبعوا تلك الشبهات التي يذكرها المنافقون، وأما ما بعد هذه الآية فهو." (١)

"[سورة البقرة (٢) : آية ٢٥٦]لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (٢٥٦)[في قوله تعالى لا إكراه في الدين] فيه مسألتان:المسألة الأولى: اللام في الدين فيه قولان أحدهما: أنه لام العهد والثاني: أنه بدل من الإضافة، كقوله فإن الجنة هي المأوى [النازعات: ٤١] أي مأواه، والمراد في دين الله.المسألة الثانية: في تأويل الآية

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥/٣٥٢

وجوه أحدها: وهو قول أبي مسلم والقفال وهو الأليق بأصول المعتزلة:معناه أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار، ثم احتج القفال على أن هذا هو المراد بأنه تعالى لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر، قال بعد ذلك: إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان، ونظير هذا قوله تعالى: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر [الكهف: ٢٩] وقال في سورة أخرى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين [الشعراء: ٣، ٤] وقال في سورة الشعراء لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين، إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ومما يؤكد هذا/ القول أنه تعالى قال بعد هذه الآية قد تبين الرشد من الغي يعني ظهرت الدلائل، ووضحت البينات، ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والإلجاء والإكراه، وذلك غير جائز لأنه ينافي التكليف فهذا تقرير هذا التأويل.القول الثاني: في التأويل هو أن الإكراه أن يقول المسلم للكافر: إن آمنت وإلا قتلتك فقال تعالى: لا إكراه في الدين أما في حق أهل الكتاب وفي حق المجوس، فلأنهم إذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم، وأما سائر الكفار فإذا تهودوا أو تنصروا فقد اختلف الفقهاء فيهم، فقال بعضهم: إنه يقر عليه، وعلى هذا التقدير يسقط عنه القتل إذا قبل الجزية، وعلى مذهب هؤلاء كان قوله لا إكراه في الدين عاما في كل الكفار، أما من يقول من الفقهاء بأن سائر الكفار إذا تهودوا أو تنصروا فإنهم لا يقرون عليه، فعلى قوله يصح الإكراه في حقهم، وكان قوله لا إكراه مخصوصا بأهل الكتاب.والقول الثالث: لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب إنه دخل مكرها، لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره، ومعناه لا تنسبوهم إلى الإكراه، ونظيره قوله تعالى: ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا [النساء: ٩٤] .أما قوله تعالى: قد تبين الرشد من الغي ففيه مسألتان:المسألة الأولى: يقال: بان الشيء واستبان وتبين إذا ظهر ووضح، ومنه المثل: قد تبين الصبح لذي عينين، وعندي أن الإيضاح والتعريف إنما سمي بيانا لأنه يوقع الفصل والبينونة بين المقصود وغيره، والرشد في اللغة معناه إصابة الخير، وفيه لغتان: رشد ورشد والرشاد مصدر أيضا كالرشد، والغي نقيض الرشد، يقال غوى يغوي غيا **وغواية**، إذا سلك غير طريق الرشد.." [١]

"والوجه الثالث: أن يكون نصبا على المدح.فإن قيل: أليس من حق المدح أن يكون معرفة، كقولك، الحمد لله الحميد.قلنا: وقد جاء نكرة أيضا، وأنشد سيبويه:ويأوي إلى نسوة عطل ... وشعثا مراضع مثل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥/٧

السعاليالمسألة الثانية: قوله قائما بالقسط فيه وجهان الأول: أنه حال من المؤمنين والتقدير: وأولو العلم حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط في أداء هذه الشهادة والثاني: وهو قول جمهور المفسرين أنه حال من شهد الله.المسألة الثالثة: معنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل، كما يقال: فلان قائم بالتدبير، أي يجريه على الاستقامة.واعلم أن هذا العدل منه ما هو متصل بباب الدنيا، ومنه ما هو متصل بباب الدين، أما المتصل بالدين، فانظر أولا في كيفية خلقة أعضاء الإنسان، حتى تعرف عدل الله تعالى فيها، ثم انظر إلى اختلاف أحوال الخلق في الحسن والقبح، والغنى والفقر والصحة والسقم، وطول العمر وقصره واللذة و ا لآلام واقطع أن كل ذلك عدل من الله وحكمة وصواب ثم انظر في كيفية خلقه العناصر وأجرام الأفلاك، وتقدير كل واحد منها بقدر معين وخاصية معينة، واقطع بأن كل ذلك حكمة وصواب، أما ما يتصل بأمر الدين، فانظر إلى اختلاف الخلق في العلم والجهل، والفطانة والبلادة والهداية **والغواية**، واقطع بأن كل ذلك عدل وقسط، ولقد خاض صاحب «الكشاف» هاهنا في التعصب للاعتزال وزعم أن الآية دالة على أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وكان ذلك المسكين بعيدا عن معرفة هذه الأشياء إلا أنه فضولي كثيرا الخوض فيما لا يعرف، وزعم أن الآية دلت على أن من أجاز الرؤية، أو ذهب إلى الجبر لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام، والعجب أن أكابر المعتزلة وعظماءهم أفنوا أعمارهم في طلب الدليل على أنه لو كان مرئيا لكان جسما، وما وجدوا فيه سوى الرجوع إلى الشاهد من غير جامع عقلي قاطع، فهذا المسكين الذي ما شم رائحة العلم من أين وجد ذلك، وأما حديث الجبر فالخوض فيه من ذلك المسكين خوض فيما لا يعنيه، لأنه لما اعترف بأن الله تعالى عالم بجميع الجزئيات، واعترف بأن العبد لا يمكنه أن يقلب علم الله جهلا، فقد اعترف بهذا الجبر، فمن أين هو والخوض في أمثال هذه المباحث.ثم قال الله تعالى: لا إله إلا هو والفائدة في إعادته وجوه الأول: أن تقدير الآية: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وإذا شهد بذلك فقد صح أنه لا إله إلا هو، ونظيره قول من يقول: الدليل دل على وحدانية الله تعالى، ومتى كان كذلك صح القول بوحدانية الله تعالى الثاني: أنه تعالى لما أخبر أن الله شهد أنه لا إله إلا هو وشهدت الملائكة وأولوا العلم بذلك صار التقدير، كأنه قال: / يا أمة محمد فقولوا أنتم على وفق شهادة الله وشهادة الملائكة وأولي العلم لا إله إلا هو فكان الغرض من الإعادة الأمر بذكر هذه الكلمة على وفق تلك الشهادات الثالث: فائدة هذا التكرير الإعلام بأن المسلم يجب أن يكون أبدا في تكرير هذه الكلمة فإن أشرف كلمة يذكرها

الإنسان هي هذه الكلمة، فإذا كان في أكثر الأوقات مشتغلا بذكرها وبتكريرها كان مشتغلا بأعظم أنواع." (١)

"المسألة الثانية: في قوله بآيات الله وجوه الأول: أن المراد منها الآيات الواردة في التوراة والإنجيل، وعلى هذا القول فيه وجوه أحدها: ما في هذين الكتابين من البشارة بمحمد عليه السلام، ومنها ما في هذين الكتابين، أن إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما، ومنها أن فيهما أن الدين هو الإسلام.واعلم أن على هذا القول المحتمل لهذه الوجوه نقول: إن الكفر بالآيات يحتمل وجهين: أحدهما: أنهم ما كانوا كافرين بالتوراة بل كانوا كافرين بما يدل عليه التوراة فأطلق اسم الدليل على المدلول على سبيل المجاز والثاني: أنهم كانوا كافرين بنفس التوراة لأنهم كانوا يحرفونها وكانوا ينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.فأما قوله تعالى: وأنتم تشهدون فالمعنى على هذا القول أنهم عند حضور المسلمين، وعند حضور عوامهم، كانوا ينكرون اشتمال التوراة والإنجيل على الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم إذا خلا بعضهم مع بعض شهدوا بصحتها، ومثله قوله تعالى: تبغونها عوجا وأنتم شهداء [آل عمران: ٩٩] .واعلم أن تفسير الآية بهذا القول، يدل على اشتمال هذه الآية على الإخبار عن الغيب لأنه عليه الصلاة والسلام أخبرهم بما يكتمونه في أنفسهم، ويظهرون غيره، ولا شك أن الإخبار عن/ الغيب معجز.القول الثاني: في تفسير آيات الله أنها هي القرآن وقوله وأنتم تشهدون يعني أنكم تنكرون عند العوام كون القرآن معجزا ثم تشهدون بقلوبكم وعقولكم كونه معجزا.القول الثالث: أن المراد بآيات الله جملة المعجزات التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا القول فقوله تعالى: وأنتم تشهدون معناه أنكم إنما اعترفتم بدلالة المعجزات التي ظهرت على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الدالة على صدقهم، من حيث إن المعجز قائم مقام التصديق من الله تعالى فإذا شهدتم بأن المعجز إنما دل على صدق سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من هذا الوجه، وأنتم تشهدون حصول هذا الوجه في حق محمد صلى الله عليه وسلم كان إصرار كم على إنكار نبوته ورسالته مناقضا لما شهدتهم بحقيته من دلالة معجزات سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على صدقهم.[سورة آل عمران (٣) : آية ٧١]يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (٧١)اعلم أن علماء اليهود والنصارى كانت لهم حرفتان إحداهما: أنهم كانوا يكفرون بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أنهم كانوا يعلمون بقلوبهم أنه رسول حق من عند الله والله تعالى نهاهم عن هذه الحرفة في الآية الأولى وثانيتهما: أنهم كانوا يجتهدون في إلقاء الشبهات،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٠/٧

وفي إخفاء الدلائل والبينات والله تعالى نهاهم عن هذه الحرفة في هذه الآية الثانية، فالمقام الأول مقام **الغواية** والضلالة والمقام الثاني مقام الإغواء والإضلال، وفيه مسائل:المسألة الأولى: قرئ تلبسون بالتشديد، وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء، أي تلبسون الحق مع الباطل، كقوله عليه السلام: «كلابس ثوبي زور» وقولهإذا هو بالمجد ارتدى وتأزراالمسألة الثانية: اعلم أن الساعي في إخفاء الحق لا سبيل له إلى ذلك إلا من أحد وجهين: إما بإلقاء شبهة تدل." (١)

"[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]قال فاخرج منها فإنك رجيم (٣٤) وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين (٣٥)قال فاخرج منها من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة. فإنك رجيم مطرود من الخير والكرامة، فإن من يطرد يرجم بالحجر أو شيطان يرجم بالشهب، وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته.وإن عليك اللعنة هذا الطرد والإبعاد. إلى يوم الدين فإنه منتهى أمد اللعن، فإنه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله: فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه. وقيل إنما حد اللعن به لأنه أبعد غاية يضر بها الناس، أو لأنه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل.[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٣٦ الى ٣٨]قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (٣٦) قال فإنك من المنظرين (٣٧) إلى يوم الوقت المعلوم (٣٨)قال رب فأنظرني فأخرني، والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فإنك رجيم. إلى يوم يبعثون أراد أن يجد فسحة في الإغواء أو نجاة من الموت، إذ لا موت بعد وقت البعث فأجابه إلى الأول دون الثاني.قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه أجلك عند الله، أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الأولى عند الجمهور، ويجوز أن يكون المراد بالأيام الثلاثة يوم القيامة، واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث، إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل، وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين، ولا يلزم من ذلك أن لا يموت فلعله يموت أول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه، وهذه المخاطبة وإن لم تكن بواسطة لم تدل على منصب إبليس لأن خطاب الله له على سبيل الإهانة والإذلال.[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٣٩ الى ٤٠]قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين (٣٩) إلا عبادك منهم المخلصين (٤٠)قال رب بما أغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه. لأزينن لهم في الأرض والمعنى أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله: أخلد إلى الأرض وفي انعقاد القسم بأفعال الله تعالى خلاف. وقيل للسببية والمعتزلة أولوا الاغواء بالنسبة إلى الغي، أو التسبب له بأمره إياه بالسجود

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥٦/٨

لآدم عليه السلام، أو بالإضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن إمهال الله له، وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على إغواء بني آدم بأن الله تعالى علم منه وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل أو لم يمهل، وأن في إمهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب، وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الألباب. ولأغوينهم أجمعين ولأحملنهم أجمعين على **الغواية**.إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي.وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر في كل القرآن أي الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى.[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٤١ الى ٤٢]قال هذا صراط علي مستقيم (٤١) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (٤٢)قال هذا صراط علي حق علي أن أراعيه. مستقيم لا انحراف عنه، والإشارة إلى ما تضمنه." [(١)]

"[سورة طه (٢٠) : الآيات ١١٨ الى ١١٩]إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨) وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى (١١٩)إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى.وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى فإنه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والسكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل أغراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها، ليطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر عنها، والعاطف وإن ناب عن أن لكنه ناب من حيث إنه عامل لا من حيث إنه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على أن امتناع دخول إن عليه. وقرأ نافع وأبو بكر وأنك لا تظمؤا بكسر الهمزة والباقون بفتحها.[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٢٠ الى ١٢٢]فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢)فوسوس إليه الشيطان فانتهى إليه وسوسته. قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد الشجرة التي من أكل منها خلد ولم يمت أصلا. فأضافها إلى الخلد أي الخلود لأنها سببه بزعمه. وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف.فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه بأكل الشجرة. فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد بأكل الشجرة، أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو. وقرئ «فغوى» من غوى الفصيل إذا أتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان **والغواية** مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لأولاده عنها.ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من أجبى إلى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها، وأصل معنى

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٢١١/٣

الكلمة الجمع. فتاب عليه فقبل توبته لما تاب. وهدى إلى الثبات على التوبة والتشبث بأسباب العصمة.[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٢٣ الى ١٢٤]قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤)قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء، أوله ولإبليس ولما كانا أصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال: بعضكم لبعض عدو لأمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب، أو لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الأول قوله: فإما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول. فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا. ولا يشقى في الآخرة.ومن أعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي. فإن له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث، وقرئ «ضنكى» كسكرى، وذلك لأن مجامع همته ومطامح نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها، بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا الآيات، وقيل هو الضريع والزقوم في النار، وقيل عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له." (١)

"واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم. إنه عدو مضل مبين ظاهر العداوة.[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٦ الى ١٧]قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (١٦) قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين (١٧)قال رب إني ظلمت نفسي بقتله. فاغفر لي ذنبي. فغفر له لاستغفاره. إنه هو الغفور لذنوب عباده. الرحيم بهم.قال رب بما أنعمت علي قسم محذوف الجواب أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة وغيرها لأتوبن.فلن أكون ظهيرا للمجرمين أو استعطاف أي بحق إنعامك على أعصمني فلن أكون معينا لمن أدت معاونته إلى جرم. وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى، وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أولياءك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك.[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٨ الى ١٩]فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين (١٩)فأصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة. فإذا الذي

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤١/٤

استنصره بالأمس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ. قال له موسى إنك لغوي مبين بين **الغواية** لأنك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر.فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء لبني إسرائيل. قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس قاله الإسرائيلي لأنه لما سماه غويا ظن أنه يبطش عليه، أو القبطي وكأنه توهم من قوله أنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي.إن تريد ما تريد. إلا أن تكون جبارا في الأرض تطاول على الناس ولا تنظر في العواقب. وما تريد أن تكون من المصلحين بين النا س فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن، ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملئه وهموا بقتله فخرج مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال تعالى:[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٢٠ الى ٢٢]وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين (٢٠) فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (٢١) ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (٢٢)وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى يسرع صفة رجل، أو حال منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف. قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك، وإنما سمي التشاور ائتمارا لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر. فاخرج إني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة ل الناصحين لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول.فخرج منها من المدينة. خ ائفا يترقب لحوق طالب. قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم.ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب، سميت باسم مدين بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان. قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به، وكان لا يعرف الطريق فعن له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب." (١)

"فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون.فأغويناكم إنا كنا غاوين ثم بينوا أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمرا مقضيا لا محيص لهم عنه، وإن غاية ما فعلوا بهم أنهم دعوهم إلى الغي لأنهم كانوا على الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم، وفيه إيماء بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم إذ لو كان كل **غواية** لإغواء غاو فمن أغواهم.[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٣٣ الى ٣٥]فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون (٣٣) إنا كذلك نفعل بالمجرمين (٣٤) إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (٣٥)فإنهم فإن الأتباع والمتبوعين. يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في **الغواية**.إنا كذلك مثل ذلك الفعل.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٧٤/٤

نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله تعالى:إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي عن كلمة التوحيد، أو على من يدعوهم إليه.[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٣٦ الى ٣٩]ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (٣٦) بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٣٧) إنكم لذائقوا العذاب الأليم (٣٨) وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٣٩)ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام.بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون.إنكم لذائقوا العذاب الأليم بالإشراك وتكذيب الرسل، وقرئ بنصب العذاب، على تقرير النون كقوله:ولا ذاكر الله إلا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الأصل.وما تجزون إلا ما كنتم تعملون إلا مثل ما عملتم.[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٤٠ الى ٤٣]إلا عباد الله المخلصين (٤٠) أولئك لهم رزق معلوم (٤١) فواكه وهم مكرمون (٤٢) في جنات النعيم (٤٣)إلا عباد الله المخلصين استثناء منقطع إلا أن يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة، فإن ثوابهم مضاعف والمنقطع أيضا بهذا الاعتبار.أولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام، أو تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله:فواكه فإن الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس، وأهل الجنة لما أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت أرزاقهم فواكه خالصة. وهم مكرمون في نيله يصل إليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا.في جنات النعيم في جنات ليس فيها إلا النعيم، وهو ظرف أو حال من المستكن في مكرمون، أو خبر ثان ل أولئك وكذلك:[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٤٤ الى ٤٧]على سرر متقابلين (٤٤) يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥) بيضاء لذة للشاربين (٤٦) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (٤٧)." (١)

"أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥)﴿أولئك على هدى﴾ الجملة في موضع الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ويجوز أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله ومعنى الاستعلاء في على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل **الغواية** مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى ﴿من ربهم﴾ أي أوتوه من عنده ونكر هدى

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٩/٥

ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه كأنه قيل على أي هدى ونحوه لقد وقعت على لحم أي على لحم عظيم ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا فالفلاح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا أخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى وجاء بالعطف هنا بخلاف قوله ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثم فكانت الثانية مقررة للأولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لاصفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ." (١)

"التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله عنده النشوز والخلاف ابتلاء منه وللسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله وعند المعتزلة هو تخييل وتمويه ﴿وما هم بضآرين به﴾ بالسحر ﴿من أحد إلا بإذن الله﴾ بعلمه ومشيئته ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ في الآخرة وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التي تجر إلى الغواية ﴿ولقد علموا﴾ أي اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ أي استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ من نصيب ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ باعوها إنما نفى العلم عنهم بقوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ مع إثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي لأن معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم لا يعلمون." (٢)

"قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (٣٨)﴿قال ادخلوا﴾ أي يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا ﴿فى أمم﴾ في موضع الحال أى كائنين فى جمل أمم مصاحبين لهم ﴿قد خلت﴾ مضت ﴿من قبلكم من الجن والإنس﴾ من كفار الجن والانس ﴿في النار﴾ متعلق بادخلوا ﴿كلما دخلت أمة﴾ النار ﴿لعنت أختها﴾ شكاها في الدين أي التي ضلت بالاقتداء بها ﴿حتى إذا اداركوا فيها﴾ أصله تداركوا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار فأبدلت التاء دالا وسكنت للإدغام ثم أدخلت همزة الوصل ﴿جميعا﴾ حال ﴿قالت أخراهم﴾ منزلة وهى الأتباع والسفة ل ﴿لأولاهم﴾ منزلة وهي القادة والرءوس ومعنى لأولاهم لجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم ﴿ربنا﴾ يار بنا ﴿هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا﴾ مضاعفا ﴿من النار قال لكل ضعف﴾

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٣/١

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١١٧/١

للقادة بالغواية والاغواء وللاتباع بالكفر والقتداء ﴿ولكن لا تعلمون﴾ ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون أبو بكر أي لا يعلم كل فريق مقدار عذابالأعراف (٥٧ _ ٤٢) الفريق الآخر." (١)

"فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون (٣٣)﴿فإنهم﴾ فإن الأتباع والمتبوعين جميعا ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿فى العذاب مشتركون﴾ كما كانوا مشتركين فى الغواية." (٢)

"أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢٢)﴿أفمن شرح الله صدره﴾ أي وسع صدره ﴿للإسلام﴾ فاهتدى وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح فقال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فهل لذلك من علامة قال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت ﴿فهو على نور من ربه﴾ بيان وبصيرة والمعنى أفمن شرح الله صدره فاهتدى كمن طبع على قلبه فقسا قلبه فحذف لأن قوله ﴿فويل للقاسية قلوبهم﴾ يدل عليه ﴿من ذكر الله﴾ أي من ترك ذكر الله أو من أجل ذكر الله أي إذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم ﴿أولئك فى ضلال مبين﴾ غواية ظاهرة." (٣)

"أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧)﴿أو تقول لو أن الله هدانى﴾ أي أعطاني الهداية ﴿لكنت من المتقين﴾ من الذين يتقون الشرك قال الشيخ الإمام أبو منصور رحمه الله تعالى هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا والحاصل أن عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى وكان استحبابه العذاب وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك." (٤)

"بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (٥٩)﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ بلى رد من الله كأنه يقول بلى قد جاءتك آياتي وبينت لك

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٦٧/١

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٢١/٣

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٧٦/٣

(٤) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٨٩/٣

الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرتالزمر (٦٣ - ٦٠)به فإنما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك وبلى جواب لنفي تقديري لأن المعنى لو أن الله هداني ما هديت وإنما لم يقرن الجواب به لأنه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها ثم الجواب من بينها عما اقتضى الجواب." (١)

"فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم قال وأنا أشري نفسي لله فقاتله، وكان علي كرم الله وجهه إذا قرأ هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة. وسمع عمر رجلا يقرأ هذه الآية: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون قام رجل فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل. عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر» أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن غريب. وأما تفسير الآية فذكر المفسرون أن المراد بهذا الشراء البيع ومنه قوله: وشروه بثمن أي باعوه والمعنى أن المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الآخرة، وهذا البيع هو أن يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام، وحج وجهاد وأمر بمعروف ونهي عن المنكر، فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبائع، والله تعالى المشتري، والثمن هو ثواب الله تعالى في الآخرة ابتغاء مرضاة الله أي طلب رضا الله والله رؤف بالعباد أي من رأفة الله بعباده أن جعل النعيم الدائم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع، ومن رأفته أنه يقبل توبة عبده ومن رأفته أن نفس العباد وأموالهم له، ثم إنه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة وإحسانا قوله عز وجل:[سورة البقرة (٢): الآيات ٢٠٨ الى ٢٠٩]يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين (٢٠٨) فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم (٢٠٩)يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك لما أسلموا قاموا على تعظيم شرائع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الإبل وألبانها، وقالوا: إن ترك هذه الأشياء مباح في الإسلام وواجب في التوراة، وقالوا أيضا: يا رسول الله إن التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل، فأنزل الله هذه الآية وأمرهم أن يدخلوا في السلم أي في شرائع الإسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فإنها منسوخة. والمعنى استسلموا لله وأطيعوه فيما أمركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب. والمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة أي في الإسلام. وروى جابر عن النبي

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٨٩/٣

صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال إنا نسمع أحاديث من يهود وتعجبنا فنرى أن نكتب بعضها فقال صلى الله عليه وسلم: «أتتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو أن موسى حي ما وسعه إلا اتباعي» قوله أتتهوكون أي تتحيرون أنتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى، وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية بيضاء نقية، أي لا تحتاج إلى شيء، وقيل يحتمل أن يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين، والمعنى يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا في السلم أي الانقياد والطاعة لأن أصل السلم الاستسلام، وهو الانقياد كافة، أي بأجمعكم ولا تتفرقوا، وقيل يحتمل أن يرجع إلى الإسلام والمعنى ادخلوا في أحكام الإسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى أليق بظاهر التفسير لأنهم أمروا بالقيام بها كلها. قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية: للإسلام ثمانية أسهم فعل الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: وقد خاب من لا سهم له ولا تتبعوا خطوات الشيطان يعني آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الإبل وغير ذلك، وقيل: لا تلتفتوا إلى الشبهات التي يلقيها إليكم أصحاب الضلالة **والغواية** والأهواء المضلة لأن من اتبع سنة إنسان فقد تبع آثره إنه لكم عدو مبين يعني الشيطان. فإن قلت عداوته بإيصال الضرر وإلقاء الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد، فإن الله هو الفاعل لجميع الأشياء. قلت: إنه يحاول إيصال الضرر والبلاء إلينا، ولكن الله منعه عن ذلك وأما معنى الوسوسة فمعلوم أنه يزين المعاصي وإلقاء الشبهات، وكل سبب لوقوع الإنسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب، فهذا من أعظم جهات العداوة. فإن قلت: كيف يصح وصف الشيطان بأنه مبين مع أنا لا نراه؟ قلت: إن الله تعالى بين عداوته ما هي فكأنه بين وإن لم يشاهد فإن زللتم أي ملتم وضللتم." (١)

"وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر بإخراجه من مدينته فأخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعد عهدهم به. وعن علي أنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم فوجد فيها رجلين يقتتلان أي يتخاصمان ويتنازعان هذا من شيعته أي من بني إسرائيل وهذا من عدوه يعني من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذي كان من الشيعة هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطي يريد أن يأخذ الإسرائيلي يحمله الحطب. وقال ابن عباس: لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١/١٣٩

وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من القبط فاستغاثه الذي من شيعته يعني الإسرائيلي على الذي من عدوه يعني الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث والمعنى أنه سأله أن يخلصه منه وأن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعوني: خل سبيله فقال: إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة فوكزه موسى يعني ضربه بجميع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع بأطراف الأصابع فقضى عليه يعني قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصد القتل فدفنه في الرمل قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين يعني بين الضلالة وقيل في قوله هذا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه، والمعنى أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا إشارة إلى المقتول يعني أنه من جند الشيطان وحزبه قال رب إني ظلمت نفسي يعني بقتل القبطي من غير أمر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنب. وقوله فاغفر لي يعني ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد «رب إني ظلمت نفسي» حيث فعل هذا فإن فرعون إذا عرف ذلك قتلني به فقال أي فاستره علي ولا توصل خبره إلى فرعون فغفر له أي فستره عن الوصول إلى فرعون إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أي بالمغفرة والستر الذي أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين معناه فأنا لا أكون معاونا لأحد من المجرمين قالابن عباس الكافرين وفيه دليل على أن الإسرائيلي الذي أعانه موسى كان كافرا.قال ابن عباس لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني أي لم يقل فلم أكن إن شاء الله ظهيرا للمجرمين فأصبح في المدينة أي التي قتل فيها القبطي خائفا يترقب أي ينتظر سوءا والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ به فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه أي يستغيث به من بعد. قال ابن عباس: أتي فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي قال له موسى للإسرائيلي إنك لغوي مبين أي ظاهر **الغواية** قاتلت رجلا بالأمس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه.[سورة القصص (٢٨): الآيات ١٩ الى ٢٤]فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين

(١٩) وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين (٢٠) فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين (٢١) ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (٢٢) ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير (٢٣)فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير (٢٤)." (١)

"سورة النجم(مكية وهي اثنتان وستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف) بسم الله الرحمن الرحيم[سورة النجم (٥٣): الآيات ١ الى ٤]بسم الله الرحمن الرحيموالنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤)قوله عز وجل: والنجم إذا هوى قال ابن عباس يعني الثريا إذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم إذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء وجاء في الحديث عن أبي هريرة مرفوعا: «ما طلع النجم قط وفي الأرض من العاهة شيء إلا رفع» أراد بالنجم الثريا، وقيل: هي نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع. وروي عن ابن عباس أنه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع. وقيل: هي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة. وقيل: أراد بالنجم القرآن سمي نجما لأنه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا. وقيل: النجم هو النبت الذي لا ساق له وهويه سقوطه إذا يبس على الأرض. وقيل: النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى: ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى أي ما جهل. وقيل: الفرق بين الضلال والغي أن الضلال هو أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا **والغواية** أن لا يكون له طريق إلى مقصده مستقيم وقيل: إن الضلال أكثر استعمالا من **الغواية** وما ينطق عن الهوى أي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا: إن محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه إن هو أي ما هو يعني القرآن وقيل: نطقه في الدين إلا وحي من الله يوحى إليه.[سورة النجم (٥٣): الآيات ٥ الى ١١]علمه شديد القوى (٥) ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالأفق الأعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨) فكان قاب قوسين أو أدنى (٩)فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) ما كذب الفؤاد ما رأى (١١)علمه شديد القوى يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما أوحى الله إليه عز وجل وكونه شديد القوى أنه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٣٦٠

بالوحي على الأنبياء أسرع من رجعة الطرف ذو مرة أي ذو قوة وشدة. وقال ابن عباس: ذو منظر حسن وقيل: ذو خلق طويل حسن.فاستوى يعني جبريل عليه الصلاة والسلام وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالأفق الأعلى عند مطلع الشمس وقيل: فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أي قام في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالأفق الأعلى وذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"أسمائه المظهرات الدالة على الذات، ولفظة هو من أعظم أسمائه المظهرات والمضمرات للدلالة على ذاته، لأن أسماءه المشتقة كلها لفظها متضمن جواز الاشتراك لاجتماعها في الوصف الخاص، ولا يمنع أن يكون أحد الوصفين حقيقة والآخر مجازا من الاشتراك، وهو اسم من أسماء الله تعالى ينبىء عن كنه حقيقته المخصوصة المبرأة عن جميع جهات الكثرة من حيث هو هو. فلفظة هو توصلك إلى الحق وتقطعك عما سواه، فإنك لا بد أن يشرك مع النظر في معرفة ما يدل عليه الاسم المشتق النظر في معرفة المعنى الذي يشتق منه، وهذا الاسم لأجل دلالته على الذات ينقطع معه النظر إلى ما سواه، اختاره الجلة من المقربين مدارا لذكرهم ومنارا لكل أمرهم فقالوا: يا هو، لأن لفظة هو إشارة بعين المشار إليه بشرط أن لا يحضر هناك شيء سوى ذلك الواحد، والمقربون لا يخطر في عقولهم وأرواحهم موجود آخر سوى الذي دلت عليه إشارته، وهو اسم مركب من حرفين وهما:الهاء والواو، والهاء أصل والواو زائدة بدليل سقوطها في التثنية، والجمع في هما وهم، والأصل حرف واحد يدل على الواحد الفرد. انتهى ما نقل عن بعض من عاصرناه في هو بالنسبة إلى الله تعالى مقررا لما ذكروه ومعتقدا لما خبروه. ولهم في لفظة أنا وأنت وهو كلام غريب جدا بعيد عما تكلم عليها به أهل اللغة والعربية، وحديث هؤلاء المنتمين إلى هذه العلوم لم يفتح لي فيه ببارقة، ولا ألممت فيه إلى الآن بغادية ولا طارقة، نسأل الله تعالى أن ينور بصائرنا بأنوار الهداية، وأن يجنبنا مسالك **الغواية**، وأن يلهمنا إلى طريق الصواب، وأن يرزقنا اتباع الأمرين النيرين: السنة والكتاب.ولكم: متعلق بخلق، واللام فيه، قيل: للسبب، أي لأجلكم ولانتفاعكم، وقدر بعضهم لاعتباركم. وقيل: للتمليك والإباحة، فيكون التمليك خاصا، وهو تمليك ما ينتفع الخلق به وتدعو الضرورة إليه. وقيل: للاختصاص، وهو أعم من التمليك، والأحسن حملها على السبب فيكون مفعولا من أجله لأنه بما في الأرض يحصل الانتفاع الديني والدنيوي. فالديني: النظر فيه وفيما فيه من عجائب الصنع ولطائف الخلق الدالة على قدرة الصانع وحكمته ومن التذكير بالآخرة والجزاء، وأما الدنيوي: فظاهر، وهو ما فيه من المأكل

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٢٠٣

والمشرب والملبس والمنكح والمركب والمناظر البهية وغير ذلك. وقد استدل بقوله: خلق لكم، من ذهب إلى أن الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة، فلكل أحد أن ينتفع بها، وإذا احتمل أن يكون اللام لغير التمليك والإباحة، لم يكن في ذلك دليل على ما ذهبوا إليه. وقد ذهب قوم إلى أن الأشياء قبل ورود الشرع على الحظر، فلا يقدم." (١)

"ثم ذكر اختلافهم وانقسامهم إلى مؤمن وكافر، وأنه تعالى يفعل ما يريد، ثم أمر المؤمنين بالإنفاق مما رزقهم من قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه توسل بصداقة ولا شفاعة.ثم ذكر أن الكافرين هم المجاوزون الحد الذي حده الله تعالى، ثم ذكر تعالى أنه هو المتوحد بالإلهية، وذلك عقيب ذكر الكافرين. وذكر أتباع موسى عليهما السلام.ثم سرد صفاته العلا وهي التي يجب أن تعتقد في الله تعالى من كونه واحدا حيا قائما بتدبير الخلق، لا يلحقه آفة، مالكا للسموات والأرض، عالما بسرائر المعلومات، لا يعلم أحد شيئا من علمه إلا بما يشاء هو تعالى، وذكر عظيم مخلوقاته، وأن بعضها، وهو الكرسي، يسع السموات والأرض، ولا يثقل ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض.ثم ذكر أنه بعد وضوح صفاته العلا ف لا إكراه في الدين إذ قد تبينت طرق الرشاد من طرق **الغواية**، ثم ذكر أن من كفر بالطاغوت وآمن بالله فهو مستمسك بالعروة الوثقى، عروة الإيمان، ووصفها بالوثقى لكونها لا تنقطع ولا تنفصم، واستعار للإيمان عروة إجراء للمعقول مجرى المحسوس، ثم ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وأن الكافرين أولياؤهم الأصنام والشياطين، وهم على العكس من المؤمنين، ثم أخبر عن الكفار أنهم أصحاب النار وأنهم مخلدون فيها والحالة هذه، والله أعلم بالصواب.[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٥٨ الى ٢٦٠]ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين (٢٥٨) أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (٢٥٩) وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢١٥/١

أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم (٢٦٠)." (١)

"النجوى مصدر كالدعوى يقال: نجوت الرجل أنجوه نجوى إذا ناجيته. قال الواحدي: ولا تكون النجوى إلا بين اثنين. وقال الزجاج: النجوى ما انفرد به الجماعة، أو الاثنان سرا كان وظاهرا انتهى. وقال ابن عطية: المسارة، وتطلق النجوى على القوم المتناجين، وهو من باب قوم عدل وصف بالمصدر. وقال الكرماني: نجوى جمع نجي، وتقدم الكلام في هذه المادة، وتكرر هنا لخصوصية البنية.مريد من مرد، عتا وعلا في الحذاقة، وتجرد للشر **والغواية**. قال ابن عيسى: وأصله التملس، ومن شجرة مرداء أي ملساء تناثر ورقها، وغلام أمرد لا نبات بوجهه، وصرح ممرد مملس لا يعلق به شيء لملاسته، والمارد الذي لا يعلق بشيء من الفضائل. البتك: الشق والقطع، بتك يبتك، وبتك للتكثير، والبتك القطع واحدها بتكة. قال الشاعر:حتى إذا ما هوت كف الوليد لها ... طارت وفي كفه من ريشها بتكمحيص: مفعل من حاص يحيص، زاغ بنفور ومنه: فحاصوا حيصة حمر الوحش.وقول الشاعر:ولم ندر إن حصنا من الموت حيصة ... كم العمر باق والمدا متطاولويقال جاض بالجيم والضاد المعجمة والمحاص مثل المحيص. قال الشاعر:تحيص من حكم المنية جاهدا ... ما للرجال عن المنون محاصوفي المثل: وقعوا في حيص بيص. وحاص باص إذا وقع فيما لا يقدر على التخلص منه، ويقال: حاص يحوص حوصا وحياصا إذا نفر وزايل المكان الذي فيه.والحوص في العين ضيق مؤخرها. الخليل: فعيل من الخلة، وهي الفاقة والحاجة. أو من الخلة وهي صفاء المودة، أو من الخلل. قال ثعلب: سمي خليلا لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللا إلا ملأته. وأنشد قول بشار:قد تخللت مسلك الروح مني ... وبه سمي الخليل خليلالا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس الضمير في نجواهم عائد على قوم طعمة الذين تقدم ذكرهم قاله: ابن عباس وغيره. وقال مقاتل: هم قوم من اليهود ناجوا قوم طعمة، واتفقا معهم على التلبيس على الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر طعمة. وقال ابن عطية: هو عائد على الناس أجمع.." (٢)

"غوى يغوي غيا **وغواية** فسد عليه أمره وفسد هو في نفسه ومنه غوى الفصيل أكثر من شرب لبن أمه حتى فسد جوفه وأشرف على الهلاك، وقيل أصله الهلاك ومنه فسوف يلقون غيا. «١»الشمائل جمع

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦٢١/٢

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٦٤/٤

شمال وهو جمع تكسير وجمعه في القلة على أشمل قال الشاعر:يأتي لها من أيمن وأشمل وشمال يطلق على اليد اليسرى وعلى ناحيتها، والشمائل أيضا جمع شمال وهي الريح والشمائل أيضا الأخلاق يقال هو حسن الشمائل. ذأمه عابه يذأمه ذأما بسكون الهمزة ويجوز إبدالها ألفا قال الشاعر:صحبتك إذ عيني عليها غشاوة ... فلما انجلت قطعت نفسي أذيمهاوفي المثل لن يعدم الحسناء ذأما. وقيل: أردت أن تديمه فمدحته، وقال الليث ذأمته حقرته، وقال ابن قتيبة وابن الأنباري: ذأمه وذمه، دحره أبعده وأقصاه دحورا قال الشاعر:دحرت بني الحصيب إلى قديد ... وقد كانوا ذوي أشر وفخروسوس تكلم كلاما خفيا يكرره والوسواس صوت الحلي شبه الهمس به وهو فعل لا يتعدى إلى منصوب نحو ولولت ووعوع. قال ابن الأعرابي: رجل موسوس، بكسر الواو، ولا يقال: موسوس بفتحها. وقال غيره: يقال موسوس له وموسوس إليه. وقال رؤبة يصف صيادا:وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ... لما دنا الصيد دنا من الوهقيقول لما أحس بالصيد وأراد رميه وسوس في نفسه أيخطىء أم يصيب. قال الأزهري: وسوس وورور معناهما واحد، نصح بذل المجهود في تبيين الخير وهو ضد غش ويتعدى بنفسه وباللام نصحت زيدا ونصحت لزيد ويبعد أن يكون يتعدى لواحد بنفسه ولآخر بحرف الجر وأصله نصحت لزيد، من قولهم نصحت لزيد الثوب بمعنى خطته خلافا لمن ذهب إلى ذلك. ذاق الشيء يذوقه ذوقا مسه بلسانه أو بفمه ويطلق على الأكل. طفق، بكسر الفاء وفتحها، ويقال: طبق بالباء وهي بمعنى أخذ من أفعال المقاربة. خصف العل وضع جلدا على جلد وجمع بينهما بسير والخصف الخرز. الريش معروف وهو للطائر ويستعمل في معان يأتي ذكرها في تفسير المركبات واشتقوا منه قالوا راشه يريشه، وقيل______________(١) سورة مريم: ١٩/ ٥٩.." (١)

"من جنة عدن، وقال ابن عطية: أهبط أولا وأخرج من الجنة وصار في السماء لأن الأخبار تظافرت أنه أغوى آدم وحواء من خارج الجنة ثم أمر آخرا بالهبوط من السماء، مع آدم وحواء والحية وهذا كله بحسب ألفاظ القصة والله أعلم انتهى، وقيل: يعود على السماء، قال الزمخشري: فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين، وقيل: يعود على الأرض فكأنه كان له ملكها أمره أن يهبط منها إلى جزائر البحار فسلطانه فيها فلا يدخل الأرض إلا كهيئة السارق يخاف فيها حتى يخرج منها وهذا يحتاج إلى صحة نقل، وقيل: يعود على صورته التي كان فيها لأنه افتخر أنه من النار فشوهت صورته بالإظلام وزوال إشراقه قاله أبو روق، وقيل:عائد على

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/٧

المدينة التي كان فيها ذكره الكرماني ويحتاج إلى تصحيح نقل، وقيل يعود على المنزلة والرتبة الشريفة التي كان في١٥ في محل الاصطفاء والتقريب إلى محل الطرد والتعذيب ومعنى فما يكون لك لا يصح لك أو لا يتم أو لا ينبغي بل التكبر منهي عنه في كل موضع، وقيل: هو على حذف معطوف دل عليه المعنى التقدير فيها ولا في غيرها، وقيل المعنى ما للمتكبر أن يكون فيها وكرر معنى الهبوط بقوله فاخرج لأن الهبوط منها خروج ولكنه أخبر بصغاره وذلته وهو أنه جزاء على تكبره قوبل بالضد مما اتصف به وهو الصغار الذي هو ضد التكبر والتكبر تفعل منه لأنه خلق كبيرا عظيما ولكنه هو الذي تعاطى الكبر ومن كلام عمر ومن تكبر وعدا طوره رهصه الله إلى الأرض.قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين هذا يدل على إقراره بالبعث وعلمه بأن آدم سيكون له ذرية ونسل يعمرون الأرض ثم يموتون وإن منهم من ينظر فيكون طلبه الإنظار بأن يغويهم ويوسوس إليهم فالضمير في يبعثون عائد على ما دل عليه المعنى إذ ليس في اللفظ ما يعود عليه وحكمة اسنتظاره وإن كان ذلك سببا **للغواية** والفتنة إن في ذلك ابتلاء العباد بمخالفته وطواعيته وما يترتب على ذلك من إعظام الثواب بالمخالفة وإدامة العقاب الطواعية وأجابه تعالى بأنه من المنظرين أي من المؤخرين ولم يأت هنا بغاية للانتظار وجاء مغيا في الحجر وفي ص بقوله إلى يوم الوقت المعلوم «١» ويأتي تفسيره في الحجر إن شاء الله، ومعنى من المنظرين من الطائفة التي تأخرت أعمارها كثيرا حتى جاءت آجالها على اختلاف أوقاتها فقد شمل تلك الطائفة إنظار وإن لم يكونوا أحياء مدة الدهر، وقيل من المنظرين جمع كثير مثل قوم يونس.______________(١) سورة ص: ٣٨/ ٨١.."
(١)

"آدم وحواء عليهما السلام وطلب للتوبة والستر والتغمد بالرحمة فطلب آدم هذا وطلب إبليس النظرة ولم يطلب التوبة فوكل إلى رأيه، قال الضحاك: هذه الآية هي الكلمات التي تلقى آدم من ربه، وقيل: سعد آدم بخمسة أشياء اعترف بالمخالفة وندم عليها، ولام نفسه وسارع إلى التوبة ولم يقنط من الرحمة، وشقي إبليس بخمسة أشياء لم يقر بالذنب، ولم يندم، ولم يسلم نفسه بل أضاف إلى ربه **الغواية**، وقنط من الرحمة، ولنكونن جواب قسم محذوف قبل إن كقوله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن «١» التقدير والله إن لم يغفر لنا وأكثر ما تأتي إن هذه ولام التوطئة قبلها كقوله لئن لم ينته «٢» ثم قال: لنغرينك بهم.قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين تقدم تفسير هذا في البقرة.قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون. هذا كالتفسير لقوله ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين «٣» أي بالحياة إلى حين

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/١٩

الموت ولذلك جاء قال بغير واو العطف إذ الأكثر في لسان العرب إذا لم تكن الجملة تفسيرية أو كالتفسيرية أن تعطف على الجملة قبلها فتقول قال فلان كذا، وقال كذا وتقول زيد قائم وعمرو قاعد ويقل في كلامهم قال فلان كذا قال كذا وكذلك يقل زيد قائم عمرو قاعد وهنا جاء قال اهبطوا الآية قال فيها تحيون لما كانت كالتفسير لما قبلها وتمم هنا المقصود بالتنبيه على البعث والنشور بقوله ومنها تخرجون أي إلى المجازاة بالثواب والعقاب وهذا كقوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى «٤» . وقرأ الأخوان وابن ذكوان تخرجون مبنيا للفاعل هنا وفي الجاثية والزخرف وأول الروم وعن ابن ذكوان في أول الروم خلاف، وقرأ باقي السبعة مبنيا للمفعول.يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر قصة آدم وفيها ستر السوءات وجعل له في الأرض مستقرا ومتاعا ذكر ما امتن به على بنيه وما أنعم به عليهم من اللباس الذي يواري السوءات والرياش الذي يمكن به استقرارهم في الأرض واستمتاعهم بما خولهم، وقال مجاهد: نزلت هذه الآية والثلاث بعدها فيمن كان من العرب يتعرى في طوافه بالبيت وذكر النقاش أنها كانت عادة ثقيف وخزاعة وبني عامر بن__________(١) سورة المائدة: ٥/ ٧٣.(٢) سورة الأحزاب: ٣٣/ ٦٠.(٣) سورة البقرة: ٢/ ٣٦.(٤) سورة طه: ٢٠/ ٥٥.." [1]

"وكانت ثمود عربا في سعة من العيش فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا فبعث الله لهم صالحا نبيا من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فدعاهم إلى الله حتى شمط ولا يتبعه منهم إلا القليل، قاله وهب: بعثه الله حين راهق الحلم فلما هلك قومه ارتحل بمن معه إلى مكة فأقاموا معه حتى ماتوا فقبورهم بين دار الندوة والحجر، وصالح هو صالح بن آسف بن كاشح بن أروم بن ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح هكذا نسبه الشريف النسابة الجواني وهو المنتهى إليه في علم النسب. ووقع في بعض التفاسير بين صالح وآسف زيادة أب وهو عبيد فقالوا صالح بن عبيد بن آسف ونقص في الأجداد وتصحيف جاثر بقولهم عابر، قال الشريف الجواني في المقدمة الفاضلية والعقب من جاثر بن إرم بن سام بن نوح وجديس والعقب من ثمود بن جاثر فالخ وهيلع وتنوق وأروم من ولده صالح النبي صلى الله عليه وسلم بن آسف بن كاشح بن أروم بن ثمود.وقرأ ابن وثاب والأعمش: وإلى ثمود بكسر الدال والتنوين مصروفا في جميع القرآن جعله اسم الحي والجمهور منعوه الصرف جعلوه اسم القبيلة والأخوة هنا في القرابة، لأن نسبه ونسبهم راجع إلى ثمود بن جاثر وكل واحد من هؤلاء الأنبياء نوح وهود وصالح تواردوا على الأمر بعبادة الله والتنبيه على أنه

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/٢٩

لا إله غيره إذ كان قومهم عابدي أصنام ومتخذي آلهة مع الله كما كانت قريش والعرب ففي هذه القصص توبيخهم وتهديدهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك من الهلاك المستأصل من العذاب وكانت قصة نوح مشهورة طبقت الآفاق وقصة هود وصالح مشهورة عند العرب وغيرهم بحيث ذكرها قدماء الشعراء في الجاهلية وشبهوا مفسدي قومهم بمفسدي قوم هود وصالح قال بعض قدمائهم في الجاهلية:فينا معاشر لن يبغوا لقومهم ... وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوأضحوا كقيل بن عنز في عشيرته ... إذ أهلكت بالذي سدى لها عادأو بعده كقدار حين تابعه ... على **الغواي**ة أقوام فقد بادواوقيل ابن عنز هو من قوم هود وسيأتي ذكر خبره عند ذكر إرسال الريح على قوم هود إن شاء الله وقدار هو ابن سالف عاقر ناقة صالح ويأتي خبره إن شاء الله.قد جاءتكم بينة من ربكم أي آية ظاهرة جلية وشاهد على صحة نبوتي وكثر استعمال هذه الصفة استعمال الأسماء في القرآن فوليت العوامل كقوله حتى جاءتهم البينة وقوله بالبينات والزبر «١» والمعنى الآية البينة وبالآيات البينات فقارب أن تكون كالأبطح______________(١) سورة النحل: ١٦/ ٤٤.." (١)

"شملتهم **الغواية**. وقيل: الضمير يعود على الكفار، والغاوون: الشياطين. وجنود إبليس: قبيلة، وكل من تبعه فهو جند له وعون. وقال السدي: هم مشركو العرب، والغاوون: سائر المشركين. وقيل: هم القادة والسفلة، قالوا: أي عباد الأصنام، والجملة بعده حال، والمقول جملة القسم ومتعلقه، والخطاب في نسويكم للأصنام على جهة الإقرار والاعتراف بالحق. قال ابن عطية: أقسموا بالله إن كنا إلا ضالين في أن نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله تعالى، الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم. انتهى. وقوله:إن كنا إلا ضالين، إن أراد تفسير المعنى فهو صحيح، وإن أراد أن إن هنا نافية، واللام في لفي بمعنى إلا، فليس مذهب البصريين، وإنما هو مذهب الكوفيين. ومذهب البصريين في مثل هذا أن أن هي المخففة من الثقيلة، وأن اللام هي الداخلة للفرق بين إن النافية وإن التي هي لتأكيد مضمون الجملة.وما أضلنا إلا المجرمون: أي أصحاب ال جرائم والمعاصي العظام والجرأة، وهم ساداتهم ذوو المكانة في الدنيا والاستتباع كقولهم: أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا «١» . وقال السدي: هم الأولون الذين اقتدوا بهم. وقيل: المجرمون: الشياطين، وقيل: من دعاهم إلى عبادة الأصنام من الجن والإنس. وقال ابن جريج: إبليس وابن آدم القاتل، لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي. وحين رأوا شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء نافعة في أهل الإيمان، وشفاعة الصديق في صديقه خاصة، قالوا على جهة التلهف والتأسف، فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٥/٩١

وقال ابن جريج: شافعين من الملائكة وصديق من الناس. ولفظة الشفيع تقتضي رفعة مكانة عند المشفوع عنده، ولفظة الصديق تقتضي شدة مساهمة ونصرة، وهو فعيل من صدق الود من أبنية المبالغة ونفي الشفعاء. والصديق يحتمل أن يكون نفيا لوجودهم إذ ذاك، وهم موجودون للمؤمنين، إذ تشفع الملائكة وتتصادق المؤمنون، كما قال: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، أو ذلك على حسب اعتقادهم في معبوداتهم أنهم شفعاؤهم عند الله، وأن لهم أصدقاء من الإنس والشياطين، فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع، لأن ما لا ينفع، حكمه حكم المعدوم، فصار المعنى: فما لنا من نفع من كنا نعتقد أنهم شفعاء وأصدقاء، وجمع الشفعاء لكثرتهم في العادة. ألا ترى أنه يشفع فيمن وقع في ورطة من لا يعرفه، وأفرد الصديق لقلته، وأريد به الجمع؟ إذ يقال: هم صديق، أي أصدقاء، كما______________(١) سورة الأحزاب: ٣٣/ ٦٧.." (١)

"خروج عن الظاهر في تفريق الضمائر وتعمية المعنى، إذ يصير التقدير: جاءتهم الرسل من بين أيديهم وجاءتهم من خلف الرسل، أي من خلف أنفسهم، وهذا معنى لا يتعقل إلا إن كان الضمير يعود في خلفهم على الرسل لفظا، وهو يعود على رسل أخرى معنى، فكأنه قال: جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلف رسل آخرين، فيكون كقولهم: عندي درهم ونصفه، أي ونصف درهم آخر، وهذا فيه بعد. وخص بالذكر من الأمم المهلكة عاد وثمود لعلم قريش بحالهما، ولوقوعهم على بلادهم في اليمن وفي الحجر، وقال الأفوه الأودي:أضحوا كقيل بن عنز في عشيرته ... إذ أهلكت بالذي سدى لها عادأو بعده كقدار حين تابعه ... على الغواية أقوام فقد بادواألا تعبدوا: يصح أن تكون أن تفسيرية، لأن مجيء الرسل إليهم يتضمن معنى القول، أي جاءتهم مخاطبة وأن تكون مخففة من الثقيلة، أي بأنه لا تعبدوا، والناصبة للمضارع، ووصلت بالنهي كما توصل بإلا، وفي نحو: أن طهرا «١» ، وكتبت إليه بأن قم، ولا في هذه الأوجه للنهي. ويجوز على بعد أن تكون لا نافية، وأن ناصبة للفعل، وقاله الحوفي ولم يذكر غيره. ومفعول شاء محذوف، وقدره الزمخشري: لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة. انتهى. وتتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفا إلا من جنس الجواب، نحو قوله تعالى: ولو شاء الله لجمعهم على الهدى «٢» : أي لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه، وكذلك: لو نشاء لجعلناه حطاما «٣» ، لو نشاء جعلناه أجاجا «٤» ، ولو شاء ربك لآمن «٥» ، ولو شاء ربك ما فعلوه «٦» ، لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء «٧» . قال الشاعر:فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت عمر

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٨/ ١٧٠

بن مرثدوقال الراجز:واللذ لو شاء لكنت صخرا ... أو جبلا أشم مشمخرافعلى هذا الذي تقرر، لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري، وإنما التقدير:__________ـ_ـ_(١) سورة البقرة: ٢/ ١٢٥.(٢) سورة الأنعام: ٦/ ٣٥.(٣) سورة الواقعة: ٥٦/ ٦٥.(٤) سورة الواقعة: ٥٦/ ٧٠.(٥) سورة يونس: ١٠/ ٩٩.(٦) سورة الأنعام: ٦/ ١١٢.(٧) سورة النحل: ١٦/ ٣٥.." (١)

"وكل من جعلوه شريكا لله. وأضيف الشركاء إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله، فتارة تضاف إليهم بهذه الملابسة، وتارة إلى الله. والضمير في شرعوا يحتمل أن يعود على الشركاء، ولهم عائد على الكفار، لما كانت سببا لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر، كما قال إبراهيم عليه السلام: رب إنهن أضللن كثيرا من الناس «١» . واحتمل أن يعود على الكفار، ولهم عائد على الشركاء، أي شرع الكفار لأصنامهم ومعبوداتهم، أي رسموا لهم غواية وأحكاما في المعتقدات، كقولهم: إنهم آلهة، وإن عبادتهم تقربهم إلى الله ومن الأحكام البحيرة والوصيلة والحامي وغير ذلك. ولولا كلمة الفصل: أي العدة بأن الفصل في الآخرة، أو لولا القضاء بذلك لقضي بين المؤمن والكافر، أو بين المشركين وشركائهم. وقرأ الجمهور: وإن الظالمين، بكسر الهمزة على الاستئناف والإخبار، بما ينالهم في الدنيا من القتل والأسر والنهب، وفي الآخرة النار. وقرأ الأعرج، ومسلم بن جندب: وأن بفتح الهمزة عطفا على كلمة الفصل، فهو في موضع رفع، أي ولولا كلمة الفصل وكون الظالمين لهم عذاب في الآخرة، لقضي بينهم في الدنيا وفصل بين المتعاطفين بجواب لولا، كما فصل في قوله: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى «٢» .ترى الظالمين: أي تبصر الكافرين لمقابلته بالمؤمنين، مشفقين: خائفين الخوف الشديد، مما كسبوا من السيئات، وهو: أي العذاب، أو يعود على ما كسبوا على حذف مضاف: أي وبال كسبوا من السيئات، أو جزاؤه حال بهم، وهو واقع: فإشفاقهم هو في هذه الحال، فليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا مشفقون من الساعة. ولما كانت الروضات أحسن ما في الجنات وأنزهها وفي أعلاها، ذكر أن المؤمنين فيها. واللغة الكثيرة تسكين الواو في روضات، ولغة هذيل بن مدركة فتح الواو إجراء للمعتل مجرى الصحيح نحو جفنات، ولم يقرأ أحد ممن علمناه بلغتهم. وعند ظرف، ق ال الحوفي: معمول ليشاءون. وقال الزمخشري: منصوب بالظرف لا يشاءون. انتهى، وهو الصواب. ويعني بالظرف: الجار والمجرور، وهو لهم في الحقيقة غير معمول للعامل

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٢٩٤/٩

في لهم، والمعنى: ما يشاءون من النعيم والثواب، مستقر لهم. عند ربهم: والعندية عندية المكانة والتشريف، لا عندية المكان.____________(١) سورة إبراهيم: ١٤/ ٣٦.(٢) سورة طه: ٢٠/ ١٢٩.." (١)

"قوله: «من الأرض» هذا بيان الإبهام الذي في قوله: «ماذا خلقوا» .قوله: «أم لهم» هذه «أم» المنقطعة. والشرك: المشاركة.قوله: ﴿من قبل هاذآ﴾ صفة ل «كتاب» أي: بكتاب منزل من قبل هذا. كذا قدره أبو البقاء. والأحسن أن يقدر/ كون مطلق أي: كائن من قبل هذا.قوله: «أو أثارة» العامة على «أثارة» وهي مصدر على فعالة كالسماحة **والغواية** والضلالة، ومعناها البقية من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من لحم، إذا كانت سمينة ثم هزلت، وبقيت بقية من شحمها ثم سمنت. والأثارة غلب استعمالها في بقية الشرف. يقال: لفلان أثارة أي: بقية أشراف، ويستعمل في غير ذلك. قال الراعي:وذات أثارة أكلت عليها ... نباتا في أكمته قفاراوقيل: اشتقاقها من أثر كذا أي: أسنده. ومنه قول عمر: «ما حلفت." (٢)

"﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم (١٠١) ﴾يحذر تعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من الذين أوتوا الكتاب، الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، وما منحهم به من إرسال رسوله (١) كما قال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم﴾ [البقرة:١٠٩] وهكذا قال هاهنا: ﴿إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ ثم قال ﴿وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله﴾ يعني: أن الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه؛ فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلا ونهارا، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين﴾ [الحديد:٨] والآية بعدها. وكما جاء في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه: "أي المؤمنين أعجب إليكم إيمانا؟ " قالوا: الملائكة. قال: "وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم؟! " وذكروا الأنبياء (٢) قال: "وكيف لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟ " قالوا: فنحن. قال: "وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟! ". قالوا: فأي الناس أعجب إيمانا؟ قال: "قوم يجيؤون من بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها" (٣) . وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه في أول شرح البخاري، ولله الحمد.ثم قال تعالى: ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ أي: ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة **الغواية**، والوسيلة إلى الرشاد،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيان الأندلسي ٩/٣٣٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩/٦٦٠

وطريق السداد، وحصول المراد.﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠٢) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (١٠٣) ﴾قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان وشعبة، عن زبيد اليامي، عن مرة، عن عبد الله -هو ابن مسعود- ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ قال: أن يطاع فلا يعصى،__________(١) في أ: "ورسله".(٢) في ج، أ، و: "قالوا فالأنبياء".(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٤، ٢٣) من حديث أبي جمعة الأنصاري.." (١)

"﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (١٦٦) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا (١٦٧) إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا (١٦٨) إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا (١٦٩) يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما (١٧٠) ﴾لما تضمن قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ إلى آخر السياق، إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم (١) والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ أي: وإن كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك، فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو: القرآن العظيم الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢] ؛ ولهذا قال: ﴿أنزله بعلمه﴾ أي: فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة، التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب، إلا أن يعلمه الله به، كما قال [تعالى] (٢) ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال ﴿ولا يحيطون به علما﴾ [طه: ١١٠] .وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا الحسن بن سهل الجعفري وخزر بن المبارك قالا حدثنا عمران بن عيينة، حدثنا عطاء بن السائب قال: أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي القرآن، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال: قد أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أفضل منك إلا بعمل، ثم يقرأ: ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا﴾ وقوله ﴿والملائكة يشهدون﴾ أي: بصدق ما جاءك وأوحي إليك وأنزل عليك، مع شهادة الله

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨٦/٢

تعالى لك بذلك ﴿وكفى بالله شهيدا﴾وقد قال محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود، فقال لهم: "إني لأعلم -والله-إنكم لتعلمون أني رسول الله". فقالوا: ما نعلم ذلك. فأنزل الله عز وجل: ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه [والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا] (٣) ﴾ .وقوله: ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا﴾ أي: كفروا في أنفسهم (٤) فلم يتبعوا الحق، وسعوا في صد الناس عن اتباعه والاقتداء به، قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه، وبعدوا منه بعدا عظيما شاسعا.ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله، الظالمين لأنفسهم بذلك، وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه، بأنه لا يغفر لهم ﴿ولا ليهديهم طريقا﴾ أي: سبيلا إلى الخير ﴿إلا طريق جهنم﴾ وهذا استثناء منقطع ﴿خالدين فيها أبدا [وكان ذلك على الله يسيرا] (٥) ﴾ .ثم قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم﴾ أي: قد جاءكم محمد -صلوات الله وسلامه عليه- بالهدى ودين الحق، والبيان الشافي من الله، عز وجل، فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه (٦) يكن خيرا لكم.ثم قال: ﴿وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض﴾ أي: فهو غني عنكم وعن إيمانكم، ولا يتضرر بكفرانكم، كما قال تعالى: ﴿وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد﴾ [إبراهيم: ٨] وقال هاهنا: ﴿وكان الله عليما حكيما﴾ أي: بمن يستحق منكم الهداية فيهديه، وبمن يستحق **الغواية** فيغويه ﴿حكيما﴾ أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.______________(١) في أ:"بنبوته صلوات الله وسلامه عليه".(٢) زيادة من د، أ.(٣) زيادة من أ، وفي هـ: "ا لآية".(٤) في د: "بأنفسهم".(٥) زيادة من أ.(٦) في د: "فاتبعوه".." (١)

"﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (٧٠) وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (٧١) ﴾يذكر تعالى أنه أخذ العهود والمواثيق على بني إسرائيل، على السمع والطاعة لله ولرسوله، فنقضوا تلك العهود والمواثيق، واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع، فما وافقهم منها قبلوه، وما خالفهم ردوه؛ ولهذا قال: ﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ أي: وحسبوا ألا يترتب لهم شر على ما صنعوا، فترتب، وهو أنهم عموا عن الحق وصموا، فلا يسمعون حقا (١) ولا يهتدون إليه، ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ أي: مما كانوا فيه ﴿ثم عموا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٧٦/٢

وصموا﴾أي: بعد ذلك ﴿ [وصموا] (٢) كثير منهم والله بصير بما يعملون﴾ أي: مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية.____________(١) في د: "فلا يستمعون خيرا".(٢) زيادة من ر.." (١)

"﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٧٧) ﴾يقول تعالى منكرا على من عبد غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ومبينا له أنها لا تستحق شيئا من الإلهية: ﴿قل﴾ أي: يا محمد لهؤلاء العابدين غير الله من سائر فرق بني آدم، ودخل في ذلك النصارى وغيرهم: ﴿أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا﴾ أي: لا يقدر على إيصال ضرر (١) إليكم، ولا إيجاد نفع ﴿والله هو السميع العليم﴾ (٢) أي: فلم (٣) عدلتم عن إفراد السميع لأقوال عباده، العليم بكل شيء إلى عبادة جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا، ولا يملك ضرا ولا نفعا لغيره ولا لنفسه.ثم قال: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾ أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه، حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهيۃ، كما صنعتم في المسيح، وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلها من دون الله، وما ذاك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضل قديما، ﴿وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ أي: وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال، إلى طريق الغواية والضلال.قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس قال: وقد كان قائم قام عليهم، فأخذ بالكتاب والسنة زمانا، فأتاه الشيطان فقال: إنما تركب أثرا أو أمرا قد عمل قبلك، فلا تجمد (٤) عليه، ولكن ابتدع أمرا من قبل نفسك وادع إليه وأجبر الناس عليه، ففعل، ثم ادكر (٥) بعد فعله زمانا فأراد أن يتوب فخلع ملكه،____________(١) في ر، أ: "ضر".(٢) في أ: "والله واسع عليم" وهو خطأ.(٣) في ا: "فلو".(٤) في ر، د: "تحمد".(٥) في د: "ادكر من".." (٢)

"ثم ذكر تعالى سبب وصوله إلى ما كان تعالى قدر له من النبوة والتكليم: قضية قتله ذلك القبطي، الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين، فقال تعالى: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ قال ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس: وذلك بين المغرب والعشاء.وقال ابن المنكدر، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس: كان ذلك نصف النهار. وكذلك قال سعيد بن جبير، وعكرمة،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٥٦/٣

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٥٩/٣

والسدي، وقتادة.﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ أي: يتضاربان ويتنازعان، ﴿هذا من شيعته﴾ أي: من بني إسرائيل (١) ، ﴿وهذا من عدوه﴾ أي: قبطي، قاله ابن عباس، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق. فاستغاث الإسرائيلي بموسى، عليه السلام، ووجد موسى فرصة، وهي غفلة الناس، فعمد إلى القبطي ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾ .قال مجاهد: وكزه، أي: طعنه بجمع (٢) كفه. وقال قتادة: وكزه بعصا كانت معه.﴿فقضى عليه﴾ أي: كان فيها حتفه فمات، قال موسى: ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم. قال رب بما أنعمت علي﴾ أي: بما جعلت لي من الجاه والعزة والمنعة ﴿فلن أكون ظهيرا﴾ أي: معينا ﴿للمجرمين﴾ أي: الكافرين بك، المخالفين لأمرك.﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين (١٩) ﴾ .يقول تعالى مخبرا عن موسى، عليه السلام (٣) ، لما قتل ذلك القبطي: إنه أصبح ﴿في المدينة خائفا﴾ أي: من معرة ما فعل، ﴿يترقب﴾ أي: يتلفت ويتوقع (٤) ما يكون من هذا الأمر، فمر في بعض الطرق، فإذا ذاك (٥) الذي استنصره بالأمس على ذلك القبطي يقاتل آخر، فلما مر موسى، استصرخه على الآخر، فقال له موسى: ﴿إنك لغوي مبين﴾ أي: ظاهر **الغواية** كثير الشر. ثم عزم على البطش بذلك القبطي، فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه: ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس﴾ وذلك لأنه لم__________(١) في ت: "أي إسرائيلي".(٢) في ت: "بجميع".(٣) في ت: "صلى الله عليه وسلم".(٤) في هـ، ت: "أي يتقلب أي يتوقع" والمثبت من ف، أ.(٥) في ت، ف: "ذلك".." [١]

"يقول تعالى لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه: إنك يا محمد ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ أي: ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ، والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، وقال: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ [يوسف: ١٠٣] .وهذه الآية أخص من هذا كله؛ فإنه قال: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي: هو أعلم بمن يستحق الهداية بمن يستحق **الغواية**، وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان يحوطه

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٢٢٥

وينصره، ويقوم في صفه ويحبه حبا [شديدا] (١) طبعيا لا شرعيا، فلما حضرته الوفاة وحان أجله، دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه، واختطف من يده، فاستمر على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة (٢ (التامة.قال الزهري: حدثني سعيد بن المسيب، عن أبيه –وهو المسيب بن حزن المخزومي، رضي الله عنه –قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله". فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعودان له بتلك المقالة، حتى قال آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك". فأنزل الله عز وجل: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ [التوبة: ١١٣] ، بوأنزل في أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ .أخرجاه (٣) من حديث الزهري (٤) . وهكذا رواه (٥) مسلم في صحيحه، والترمذي، من حديث يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا عماه، قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة". فقال: لولا أن تعيرني (٦) بها قريش، يقولون: ما حمله عليه إلا جزع الموت، لأقررت بها عينك، لا أقولها إلا لأقر بها عينك. فأنزل الله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ . وقال الترمذي: حسن غريب (٧) ، لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان (٨) .ورواه الإمام أحمد، عن يحيى بن سعيد القطان، عن يزيد بن كيسان، حدثني أبو حازم، عن أبي هريرة، فذكره بنحوه (٩) .______________(١) زيادة من ت، ف، أ.(٢) في أ: "الحجة".(٣) في ت: "البخاري ومسلم".(٤) صحيح البخاري برقم (١٣٦٠) وصحيح مسلم برقم (٢٤) .(٥) في ت: "وروى".(٦) في ف: "يعيرني".(٧) في ت: "رواه الترمذي وقال: حسن صحيح".(٨) صحيح مسلم رقم (٢٥) وسنن الترمذي برقم (٣١٨٨) .(٩) المسند (٢/٤٣٤) .." (١)

"الكبار. والعصيان وهي جميع المعاصي. وهذا تدريج لكمال النعمة.وقوله: ﴿أولئك هم الراشدون﴾ أي: المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون، الذين قد آتاهم الله رشدهم.قال (١) الإمام أحمد: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي، عن ابن رفاعة الزرقي، عن أبيه قال: لما كان يوم

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٤٦/٦

أحد (٢) وانكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استووا حتى أثني على ربي، عز وجل" فصاروا خلفه صفوفا، فقال: "اللهم لك الحمد كله. اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت. ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت. ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت. اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهم، إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول. اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة، والأمن يوم الخوف. اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعطيتنا، ومن شر ما منعتنا. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم، توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين. اللهم، قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك. اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق".ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب، عن مروان بن معاوية، عن عبد الواحد بن أيمن، عن عبيد بن رفاعة، عن أبيه، به (٣) .وفي الحديث المرفوع: "من سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن" (٤) .ثم قال: ﴿فضلا من الله ونعمة﴾ أي: هذا العطاء (٥) الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه، ﴿والله عليم حكيم﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق **الغواية**، حكيم في أقواله وأفعاله، وشرعه وقدره.﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠) ﴾__________(١) في ت: "روى".(٢) في أ: "الحديبية".(٣) المسند (٣/٤٢٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٤٤٥) .(٤) رواه أحمد في مسنده (١/١٨) والترمذي في السنن برقم (٢١٦٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه".(٥) في ت: "القضاء".." (١)

"﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ [الأعراف: ٩٦] وعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: لنختبرهم، كما قال مالك، عن زيد بن أسلم: ﴿لنفتنهم﴾ لنبتليهم، من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى **الغواية؟**.ذكر من قال بهذا القول: قال العوفي، عن ابن عباس: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ يعني بالاستقامة: الطاعة. وقال مجاهد: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ قال: الإسلام. وكذا قال سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وعطاء، والسدي، ومحمد بن كعب القرظي.وقال

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٧٣/٧

قتادة: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا.وقال مجاهد: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ أي: طريقة الحق. وكذا قال الضحاك، واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما، وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا في قوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي لنبتليهم به.وقال مقاتل: فنزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين.والقول الثاني: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ الضلالة ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ أي: لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا، كما قال: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٤] وكقوله: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] وهذا قول أبي مجلز لاحق بن حميد؛ فإنه في قوله: ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ أي: طريقة الضلالة. رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، والكلبي، وابن كيسان. وله اتجاه، وتيأيد بقوله: ﴿لنفتنهم فيه﴾وقوله: ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا﴾ أي: عذابا شاقا شديدا موجعا مؤلما.قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، وابن زيد: ﴿عذابا صعدا﴾ أي: مشقة لا راحة معها.وعن ابن عباس: جبل في جهنم. وعن سعيد بن جبير: بئر فيها.." (١)

"ثم قال: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان (١) ولا يجر لنفسه نفعا، ﴿إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما﴾ أي: عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق **الغواية** فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إن الله كان عليما حكيما﴾ثم قال: ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما﴾ أي: يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ومن يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.[آخر سورة "الإنسان"] (٢) [والله أعلم] (٣)__________(١) في م: "في إيمان"(٢) زيادة من م، أ.(٣) زيادة من أ.." (٢)

"اليوم إذا نزل بكم العذاب؛ فأمنتم في ذلك الوقت؛ لأن الإيمان عند نزول العقاب لا يقبل وإنما ينفعكم نصحي إذا آمنتم قبل مشاهدة العذاب.الثالث: قال الجبائي: **الغواية** هي الخيبة من الطلب بدليل قوله: ﴿فسوف يلقون غيا﴾ [مريم: ٥٩] ، أي: خيبة من خير الآخرة؛ قال الشاعر: [الطويل]٢٩٦٦ - ... ... ومن يغو لا يعدم على الغيي لائماالرابع: أنه إذا أصر

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨/٢٤٣

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨/٢٩٥

على الكفر، وتمادى فيه، منعه الله الألطاف، وفوضه إلى نفسه؛ فهذا شبيه بما إذا أراد إغواءه؛ فلهذا السبب حسن أن يقال: إن الله أغواه، هذا جملة كلام المعتزلة في هذا الباب، وتقدم الجواب عن أمثال هذه الكلمات، فلا فائدة في الإعادة، ثم قال: ﴿هو ربكم وإليه ترجعون﴾ فيجازيكم بأعمالكم، وهذا نهاية الوعيد والتهديد.قوله: ﴿أم يقولون افتراه﴾ اختلقه، وافتعله، يعني نوحا – عليه الصلاة السلام – قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -.[وقال مقاتل – رضي الله عنه –: يعني محمدا صلوات الله البر الرحيم وسلامه عليه] والهاء ترجع إلى الوحي الذي بلغه إليهم.﴿قل إن افتريته فعلي إجرامي﴾ أي: إثمي ووبال جرمي، والإجرام: كسب الذنب، وهذا من باب حذف المضاف؛ لأن المعنى: فعلي عقاب إجرامي، وفي الآية محذوف آخر، وهو أن المعنى: إن كنت افتريته فعلي عقاب جرمي، وإن كنت صادقا وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب، إلا أنه حذف هذه البقية لدلالة الكلام عليه.قوله: «فعلي إجرامي» : مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل.والجمهور على كسر همزة «إجرامي» ، وهو مصدر أجرم، وأجرم هو الفاشي، ويجوز «جرم» ثلاثيا وأنشدوا: [الوافر]٢٩٦٧ – طريد عشيرة ورهين ذنب ... بما جرمت يدي وجنى لساني." (١)

"قال الزمخشري: زعم بعضهم «فغوى» فبشم من كثرة الأكل، وهذا وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا، فيقول في فني، وبقي: فنا وبقا، وهم بنو طيئ تفسير خبيث.قال شهاب الدين: كأنه لم يطلع على أنه قرئ بكسر الواو، ولو اطلع عليها لردها، وقد فر القائل بهذه المقالة من نسبة آدم – عليه السلام – إلى الغي.فصلتمسك بعضهم بقوله: ﴿وعصىءادم ربه فغوى﴾ في صدور الكبيرة عنه من وجهين:أحدهما: أن العاصي اسم للذم فلا يطلق إلا على صاحب الكبيرة، ولقوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيهآ﴾ [الجن: ٢٣] ولا معنى لصاحب الكبيرة إلا من فعل فعلا يعاقب عليه.الثاني: أن **الغواية** والضلالة اسمان مترادفان، والغي ضد الرشد، ومثل هذا لا يتناول إلا الفاسق المنهمك في فسقه.وأجيب عن الأول: بأن المعصية مخالفة الأمر، والأمر قد يكون بالواجب وبالندب، فإنك تقول: أمرته فعصاني، وأمرته بشرب الدواء فعصاني وإذا كان كذلك لم يمتنع إطلاق اسم العصيان على آدم بكونه تاركا للمندوب فأجاب المستدل بأنا قد بينا أن ظاهر القرآن يدل على أن العاصي يستحق العقاب، والعرف يدل على أنه اسم ذم، فوجب تخصيص اسم العاصي بتارك الواجب، ولأنه لو كان تارك المندوب عاصيا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٧٩/١٠

لوجب وصف الأنبياء بأسرهم بأنهم عصاة، لأنهم لا ينفكون من ترك المندوب.فإن قيل: وصف تارك المندوب بأنه عاص مجاز والمجاز لا يطرد.." (١)

"والقول بأن الفتحة للإتباع خطأ، والعامة على رفع «الشعراء» بالابتداء، والجملة بعده الخبر. وقرأ عيسى بالنصب على الاشتغال.فصللما قال الكفار: لم لا يجوز أن يقالك الشياطين تنزل بالقرآن على محمد، كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة، وعلى الشعراء بالشعر؟ ثم إنه تعالى فرق بين محمد – عليه السلام – وبين الكهنة، ذكر ههنا ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء: بأن الشعراء يتبعهم الغاوون، وهم: الضالون: ثم بين أن ذلك لا يمكن القول به لأمرين:الأول: ﴿أنهم في كل واد يهيمون﴾ والمراد منه: الطرق المختلفة، كقولك: أنا في يعظمونه بعدما يستحقرونه وبالعكس وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق، بخلاف أمر محمد – عليه السلام – فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحدة، وهو الدعوة إلى الله، والترغيب في الآخرة، والإعراض عن الدنيا.والثاني: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ .وذلك أيضا من علامات **الغواية**، فإنهم يرغبون في الجود، ويرغبون عنه، وينفرون عن البخل ويصيرون إليه، ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم وعن واحد من أسلافهم. ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش، وذلك يدل على **الغواية** والضلالة، وأما محمد – عليه السلام – فإنه بدأ بنفسه ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ [الشعراء: ٢١٣] ثم بالأقرب فالأقرب فقال: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] وكل ذلك خلاف طريقة الشعراء، فظهر بهذا البيان أن حال محمد – عليه السلام – لم يشبه حال الشعراء.قوله: «يهيمون» . يجوز أن تكون هذه الجملة خبر «أن» وهذا هو الظاهر، لأنه محط الفائدة، و «في كل واد» متعلق به. ويجوز أن يكون ﴿في كل واد﴾ هو الخبر، أو نفس الجار كما تقدم في نظيره. ويجوز أن تكون الجملة خبرا بعد خبر عند من يرى تعدد." (٢)

"إسرائيل قتلوا منا رجلا فخذ لنا بحقنا، فقالوا ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه (فلا تنسبوني أن أقضي) بغير بينة، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا، فاستغاثه على الفرعوني، فصادق موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، فقال موسى للإسرائيلي: ﴿إنك لغوي مبين﴾ (أي: ظاهر **الغواية**) . قال أهل اللغة: «لغوي» يجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعل، أي: إنك لمغوي، فإني وقعت بالأمس فيما وقعت فيه بسببك، ويجوز أن يكون بمعنى

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤١٠/١٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩٨/١٥

الغاوي: قاتلت رجلا بالأمس فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر، وتستغيثني عليه، وقيل: إنما قال موسى للفرعوني: ﴿إنك لغوي مبين﴾ بظلمك، والأكثرون على الأول.قوله: ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾ الظاهر أن الضميرين لموسى، وقيل للإسرائيلي، والعدو: هو القبطي، والضمير في ﴿قال ياموسى﴾ للإسرائيلي، كأنه توهم من موسى مخاشنة، فمن ثم قال ذلك، وبهذا فشا خبره وكان مشكوكا في قاتله.و «أن» تطرد زيادتها في موضعين:أحدهما: بعد لما كهذه.والثاني: قبل «لو» مسبوقة بقسم كقوله:٣٩٨٣ - أما والله ن لو كنت حرا ... ٣٩٨٣م - فأقسم أن لو التقينا وأنتم ... لكان لكم يوم من الشر مظلموالعامة على «يبطش» بالكسر، وضمها أبو جعفر، وقيل: إن القائل «يا موسى» هو القبطي، وكان قد عرف القصة من الإسرائيلي. قال ابن الخطيب: وهذا هو الظاهر، لقوله: ﴿فلمآ أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال ياموسى﴾ ، فهذا." (١)

"فصلقال القاضي: هذه الآية تدل على بطلان قول الجبرية، لأن فعلهم لو كان خلقا من الله ويجب وقوعه بالقدر والإرادة لما عميت عليهم الأنبا ولقالوا إنما كذبنا الرسل من جهة خلقك فينا بتكذيبهم والقدرة الموجبة لذلك فكانت حجتهم على الله تعالى ظاهرة وكذلك القول فيما تقدم، لأن الشيطان كان له أن يقول إنما أغويت بخلقك في **الغواية**، والجواب: أن علم الله بعدم الإيمان مع وجود الإيمان متنافيان لذاتهما، فمع العلم بعدم الإيمان إذا أمرنا بإدخال الإيمان في الوجود فقد أمرنا بالجمع بين الضدين، واعلم أن القاضي لا يترك آية من الآيات المشتملة على المدح والذم والعقاب إلا يعيد استدلاله بها، كما أن وجه استدلاله في الكل هذا الحرف، فكذا وجه جوابنا حرف واحد، وهو كما ذكرنا.." (٢)

"الذائقون ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل:٤١٩١ - لقد علمت هوزان قل مالي..... ... ... .ولو حكمى قولها لقال: قل مالك، ومنه قول المحلف للحالف احلف (لأخرجن) ولتخرجن، الهمزة لحكاية الحالف، والتاء لإقبال المحالف على المحلف.قوله: ﴿فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ أي إنما أقدمنا إغوائكم لأنا كنا موصفين في أنفسنا **بالغواية**. وفيه دقيقة أخرى كأنهم قالوا: إن اعتقدتم أن غوايتكم بسبب إغوائنا فغوايتنا إن كانت بسبب إغواء غاو آخر لزم التسلسل. وذلك محال فعلمنا أن حصول **الغواية** والرشاد ليس من قبلنا بل من قبل غيرنا. وذلك الغير هو الذي فيما قبل وهو قوله: ﴿فحق علينا قول ربنآ﴾ ثم قال تعالى بعده: ﴿فإنهم يومئذ في العذاب

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣٢/١٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٨١/١٥

مشتركون﴾ يعني الرؤساء والأتباع يومئذ يسألو (ن) ويراجعو (ن) الكلام فيما بينهم ثم قال: ﴿إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ أي الكفار.قال ابن عباس: الذين جعلوا لله شركاء ثم وصفهم بأنهم «إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون» يتكبرون عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ﴿ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ يعني النبي – صلى الله عليه وسلم – وقرأ ابن كثير أينا لتاركوا برهمزة وياء بعدها خفيفة وألف ساكنة بلا مدة وقرأ نافع في رواية قالون وأبو عمرو كذلك، ويمدان والباقون بهمزتين بلا مد، ثم إنه تعالى كذبهم في ذلك الكلام بقوله: ﴿بل جآء بالحق﴾ أي جاء بالدين الحق.قوله: ﴿وصدق المرسلين﴾ أي صدقهم محمد – عليه (الصلاة و) السلام – يعني." (١)

"قوله: ﴿قل أرأيتم﴾ حكم «أرأيتم» . ووقع بعد هذه «أروني» فاحتلمت وجين:أحدهما: أن تكون توكيدا لها، ولأنهما بمعنى أخبروني، وعلى هذا يكون المفعول الثاني (لأرأيتم) قوله «ماذا خلقوا» إلا أنه استفهام، والمفعول الأول هو قوله: «ما تدعون» .الوجه الثاني: أن لا تكون مؤكدة لها وعلى هذا تكون المسألة من باب التنازع، لأن «أرأيتم) يطلب ثانيا و» أروني «كذلك، وقوله:» ماذا خلقوا: هو المتنازع فيه، وتكون المسألة من إعمال الثاني، والحذف من الأول.وجوز ابن عطية في «أرأيتم» أن لا يتعدى، وجعل «ما تدعون» استفهاما معناه التوبيخ. وقال: «وتدعون» معناه تبعدون. وهذا رأي الأخفش، وقد قال بذلك في قوله: ﴿أيت إذ أوينآ إلى الصخرة﴾ [الكهف: ٦٣] وقد تقدم.قوله: «من الأرض» هذا بيان للإبهام الذين في قوله: «ماذا خلقوا» .قوله: «أم لهم» هذه «أم» المنقطعة، والشرك المشاركة، وقوله: «من قبل هذا» صفة لكتاب أي بكتاب منزل من قبل هذا، كذا قدرها أبو البقاء، والأحسن أن يقدر كون مطلق أي كائن من قبل هذا.قوله: «أو أثارة» العامة على أثارة، وهي مصدر على فعالة، كالسماحة، **والغواية** والظلالة ومعناها البقية من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من لحم إذا كانت سمينة، ثم هزلت، وبقي بقية من شحمها ثم سمنت. والأثارة غلب استعمالها في بقية الشرف، يقال: لفلان أثارة أي بقية شرف، وتستعمل في غير ذلك قال الراعي:٤٤٤٩ – وذات أثارة أكلت عليها ... نباتا في أكمته قفاراوقيل: اشتقاقها من أثر كذا أي أسنده. ومنه قوله عمر: «ما خلفت به ذاكرا ولا." (٢)

"فالجواب: أن الضلال يكون أكثر ضلالا من الطريق فإذا تمادى في الضلال وبقي فيه مدة يبعد عن المقصد كثيرا، وإذا عدم الضلال قصرت الطريق عن قريب فلا يبعد عن المقصد كثيرا فقوله: «ضلال بعيد»

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٩٦/١٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٧٨/١٧

وصف للمصدر بما يوصف به الفاعل، كما يقال: كلام صادق، وعيشة راضية أي (و) ضلال ذو بعد والضلال إذا بعد مداه وامتد الضلال فيه فيصير بينا ويظهر الضلال لأن من حاد عن الطريق (وبعد عنه يبعد عليه الصواب ولا يرى للمقصد أثرا فبين له أنه ضل عن الطريق) وربما يقع في أودية ومفاوز تظهر له أمارات الضلال بخلاف من حاد قليلا، فالضلال وصفه الله بالوصفين في كثير من المواضع، فتارة قال: ﴿في ضلال مبين﴾ ، وأخرى: ﴿في ضلال بعيد﴾ .فإن قيل: كيف قال: ما أطغيته مع أنه قال: «لأغوينهم أجمعين» ؟فالجواب من ثلاثة أوجه تقدم منها وجهان في الاعتذار عما قاله الزمخشري.والثالث: أن المراد من قوله: «لأغوينهم» أي لأديمنهم على **الغواية** كما أن الضال إذا قال له شخص: أنت على الجادة فلا تتركها، يقال: إنه يضله. كذا ههنا، فقوله: «ما أطغيته» أي ما كان ابتداء الإطغاء مني.قوله: «لا تختصموا» استئناف أيضا كأن قائلا قال: فماذا قال الله له؟ فأجيب: يقال لا تختصموا وقوله: «لدي» يفيد مفهومه أن الاختصام كان ينبغي أن يكون قبل الحضور، والوقوف بين يدي.قوله: «وقد قدمت» جملة حالية، ولا بد من تأويلها، وذلك أن النهي في الآخرة وتقدمه الوعد في الدنيا، فاختلف الزمنان فكيف يصح جعلها حالية؟ وتأويلها هو أن المعنى وقد صح أني قدمت وزمان الصحة وزمان النهي واحد. و «قدمت» يجوز أن يكون «قدمت» على حاله متعديا والباء مزيدة في المفعول أي قدمت إليكم الوعيد، كقوله تعالى: ﴿تنبت بالدهن﴾ [المؤمنون: ٢٠] على قول من قال بزيادتها هناك. وقيل: الباء هنا للمصاحبة، كقولك: اشتريت الفرس بلجامه وسرجه أي معه فكأنه قال: قدمت إليكم ما يجب مع الوعيد علي تركه والإنذار.." (١)

"من علو ثم قال: «والهوي ذهاب في انحدار والهوي ذهاب في ارتفاع» ، وأنشد:٤٥٤٣ – ... ... يهوي مخارمها هوي الأجدلوقيل: هوى في اللغة خرق الهواء، ومقصده السفل أو مصيره إليه وإن لم يقصده قال – (رحمة الله عليه –) :٤٥٤٤ – ... ... هوي الدلو أسلمها الرشاءوقال أهل اللغة: هوى يهوي هويا أي سقط من علو، وهوي يهوى هوى أي صبا. وقد تقدم الكلام في هذا مشبعا.قوله: ﴿ما ضل صاحبكم﴾ هذا جواب القسم، والمعنى: ما ضل صاحبكم يعني محمدا – صلى الله عليه وسلم – ما ضل عن طريق الهدى «وما غوى» ذهب أكثر المفسرين إلى أن الضلال والغي بمعنى واحد. وفرق بعضهم بينهما قال: الضلال في مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد، قال تعالى: ﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا﴾

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٤/١٨

[الأعراف: ١٤٦] وقال تعالى: ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة: ٢٥٦] .قال ابن الخطيب: وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع، تقول: ضل بعيري ورحلي ولا تقول غي؛ فالمراد من الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقا أصلا، **والغواية** أن لا يكون له طريق إلى القصد مسقيم، ومما يدل على هذا قولك للمؤمن الذي ليس على طريق السداد: إنه سفيه غير رشيد ولا تقول: إنه ضال فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق كأنه تعالى قال: ما ضل أي ما كفر ولا أقل من ذلك فما فسق أو يقال: الضلال كالعدم **والغواية** كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة.." (١)

"تحسينه الاقتصار على التوراة بسبب أنه دين اتفق الكل على أنه حق، بسبب أنه جاء في التوارة: وتمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض، فيكون المراد من خطوات الشيطان الشبهات التي يتمسكون بها في بقاء تلك الشريعة.قال ابن عباس: نزلت الآية في أهل الكتاب، والمعنى: ﴿يأأيها الذين آمنوا﴾ بموسى وعيسى «ادخلوا» في الإسلام بمحمد - صلى الله عليه وسلم - كافة «.وروى» مسلم «عن أبي هريرة، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:» والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار «ورابعها: أن المراد بهذا الخطاب المسلمون، والمعنى: ﴿يأأيها الذين آمنوا﴾ دوموا على الإسلام فيما بقي من العمر ولا تخرجوا عنه ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي: ولا تلتفتوا إلى الشبهات التي يلقيها إليكم أصحاب الضلالة **والغواية**.قال حذيفة بن اليما ن في هذه الآية: الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم، والزكاة سهم، والصدقة سهم، والحج سهم، والعمرة سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له.فإن قيل: المؤمن الموصوف بالشيء يقال له: دم عليه، ولا يقال له: ادخل فيه، والمذكور في الآية هو قوله: «ادخلوا» .فالجواب: الكائن في الدار إذا علم أن له في المستقبل خروجا عنها، فلا يمتنع أن يؤمر بدخولها في المستقبل، وإن كان في الحال كائنا فيها؛ لأن حال كونه فيها غير الحالة التي أمر أن يدخل فيها، فإذا كان في الوقت الثاني قد يخرج عنها، صح أن يؤمر بدخلولها.وقال آخرون: المراد ب «السلم» في الآية الصلح، وترك المحاربة والمنازعة، والتقدير: «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة» أي: كونوا مجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥٦/١٨

بأن يحملكم على طلب الدنيا، والمنازعة مع الناس، فهو كقوله: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال: ٤٦] ، وقوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران] .." (١)

"١١٨٦ - وطائفة قد أكفروني بحبهم ... وطائفة قالوا مسي ومذنبقوله: ﴿من الغي﴾ متعلق بتبين، و «من» للفصل، والتمييز كقولك: ميزت هذا من ذاك. وقال أبو البقاء: «في موضع على أنه مفعول» وليس بظاهر؛ لأن معنى كونه مفعولا به غير لائق بهذا المحل. ولا محل لهذه الجملة من الإعراب؛ لأنها استئناف جار مجرى التعليل لعدم الإكراه في الدين.والتبيين: الظهور والوضوح، بان الشيء، واستبان، وتبيين: إذا ظهر ووضح ومنه المثل: تبين الصبح لذي عينين.قال ابن الخطيب: وعندي أن الإيضاح، والتعريف، إنما سمي بيانا؛ لأنه يوقع الفصلة، والبينونة بين المقصود وغيره.والغي: مصدر غوى بفتح العين قال: ﴿فغوى﴾ [طه: ١٢١] ، ويقال: «غوى الفصيل» إذا بشم، وإذا جاع أيضا، فهو من الأضداد. وأصل الغي: «غوي» فاجتمعت الياء والواو، فأدغمت نحو: ميت وبابه.والغي: نقيض الرشد: يقال: غوى يغوي، غيا، وغواية إذا سلك خلاف طريق الرشد.فصل في معنى «الدين» في الآيةقال القرطبي: المراد «بالدين» في هذه الآية الكريمة المعتقد، والملة بدليل قوله ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ .قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة، لا يعيش لها ولد، فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنه فإذا عاش ولدها جعلته في اليهودية. فلما جاء الإسلام، وفيهم منهم، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار، فأرادت الأنصار استردادهم، وقالوا: أبناؤنا وإخواننا، فنزلت: ﴿لا إكراه في الدين﴾ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قد خير الله أصحابكم، فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم، فأجلوهم معهم» .وقال مجاهد: كان ناس مسترضعين في اليهود من الأوس، فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإجلاء بني النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبن معهم ولندينن بدينهم،." (٢)

"أجل ذلك إلى إضمار فعل يوافق هذا المنطوق لفظا، ويخالفه معنى، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] كما قدمناه.قال الزمخشري: «فإن قلت: هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة، وأولي العلم، كما دخلت الوحدانية؟قلت: نعم، إذا جعلته حالا من» هو «أونصبا على المدح منه، أو صفة للمنفي، كأنه قيل: شهد الله والملائكة، وأولو العلم أنه لا إله إلا هو، وأنه قائم بالقسط» .فصلمعنى «قائما بالقسط» أي: قائما بتدبير الخلق، كما يقال: فلان قائم بأمر

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٧٧/٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢٨/٤

فلان، أي مدبر له، رزاق، مجاز بالأعمال، والمراد بالقسط: العدل.قال ابن الخطيب: وهذا العدل منه ما هو متصل بباب الدنيا، ومنه ما هو متصل بباب الدين أما المتصل بالدنيا فانظر – أولا – في كيفية خلقه أعضاء الإنسان؛ حتى تعرف عدل الله – تعالى – فيها، ثم انظر إلى اختلاف أحوال الخلق في الحسن والقبح، والغنى والفقر، والصحة والسقم، وطول العمر وقصره، واللذة والآلام، واقطع بأن كل ذلك عدل من الله، وحكمة وصواب، ثم انظر في كيفية خلق العناصر، وأجرام الأفلاك، وتقدير كل واحد منها بقدر معين، وخاصية معينة، واقطع بأن كل ذلك حكمة وصواب.وأما ما يتصل بأمر الدين فانظر إلى اختلاف الخلق في العلم والجهل، والفطانة والبلادة، والهداية **والغواية**، واقطع بأن كل ذلك عدل وقسط.قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾ في هذه الجملة وجهان:الأول: أنها مكررة للتوكيد، قال الزمخشري: «فإن قلت: لم كرر قوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ ؟ قلت: ذكره – أولا – للدلالة على اختصاصه بالوحدانية، وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة، ثم ذكره – ثانيا – بعدما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل؛ للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلا هذا الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قوله تعالى: ﴿العزيز الحكيم﴾ ؛ لتضمنها معنى الوحدانية والعدل» .وقال بعضهم: ليس بتكرير؛ لأن الأول شهادة الله – تعالى – وحده. والثاني: شهادة الملائكة وأولي العلم، وهذا عند من يرفع «الملائكة» بفعل آخر مضمر – كما ذكرنا – من أنه لا يرى إعمال المشترك، وأن الشهادتين متغايرتان، وهو مذهب مرجوح.وقال الراغب: «إنما كرر ﴿لا إله إلا هو﴾ ؛ لأن صفات التنزيه أشرف من صفات التمجيد؛ لأن أكثرها مشارك – في ألفاظها – العبيد، فيصح وصفهم بها، ولذلك وردت ألفاظ في حقه أكثر وأبلغ» .وقال بعضهم: «فائدة هذا التكرار الإعلام بأن المسلم يجب أن يكون – أبدا – في." (١)

"العاقل لا يختار **الغواية** مع العلم بكونها **غواية**، والثاني أيضا باطل، وإلا لزم إما التسلسل وإما اغلدور، والثالث هو المقصود.فصل في المراد من الإقعادالمراد من قوله: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أنه يواظب على الإفساد مواظبة لا يفتر عنها، ولهذا المعنى ذكر القعود؛ لأن من أراد المبالغة في تكميل أمر من الأمور قعد حتى يصير فارغ البال، فيمكنه إتمام المقصود. ومواظبته على الإفساد، هي مواظبته على الوسوسة بحيث لا يفتر عنها.قال المفسرون: معنى ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي: بالصد عنه وتزيين الباطل؛ حتى يهلكوا كما هلك، أو يضلوا كما ضل، أو يخيبوا كما خاب.فإن قيل: هذه الآية دلت على أن إبليس كان عالما بالدين الحق؛ لأنه قال ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ وصراطه المستقيم هو

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٠٠/٥

دينه الحق، ودلت أيضا على أن إبليس كان عالما بأن الذي هو عليه من الاعتقاد هو محض **الغواية** والضلال لأنه لو لم يكن كذلك لما قال: ﴿رب بمآ أغويتني﴾ [الحجر: ٣٩] ، وإذا كان كذلك فكيف يمكن أن يرضى إبليس بذلك المذهب مع علمه بكونه ضلالا **وغواية**، وبكونه مضادا للدين الحق، ومنافيا للصراط المستقيم، فإن المرء إنما يعتقد الاعتقاد الفاسد إذا غلب على ظنه كونه حقا، فأما من علم أنه باطل وضلال **وغواية** يستحيل أن يختاره، ويرضى به، ويعتقده.فالجواب: أن من الناس من قال: إن كفر إبليس كفر عناد لا كفر جهل، ومنهم من قال: كفره كفر جهل. وقوله: ﴿فبمآ أغويتني﴾ ، وقوله: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ يريد به في زعم الخصم، وفي اعتقاده.فصل في بيان هل على الله رعاية المصالحاحتج أهل السنة بهذه الآية على أنه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه." (١)

"وقال ص: فكبكبوا، أي: قلب بعضهم على بعض، وحروفه كلها أصول عند جمهور البصريين، وذهب الزجاج وابن عطية وغيرهما إلى أنه مضاعف الباء من «كب» .وقال غيرهما: وجعل التكرير من اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، وذهب الكوفيون إلى: أن أصله «كبب» والكاف بدل من الباء «١» الثانية، انتهى. والغاوون: الكفرة الذين شملتهم **الغواية** وجنود إبليس: نسله وكل من يتبعه لأنهم جند له وأعوان، ثم وصف تعالى أن أهل النار يختصمون فيها ويتلاومون قائلين لأصنامهم: تالله إن كنا لفي ضلال مبين: في أن نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله الذي هو رب العالمين، ثم عطفوا يردون الملامة على غيرهم، أي: ما أضلنا إلا كبراؤنا وأهل الجرم والجراءة، ثم قالوا على جهة التلهف والتأسف حين رأوا شفاعة الملائكة والأنبياء والعلماء نافعة في أهل الإيمان عموما، وشفاعة الصديق في صديقه خصوصا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم، والحميم: الولي والقريب الذي يخصك أمره وتخصه أمرك، وحامة «٢» الرجل خاصته، وباقي الآية بين.[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ١٠٧ الى ١٢٧]إني لكم رسول أمين (١٠٧) فاتقوا الله وأطيعون (١٠٨) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٠٩) فاتقوا الله وأطيعون (١١٠) قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (١١١)قال وما علمي بما كانوا يعملون (١١٢) إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون (١١٣) وما أنا بطارد المؤمنين (١١٤) إن أنا إلا نذير مبين (١١٥) قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (١١٦)قال رب إن قومي كذبون (١١٧) فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين (١١٨) فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون (١١٩) ثم أغرقنا بعد الباقين (١٢٠) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٢١)وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٢٢) كذبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤١/٩

قال لهم أخوهم هود ألا تتقون (١٢٤) إني لكم رسول أمين (١٢٥) فاتقوا الله وأطيعون (١٢٦)وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٢٧)___________(١) قال الزمخشري: الكبكبة تكرير الكب وجعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى. وقال ابن عطية نحوا منه قال: وهو الصحيح لأن تكرير الفعل بين نحو صر وصرصر. وهذا هو مذهب الزجاج وفي هذا البناء ثلاثة مذاهب:أحدها: هذا.والثاني: هو مذهب البصريين أن الحروف كلها أصول.والثالث: وهو قول الكوفيين أن الثالث مبدل من مثل الثاني فأصل كبكب كبب بثلاث باءات ومثله لملم وكفكف هذا إذا صح المعنى بسقوط الثالث فأما إذا لم يصح المعنى بسقوطه كانت كلها أصولا من غير خلاف نحو سمسم وخمخم، وواو «كبكبوا» قيل: للأصنام إجراء لها مجرى العقلاء وقيل لعابديها قوله:وهم فيها يختصمون جملة حالية معترضة بين القول ومعموله الجملة القسمية «إن كنا لفي» ومذهب البصريين أن إن مخففة واللام فارقة ومذهب الكوفيين أن إن نافية واللام بمعنى إلا.ينظر: «الدر المصون» (٥/ ٢٨٠) .(٢) في ج: حماة.."
(١)

"وقوله تعالى: من كان يريد حرث الآخرة معناه: إرادة مستعد عامل، لا إرادة متمن مسوف، والحرث في هذه الآية: عبارة عن السعي والتكسب والإعداد.وقوله تعالى: نزد له في حرثه وعد متنجز قال الفخر «١» : وفي تفسير قوله:نزد له في حرثه قولان:الأول: نزد له في توفيقه وإعانته، وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه، وقال مقاتل: نزد له في حرثه بتضعيف الثواب قال تعالى: ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله [فاطر: ٣٠] انتهى، وقوله: ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها معناه: ما شئنا منها ولمن شئنا، فرب ممتحن مضيق عليه حريص على حرث الدنيا، مريد له، لا يحس بغيره، نعوذ بالله من ذلك! وهذا الذي لا يعقل غير الدنيا هو الذي نفى أن يكون له نصيب في الآخرة.وقوله تعالى: أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله «أم» هذه منقطعة لا معادلة، وهي بتقدير «بل» ، وألف الاستفهام، والشركاء في هذه الآية يحتمل أن يكون المراد بهم الشياطين والمغوين من أسلافهم، ويكون الضمير في لهم للكفار المعاصرين لمحمد ع فالاشتراك هاهنا هو في الكفر **والغواية**، وليس بشركة الإشراك بالله- ويحتمل أن يكون المراد بالشركاء: الأصنام والأوثان على معنى: أم لهم أصنام جعلوها شركاء لله في ألوهيته، ويكون الضمير في شرعوا لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولآبائهم، والضمير في لهم للأصنام الشركاء، وشرعوا معناه: أثبتوا، ونهجوا، ورسموا والدين هنا: العوائد والأحكام والسيرة، ويدخل في ذلك أيضا المعتقدات السوء لأنهم

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢٣١

في جميع ذلك وضعوا ذلك أوضاعا فاسدة وكلمة الفصل هي ما سبق من قضاء الله تعالى بأنه يؤخر عقابهم للدار الآخرة، والقضاء بينهم هو عذابهم في الدنيا ومجازاتهم.وقوله تعالى: ترى الظالمين هي رؤية بصر، ومشفقين حال، وليس لهم في هذا الإشفاق مدح لأنهم إنما أشفقوا حين نزل بهم، وليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا مشفقون من أمر الساعة، كما تقدم، وهو واقع بهم.ــــــــــــــــ(١) ينظر: «الفخر الرازي» (١٤/ ١٤٠) .." [1]

"(قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله): عن دينه، وكانوا يحتالون لصدهم عن الإسلام، (من آمن)، مفعول تصدون، (تبغونها عوجا): حال من فاعل تصدون أي: طالبين لسبيل الله اعوجاجا بتلبيسكم على الناس وتغييركم صفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتحريشكم بين المؤمنين، وهو متعد إلى مفعوليه بلا واسطة، (وأنتم شهداء) أن الصد عن الإسلام ضلال، وكتمان أمر محمد **غواية**، (وما الله بغافل عما تعملون)، ولما كان إنكارهم للقرآن مجاهرة منهم قال: (والله شهيد)، ولكن الصد عن الإسلام والتحريف من أسرارهم قال: (وما الله بغافل).(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين): ثاني مفعولي يرد فإنه بمعنى التصيير، نزلت إلى قوله (لعلكم تهتدون) فى الأوس والخزرج حين ذكرهم اليهود الحروب وعداوات الجاهلية؛ ليفتتنوا ويعودوا لمثل ما فيهم من الجاهلية (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله): القرآن، وغيره، (وفيكم رسوله): الزاهر الباهر السراج الظاهر عليه الصلاة والسلام، (ومن يعتصم بالله): يلتجئ إليه ويتمسك بدينه، ويؤمن به، (فقد هدي إلى صراط مستقيم) طريق واضح لا اعوجاج له.." [2]

"التكليف فهو ميت، بين النفختين أربعين سنة، (قال رب بما أعويتني) أي: أقسم بإغوائك إياي، (لأزينن لهم) المعاصي، (في الأرض)، أو معناه بسبب غوايتك إياي، أقسم لأزينن الخ .. ، (ولأغوينهم)، أحملنهم علي **الغواية**، (أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين)، أي: إلا عبادك الموصوفين بالإخلاص لطاعتك حال كونهم من أولاد آدم.(قال هذا صراط علي مستقيم) إشارة إلى قول إبليس: لأغوينهم إلا عبادك أي: هذا هو الذي حكمت به وقدرت على عبادي، وهو حق مستقيم، كما قال تعالى: " ولكن حق القول مني " [السجدة: ١٣] الخ .. أو تهديد، كما تقول لخصمك: طريقك على أي لا تفلت مني، أو الإشارة إلى تخلص المخلصين من إغوائه الدال عليه الاستثناء، أي: تخلصهم طريق حق علي أن أراعيه لا

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٥٦/٥

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٧٦/١

انحراف عنه، أو الإخلاص طريق علي من غير اعوجاج يؤدي إلى الوصول إلى كرامتي ولقائي، (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي: ليس لك حجة وتسلط على أحد منهم، فمن أين لك الاختيار في غوايتهم، (إلا من اتبعك من الغاوين) لكن من اتبعك هو من الغاوين، أو الاستثناء متصل ويكون كالتصديق لقول إبليس، (وإن جهنم لموعدهم) أي:." (١)

"(فسيعلمون) عند ذلك (من هو شر مكانا وأضعف جندا): فئة وناصرا وحتى غاية المد أي: هم في الاستدراج ممدود لهم **الغواية** إلى أن يأتيهم وعد الله أو غاية قول الكفار أي: الفريقين خير، أي: لا يزالون يقولون ذلك إلى أن يشاهد الموعود (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى): إيقانا على يقينهم عطف على الجملة الشرطية أي " من كان في الضلالة " إلخ وحاصله أن الله يزيد في ضلال الضالين، ويزيد هداية المهتدين (والباقيات الصالحات) الأذكار والأعمال الصالحة التي يبقى أثرها (خير عند ربك): من مفاخرات الكفار (ثوابا): جزاء (وخير مردا) مرجعا، وهذا من قبيل الصيف أحر من الشتاء أي: أبلغ في حره من الشتاء في برده (أفرأيت) أي: أخبر بقصة (الذي كفر بآياتنا): عقب حديث أولئك (وقال لأوتين مالا وولدا)، وذلك حين تقاضى خباب دينا له على العاص بن وائل، فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهبا وفضة، ومن كل الثمرات قال: بلى. قال: فإذن موعدك الآخرة أو فيك فيها." (٢)

"(ما كانوا إيانا يعبدون) فإنهم يعبدون أهواءهم فنحن وهم سواء في **الغواية** شهدوا على أنفسهم **بالغواية** والإغواء ثم تبرءوا من عبادتهم، قال تعالى: (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) الآية [البقرة: ١٦٦]، (وقيل ادعوا شركاءكم) لتخلصكم عن العذاب (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) لعجزهم (ورأوا العذاب) لهم ولأربابهم (لو أنهم كانوا يهتدون) جواب لو محذوف، أي ما رأو العذاب أو لو للتمني فهو على الحكاية كأقسم ليضربن أو على تأويل رأوا متمنين هدايتهم (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) سأل أولا عن إشراكهم ثم عن تكذيبهم رسلهم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) صارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم وفيه مبالغة ليس في عموا عن الأنباء وهذا كما يقول الكافر في قبره هاه هاه لا أدري قال مجاهد: معناه فخفيت عليهم الحجج (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم عن بعض لفرط حيرة كل منهم (فأما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أي من جمع بين الإيمان والعمل الصالح

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣١٣/٢

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٩٣/٢

فليطمع في الفلاح وليكن بين الخوف والرجاء وعسى من الكرام تحقيق (وربك يخلق ما يشاء ويختار) لا معقب ولا منازع لحكمه (ما كان لهم الخيرة) أي: التخير يعني ليس." (١)

"(ضرب لكم مثلا من أنفسكم): منتزعا من أحوالها من للابتداء، (هل لكم من ما ملكت أيمانكم): من مماليككم، من للتبعيض، (من شركاء)، من زيدت للتأكيد، لأن الاستفهام بمعنى النفي، (فى ما رزقناكم): من أموال وأولاد، (فأنتم فيه سواء)، يعني: هل ترضون أن يشارككم بعض مماليككم في أموالكم فتكونون أنتم وهم على السواء من غير تفصلة في التصرف، (تخافونهم): تهابون أن يستبدوا بتصرف، (كخيفتكم أنفسكم)، كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف لرب الأرباب مالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء، كان بها يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، (كذلك): مثل ذلك التفصيل، (نفصل): نبين، (الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا): أشركوا، (أهواءهم بغير علم): جاهلين ليس لهم رادع، (فمن يهدى من أضل الله): من يقدر على هداية من أراد الله إضلاله. (وما لهم من ناصرين): يخلصونهم من الغواية وبوائقها، (فأقم وجهك): قومه، (للدين حنيفا): لا تلتفت عنه وتوجه بكليتك إليه، وحنيفا حال إما من فاعل أقم أو من الدين، (فطرت الله): الزموا فطرته، أي: خلقته أو دينه، (التي فطر الناس عليها)، فإنه فطر الخلق على معرفته وتوحيده ثم طرأ على بعضهم العقائد الفاسدة، (لا تبديل لخلق الله): ما ينبغي أن يبدل تلك الفطرة، وقيل: لا تبديل لما." (٢)

"ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون (٣٩) أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين (٤٠) فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون (٤١) أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون (٤٢) فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم (٤٣) وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون (٤٤) واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (٤٥)* * *(ومن يعش): يعرض (عن ذكر الرحمن نقيض له) نسبب له ونسلط عليه (شيطانا) يزين له الغواية، ويصده عن الهداية (فهو له قرين): لا يفارقه (وإنهم) أى: الشياطين (ليصدونهم) جمع الضميرين للمعنى (عن السبيل): عن طريق الحق (ويحسبون) أي: الكفار (أنهم) أي: أنفسهم (مهتدون حتى إذا جاءنا) الكافر (قال) للشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) بعد المشرق من المغرب، فغلب وأضاف البعد إليهما بعد التثنية (فبئس القرين)

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣/٢٦٠

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣/٢٩٩

أنت (ولن ينفعكم اليوم) هذا قول الله تعالى أو الملك لهم (ذ ظلمتم) أي: إذ يتبين ظلمكم أنفسكم في الدنيا فإذ لتحقق الوقوع، والمعنى على الاستقبال كما في (ولو ترى إذ وقفوا)." (١)

"ونأت بخلق جديد مثلهم بدلهم فالتبديل في الذوات، وحقه حينئذ إن بدل إذا لكن جيء بإذا على المبالغة كأن له وقتا معينا، (إن هذه) أي: السورة، (تذكرة): عظة، (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا): طريقا ومسلكا إلى الله، (وما تشاءون): ذلك، (إلا أن يشاء الله) أي: إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم، (إن الله كان عليما حكيما): فيعلم من يستحق الهداية، فيقيض له أسبابها، ومن يستحق **الغواية** فييسر له أسبابها، وله الحكم في ذلك، (يدخل من يشاء في رحمته): بهدايته، (والظالمين أعد لهم عذابا أليما)، نصب الظالمين بفعل يفسره ما بعده، مثل أعد.اللهم أدخلنا برحمتك في رحمتك ولا تجعلنا من الظالمين.* * *." (٢)

"﴿إن الذين كفروا﴾ كلام مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وإنما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ﴿إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم﴾ لما بينهما من التنافي في الأسلوب والتباين في الغرض فإن الأولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب في باب الهداية والإرشاد وأما التعرض لأحوال المهتدين به فإنما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله أو مفصولا عنه فإن الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة وأما الثانية فمسوقة لبيان أحوال الكفرة أصالة وترامي أمرهم في **الغواية** والضلال إلى حيث لا يجديهم الإنذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وإنما أوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان أن الكتاب هاد للأولين وغير مجد للآخرين لأن العنوان الأخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في أثناء تعداد كمالاته وإن من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء ودخول نون الوقاية عليها كإنني ولعلني ونظائرهما وإعطاء معانيه والمتعدى خاصة في الدخول على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الأول ورفع الثاني إيذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب وأجيب بأن ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل وإلا لما انتصب خبر كان

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٨٥/٤

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٢٤/٤

وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف وأثرها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والإنكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وإن عبد الله القائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأحبار اليهود أو للجنس وقد خص منه غير المصرين بما أسند إليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح أي الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر قال تعالى ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾ وعليه قول لبيد ... في ليلة كفر النجوم غمامها ... ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فإن من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على أمثال ذلك إذ لا داعي إليه كالزنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الإخبار." (١)

"البقرة (١٠)الكفرة واياما كان فنسبته إلى الله سبحانه إما على طريق الاستعارة والتمثيل لإفادة كمال شناعة جنايتهم أي يعاملون معاملة الخادعين وإما على طريقة المجاز العقلي بأن ينسب إليه تعالى ما حقه أن ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إبانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعال ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ وقوله تعالى ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ مع إفادة كمال الشناعة كما مر وإما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته إلى الذين آمنوا والإيذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ وقوله تعالى ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ وإبقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كأنه قيل يزعمون أنهم يخدعون الله والله يخدعهم أو على جعلها استعارة تبعية أو تمثيلا لما أن صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم بإجراء أحكام الإسلام عليهم وهم عنده أخبث الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأمر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم أما الأول فلأن المنافقين لو اعتقدوا أن الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي للخدع وأما الثاني فلأن مقتضى المقام إيراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان غائلتها

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣٥/١

آيلة إليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وجل﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون أي يفعلون ما يفعلون والحال أنهم ما يضرون بذلك إلا أنفسهم فإن دائرة فعلهم مقصورة عليهم أو ما يخدعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يغرونها بالأكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعلمون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها لا يحيق إلا بهم أو ما يخادعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل وهي أيضا تغرهم وتمنيهم الأماني الفارغة وقرئ وما يخادعون من التخديع وما يخدعون أي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لأن نفس الحي به وللقلب أيضا لأنه محل الروح أو متعلقه وللدم أيضا لأن قوامها به وللماء أيضا لشدة حاجتها إليه والمراد هنا هو المعنى الأول لأن المقصود بيان أن ضرر مخادعتهم راجع إليهم لا يتخطاهم إلى غيرهم وقوله تعالى﴿وما يشعرون﴾ حال من ضمير ما يخدعون أي يقتصرون على خدع أنفسهم والحال أنهم ما يشعرون أي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول إما لظهوره أو لعمومه أي ما يشعرون بشيء أصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الأمر المحسوس الذي لا يخفى إلا على مؤوف الحواس مختل المشاعر." (١)

"﴿وإذا قيل لهم﴾ من قبل المؤمنين بطريق الأمر بالمعروف إثر نهيهم عن المنكر إتماما للنصح وإكمالا للإرشاد ﴿آمنوا﴾ حذف المؤمن به لظهوره أو أريد افعلوا الإيمان﴿كما آمن الناس﴾ الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف أي آمنوا إيمانا مماثلا لإيمانهم فما مصدرية أو كافة كما في ربما فإنها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل فإن اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بإنسان وقد جمعهما من قال ... إذ الناس ناس والزمان زمان ... أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأضرابه والمعنى آمنوا إيمانا مقرونا بالإخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لإيمانهم ﴿قالوا﴾ مقابلين للأمر بالمعروف والانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد أوصافهم الحسان﴿أنؤمن

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١/ ٤١

كما آمن السفهاء﴾ مشيرين باللام إلى من أشير إليهم في الناس من الكاملين أو المعهودين أو إلى الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والأناة وإنما نسبوهم إليه مع أنهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك أنفسهم في السفاهة وتماديهم في **الغواية** وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لامحالة ضلال أو لتحقير شأنهم فإن كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وأمثاله وأياما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل أن يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا." (١)

"أقوالهم وأحوالهم ﴿فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ أوثر يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينه دلالة على كمال غلوهم في الكفر وترامي أمرهم في العتو فإن مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة إنكارها والاستهزاء به صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على أن عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فإن منهم من يعلم بها وإنما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الإذعان والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتأمل وكن على الحق المبين وماذا إما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالأحسن أن يجيء جوابه مرفوعا وإما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى أي شيء فالأحسن في جوابه النصب والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها إليه أو القوة التي هي مبدوؤة والأول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في إرادته عز وجل فقيل إرادته تعالى لأفعاله كونه غير ساة فيه ولامكره ولأفعال غيره أمره بها فلا تكون المعاصي بإرادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل والوجه الأصلح فإنه يدعو القادر إلى تحصيله والحق أنها عبارة عن ترجيح أحد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى يوجبه وهي أعم من الاختيار فإنه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار إليه واستر ذال له ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كما في قوله تعالى ﴿ناقة الله لكم آية﴾ وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١/ ٤٤

المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء أنه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بأن يتعلق به أمر من الأمور الداخلية تحت إرادته تعالى على استحالة أن يكون ضرب المثل به عنده سبحانه فقوله عز من قائل﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾ جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة إلى هداية المستعدين للهداية وإضلال المنهمكين في **الغواية** فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحقيقهما فإن إرادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الإضلال مع الهداية في سلك الإرادة لأبهامه تساويهما في تعلقهما وليس كذلك فإن المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ ونظائره وأما الإضلال فهو أمر عارض مترتب على سوء اختيارهم وأوثر صيغة الاستقبال إيذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كأنه قيل أراد إضلال كثير وهداية كثير وقدم الإضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمرا فظيعا يسوءهم ويفت في أعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقا هدى وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق إنما هي بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابلهم فلا يقدح في." (١)

"﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ بيان لكيفية وقوع العفو المذكور﴿يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ أي معبودا﴿فتوبوا﴾ أي فاعزموا على التوبة﴿إلى بارئكم﴾ أي إلى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة وأصل التركيب الخلوص عن الغير إما بطريق التفصي كما في برئ المريض أو بطريق الإنشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للإشعار بأنهم بلغوا من الجهالة أقصاها ومن **الغواية** منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وأن من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بأن تسترد هي منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ تماما لتوبتكم بالبخع أو بقطع الشهوات وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل بقتل من عبده يروى أن الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لأمر الله تعالى فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فأخذوا يقتلون من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧٤/١

التوبة وكانت القتلى سبعين ألفا والفاء الأولى للتسبيب والثانية للتعقيب﴿ذلكم﴾ إشارة إلى ما ذكر من التوب والقتل﴿خير لكم عند بارئكم﴾ لما أنه طهرة عن الشرك ووصلة إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية﴿فتاب عليكم﴾ عطف على محذوف على أنه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه فإن مبنى الجميع على التكلم إلى الغيبة ليكون ذريعة إلى إسناد الفعل إلى ضمير بارئكم المستتبع للإيذان بعلية عنوان البارئية والخلق والإحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم وإنما لم يقل فتاب عليهم على أن الضمير للقوم لما أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لا لأسلافهم هذا وقد جوز أن يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على إنه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى أنه بمعزل من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتما وقد عرفت أن الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وأن المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة﴿إنه هو التواب الرحيم﴾ تعليل." (١)

"البقرة (١٠٣)مثلا من السحرة أو تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه أن الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى **الغواية** وإن قال من قال ... عرفت الشر لا للشر ... رولكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر ... من الناس يقع فيه ...﴿ولقد علموا﴾ أي اليهود الذين حكيت جناياتهم﴿لمن اشتراه﴾ أي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الأولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى﴿ما له فى الأخرة من خلاق﴾ أي من نصيب جملة من مبتدإ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو أخر عنه لكان صفة له والتقدير ماله خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على أنها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا إن جعل متعديا إلى اثنين أو مفعوله الواحد إن جعل متعديا إلى واحد فجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه أبو البقاء إن اللام الأخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وماله فى الاخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لأنه إذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ أي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠٢/١

بالذم محذوف أي وبالله لبئسما باعوا به أنفسهم السحر أو الكفر وفيه إيذان بأنهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا أنفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم إلا تبارا وتجويز كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا سبيل إليه لأن المشترى متعين وهو ما تتلوا الشياطين ولأن متعلق الذم هو المأخوذ لا المنبوذ كما أشير إليه في تفسيره قوله سبحانه بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم أو لو كانوا يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على اليقين أو حقيقة ما يتبعه من العذاب عليه على أن المثبت لهم أو لا على التوكيد القسمي العقل الغريزي أو العلم الإجمالي بقبح الفعل أو ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف أي لما فعلوا ما فعلوا." (١)

"﴿ذلك﴾ العذاب﴿بأن الله نزل الكتاب﴾ أي جنس الكتاب﴿بالحق﴾ أي ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من أفانين العذاب﴿وإن الذين اختلفوا فى الكتاب﴾ أي في جنس الكتاب الإلهي بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها أو في التوراة بأن آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على أمر بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق أو الاختلاف في تأويلها أو في القرآن بأن قال بعضهم أنه سحر وبعضهم أنه شعر وبعضهم أساطير الأولين كما حكى عن المفسرين﴿لفى شقاق بعيد﴾ عن الحق والصواب مستوجب لأشد العذاب." (٢)

"الأقفاء والأقفاء إلى موضعها وقد اكتفي بذكر أشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على أن الطمس بمعنى مطلق التغيير أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلب إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وإدبارا أو نردهم من حيث جاءوا منه وهي أذرعات الشام فالمراد بذلك إجلاء بني النضير ولا يخفى أنه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف في أن الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا أو في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي أن عبد الله ابن سلام رضي الله تعالى عنه لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله فأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي إلى قفاي وفي رواية جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه وأسلم وقال ما قال وكذا ما روي أن عمر رضي الله

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٤٠/١

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٩٢/١

عنه قرأ هذه الآية على كعب الأحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل إنه منتظر بعد ولابد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه أن انصراف العذاب الموعود عن أوائلهم وهم الذين باشروا أسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفي التوراة فحرفوها وأصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مئات من السنين من أعقابهم الضالين بإضلالهم العالمين بما مهدوا من قوانين **الغواية** بعيد من حكمة الله تعالى العزيز الحكيم وقيل إن وقوعه كان مشروطا بعدم الإيمان وقد آمن من أحبارهم المذكوران وأضرابهما فلم يقع وفيه أن إسلام بعضهم إن لم يكن سببا لتأكد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة أماثلهم العدول فلا أقل من أن لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع أحد الأمرين كما ينطق به قوله تعالى﴿أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ فإن لم يقع الأمر الأول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وأنت خبير بأن المتبادر من اللعن المشبه بلعن أصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الأدبار شائبة دلالة على عدم إرادة المسخ ضرورة أنه تغيير مغاير لما عطف عليه على أن المتوعد به لا بد أن يكون أمرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الأمر ولم يعهد أنه وقع عليهم لعن بهذا الوصف إنما الواقع عليهم ما تداولته الألسنة من اللعن المستمر الذي ألفوه وهو بمعزل من صلاحية أن يكون حكما لهذا الوعيد أو مزجرة للعنيد وقيل إنما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة أحد الأمرين أو كلاهما على سبيل التوزيع وأما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب فمبني على الاحتياط اللائق بشأنهما والحق أن النظم الكريم ليس بنص في أحد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الأول لأنه أدخل في الزجر وعليه مبني ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم أن المراد هو الثاني والله تعالى أعلم وأيا ما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينهما وبين ما أوجبها من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير﴿وكان أمر الله﴾ أي ما أمر به كائنا ما كان أو أمره بإيقاع شئ ما من الأشياء﴿مفعولا﴾ نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما أوعدتم به." (١)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٨٦/٢

"﴿قل إني نهيت﴾ أمر صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى مخاطبة المصرين على الشرك إثر ما أمر بمعاملة من عداهم من أهل الإنذار والتبشير بما يليق بحالهم أي قل لهم قطعا لأطماعهم الفارغة عن ركونه صلى الله عليه وسلم إليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا إني صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل علي من الآيات في أمر التوحيد ﴿أن أعبد الذين تدعون﴾ أي عن عبادة ما تعبدونه ﴿من دون الله﴾ كائنا ما كان ﴿قل﴾ كرر الأمر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به أو غيذانا باختلاف المقولين من حيث إن الأول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته صلى الله عليه وسلم من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وإنما قيل ﴿لا أتبع أهواءكم﴾ استجهالا لهم وتنصيصا على أنهم فيما هم فيه تابعون لأهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين أصلا وإشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى ﴿قد ضللت إذا﴾ استئناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال **والغواية** أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى ﴿وما أنا من المهتدين﴾ عطف على ما قبله والعدول إلى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار رأي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا أي ما أنا في شيء من الهدى حين أكون في عدادهم وقوله تعالى." (١)

"﴿تلك القرى﴾ جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية **غواية** الأمم المذكورة وتماديهم فيها بعد ما أنتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك إشارة إلى قرى الأمم المهلكة على أن اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ خبره وصيغة المضارع للإيذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض أي بعض أخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرة خبره وما بعده حال أو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فإذا هى حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى وإضافة الأنباء إليها مع أن المقصوص أنباء أهلها والمقصود بيان أحوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ لما أن حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل أماكنهم أيضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة أهول وأفظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة إما بالفعل المذكور على أنها للتعدية وإما بمحذوف وقع حالا من فاعله أي ملاتبسين بالبينات لكن لا بأن يأتي كل رسول ببينة واحدة بل بينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فإن مراعاة انقسام الآحاد إلى الآحاد إنما هي فيما بين الرسل وضمير الأمم والجملة مستأنفة مبينة

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٤١/٣

لكمال عتوهم وعنادهم أي وبالله لقد جاء كل أمة من تلك الأمم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الجلالة على صحة رسالته الموجبة للإيمان حتما وقوله تعالى ﴿فما كانوا ليؤمنوا﴾ بيان لاستمرار عدم إيمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار إيمانهم وترتيب حالتهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما أن الاستمرار على فعل من الأفعال بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي أي فما صح وما استقام لقوم من أولئك الأقوام في وقت من الأوقات أن يؤمنوا لكل كان ذلك ممتنعا منهم إلى أن لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم إن كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم إيمانهم المذكور ههنا إصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما أشير إليه بقوله تعالى ﴿بما كذبوا من قبل﴾ تكذيبهم من لدن مجيء الرسل إلى وقت الإصرار والعناد وإنما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالأول بل جعل صلة للموصول إيذانا بأنه بين بنفسه وإنما المحتاج إلى البيان عدم إيمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الإيمان والتكذيب سلبا وإيجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول أصولها وفروعها وإن كان المحكي جميع أحوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر أولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الخ وبما أشير إليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن أصول الشرائع التي أجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا أممهم إليها آثر ذي أثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم." (١)

"﴿ولو شئنا﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة أي ولو شئنا رفعه لرفعنا أي إلى المنازل العالية للأبرار العالمين بتلك الآيات والعاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير أن يكون له دخل في ذلك أصلا فإنه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الأجزية بالأفعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي إلى الرفع بصرف اختياره إلى تحصيله كما ينبىء عنه قوله تعالى ﴿بها﴾ أي بسبب تلك الآيات بأن عمل بموجبها فإن اختياره وإن لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب جريان العادة

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣/٢٥٥

الإلهية وقد أشير إلى ذلك في الاستدراك بأن أسند ما يؤدي إلى نقيض التالي إليه حيث قيل ﴿ولكنه أخلد إلى الارض﴾ مع أن الإخلاد إليها أيضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره إليه إلا بخلقه تعالى كأنه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التي هي أقوى أسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الآخر تعويلا على إشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد." (١)

"الأعراف آية ١٧٦على المضمر العامل في غذ أخذ وارد على نمطه في الإنباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى أي واتل على اليهود ﴿نبأ الذى آتيناه آياتنا﴾ أي خبره الذي له شأن وخطر وهو أحد علماء بني إسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أو بلعام بن باعر من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو أمية بن أبي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا أن يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والأول هو الأنسب بمقام التوبيخ اليهود بهناتهم ﴿فانسلخ منها﴾ أي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله أصلا أو خرج منها بالكلية بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره وأيا ما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبىءعن اتصال المحيد بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما أبدا للإيذان بكمال مباينته للآيات بعد أن كان بينهما كمال الاتصال ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أي تبعه حتى لحقه وأدركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بأنه أشد من الشيطان غواية أو أتبعه خطواته ﴿فكان من الغاوين﴾ فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين وروي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى عليه السلامك فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده أن التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وإنما عذب به بنو إسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما مر في سورة المائدة." (٢)

"﴿ولقد ذرأنا﴾ كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل أيخلقنا ﴿لجهنم﴾ أي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى ﴿كثيرا﴾ أي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وتأخيره وعنها إلى الإخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى ﴿من الجن والإنس﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا أي كائنا منهما وتقديم الجن لأنهما أعرف من الإنس في الاتصاف بما

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٩٢/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٩٢/٣

نحن فيه من الصفات وأكثر عددا وأقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة ولكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يؤدي إلى ذلك بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيابها كما أن جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيابها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وقوله تعالى ﴿لهم قلوب﴾ في محل النصب على أنه صفة أخرى لكثيرا وقوله تعالى ﴿لا يفقهون بها﴾ في محل الرفع على أنه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وإبهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر أفراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها إلى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الإغراق في القساوة فإنها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكأنها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في أعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم أي لهم قلوب ليس من شأنها أن يفقهوا بها شيئا مما من شأنه أن يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا أوليا وتخصيصه بذلك مخل بالإفصاح عن كنه حالهم ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالأبصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الإدراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الإحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الأنعام أي لا يبصرون بها شيئا من المبصرا فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا أوليا ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ أي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا أوليا وإعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بأن يقال وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي إثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بأن يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا أعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى ﴿أولئك﴾ إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال أي أولئك الموصوفون بالأوصاف المذكورة ﴿كالانعام﴾ أي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور أو في أن مشاعرهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها ﴿بل هم أضل﴾ فإنها تدرك ما من شأنها أن تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا." (١)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٩٥/٣

"(قال رب بمآ أغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية والجواب (لأزينن لهم) أي أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي (فى الأرض) أي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد إلى الارض وإقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي إقسامه بهذا فإنه فرع من فروعها وأثر من آثارها فلعله أقسم بهما جميعا فحكى تارة فسمه بهذا وأخرى بذاك أو للسببية وقوله لأزينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسببك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبب لإعوائهم بتزيين المعاصي وتسويل الأباطيل والمعتزلة أولوا الإغواء بالنسبة إلى الغي أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واعتذروا عن إمهال الله تعالى وتسليطه له على إغواء بني آدم بأنه تعالى قد علم منه وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر ويصيرون إلى النار أمهل أم لم يمهل وأن في إمهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب) ولأغوينهم أجمعين) لأحملنهم على **الغواية**." (١)

"(لها سبعة أبواب) يدخلونها لكثرتهم أو سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في **الغواية** والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم) من الأتباع أو الغواة (جزء مقسوم) حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فأعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرىء بضم الزاي وبحذف الهمزة وإلقاء حركتها إلى ما قبلها مع تشديدها في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء أو من ضميره في الظرف لا في مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها." (٢)

"﴿فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى ألبسهما حتى بدت فروجهما ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ قد مر تفسيره في سورة الأعراف ﴿وعصى آدم ربه﴾ بما ذكر من أكل الشجرة ﴿فغوى﴾ ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود أو عن

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧٨/٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧٩/٥

المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو العدو وقرىء فغوي من غوي الفصيل إذا أتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان **والغواية** مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لأولاده عن أمثالها." [١]

"﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾﴿وضياء وذكرا للمتقين﴾ نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم إلى قوله تعالى وأهلكنا المسرفين وإشارة إلى كيفية إنجائهم وإهلاك أعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لإظهار كمال الإعتناء بمضمونه والمراد بالقرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذكر أي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء الجهل **والغواية** وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضئون بأنواره المغتنمون لمغانم آثاره أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع والأحكام وقيل الفرقا النصر وقيل فلق البحر والأول هو اللائق بمساق النظم الكريم فإنه لتحقيق أمر القرآن المشارك لسائر الكتب الإلهية لا سيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولأن فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما أرسل الأولون وقرىء ضياء بغير واو على أنه حال من الفرقان وقوله تعالى." [٢]

"﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعد ما سمع منهم هذه الأباطيل فقيل قال لما رآهم قد أصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في **الغواية** والضلال حتى يئس من إيمانهم بالكلية وقد أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴿رب انصرني﴾ بإهلاكهم بالمرة فإنه حكاية إجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا الخ ﴿بما كذبون﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي أو بدل تكذيبهم." [٣]

"سورة النور (٥٦) لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم في الأرض فيستخلفن فيها استخلافا أي مستخلفية كائنة كمستخفلية من قبله وقد مر تحقيقه في قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا على أحد الوجهين أى فنتبت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ... من المال إلا مسحت أو بحلف أى فلم يبق إال مسحت الخ ﴿وليمكنن لهم دينهم﴾ عطف على ليستخلفنهم منتظم معه ف سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها لما أن النفوس إلى الحظوظ العاجلة أميل فتصدير المواعيد بها في الاستمالة أدخل والمعنى ليجعلن دينهم

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٤٧

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٧١

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/١٣١

ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون إليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الأرض أي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى إنا مكنا له فى الأرض ونظائره وكلمة في للإبذان بأن ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه وسلامته من التغيير والتبديل لا بتنائه على تشبيهه بالأرض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الأرض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة إلى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقها لهم إليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولأن في توسيطها بينه وبين وصفه أعني قوله تعالى ﴿الذى ارتضى لهم﴾ وفي تأخيرها عنه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي إضافة الدين إليهم وهو دين الإسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه ﴿وليبدلنهم﴾ بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الإبدال ﴿من بعد خوفهم﴾ أي من الأعداء ﴿آمنا﴾ حيث كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال صلى الله عليه وسلم لا تعبرون إلايسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملإ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وأنجزو عده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا لى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للإخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة ﴿يعبدوننى﴾ حال من الموصول الأول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخفاف وما انتظم معه في سلك الوعد ﴿لا يشركون بى شيئا﴾ حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ﴿ومن كفر﴾ أي اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب الترغيب فإن الإصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائدة على الأصل وقيل كفر بعد الإيمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والأول هو الأنسب بالمقام ﴿بعد ذلك﴾ أي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها ﴿فأولئك﴾ البعداء عن الحق التائهون في تيه **الغواية** والضلال ﴿هم الفاسقون﴾ الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان." (١)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٩١/٦

"سورة الفرقان ١٩ وهم الجن والأصنام (ولكن متعتهم وآباءهم) استدارك مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن إضلالهم وقد نعي عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسبابا للضلالة أي ما أضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها (حتى نسوا الذكر) أي غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى **الغواية** (وكانوا) أي في قضائك المبني على علمك الأزلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الأعمال السيئة (قوما بورا) أي هالكين على أن بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى." (١)

"﴿ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون﴾ استشهاد على أن الشعراء إنما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتي منه الرؤية للقصد إلى أن حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا تختص برؤية راء دون راء أي ألم تر أن الشعراء في كل واد من أودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي **الغواية** والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة دينهم تمزيق الأعراض المحمية والقدح في الأنساب الطاهرة السنية والتسيب بالحرام والغزل والإبتهار والتردد بين طرفي الإفراط والتفريط في المدح والهجاء." (٢)

"﴿فأصبح فى المدينة خائفا يترقب﴾ يترصد الاستقادة أو الأجناد ﴿فإذا الذى استنصره بالامس يستصرخه﴾ أي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ ﴿قال له موسى إنك لغوى مبين﴾ أي بين **الغواية** تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر." (٣)

"﴿وداعيا إلى الله﴾ أي إلى الإقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الإيمان به من صفاته وأفعاله ﴿بإذنه﴾ أي بتيسيره أطلق عليه مجازا لما أنه من أسبابه وقيد به الدعوة إيذانا بأنها أمر صعب المنال وخطب في غاية الإعضال لا يتأتى إلا بإمداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو ال سعود ٢٠٩/٦

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٧٠/٦

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧/٧

المعبودة وإدخال الأعناق في قلادة غير معهودة ﴿وسراجا منيرا﴾ يستضاء به في ظلمات الجهل **والغواية** ويهتدى بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية." (١)

"﴿فأغويناكم﴾ فدعوناكم إلى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد ﴿إنا كنا غاوين﴾ فلا عتب علينا في تعرضنا لإغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا أمثالنا في **الغواية**." (٢)

"﴿فإنهم﴾ أي الأتباع والمتبوعين ﴿يومئذ فى العذاب مشتركون﴾ حسبما كانوا مشتركين في **الغواية**." (٣)

"﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من **الغواية** وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل أي الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى." (٤)

"ص ٨٦ ٨٨ أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى بإقسامه به أو فأنا الحق أو فقولي الحق وقوله تعالى لأملان جهنم الخ حينئذ جواب لقسم محذوف أي والله لأملأن الخ وقوله تعالى والحق أقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الأولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة أعني فقولي الحق وقرئا منصوبين على أن الأول مقسم به كقولك الله لأفعلن وجوابه لأملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التاكيد والتشديد وقرئ بجر الأول على إضمار حرف القسم ونصب الثاني عل المفعولية ﴿منك﴾ أي من جنسك من الشياطين ﴿وممن تبعك﴾ في **الغواية** والإضلال ﴿منهم﴾ ومن ذرية آدم ﴿أجمعين﴾ تأكيد للكاف وما عطف عليه أي لأملأنها من المتبوعين والأتباع أجمعين كقوله تعالى لمن اتبعك منهم لاملان جهنم منكم أجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر." (٥)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠٨/٧

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٨٩/٧

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٨٩/٧

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٣٨/٧

(٥) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٣٩/٧

"﴿والنجم إذا هوى﴾ المراد بالنجم إما الثرية فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول إذا غرب وهويا بوزن دخول إذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في إذا فعل القسم بذلك فإنه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك إذا حمر البسر وفي الإقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبه الضلال **والغواية** من البراعة البديعة وحسن الموقع مالا غاية وراءه أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدي به الساري إلى مسالك الدنيا كأنه قبل والنجم الذي يهتدي به السابلة إلى سواء السبيل." (١)

"﴿ما ضل صاحبكم﴾ أي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة ﴿وما غوى﴾ أي وما اعتقد باطلا قط أي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال **والغواية** في شيء أصلا وأما على الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن كما أشير إليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه الصلاة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم وللإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبرا ببراءته عليه الصلاة والسلام مما نفى عنه بالكلية واتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فإن طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤنه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب والا الشمال من الجنوب وإنما يهتدي به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة أو على انقضا النجم الذي يرجم به أو حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الأرض أو." (٢)

"﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين أي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني إسرائيل حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبلوا خاسربن فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا يا موسى

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/١٥٤

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/١٥٤

إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون إلى قوله تعالى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك وآذوه عليه الصلاة والسلام كل الآذية ﴿يا قوم لم تؤذونني﴾ أي بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى ﴿وقد تعلمون إني رسول الله إليكم﴾ جملة حالية مؤكدة لإنكار الإيذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أي والحال أنكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها إهلاك عدوكم وإنجاؤكم من ملكته إني رسول الله إليكم لأرشدكم إلى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا في تعاظيمي وتسارعوا إلى طاعتي ﴿فلما زاغوا﴾ أي أصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أي صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الإزاغة ومؤذن بعلته أي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على **الغواية** هداية موصلة إلى ما يوصل إليها فإنها شاملة للكل والمراد بهم إما المذكورون خاصة والإظهار في موقع الإضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهدية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون ف حكمه دخولا أوليا وأيا ما كان فوصفهم بـالفسق ناظر إلى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم." (١)

"الإشارة: لما تجلى الحق جل جلاله من عالم الجبروت إلى عالم الملكوت، وحمد نفسه بنفسه، تجلى أيضا وتنزل من عالم الملكوت إلى عالم الملك بقدرته وحكمته لإظهار آثار أسمائه وصفاته، فأظهر العبودية وأخفى الربوبية، أظهر الحكمة وأبطن القدرة، فجعل عالم الحكمة يخاطب عالم القدرة، ويخضع له، ويتعبد ويستمد، منه الإعانة والهداية، ويتحرز من طريق الضلالة **والغواية**.فعالم الحكمة محل التكليف، وعالم القدرة محل التصريف، عالم الحكمة عالم الأشباح، وعالم القدرة عالم الأرواح، فإياك نعبد لأهل عالم الحكمة، وإياك نستعين لأهل عالم القدرة. ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسي رضى الله عنه: إياك نعبد شريعة، وإياك نستعين حقيقة، إياك نعبد إسلاما، وإياك نستعين إحسانا، إياك نعبد عبادة، وإياك نستعين عبودية، إياك نعبد فرق إياك نستعين جمع. هـ.وإن شئت قلت: إياك نعبد لأهل العمل لله وهم المخلصون، وإياك نستعين لأهل العمل بالله وهم الموحدون، العمل لله يوجب المثوبة، والعمل بالله يوجب القربة، العمل لله يوجب تحقيق العبادة، والعمل بالله يوجب تصحيح الإرادة، العمل لله نعت كل عابد، والعمل

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/٢٤٣

بالله نعت كل قاصد، العمل لله قيام بأحكام الظواهر، والعمل بالله قيام بإصلاح الضمائر. قاله القشيري.ثم إن الناس في شهود القدرة والحكمة على ثلاثة أقسام: قسم حجبوا بالحكمة عن شهود القدرة، وهم أهل الحجاب من أهل الغفلة، وقفوا مع قوله: إياك نعبد، وقسم حجبوا بشهود القدرة عن الحكمة، وهم أهل الفناء، وقفوا مع قوله: إياك نستعين، وقسم لم يحجبوا بالحكمة عن القدرة ولا بالقدرة عن الحكمة، أعطوا كل ذي حق حقه ووفوا كل ذي قسط قسطه، وهم أهل الكمال من أهل البقاء، جمعوا بين قوله: إياك نعبد وإياك نستعين، وبالله التوفيق.ثم بين المقصود الأعظم وما هو المطلوب الأهم، وهو طلب الهداية والتوفيق إلى عين التحقيق، فقال:[سورة الفاتحة (١) : آية ٦]اهدنا الصراط المستقيم (٦)قلت: الهداية في الأصل: الدلالة بلطف، ولذلك تستعمل في الخير، وقوله: فاهدوهم إلى صراط الجحيم على التهكم، والفعل منه (هدى) بالفتح، وأصله أن يعدى باللام، أو «إلى» ، فعومل هنا معاملة:واختار موسى قومه. والصراط لغة: الطريق، مشتق من سرط الطعام إذا ابتلعه، فكأنها تبتلع السابلة أي." (١)

"عن الإحساس تر عبرا. «الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه» . أو تقول: الكون كله ظلمة لأهل الحجاب، وأما عند أهل المعرفة فالكون عندهم كله نور، وإنما حجبه ظهور الحكمة فيه، «فمن رأى الكون ولم يشهد النور فيه، أو قبله، أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار» . والذين كفروا- وهم الذين سبق لهم الشقاء، وحكم عليهم بالبعد القدر والقضاء- أولياؤهم الطاغوت، وهم القواطع: من الهوى والشيطان والدنيا والناس، (يخرجونهم من النور إلى الظلمات) أي: يمنعونهم من شهود تلك الأنوار السابقة، إلى الوقوف مع تلك الظلمات المتقدمة، فهم متعاكسون مع من سبقت لهم العناية، فما خرج منه أهل العناية وقع فيه أهل **الغواية**. نسأل الله الحفظ والعافية فى الدنيا والآخرة.ثم بين الحق تعالى حال من سبق له الشقاء، فقال:[سورة البقرة (٢) : آية ٢٥٨]ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين (٢٥٨)قلت: (أن آتاه) : على حذف لام العلة، و (إذ قال) : ظرف أ- (حاج) ، أو بدل من (آتاه الله) .يقول الحق جل جلاله متعجبا من جهالة النمرود، والمراد تعجيب السامع: ألم تر يا محمد، إلى جهالة الذي حاج إبراهيم أي: خاصمه في ربه لأجل أن أعطاه الله الملك، أي: حمله على ذلك بطر الملك. وذلك أنه لما كسر إبراهيم الأصنام، سجنه أياما، وأخرجه من السجن، وقال له: من ربك الذي

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٦١/١

تعبد؟ قال له إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي ويميت، أي: يخلق الأرواح في الأجسام، ويخرجها عند انقضاء آجالها، (قال) نمرود: أنا أحيي وأميت، فدعا برجلين فقتل أحدهما، وعفا عن الآخر، فلما رأى إبراهيم عليه السلام غلطه وتشغيبه عدل له إلى حجة أخرى، لا مقدور للبشر على الإتيان بمثلها، فقال له: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها أنت من المغرب لأنك تدعي الربوبية، ومن شأن الربوبية أن تقدر على كل شيء، ولا يعجزها شيء، فبهت الذي كفر أي: غلب وصار مبهوتا، والله لا يهدي القوم الظالمين إلى قبول الهداية، أو إلى طريق النجاة، أو إلى محجة الاحتجاج.." (١)

"ثم قال لهم: أوعجبتم أي: أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر أي: تذكير ووعظ من ربكم على لسان رجل منكم أي: من جملتكم، أو من جنسكم كانوا يتعجبون من إرسال البشر ويقولون:ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين «١» ، قال القشيري: عجبوا من كون شخص رسولا، ولم يعجبوا من كون الصنم شريكا لله، هذا فرط الجهالة وغاية **الغواية**. هـ. وحكمة إرساله كونه جاءكم لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي، ولتتقوا الله بسبب ذلك الإنذار، ولعلكم ترحمون بتلك التقوى، وفائدة حرف الترجي التنبه على أن التقوى غير موجب للترحم بذاته، وإنما هو- أي: الترحم- فضل من الله، وأن المتقي ينبغي ألا يعتمد على تقواه، ولا يأمن من عذاب الله.فكذبوه فأنجيناه والذين معه هو ومن آمن به، وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة، وقيل: عشرة، وقيل:ثمانية، حملناهم في الفلك أي: السفينة، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان إنهم كانوا قوما عمين أي: عمي القلوب، غير مستبصرين، وأصله: عميين، مخفف. قاله البيضاوي.الإشارة: الشريعة المحمدية: سفينة نوح عليه السلام، فمن ركب بحر الحقائق وحاد عنها حال بينه وبينها الموج فكان من المغرقين في بحر الزندقة والكفر، ومن تمسك بها في ذلك كان من الناجحين الفائزين.ثم ذكر قصة هود عليه السلام فقال:[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٦٥ الى ٧٢]وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (٦٥) قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين (٦٦) قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين (٦٧) أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين (٦٨) أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون (٦٩)قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٧٠) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٢٩٠

فانتظروا إني معكم من المنتظرين (٧١) فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين (٧٢)ـــــــــــــــــ(١) كما جاء في الآية ٢٤ من سورة (المؤمنون) .." [١]

"السائرين بعكس ما يستحقونه في جانب المخالفة فقد تهوى بهم أنفسهم إلى مقام الخفض فيرتفعون، وإلى مقام البعد فيقتربون، وهذا في قوم سبقت لهم العناية، فلم تضرهم الجناية، وحفت بهم الرعاية، فلم تستهوهم **الغواية**، إذا صدرت منهم المخالفة ندموا وانكسروا. والغالب فيمن كان تحت جناح الأولياء الكبار أن يسلك به هذا المسلك العظيم وما ذلك على الله بعزيز. وإذا كان الحق تعالى يعجل الخير ويمهل الشر، كان الواجب على العبد شكره على الدوام، لا الإعراض عنه ونسيانه، كما نبه عليه تعالى بقوله:[سورة يونس (١٠) : آية ١٢]وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون (١٢)قلت: (لجنبه) : متعلق بحال محذوفة، أي: مضطجعا لجنبه، و (كأن) مخففة يقول الحق جل جلاله: وإذا مس الإنسان الضر في بدنه أو ماله أو أحبابه، دعانا لإزالته مخلصا فيه، وتضرع إلينا حال كونه مضطجعا لجنبه أو قاعدا أو قائما، وفائدة الترديد تقسيم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار، فلما كشفنا عنه ضره مر أي: مضى على طريقه واستمر على كفره، ولم يشكر الله على دفعه، أو مر عن موقف الدعاء، ولم يرجع إليه. كأن لم يدعنا أي: كأنه لم يدعنا إلى كشف ضر مسه قط نسي ما كان يدعوا إليه من قبل «١» كذلك زين للمسرفين أي: مثل هذا التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات، والإعراض عن شكر المنعم عند المسرات وذهاب العاهات. وفي الآية تهديد لمن تشبه بهذه الحالة، بل الواجب على العبد دوام التجائه إلى ربه، والشكر له عند ظهور إجابته وإسدال عافيته. الإشارة: من حسن الأدب السكون تحت مجاري الأقدار، والتسليم لأحكام الواحد القهار، «فليس الشأن أن ترزق الطلب، إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب» ، وحسن الأدب: هو الفهم عن الله فإذا شرح صدرك للدعاء، فادع ولا تكثر، فإن المدعو قريب، ليس بغافل فينبه، ولا ببعيد فتنادي عليه، فإذا دعوته وأجابك فاشكره، وإن أخر عنكـــــــــــــــــ(١) الآية ٨ من سورة الزمر.." [٢]

"وأما: هل حدث هذا الكفر بعد إيمان سابق، أو لم يزل كافرا منذ كان؟ فهذا لا يحصله إلا نص قرآن، أو خبر متواتر، أو إجماع أمة، وهي المحصلة للعلم، وهذه الثلاثة مفقودة هنا. هـ. قلت: والظاهر أن

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٢٩

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٤٥٥

كفره لم يظهر إلا بعد الأمر بالسجود لآدم، وإنما سبق به العلم القديم، وكان قد أظهر الإيمان والعبادة والله تعالى أعلم.وقوله: ولأغوينهم أجمعين لأحملنهم على الغواية أجمعين، إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصتهم لطاعتك، وطهرتهم من الشهوات، فلا يعمل فيهم كيدي. ومن قرأ بالكسر فمعناه: الذين أخلصوا دينهم لله، وتحصنوا بالإخلاص في سائر أعمالهم. قال تعالى: هذا صراط علي مستقيم، الإشارة إلى نجاة المخلصين، أو إلى العبادة والإخلاص، أي: هذا الطريق الذي سلكه أهل الإخلاص في عبوديتهم هو طريق وارد علي، وموصل إلى جواري، لا سبيل لك على أهله لأنه مستقيم لا عوج فيه. وقيل: الإشارة إلى انقسام الناس إلى غاو ومخلص، أي: هذا أمر إلي مصيره، والنظر فيه لي، علي أن أراعيه وأبينه، مستقيم لا انحراف فيه. وقرأ الضحاك ومجاهد والنخعي، وغيرهم: «علي» بكسر اللام والتنوين، من العلو والشرف، والإشارة حينئذ إلى الإخلاص، أي: هذا الإخلاص طريق رفيع مستقيم لا تنال أنت بإغوائك أهله يا إبليس.الإشارة: إنما يصعب الخضوع للجنس أو لمن دونه، في حق من يغلب حسه على معناه، وفرقه على جمعه، وأما من غلب معناه على حسه، حتى رأى الأشياء الحسية أواني حاملة للمعاني، أي: لمعاني أسرار الربوبية، بل رآها أنوارا بارزة من بحر الجبروت، لم يصعب عليه الخضوع لشيء من الأشياء لأنه يراها قائمة بالله، ولا وجود لها مع الله، فلا يخضع حينئذ إلا لله، فالملائكة- عليهم السلام- نفذت بصيرتهم، فرأوا آدم عليه السلام قبلة للحضرة القدسية، فغلب عليهم شهود المعاني دون الوقوف مع الأواني، فخضعوا لآدم صورة، ولله حقيقة. وإبليس وقف مع الحس، وحجب بالفرق عن الجمع، فلم ير إلا حس آدم دون معناه، فامتنع عن السجود. وفي الحكم العطائية: «فمن رأى الكون، ولم يشهد الحق فيه، أو عنده، أو قبله، أو بعده، أو معه، فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار» . ولهذا المعنى صعب الخضوع للأشباح لغلبة الفرق على الناس، إلا من سبقت له العناية، فإنه يخضع مع الفرق محبة لله، حتى يفتح الله عليه في مقام الجمع، فيخضع لله وحده. والتوفيق لهذا، والسير على منهاجه- أعني الخضوع لمن يوصل إلى الله- هو الصراط الذي أشار إليه الحق تعالى بقوله: (هذا صراط علي مستقيم) . والله تعالى أعلم.ثم ذكر من لا تسلط للشيطان عليه، فقال:[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٤٢ الى ٤٨]إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (٤٢) وإن جهنم لموعدهم أجمعين (٤٣) لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (٤٤) إن المتقين في جنات وعيون (٤٥) ادخلوها بسلام آمنين (٤٦)ونزعنا

ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين (٤٧) لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين (٤٨)." [١]

"قلت: (إلا من اتبعك) : يحتمل ان يكون منقطعا، ويريد بالعباد: الخصوص من أهل الإيمان والإخلاص، أي:إن عبادي المخلصين لا تسلط لك عليهم، لكن من اتبعك من الغاوين فهو من حزبك. ويحتمل الاتصال، ويريد بالعباد جميع الناس، أي: إن عبادي كلهم ليس لك عليهم سلطان، إلا من اتبعك من أهل **الغواية**، فإنك تتسلط عليه بالوسوسة والتزيين والتحريض فقط، فيتبعك لقوله يوم القيامة: وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي «١» . وعلى الاتصال يكون المستثنى منه أكثر من المستثنى، وإلا تناقض مع قوله:لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين. قال أبو المعالي: كون المستثنى أكثر من المستثنى منه ليس معروفا في كلام العرب. انظر ابن عطية والبيضاوي.ومنهم: حال من جزء مقدم، أي: لكل باب جزء حاصل منهم مقسوم، أو من المستكن في الظرف لا من مقسوم لأن الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها. وإخوانا: حال من الضمير المضاف إليه لأنه جزء ما أضيف إليه، والعامل فيه: الاستقرار، أو معنى الإضافة، وكذا: على سرر متقابلين، ويجوز أن يكونا صفتين لإخوان، أو حالين من ضميره.يقول الحق جل جلاله: إن عبادي المتحققين بالعبودية لي، المخلصين في أعمالهم، ليس لك يا إبليس عليهم سلطان أي: غلبة وتسلط **بالغواية** والإضلال، إلا من اتبعك من الغاوين الذين سبقت لهم **الغواية**، وتنكبتهم العناية. وإن جهنم لموعدهم: لموضع إبعاد الغاوين أو المتبعين لك أجمعين، لها سبعة أبواب يدخلون فيها لكثرتهم، أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة، وفي كل طبقة باب يسلك منه إليها، فأعلاها: جهنم، وهي للمذنبين من الموحدين، ثم لظى لليهود، ثم الحطمة للنصارى، ثم السعير للصابئين، ثم سقر للمجوس، ثم الجحيم للمشركين، وكبيرهم أبو جهل، ثم الهاوية، وهي الدرك الأسفل، للمنافقين،ـــــــــــــــــــ(١) من الآية ٢٢ من سورة إبراهيم.." [٢]

"يقول الحق جل جلاله: وعصى آدم ربه بما ذكر من أكل الشجرة فغوى أي: ضل عن مطلوبه، الذي هو الخلود، بل ترتب عليه نقيضه، فكان تأميل ذلك باطلا فاسدا لأنه خلاف القدر، أو عن الرشد، حيث اغتر بقول العدو. وقال الكواشي: فعل فعلا لم يكن له فعله، أو أخطأ طريق الحق، حيث طلب الخلد بأكل المنهي عنه، فخاب ولم ينل مراده. هـ. وفي وصفه عليه السلام بالعصيان **والغواية**، مع صغر زلته، تعظيم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٨٩/٣

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٩٠/٣

لها، وزجر بليغ لأولاده عن أمثالها.ثم اجتباه ربه، أي: اصطفاه وقربه إليه، بالحمل على التوبة والتوفيق لها. وفي التعرض لعنوان الربوبية، مع الإضافة إلى ضميره، مزيد تشريف له عليه السلام، يعني: آدم. فتاب عليه أي: قبل توبته حين تاب هو وزوجته، قائلين: ربنا ظلمنا أنفسنا ... «١» الآية. وهدى أي: هداه إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة. وإفراد آدم عليه السلام بقبول توبته واجتبائه لأصالته في الأمور، واستلزام قبول توبته لقبول توبتها. الرجال قوامون على النساء «٢» .قال اهبطا منها جميعا، وهو استئناف بياني، كأن سائلا قال: فما قال تعالى بعد قبول توبته؟ فقيل: قال له ولزوجته: (اهبطا منها) أي: انزلا من الجنة إلى الأرض، حال كونكم بعضكم لبعض عدو أي: متعادين في أمر المعاش، كما عليه الناس من التجاذب والتحارب والاختلاف في الدين. والجمع لأنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد. وفي اللباب: ولما أهبطوا إلى الأرض ألقى آدم يده تحت خده، وبكى مائة سنة، وألقت حواء يدها على رأسها، وجعلت تصيح وتصرخ، فبقيت سنة في النساء. ولم يزل آدم يبكي حتى صار بخديه أخاديد من كثرة الدموع، وجرى من عينيه على الأرض جدولان، يجريان إلى قيام الساعة. وأهبط آدم على ورقة من ورق الجنة، كان يتستر بها، وفي يده قبضة من ريحان الجنة، فلما اشتغل بالبكاء أدارتها الرياح في أرض الهند، فصار أكثر نباتها طيبا. انظر بقية كلامه.فإما يأتينكم مني هدى أي: هداية من رسول وكتاب يهدي إلى الوصول إلي، أي: سيأتيكم مني رسل وكتاب. والخطاب لهما بما اشتملا عليه من ذريتهما. فمن اتبع هداي بأن آمن بالرسل وبما جاءوا به من عند الله فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. ووضع الظاهر موضع المضمر يعني: من اتبع هداي، مع الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في إيجاب اتباعه. وعن ابن عباس رضي الله عنه: (من قرأ الفرقان، واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك لأن الله تعالى يقول: فمن اتبع هداي «٣» أي: كتابي ورسولي، فلا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.) وفي لفظ آخر: (أجار الله______________(١) من الآية ٢٣ من سورة الأعراف.(٢) من الآية ٣٤ من سورة النساء.(٣) أخرجه الطبري فى التفسير (١٦/ ٢٥٥) موقوفا، وعزاه السيوطي فى الدر (٤/ ٥٥٦) لابن أبى شيبة والطبراني وأبى نعيم فى الحلية وابن مردويه، مرفوعا.." (١)

"وإن كان مثقال حبة من خردل أي: وإن كان الشيء أو العمل مثقال حبة من خردل، أتينا بها:أحضرناها وجازينا عليها، وأنث ضمير المثقال لإضافته إلى حبة، وكفى بنا حاسبين، إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا، أو عالمين حافظين، لأن من حسب شيئا علمه وحفظه، قاله ابن عباس- رضى الله

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٢٩/٣

عنهما.الإشارة: كان صلى الله عليه وسلم ينذر الناس ويذكرهم بالوحي التنزيلي، وبقي خلفاؤه يذكرون بالوحي الإلهامي، موافقا للتنزيلي، ولا يسمع وعظهم ويحضر مجالسهم إلا من سبقت له سابقة العناية، وأما من انتكبت عنه العناية تنكب مجالسهم، وتصامم عن وعظهم وتذكيرهم، ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون، ولا يندمون إلا حين تنزل بهم الأهوال، ولا ينفع الندم وقد جف القلم، وذلك حين توضع موازين الأعمال، فتثقل أعمال المخلصين، وتخف أعمال المخلصين، ولا توضع الموازين إلا لأهل النفوس الموجودة، وأما من غاب عن نفسه في شهود محبوبه، لفنائه في شهوده، وانطوائه في وجوده، فلا ينصب له ميزان إذ لا يشهد لنفسه حسا ولا فعلا ولا تركا، وإنما الفعل كله للواحد القهار. ويكون من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، جعلنا الله من خواصهم بمنه وكرمه. آمين.ثم شرع في تفصيل ما أجمل في قوله: وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم، إلى قوله: وأهلكنا المسرفين «١» ، فقال:[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ٤٨ الى ٥٠]ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين (٤٨) الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون (٤٩) وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون (٥٠)يقول الحق جل جلاله: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين، هذه الأوصاف كلها للتوراة، فهي فرقان بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به، ويتوصل به إلى سبيل النجاة، وذكرا، أي: شرفا، أو وعظا وتذكيرا. وتوكيده بالقسم لإظهار كمال الاعتناء به، أي: و الله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل **والغواية**، وذكرا ينتفع به الناس، أو شرفا لمن عمل به، وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بأنواره، المغتنمون لمغانم آثاره، أو ذكر ما يحتاجون إليه من الشرائع والأحكام، ودخلت الواو في الصفات، كقوله تعالى: وسيدا وحصورا ونبيا «٢» ، وتقول: مررت بزيد الكريم والعالم والصالح.__________(١) الآيات: ٧- ٩.(٢) من الآية ٣٩ من سورة آل عمران.." (١)

"فقال الملأ الذين كفروا من قومه أي: أشرافهم لعوامهم: ما هذا إلا بشر مثلكم في الجنس والوصف، يأكل ويشرب مثلكم، من غير فرق بينكم وبينه، يريد أن يتفضل عليكم أي: يطلب الفضل عليكم، ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم، والعجب منهم أنهم رضوا بالألوهية والخضوع للحجر، ولم يرضوا بنبوة البشر. ثم قالوا: ولو شاء الله لأنزل ملائكة أي: لو شاء الله إرسال الرسل لأرسل رسلا من الملائكة.وإنما قال: لأنزل ولم يقل: لأرسل لأن إرسال الملائكة لا يكون إلا بطريق الإنزال، فمفعول المشيئة مطلق الإنزال، أي:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٦٨/٣

لو شاء ربنا إنزال شيء من الوحي لأنزل ملائكة يرسلهم إلينا، ما سمعنا بهذا أي: بمثل هذا الكلام، الذي هو الأمر بعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، أو: ما سمعنا بأن البشر يكون رسولا، أو بمثل نوح عليه السلام في دعوى النبوة، في آبائنا الأولين أي: الماضين قبل بعثة نوح عليه السلام. وإنما قالوا ذلك إما من فرط عنادهم، أو لأنهم كانوا في فترة متطاولة، وقيل: معناه: ما سمعنا به أنه نبي، إن هو أي: ما هو إلا رجل به جنة أي: جنون، أو جن يخبلونه، ولذلك يقول ما يقول. فتربصوا به حتى حين أي: انتظروا واصبروا إلى زمان حتى ينجلي أمره، فإن أفاق من جنونه، وإلا قتلتموه.قال رب انصرني بما كذبون، لما أيس من إيمانهم دعا الله بالانتقام منهم، فالجملة استئناف نشأ عن سؤال، كأنه قيل: فماذا قال عليه السلام، بعد ما سمع هذه الأباطيل؟ فقيل: قال، لما رآهم قد أصروا على الكفر والتكذيب، وتمادوا في **الغواية** والضلال، حتى أيس من إيمانهم بالكلية، وقد أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن:رب انصرني بإهلاكهم بالمرة، فهو حكاية إجمالية لقوله: لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا «١» . بما كذبون بسبب تكذيبهم إياي، أو بدل تكذيبهم، كقولك: هذا بذلك، أي: بدل ذاك، والمعنى: أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصر عليهم.فأوحينا إليه أجبنا دعاءه وأوحينا إليه عند ذلك أن اصنع الفلك بأعيننا أي: ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا، كأن معك حفاظنا يكلؤونك بأعينهم، لئلا يتعرض لك أحد، يفسد عملك، ومنه قولهم: عليه من الله عيون كالئة، ووحينا أي: أمرنا وتعليمنا إياك صنعتها. روي: أنه أوحى إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر.وفي القاموس جؤجؤ– كهدهد–: الصدر. فإذا جاء أمرنا أي: عذابنا بأمرنا، وفار التنور أي: فار الماء من تنور الخبز، فخرج سبب الغرق من موضع الحرق ليكون أبلغ في الإنذار والإعتبار. روي أنه قيل لنوح: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأهلك السفينة، فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته، فركب، وكان_____________(١) من الآية ٢٦ من سورة نوح. [.....]."(١)

"يقول الحق جل جلاله: واذكر يوم نحشرهم «١» ، أو: يوم يحشرهم الله جميعا للبعث والحساب، يكون ما لا تفي به العبارة من الأهوال الفظيعة والأحوال الغريبة، فيحشرهم وما يعبدون من دون الله من الملائكة والمسيح وعزير. وعن الكلبي: الأصنام ينطقها الله، وقيل: عام في الجميع. و (ما) : يتناول العقلاء وغيرهم لأنه أريد به الوصف، كأنه قيل: ومعبودهم. فيقول الحق جل جلاله للمعبودين، إثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء، بأن دعوتموهم إلى عبادتكم، أم هم ضلوا السبيل أي: عن السبيل بأنفسهم بإخلالهم بالنظر الصحيح، وإعراضهم عن الرشد.وتقديم الضميرين على الفعلين بحيث لم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٥٧١

يقل: أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل لأن السؤال ليس عن نفس الفعل، وإنما هو عن متوليه والمتصدي له، فلابد من ذكره، وإيلائه حرف الاستفهام. ليعلم أنه المسئول عنه. وفائدة سؤالهم، مع علمه تعالى بالمسئول عنه لأن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم، فتزيد حسرتهم.قالوا في الجواب: سبحانك تعجيبا مما قيل، لأنهم إما ملائكة معصومون، أو جمادات لا تنطق ولا قدرة لها على شيء، أو: قصدوا به تنزيه عن الأنداد، ثم قالوا: ما كان ينبغي لنا أي: ما صح وما استقام لنا أن نتخذ من دونك أي: متجاوزين إياك، من أولياء نعبدهم لما قام بنا من الحالة المنافية له، فأنى يتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذوا غيرك، فضلا أن يتخذونا أولياء، أو: ما كان يصح لنا أن نتولى أحدا دونك، فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا أن يتولونا دونك حتى يتخذونا أربابا من دونك، ولكن متعتهم وآباءهم بالأموال والأولاد وطول العمر، فاستغرقوا في الشهوات، وانهمكوا فيها حتى نسوا الذكر أي:غفلوا عن ذكرك، وعن الإيمان بك، واتباع شرائعك، فجعلوا أسباب الهداية من النعم والعوافي، ذريعة إلى **الغواية**. وكانوا، في قضائك وعلمك الأزلي، قوما بورا هالكين، جمع: بائر، كعائذ وعوذ.ثم يقال للكفار بطريق الالتفات: فقد كذبوكم بما تقولون، وهو احتجاج من الله تعالى على العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب، أي: فقال الله جل جلاله عند ذلك للعبدة: فقد كذبكم المعبودون أيها الكفرة، بما تقولون أي: في قولكم: هؤلاء أضلونا. والباء بمعنى «في» ، وعن قنبل:بالياء، والمعنى: فقد كذبوكم بقولهم: (سبحانك ما كان ينبغي لنآ أن نتخذ من دونك من أولياء) ، والباء حينئذ كقولك: كتبت بالقلم.____________(١)

قرأ ابن كثير وأبو جعفر ويعقوب وحفص: «يحشرهم» بالياء، وقرأ الباقون بالنون.. انظر الإتحاف (٢/ ٣٠٦) .." (١)

"الحق والإيمان، قاله الحسن. وبيانه: أن العرب كانت تتيمن بالسانح «١» عن اليمين من الطير، ويناسبه ما ذكره ابن عطية في جملة التأويلات بقوله: ومنها: أن يريد باليمين اليمن، أي: تأتوننا من جهة النصائح، والعمل الذي يتيمن به. هـ. قلت: والأحسن: أن يقدر معلق الجار، أي: تأتوننا وتصرفوننا عن طريق أهل اليمين.قالوا أي: الرؤساء: بل لم تكونوا مؤمنين أي: بل أنتم أبيتم الإيمان، وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه، مختارين للكفر، غير ملجئين إليه، أو: بل أنتم سبقت منكم الضلالة على إغوائنا، وإنما نشأ عن إغوائنا دوام كفركم لا استئنافه. وما كان لنا عليكم من سلطان وقهر، نسلبكم به تمكنكم واختياركم، بل كنتم قوما طاغين أي: بل كنتم قوما مختارين للطغيان، فحق علينا أي: لزمنا جميعا قول ربنا إنا لذائقون،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/ ٨٤

يعني: حقت علينا كلمته بأنا ذائقون لعذابه. ولو حكى الوعيد على ما هو لقال: إنكم لذائقون، لكنه عدل به إلى لفظ المتكلم لأنهم يتكلمون بذلك عن أنفسهم. ثم قالوا لضعفائهم: فأغويناكم فدعوناكم إلى الغي إنا كنا غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا مثلنا، فإنهم أي: الأتباع والمتبوعين جميعا، يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في **الغواية**. إنا كذلك نفعل بالمجرمين المشركين، أي: مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم.الإشارة: ويقال على طريق العكس: احشروا الذين أحسنوا واتقوا ربهم، وأزواجهم، ومن انتسب إليهم، فاهدوهم إلى طريق الجنان، وقفوهم يشفعوا فيمن تعلق بهم، إنهم مسؤولون عن أصحابهم وعشائرهم، حتى يخلصوهم من ورطة الحساب. ما لكم لا تناصرون، فينصر بعضكم بعضا في هذا الموطن الهائل، بل هم اليوم منقادون لأمر الله، حتى يأذن لهم في الشفاعة. وفي الحديث: «اتخذوا يدا عند الفقراء، فإن لهم دولة يوم القيامة» «٢» ودولتهم:الشفاعة فيمن أحبهم وأحسن إليهم. والفقراء هم المتوجهون إلى الله تعالى، حتى وصلوا إلى حضرته. ومن صد الناس عن طريقه وصحبتهم، يتعلق به المخذول عنهم، فيقول له: (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ...) الآية.ثم ذكر سبب ورودهم العذاب، فقال:[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٣٥ الى ٣٩]إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (٣٥) ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (٣٦) بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٣٧) إنكم لذائقوا العذاب الأليم (٣٨) وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٣٩)____________(١) السانح: ما أتاك عن يمينك من ظبى أو طائر، أو غير ذلك، والبارح: ما أتاك من ذلك عن يسارك. انظر اللسان (سنح ٣/ ٢١١٢) .(٢) عزاه السيوطي فى الجامع الصغير (ح ١٠٤) لأبى نعيم فى الحلية، عن الحسين بن على رضي الله عنه. والحديث ضعفه السيوطي.." (١)

"قال فاخرج منها من الجنة، أو: من زمرة الملائكة، وهو المراد بالأمر بالهبوط، أو: من السموات، أو:من الخلقة التي أنت فيها، وانسلخ منها، فإنه كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته، فاسود بعد ما كان أبيض، وقبح بعد ما كان حسنا، وأظلم بعد ما كان نورانيا. فإنك رجيم أي: مرجوم، مطرود، من كل خير وكرامة. أو: شيطان يرجم بالشهب.وإن عليك لعنتي إبعادي من الرحمة. وتقييدها هنا، وإطلاقها في قوله: وإن عليك اللعنة «١» لأن لعنة اللاعنين من الثقلين والملائكة أيضا من جهته تعالى، وأنهم يدعون عليه بلعنة الله وإبعاده من الرحمة، إلى يوم الدين إلى يوم الجزاء والعقوبة، ولا يظن أن لعنته غايتها يوم الدين، ثم تنقطع، بل في الدنيا اللعنة وحدها، ويوم القيامة يقترن بها العذاب، فيلقى يومئذ من ألوان العذاب، وأفانين العقاب، ما ينسى به اللعنة، وتصير عنده كالزائد. أو: لما كان عليه اللعنة في أوان الرحمة، فأولى أن يكون

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٥٩٥

عليه اللعنة في غير أوانها، وكيف ينقطع، وقد قال تعالى: فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين «٢» وهو إمامهم؟.قال إبليس: رب فأنظرني أمهلني وأخرني، أي: إذا جعلتني رجيما فأمهلني ولا تمتني، إلى يوم يبعثون أي: آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم. وأراد بذلك فسحته لإغوائهم، وليأخذ منهم ثأره، وينجو من الموت بالكلية إذ لا موت بعد البعث، قال تعالى: فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، وهو وقت النفخة الأولى، ومعنى «معلوم» أنه معلوم عند الله، لا يتقدم ولا يتأخر. وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين، على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك، دليل واضح على أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم أزلا، لا إنشاء لإنظار خاص به، قد وقع إجابة لدعائه، أي: إنك من جملة الذين أخرت آجالهم أزلا، حسبما تقتضيه حكمة التكوين.قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين، أقسم بعزة الله، وهو سلطانه وقهره على إغواء بني آدم، بتزيين المعاصي والكفر، إلا عبادك منهم المخلصين، وهم الذين أخلصهم الله للإيمان به وطاعته، وعصمهم من **الغواية**، أو: الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله في قراءة الكسر «٣» . ـــــــــــــــــــــ(١) من الآية ٣٥ من سورة الحجر.(٢) من الآية ٤٤ من سورة الأعراف. [.....](٣) قرأ بكسر اللام فى «المخلصين» ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر. اسم فاعل. وقرأ الباقون بفتحها، اسم مفعول. انظر السبعة، ٣٤٨ والإتحاف (٢/ ٣٢٤) .." (١)

"يا حسرتى، بألف بدل من ياء الإضافة لأن العرب تقلب ياء المتكلم ألفا في الاستغاثة، فيقولون: يا ويلتا، يا ندامتا، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء، وربما ألحقوا بها الهاء، فيقال: يا رباه، يا مولاه، وربما ألحقوا ياء المتكلم، جمعا بين العوض والمعوض، وبذلك قرأ أبو جعفر: «يا حسرتاي» أي: يا ندامتاه ويا حزناه. على ما فرطت قصرت. و «ما» : مصدرية، أي: على تقصيري وتفريطي في جنب الله أي: جانبه وحقه وطاعته، أو: في ذاته، أي: معرفة ذاته، أو في قربه، من قوله: والصاحب بالجنب «١» ، أو: في سبيل الله ودينه، والعرب تسمي السبب الموصل إلى الشيء جنبا، تقول: تجرعت في جنبك غصصا، أي: لأجلك، أو: في الجانب الذي يؤدي إلى رضوانه، وهو توحيده والإقرار بنبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وقرىء «في ذكر الله» . وإن كنت لمن الساخرين أي: المستهزئين بدين الله. قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر بأهلها. و «إن» : مخففة، والجملة: حالية، أي: فرطت وأنا ساخر.أو تقول لو أن الله هداني: أعطاني الهداية، لكنت من المتقين: من الذين يتقون الشرك. قال الإمام [أبو منصور] «٢» : هذا الكافر أعرف بهداية الله من المعتزلة. وكذلك أولئك الكفرة، الذين قالوا لأتباعهم:لو هدانا الله

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٤/٥

لهديناكم «٣» يقولون: لو وفقنا الله للهداية، وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه، ولكن علم منا اختيار الضلالة والغواية فخذلنا ولم يوفقنا. والمعتزلة يقولون: بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لهم يهتدوا. انظر النسفي.أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة أي: رجعة للدنيا، فأكون من المحسنين: الموحدين الطائعين. و «أو» : للدلالة على أنها لا تخلو من هذه الأقوال، تحيرا وتحسرا، وتعليلا بما لا طائل تحته.فرد الله عليهم بقوله: بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين أي: قد جاءتك آياتي، وبينت لك الهداية من الغواية، وسبيل الحق من الباطل، فتركت ذلك، وضيعت، واستكبرت عن قبوله، وآثرت الضلالة على الهدى، واشتغلت بضد ما أمرت به، وإنما جاء التضييع من قبلك، فلا عذر لك.و «بلى» : جواب لنفي مقدر، وهو نتيجة القياس الاستثنائي، أي: لو أن الله هدانى لا هتديت وكنت متقيا، لكنه لم يهدني، وإنما أخره لأنه لا بد من حكاية أقوال النفس على ترتيبها، ثم يذكر الجواب في الجملة. والله تعالى أعلم.____________(١) من الآية ٣٦ من سورة النساء.(٢) فى الأصول [ابن منصور] والمثبت هو الذي فى النسفى.(٣) كما جاء فى الآية ٢١ من سورة إبراهيم.." (١)

"الإشارة: أعداء الله هم الجاحدون لوحدانيته ولرسالة رسله، وهم الذين تشهد عليهم جوارحهم، وأما المؤمن فلا، نعم إن مات عاصيا شهدت عليه البقع أو الحفظة، فإن تاب أنسى الله حفظته ومعالمه في الأرض ذنوبه. قال في التذكرة: إن العبد إذا صدق في توبته أنسى الله ذنوبه لحافظيه، وأوحى إلى بقع الأرض وإلى جميع جوارحه:أن اكتموا مساوئ عبدي، ولا تظهروها، فإنه تاب إلي توبة صادقة، بنية مخلصة، فقبلته وتبت عليه، وأنا التواب الرحيم.وفي الآية حث على حسن الظن بالله، وفي الحديث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» «١» وقال أيضا: «يقول الله- عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي ... » الحديث «٢» فمن ظن خيرا لقي خيرا، ومن ظن شرا لقي شرا. وبالله التوفيق.ثم إن سبب الغواية أو الهداية هى الصحبة، كما قال تعالى:[سورة فصلت (٤١) : آية ٢٥]وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين (٢٥)يقول الحق جل جلاله: وقيضنا أي: سيرنا، أو: قدرنا، لهم أي: كفار مكة في الدنيا قرناء سوء من الجن والإنس، أو: سلطنا عليهم نظراء لهم من الشياطين يستولون عليهم، كقوله: ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين «٣» ، فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا، واتباع الشهوات، والتقليد لأسلافهم، حتى حادوا عن الحق، وما خلفهم من أمور الآخرة، حيث ألقوا إليهم: ألا بعث ولا حساب.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٩٥

أو: ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها، وحق عليهم القول أي: ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب، أو: تحقق موجبها ومصداقها، وهي قوله تعالى لإبليس: لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين «٤» ، حال كونهم في جملة أمم قد خلت من قبلهم أي: قبل أهل مكة من الجن والإنس______________(١) أخرجه مسلم فى (كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله، ٤/ ٢٢٠٥، ح ٢٨٧٧) عن جابر رضي الله عنه.(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري فى (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ويحذركم الله نفسه، ح ٧٤٠٥) ومسلم فى (كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، ٤/ ٢٠٦١ ح ٢٦٧٥) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.(٣) الآية ٣٦ من سورة الزخرف.(٤) من الآية ٨٥ من سورة «ص» .." (١)

"ثم ذكر مقالتهم بعد دخول النار، فقال:[سورة فصلت (٤١) : آية ٢٩]وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين (٢٩)يقول الحق جل جلاله: وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب: ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس، يعنون الفريقين الحاملين على الضلال، من شياطين الجن والإنس، بالتسويل والتزيين، وقيل: هما إبليس وقابيل، فإنهما سنا الكفر والقتل، وقرىء بسكون الراء تخفيفا «١» ، كفخذ وفخذ، وبالاختلاس «٢» ، أي: أبصرناهما، نجعلهما تحت أقدامنا أي: ندسهما تحت أرجلنا، انتقاما منهما، أو: نجعلهما في الدرك الأسفل ليكونا من الأسفلين ذلا ومهانة، أو: مكانا، جزاء إضلالهم إيانا.الإشارة: كل من سقط عن درجة المقربين العارفين، وتعوق عن صحبتهم، بسبب تعويق أحد، تمنى يوم القيامة أن يكون تحت قدمه، ليكون أسفل منه، غيظا وندما، ولا ينفع التمني والندم في ذلك اليوم. وبالله التوفيق.ثم ذكر أهل القرب والعناية، بعد ذكر أهل البعد **والغواية**، فقال:[سورة فصلت (٤١) : الآيات ٣٠ الى ٣٢]إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون (٣١) نزلا من غفور رحيم (٣٢)يقول الحق جل جلاله: إن الذين قالوا ربنا الله أي: نطقوا بالتوحيد واعتقدوا، ثم استقاموا أي:ثبتوا على الإقرار ومقتضياته من حسن الأعمال، وعن الصديق رضي الله عنه: استقاموا فعلا، كما استقاموا قولا. وعنه: أنه تلاها ثم قال: ما تقولون فيها؟ قالوا: لم يذنبوا، قال: حملتم الأمر على أشده، قالوا: فما تقول؟ قال: لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان. وعن عمر رضي الله عنه: لم يروغوا روغان الثعالب، أي: لم ينافقوا. وعن عثمان رضي الله عنه:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٧٢/٥

أحكموا العمل،ــــــــــــــــــ(١) وبها قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بخلفه، وأبو بكر، ويعقوب، وقرأ الباقون بالكسر. انظر الإتحاف (٢/ ٤٤٣) .(٢) وهى الوجه الثاني لأبى عمرو. [.....]."(١)

"وتراهم يعرضون عليها على النار، يدل عليها ذكر العذاب. والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم، فالخشوع: خفض البصر وإظهار الذل، ينظرون إلى النار من طرف خفي ضعيف بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف عند إرادة قتله. وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعرض للعذاب الخالد يوم القيامة، و «يوم» : متعلق بخسروا. وقول المؤمنين واقع في الدنيا. ويقال، أي: يقولونه يوم القيامة، إذا رأوهم على تلك الصفة: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم دائم، وما كان لهم من أولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا، ومن يضلل الله فما له من سبيل إلى النجاة.استجيبوا لربكم إلى ما دعاكم إليه على لسان نبيه، من قبل أن يأتي يوم أي: يوم القيامة لا مرد له من الله أي: لا يرده الله بعد ما حكم بمجيئه، ف «من» متعلق ب «لا مرد» ، أو: ب «يأتي» أي: من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده، ما لكم من ملجإ يومئذ أي: مفر تلتجئون إليه، وما لكم من نكير أي: وليس لكم إنكار لما اقترفتموه لأنه مدون في صحائف أعمالكم، وتشهد عليكم جوارحكم.فإن أعرضوا عن الإيمان فما أرسلناك عليهم حفيظا رقيبا، تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم، إن عليك إلا البلاغ ما عليك إلا تبليغ الرسالة، وقد بلغت، وليس المانع لهم من الإيمان عدم التبليغ، وإنما المانع:الطغيان وبطر النعمة، كما قال تعالى: وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة أي: نعمة من الصحة، والغنى، والأمن، فرح بها وقابلها بالبطر، وتوصل بها إلى المخالفة والعصيان. وأريد بالإنسان الجنس، لقوله تعالى:وإن تصبهم سيئة، بلاء، من مرض، وفقر، وخوف، بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ الكفر، ينسى النعمة رأسا، ويذكر البلية، ويستعظمها، بل يزعم أنها أصابته من غير استحقاق.وأفرد الضمير في (فرح) مراعاة للفظ، وجمعه في «تصبهم» مراعاة للمعنى. وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص الجنس، لغلبتها فيهم. وتصدير الشرطية الأولى بإذا، مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال الرحمة محقق الوجود، كثير الوقوع، وأنه مراد بالذات، كما أن تصدير الثانية بأن، وإسناد الإصابة إلى السيئة، وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها، وأنها غير مرادة بالذات، «أن رحمتي سبقت غضبي» . ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم. قاله أبو السعود.الإشارة: من تنكبته العناية السابقة، وأدركته الغواية اللاحقة، لم ينفع فيه وعظ ولا

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٧٥/٥

تذكير، وليس له من عذاب الله ولي ولا نصير، فإذا تحققت الحقائق، وطلب الرجوع، لم يجد له سبيلا، وبقي في الهوان خاشعا ذليلا، فيعيرهم." [1]

"سورة النجمكية. وهي اثنتان وستون آية. وهي أول سورة أعلن بها النبي صلى الله عليه وسلم. ومناسبتها لما قبلها: قوله: أم يقولون تقوله «١» فأقسم هنا أنه ما ينطق عن الهوى، فقال:[سورة النجم (٥٣) : الآيات ١ الى ١٨]بسم الله الرحمن الرحيموالنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) إن هو إلا وحي يوحى (٤)علمه شديد القوى (٥) ذو مرة فاستوى (٦) وهو بالأفق الأعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨) فكان قاب قوسين أو أدنى (٩)فأوحى إلى عبده مآ أوحى (١٠) ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمارونه على ما يرى (١٢) ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤)عندها جنة المأوى (١٥) إذ يغشى السدرة ما يغشى (١٦) ما زاغ البصر وما طغى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨)يقول الحق جل جلاله: والنجم أي: الثريا، أو: جنس النجم إذا هوى إذا غرب، أو: انتثر يوم القيامة، أو طلع، يقال: ٥وى هويا، بوزن «فيول» إذا غرب، وهوى هويا، بوزن دخول: إذا طلع «٢» . والعامل في (إذا) فعل القسم، أي: أقسم بالنجم وقت غروبه أو طلوعه. وجواب القسم: ما ضل عن قصد الحق صاحبكم أي: محمد صلى الله عليه وسلم، والخطاب لقريش. وما غوى في اتباع الباطل، أو: ما اعتقد باطلا قط، أي: هو في غاية الهدى والرشد، وليس مما تتوهموه من الضلالة **والغواية** في شيء. فالضلال نقيض الهدى، والغي نقيض الرشد، ومرجعهما لشيء واحد، وهو عدم اتباع طريق الحق.______________(١) الآية سورة الطور ٣٣.(٢) راجع لسان العرب (مادة هوا ٦/ ٤٧٢٧) .." [2]

"وقال الفخر: أكثر المفسرين لم يفرقوا بين الغي والضلال، والفرق بينهما: أن الغي في مقابلة الرشد، والضلال أعم منه، والاسم من الغي: **الغواية-** بالفتح- والحاصل: أن الغي أقبح من الضلال، إذ لا يرجى فلاحه. وإيراده صلى الله عليه وسلم بعنوان صاحبهم للإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة، وإحاطتهم خبرا ببراءته- عليه الصلاة والسلام- مما نفى عنه بالكلية، وباتصافه- عليه الصلاة والسلام- بغاية الهدى والرشد فإن كون صحبتهم له صلى الله عليه وسلم، ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما. وتقييد القسم بوقت الهوى لأن النجم لا يهتدي به الساري إلا عند هبوطه أو صعوده، وأما ما دام

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٢٢٨

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٩٩

في وسط السماء فلا يهتدي به، ولا يعرف المشرق من المغرب، ولا الشمال من الجنوب.ثم قال: وما ينطق عن الهوى أي: وما يصدر نطقه بالقرآن أو غيره عن هواه ورأيه أصلا، إن هو إلا وحي من الله تعالى يوحى إليه، وهي صفة مؤكدة لوحي، لرفع المجاز، مفيدة لاستمرار التجدد للوحي، واحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للأنبياء- عليهم السلام- ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحي، لا نطقا عن الهوى.علمه شديد القوى أي: ملك شديد قواه، وهو جبريل عليه السلام، فإنه الواسطة في إيراد الوحي إلى الأنبياء، ومن قوته أنه خلع قرى قوم لوط من الماء الأسود الذي تحت الثرى، وحملها على جناحه، ورفعها إلى السماء ثم قلبها، وصاح صيحة بثمود، فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده أسرع من لحظة.ذو مرة أي: ذو خصابة «١» في عقله، ورزانة ومتانة في دينه. وأصل المرة: الشدة، من مراير الحبل، وهو فتله فتلا شديدا، أو: ذو حسن في منظره، فاستوى: عطف على «علمه» بطريق التفسير، فإنه إلى قوله:(ما أوحى) بيان لكيفية التعليم، أو: فاستقام على صورته التي خلقه الله عليها، دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في الصورة التي خلقه الله عليها، وكان صلى الله عليه وسلم بحراء، فطلع له جبريل من المشرق، وسد الأرض من المغرب، وملأ الأفق، فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل في صورة الأدمي، فضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه. قيل: ما رآه أحد من الأنبياء في صورته الأصلية إلا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه رآه فيها مرتين مرة في الأرض، ومرة في السماء، وقيل: استوى بقوته على ما جعل له [من الأمر] «٢» . ـــــــــــــــــــــ(١) فى تفسير أبى السعود [خصافة] .(٢) زيادة من تفسير أبى السعود.." (١)

"القلوب، أشد تأثيرا من غيرهم، فإن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان حده الآذان، وفي الحكم: " تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث ما صار التنوير وصل التعبير ". فأهل النور تسري أنوارهم في الجالسين قبل أن يتكلموا، وربما انتفع الناس بصمتهم، كما ينتفعون بكلامهم، وأما أهل الظلمة ـ وهو من في قلبه حب الدنيا ـ فكلامهم قليل الجدوى، تسبق ظلمة قلوبهم إلى قلوب السامعين، فلا ينتفع إلا القليل.يقول الحق جل جلاله: واذكر يا محمد لهؤلاء المعرضين عن الجهاد قول موسى لبنى إسرائيل، حين ندبهم إلى قتل الجبابرة، بقوله: ﴿ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ [المائدة: ٢١] الآية، فلم يمتثلوا أمره، وعصوه أشد عصيان، حيث قالوا: ﴿ياموسى إن فيها قوما جبارين ... ﴾ [المائدة: ٢٢] الآية، إلى أن قالوا: ﴿فاذهب أنت وربك ... ﴾ [المائدة: ٢٤] الآية. وآذوه عليه السلام كل الإذاية فقال: ﴿يا

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٥٠٠

قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ ، فالجملة: حال، والحال أنكم تعلمون علما قطعيا، مستمرا، بمشاهدة ما ترون من المعجزات الباهرة، إني رسول الله إليكم، لأرشدكم إلى خير الدنيا والأخرة، ومن قضية علمكم أن تبالغوا في تعظيمي، وتسارعوا إلى طاعتي، ﴿فلما زاغوا﴾ أي: أصروا على الزيغ عن الحق الذي جاءهم به، واستمروا عليه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ ؛ صرفها عن قبول الحق، والميل إلى الصواب، لصرف اختيارهم نحو الغي والإضلال، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي: لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق، المصرين على **الغواية**، هداية موصلة إلى الطاعة وحسن الأدب، والمراد بهم المذكورون خاصة، والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية، أو جنس الفاسقين، وهم داخلون في حكمهم دخولا أوليا، وأيا ما كان فوصفهم بالفسق نظر إلى ما في قوله تعالى: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ [المائدة: ٢٥] ، هذا الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم،." (١)

"علي بن أبي طالب : والله، ما قالت القدرية بقول الله، ولا بقول الملائكة، ولا بقول النبيين، ولا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول صاحبهم إبليس - فقالوا له: تفسره لنا، يا ابن رسول الله - فقال: قال الله : (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء) [يونس: (٢٥)] - وقالت الملائكة: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) [البقرة: (٣٢)] - وقال نوح : (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) [هود: (٣٤)] - فأما موسى فقال: (إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء) [الأعراف: (١٥٥)] - وأما أهل الجنة فإنهم قالوا: (الحمد لله الذي هدانا لهذا) [الأعراف: (٤٣)] - وأما أهل النار فإنهم قالوا: (لو هدانا الله لهديناكم) [إبراهيم: (٢١)] - وأما أخوهم إبليس فقال: (فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) [الأعراف: (١٦)] - فزعمت القدرية أن الله لا يغوي أخرجه البيهقي في القضاء والقدر (٢) / (٧٣٩) - .(٢٧١٧٤) - قال أبو معاوية الضرير، عن رجل لم يسم، قال: كنت عند طاووس في المسجد الحرام، فجاء رجل ممن يرمي [بـ] القدر من كبار الفقهاء، فجلس إليه، فقال طاووس: [تقوم، أو تقام] - فقام الرجل - [فقيل] لطاووس: تقول هذا لرجل فقيه؟ فقال: إبليس أفقه منه، يقول إبليس: (رب بما أغويتني) - ويقول هذا: أنا أغوي نفسي أخرجه الثعلبي (٤) / (٢٢٠) - وينظر: الجامع لأحكام القرآن (٧) / (١٧٥) - .(٢٧١٧٥) - عن محمد بن كعب القرظي - من طريق أبي مودود - قال: قاتل الله القدرية، لإبليس أعلم بالله منهم أخرجه ابن جرير (١٠) / (٩٣) - .(٢٧١٧٦) - عن أرطاة، عن رجل من أهل الطائف، في قوله: (فبما أغويتني)، قال: عرف إبليس أن **الغواية** جاءته من

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٥/٧

قبل الله؛ فآمن بالقدر عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم - .(ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)تفسير الآية(٢٧١٧٧) - عن عبد الله بن عباس - من طريق علي - (ثم لأتينهم من بين أيديهم) قال:." [١]

"(٥٨٣٦٥) - عن قتادة بن دعامة - من طريق معمر - (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه)، قال: الاستصراخ: الاستغاثة - قال: والاستنصار والاستصراخ واحد أخرجه عبد الرزاق (٢) / (٨٩)، وابن جرير (١٨) / (١٩٤) من طريق سعيد مختصرا - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - وعلقه يحيى بن سلام (٢) / (٥٨٤) بلفظ: يستنصره، أي: يستغيثه، ويستعينه ويستنصره ويستصرخه واحد - .(٥٨٣٦٦) - عن إسماعيل السدي - من طريق أسباط - (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه)، يقول: يستغيثه أخرجه ابن جرير (١٨) / (١٩٤) - .(٥٨٣٦٧) - قال مقاتل بن سليمان: (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه)، يعني: يستغيثه ثانية على رجل آخر كافر من القبط تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٣٩) - .(قال له موسى إنك لغوي مبين (١٨))(٥٨٣٦٨) - قال مقاتل بن سليمان: (قال له موسى) للذي نصره بالأمس؛ الإسرائيلي: (إنك لغوي مبين) يقول: إنك لمضل مبين، قتلت أمس في سببك رجلا تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٣٣٩) - .(٥٨٣٦٩) - عن محمد بن إسحاق - من طريق سلمة - قال: لما قتل موسى القتيل خرج، فلحق بمنزله من مصر، وتحدث الناس بشأنه، وقيل: قتل موسى رجلا - حتى انتهى ذلك إلى فرعون، فأصبح موسى غاديا الغد، وإذا صاحبه بالأمس معانق رجلا آخر من عدوه، فقال له موسى: (إنك لغوي مبين) أمس رجلا، واليوم آخر! أخرجه ابن جرير (١٨) / (١٩٥) - .(٥٨٣٧٠) - قال يحيى بن سلام: (قال له موسى) للإسرائيلي: (إنك لغوي مبين) بين **الغواية** تفسير يحيى بن سلام (٢) / (٥٨٤) - .(فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس)(٥٨٣٧١) - عن عبد الله بن عباس - من طريق سعيد بن جبير - قال: أتي فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون، فخذ لنا بحقنا، ولا ترخص لهم." [٢]

"على منازلهم: فلان يقاتل للدنيا، وفلان يقاتل للملك، وفلان يقاتل للذكر، ونحو هذا، وفلان يقاتل يريد وجه الله - فمن قتل يريد وجه الله فذلك في الجنة أخرجه ابن المبارك في الزهد ((١٤٢))، وفي الجهاد ((٩)) - .

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٧/١٥

(٢) موسوعة التفسير المأثور ٥٧/٣١

(أم لهم شركاؤا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)

(٦٨٩٤٨) - قال عبد الله بن عباس: (أم لهم شركاء شرعوا) شرعوا لهم دينا غير دين الإسلام تفسير البغوي (٧) / (١٩٠) - .

(٦٨٩٤٩) - قال مقاتل بن سليمان: قوله: (أم لهم شركاء شرعوا) يقول: سنوا (لهم من الدين ما لم يأذن به الله) يعني: كفار مكة، يقول: ألهم آلهة بينوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله؟! تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (٧٦٨) - ذكر ابن عطية ((٧) / (٥١٠)) في المراد بالشركاء احتمالين، فقال: «والشركاء في هذه الآية يحتمل أن يكون المراد بهم: الشياطين والمغوين من أسلافهم، ويكون الضمير في (لهم) للكفار المعاصرين لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ، أي: شرع الشركاء لهم ما لم يأذن به الله - فالاشتراك هاهنا هو في الكفر والغواية، وليس بشركة الإشراك بالله، ويحتمل أن يكون المراد بالشركاء: الأصنام والأوثان، على معنى: أم لهم أصنام جعلوها شركاء لله في ألوهيته، ويكون الضمير في: (شرعوا) لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولآبائهم» - .

(ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم (٢١))

(٦٨٩٥٠) - عن مجاهد بن جبر - من طريق ابن أبي نجيح - في قوله: (ولولا كلمة الفصل)، قال: يوم القيامة، أخروا إليه تفسير مجاهد ص (٥٨٩)، وأخرجه إسحاق البستي ص (٣٠١) من طريق ابن جريج - وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر - .

(٦٨٩٥١) - قال مقاتل بن سليمان: ثم قال: (ولولا كلمة الفصل) التي سبقت من الله في الآخرة أنه معذبهم، يقول: لولا ذلك الأجل (لقضي بينهم) يقول: لنزل بهم العذاب في الدنيا، (وإن الظالمين) يعني: المشركين (لهم عذاب أليم)

". (١)

"فمحال أن يعتقد القلب هذا الفرح حتى يدوم له ذلك، وتزول عنه أفراح النفس، ثم يصير في فرحه بالله عز وجل حزينا، لأنه محبوس عنه برمق الحياة في دار الدنيا، مشتاق إلى ربه عز وجل، قد أنس به، واشتاق إلى لقائه، واستوحش من الدنيا وأهلها، وهمته ذكر الله، وعبودية شهوته، وموته راحته ويوم عيده.وتحقيق ما وصفنا من ضرر فرح النفس، أن الله عز وجل حرم المعازف والخمر على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وما نطق به الوحي في شأن الخمر، وذلك أن الله عز وجل لما خلق الفرح، وجعل له بابا،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٧/٣٦

فلما خلق الجنة، خرجت الأغراسمن باب الرحمة، وخرج غرس العنب من باب الفرح، فلذلك أول ما أكل آدم صلى الله عليه وسلم حين دخلها العنب، فامتلأ فرحا.وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل: (ما أول ما يأكل أهل الحنة من الجنة؟ قال: العنب): وأول ما أكل آدم العنب، فامتلأ فرحا، ووضع من الفرح في تلك النـار التي فيها الزينة بباب النار التي سميت شهوات، فجعل ذلك الفرح حظ إبليس، حتى يأخذه فيضعه في الأشياء التي يغوي الآدميين بها، فلما أضل إبليس المشركين بذلك الفرح، دخل الأشجار وكل معبود من دون الله عز وجل، فصوت منها بذلك الفرح، فكل من يتبع صوته، سبى ذلك الفرح قلبه، حتى يجيبه إلى الشرك وإلى عبادته، فهو يرى أنه يعبد الشجرة والوثن، وإنما يعبد الطاغوت، وإبليس طغى حتى بلع غاية الطغيان، فقيل طاغوت، وذلك قول الله عز وجل: (كل حزب بما لديهم فرحون). فذلك الفرح لكل حزب من الذي أعطى إبليس، حتى أورده على قلوبهم بصوته، وذلك قوله عز وجل: (واستفزز من استطعت منهم بصوتك). وصوته مع ذلك الفرح، ولولا ذلك ما أجابوه، فهم فرحون بأديانهم، وإنما يفرحون بالله عز وجل، ولكن غير مقبول منهم، وهم يحسبون أنهم مهتدون بذلك الفرح، لأنهم تناولوه من إبليس، لا من هداية الله عز وجل ومعرفته، وإنما وصل إلى **غواية** آدم صلى الله عيه وسلم، بما استفرحوا من الفرح.." (١)

"حكمته منافع؛ فيشفي بالسم القاتل إذا شاء، كما يميت به إذا شاء؛ ليعلم أن الأسباب إنما تنفع وتضر إذا اتصلت المشيئة بها.٩٤ - النور: هو الذي بنوره يبصر ذو العماية وبهدايته يرشد (١) ذو **الغواية** وعلى مثل هذا يتأول، قوله [جل وعز] (٢): (الله نور السموات والأرض) [النور/٣٥] أي: منه نور السموات والأرض. ولا يجوز أن يتوهم أن الله -تعالى (٣) - نور من الأنوار، وأن يعتقد ذلك فيه -سبحانه-؛ فإن النور تضاده الظلمة، وتعاقبه فتزيله (٤)، وتعالى الله (٥) أن يكون له ضد أو ند، وقد يحتمل أن يكون معناه: ذو النور، إلا أنه لا يصح أن يكون النور صفة ذات لہ ، كما يصح ذلك من اسم السلام، إذا قلناه (٦)، إنه ذو السلام.وإنما يكون ذلك صفة فعل على معنى إضافة الفعل إليه إذ هو خالق النور وموجده (٧).٩٥ - الهادي: هو الذي من بهداه على من أراد من عباده، فخصه بهدايته، وأكرمه بنور توحيده، كقوله [تعالى] (٨): (ويهدي__________(١) في (ت): "ترشد".(٢) زيادة من (ت) وفي (م):

---

(١) رياضة النفس، الترمذي، الحكيم ص/٦٤

"قول الله سبحانه وتعالى".(٣) في (ت) و (م): "سبحانه".(٤) في (م): "وتزيله".(٥) لفظة الجلالة ليست في (م).(٦) في (م): "قلنا".(٧) في (م): "موجودة" وهو خطأ واضح.(٨) زيادة من (م).." [١]

""ومن يعصهما فقد غوى " إلى آخره، أي: فقد ضل، وهو بفتح الواو من غوى يغوي غيا **وغواية** فهو غاو وغو . قال الجوهري: الغي: الضلال والخيبة. وقال غيره: الغي: الانهماك في الشر. وأما غوي يغوى بالكسر في الماضي والفتح من الغاية، فمصدره غوي، يقال: غوي الفصيل: إذا لم يرو من لين أمه حتى يموت. وقال القاضي: وقع في رواية مسلم بفتح الواو وكسرها والصواب الفتح.قوله: " فإنما نحن، " أي: ملتجئون به، أو موفقون به.قوله: " وله " أي: نحن عبيد له، وهذا مرسل.١٠٧٠- ص- نا مسدد، نا يحيى، عن سفيان بن سعيد، حدثني عبد العزيز بن رفيع، عن تميم الطائي، عن عدي بن حاتم: أن خطيبا خطب عند النبي- عليه السلام- فقال: من يطع الله ورسوله (١) ... ومن يعصهما، فقال: " قم- أو اذهب- بئس الخطيب (٢) " (٣) .ش- يحيي القطان، وسفيان بن سعيد الثوري، وتميم بن طرفه الطائي الكوفي.وعدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن حشرج بن امرئ القيس بن عدي بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء الطائي، يكنى أبا طريف، قدم على النبي- عليه السلام- في شعبان سنة تسع، روي له عن رسول الله- عليه السلام- ستة وستون حديثا، اتفقا منها على ثلاثة أحاديث، وانفرد مسلم بحديثين. روى عنه: قيس بن أبي حازم، ومصعب بن سعد بن أبي وقاص، وأبو إسحاق السبيعي، وسعيد بن جبير، والشعبي، وجماعة آخرون. نزل الكوفة ومات بها________________(١) في سنن أبي داود: " من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن... ".(٢) في سنن أبي داود: " بئس الخطيب أنت".(٣) أبو داود: كتاب الأدب، باب رقم (٤٩٨١) ، مسلم: كتاب الصلاة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٨٤/ ٨٧٠) ، النسائي: كتاب النكاح، باب: ما يكره من الخطبة (٦/ ٩٠) .." [٢]

"كحديث بن عباس وقد سبق شرحه [٧٦٧] قوله حدثنا أبو حرة عن الحسن هو أبو حرة بضم الحاء اسمه واصل بن عبد الرحمن كان يختم القرآن في كل ليلتين قولهما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا قام من الليل ليصلي افتتح صلاته بركعتين خفيفتين وفي حديث أبي هريرة الأمر بذلك هذا دليل على استحبابه لينشط بهما لما بعدهما [٧٦٩] قوله صلى الله عليه و سلم أنت نور السماوات والأرض قال العلماء معناه منورهما وخالق نورهما وقال أبو عبيد معناه بنورك يهتدي أهل السماوات والأرض قال

---

(١) شأن الدعاء، الخطابي ص/٩٥

(٢) شرح أبي داود للعيني، ٤/٤٤٠

الخطابي في تفسير اسمه سبحانه وتعالى النور ومعناه الذي بنوره يبصر ذو العماية وبهدايته يرشد ذو الغواية قال ومنه الله نور السماوات أي منه نورهما قال ويحتمل أن يكون معناه ذو النور ولا يصح أن يكون النور صفة ذات الله تعالى وإنما هو صفة فعل أي هو خالقه وقال غيره معنى نور السماوات والأرض مدبر شمسها وقمرها ونجومها قوله صلى الله عليه و سلم أنت قيام السماوات والأرض وفي الرواية الثانية قيم قال العلماء من صفاته القيام والقيم كما صرح به هذا الحديث والقيوم بنص القرآن وقائم ومنه قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس قال الهروي ويقال قوام قال بن عباس القيوم الذي لايزول وقال غيره هو القائم على كل شيء ومعناه مدبر أمر خلقه وهما سائغان في ." (١)

"وانشراح الصدر له بحيث يخالط لحمه ودمه. وهل هذا الذوق محسوس أو معنوي. وعلى الثاني فهو على سبيل المجاز والاستعارة الموضحة للمؤلف على استدلاله بزيادة الإيمان ونقصه، لأن في ذلك تلميحا إلى قضية المريض والصحيح، لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا بخلاف الصحيح، فكلما نقصت الصحة نقص ذوقه بقدر ذلك، وتسمى هذه الاستعارة تخييلية، وذلك أنه شبه رغبة المؤمن في الإيمان بالعسل ونحوه ثم أثبت له لازم ذلك وهي الحلاوة، وأضافه إليه فالمرء لا يؤمن إلا (أن يكون الله عز وجل (ورسوله) عليه الصلاة والسلام (أحب إليه مما سواهما) بإفراد الضمير في أحب لأنه أفعل تفضيل، وهو إذا وصل بمن أفرد دائما وعبر بالتثنية في سواهما إشارة إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما، فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى. فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك، ولا يعارض تثنية الضمير هنا بقصة الخطيب حيث قال: ومن يعصهما فقد غوى. فقال له عليه الصلاة والسلام بئس الخطيب أنت فأمره بالإفراد إشعارا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزامه الغواية، إذ العطف في تقدير التكرير والأصل استقلال كل واحد من المعطوفين في الحكم. فهو في قوة قولنا: ومن عصى الله فقد غوى ومن عصى الرسول فقد غوى. ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩] لم يعد أطيعوا في أولي الأمر منكم كما أعاده في وأطيعوا الرسول ليؤذن بأنه لا استقلال لهم في الطاعة استقلال الرسول -صلى الله عليه وسلم-. وقيل: إنه من الخصائص فيمتنع من غيره عليه الصلاة والسلام لأن غيره إذا جمع أوهم التسوية بخلافه هو عليه الصلاة والسلام، فإن منصبه لايتطرق إليه إيهام ذلك. وقال: مما ولم يقل ممن ليعم العاقل وغيره، والمراد بهذا الحب كما قال البيضاوي العقلي وهو إيثار ما يقتضي العقل رجحانه ويستدعي اختياره، وإن كان على

---

(١) شرح النووي على مسلم، ٥٤/٦

خلاف هواه.ألا ترى أن المريض يعاف الدواء وينفر عنه طبعه، ولكنه يميل إليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما يعلم أن صلاحه فيه.(و) من محبة الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام (أن يحب) المتلبس بها (المرء) حال كونه (لا يحبه إلا الله) تعالى (وأن يكره أن يعود) أي العود (في الكفر كما يكره أن يقذف) بضم أوله وفتح ثالثه أي مثل كرهه القذف (في النار) وهذا نتيجة دخول نور الإيمان في القلب بحيث يختلط باللحم والدم واستكشافه عن محاسن الإسلام وقبح الكفر وشينه.فإن قلت: لم عدى العود بفي ولم يعده بإلى كما هو المشهور؟ أجاب الحافظ ابن حجر كالكرماني بأنه ضمن معنى الاستقرار كأنه قال: أن يعود مستقرا فيه، وتعقبه العيني فقال فيه تعسف، وإنما في هنا بمعنى إلى كقوله تعالى: ﴿أو لتعودن في ملتنا﴾ [الأعراف: ٨٨] أي لتصيرن إلى ملتنا، وفي هذا الحديث الإشارة إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، فالأول من الأول والأخير من الثاني. وفي الثاني الحث على التحابب في الله، ورواته كلهم بصريون أئمة أجلاء، وأخرجه المؤلف أيضا بعد ثلاثة أبواب وفي الأدب ومسلم والترمذي والنسائي وألفاظهم مختلفة. ١٠ - باب علامة الإيمان حب الأنصار١٧ - حدثنا أبو الوليد قال حدثنا شعبة قال أخبرني عبد الله بن عبد الله بن جبر قال: سمعت أنسا عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار». [الحديث ١٧ - طرفه في: ٣٧٨٤].(باب) بالتنوين (علامة الإيمان) التام (حب الأنصار)، وسقط التنوين للأصيلي، وحينئذ فقوله علامة جر بالإضافة قال ابن المنير: علامة الشيء لا يخفى أنها غير داخلة في حقيقته، فكيف تفيد هذه الترجمة مقصوده من أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وجوابه أن المستفاد منها كون مجرد التصديق بالقلب لا يكفي حتى تنصب عليه علامة من الأعمال الظاهرة التي هي مؤازرة الأنصار ومواددتهم.وبسندي المذكور أولا إلى الإمام البخاري قال: (حدثنا أبو الوليد) هشام بن عبد الملك الطيالسي نسبة لبيع الطيالسة البصري المتوفى سنة عشرين ومائتين، (قال حدثنا شعبة) بن الحجاج السابق (قال أخبرني) بالإفراد (عبد الله بن عبد الله) بفتح العين فيهما (ابن جبر) بفتح الجيم وإسكان الموحدة الأنصاري المدني، (قال سمعت أنسا) وفي رواية الأصيلي وابن عساكر أنس بن مالك (رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم-) أنه (قال):(آية." (١)

"المحصل لتلك اللذة لأنه لا يتم إيمان المرء حتى يتمكن في نفسه أن المنعم والقادر على الإطلاق هو الله تعالى ولا مانح ولا مانع سواه وما عداه وسائط لها، فإن الرسول هو المعطوف الحقيقي الساعي في إصلاح شأنه وإعلاء مكانه، وذلك يقتضي أن يتوجه بشراشره نحوه ولا يحب ما يحبه إلا لكونه وسطا

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٩٨/١

بينهوبينه، فإن تيقن أن جملة ما وعد به وأوعد حق لا يحوم الريب حوله فيتيقن أن الموعود كالواقع وأن الاستقلال بما يؤول إليه الشيء كملابسته فيحسب مجالس الذكر رياض الجنة، وأكل مال اليتيم أكل النار، والعود إلى الكفر الإلقاء في النار فيكره الإلقاء في النار، وثنى الضمير هنا في قوله سواهما، ورد على الخطيب: ومن عصاهما فقد غوى وأمره بالإفراد إيماء إلى أن المعتبر هنا هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها ضائعة لاغية، وأمر الخطيب بالإفراد إشعارا بأن كل واحد من العصيانين يستقل باستلزام الغواية، فإن قوله: ومن عصى الله ورسوله من حيث إن العطف في تقدير التكرير والأصل فيه استقلال كل من المعطوف والمعطوف عليه في الحكم في قوة قولنا ومن عصى الله فقد غوى ومن عصى الرسول فقد غوى.وقد سبق شيء من ذلك عند ذكر الحديث في باب الإيمان وبالله المستعان.٤٣ – باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ –إلى قوله– ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١](باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ – إلى قوله– ﴿فأولئك هم الظالمون﴾) وسقط قوله ﴿عسى﴾ إلى آخره لأبي ذر، وقال بعد ﴿من قوم﴾ الآية. نهى عن السخرية وهي أن لا ينظر الإنسان إلى أخيه المسلم بعين الإجلال ولا يلتفت إليه ويسقطه عن درجته والقوم الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر لكن فعل ليس من أبنية التكسير إلا عند الأخفش نحو: ركب وصحب، واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية إذ لو كانت النساء داخلة في قوم لم يقل ولا نساء وحقق ذلك زهير في قوله:وما أدري ولست أخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساءفاختصاص القوم بالرجال في الآية من عطف ولا نساء على قوم، وفي الشعر من جعل أحد المتساويين يلي الهمزة والآخر يلي أم وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، وأن يقصد إفادة الشياع وأن يصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية. قال في الانتصاف: لو عرف المؤمنين فقال: لا يسخر المؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض لعم ومراده أن في التنكير يحصل أن كل جماعة منهية على التفصيل وهو واقع. وقال الطيبي: استغراق الجنس أيضا يراد منه التفصيل. والمعرف بتعرف العهد الذهني مفيد للتفصيل أيضا كالنكرة إذ المعنى لا يسخر من هو مسمى بالقوم من قوم مثله. قال ابن جني: مفاد نكرة الجنس مفاد معرفته من حيث كان في كل جزء منه معنى ما في جملته انتهى.وقوله: ﴿عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ كلام مستأنف ورد مورد جواب المستخبر عن علة النهي وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء، والمعنى وجوب أن يعتقد كل واحد بأنالمسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر إذ لا اطلاع

للناس إلا على الظواهر ولا علم لهم بالسرائر، والذي يزن عند الله خلوص الضمائر فينبغي أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق أي غير حاذق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى. وعن ابن مسعود -رضي الله عنه-: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا.وقوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ فيه وجهان أحدهما: عيب الأخ إلى الأخ فإذا عابه فكأنه عاب نفسه، والثاني: أنه إذا عابه وهو لا يخلو عن عيب فيعيبه به المعاب فيكون هو بمعيبه حاملا لغيره على عيبه فكأنه هو العائب نفسه، واللمز الطعن والضرب باللسان ﴿ولا تنابزوا﴾ ولا تدعوا ﴿بالألقاب﴾." (١)

"عليه أن يحمد نفسه لأنه هو الذي حصل لنفسه الإيمان وهو الذي أوصل نفسه إلى درجات الجنة وخلصها من دركات النيران فلما لم يحمد نفسه البتة إنما حمد الله تعالى فقط علمنا أن الهادي ليس إلا الله تعالى، وقوله تعالى: (﴿لو أن الله هداني﴾) أعطاني الهداية (﴿لكنت من المتقين﴾) [الزمر: ٥٧] من الذين يتقون الشرك.قال الشيخ أبو منصور -رحمه الله تعالى-: وهذا الكافر أعرف بالهداية من المعتزلة وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم: لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه، ولكن علم منا اختيار الضلالة **والغواية** فخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون: بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا، والحاصل أن عند الله لطفا من أعطى ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى، وكان استيجابه العذاب وتضييعه الحق بعدما تمكن من تحصيله لذلك. والحاصل من مذهب أهل السنة أن الله تعالى أقدر العباد على اكتساب ما أراد منهم من إيمان وكفر وأن ذلك ليس بخلق للعباد كما زعمت القدرية.٦٦٢٠ - حدثنا أبو النعمان، أخبرنا جرير هو ابن حازم، عن أبى إسحاق، عن البراء بن عازب قال: رأيت النبى -صلى الله عليه وسلم- يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول:والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا صمنا ولا صليناأفأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقيناوالمشركون قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبيناوبه قال: (حدثنا أبو النعمان) محمد بن الفضل السدوسي قال: (أخبرنا جرير) بفتح الجيم (هو ابن حازم) بالحاء المهملة والزاي (عن أبي إسحاق) عمرو بن عبد الله السبيعي (عن البراء بن عازب) -رضي الله عنهما- أنه (قال: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الخندق ينقل معنا التراب) من حفر الخندق (وهو يقول) رجزا من كلام عبد الله بن رواحة.(والله لولا الله ما اهتدينا).وهذا موضع الترجمة.(ولا صمنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينا).(وثبت الأقدام إن لاقينا) العدو (والمشركون قد بغوا علينا)

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣٥/٩

أي ظلموا (إذا أرادوا فتنة أبينا) بالموحدة أي الفرار. والحديث أخرجه في الجهاد. بسم الله الرحمن الرحيم٨٣ - كتاب الأيمان والنذور(كتاب الأيمان) بفتح الهمزة جميع يمين واليمين خلاف اليسار وأطلقت على الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل يمين صاحبه، وقيل لحفظها المحلوف عليه كحفظ اليمين وتسمى ألية وحلفا، وفي الشرع تحقيق الأمر المحتمل أو توكيده بذكر اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته. هذا إن قصد اليمين الموجبة للكفارة وإلا فيزاد أو ما أقيم مقامه ليدخل نحو الحلف بالطلاق أو العتق وهو ما فيه حث أو منع أو تصديق، وخرج بالتحقيق لغو اليمين بأن سبق لسانه إلى ما لم يقصده بها أو إلى لفظها كقوله في حال غضبه أو صلة كلام لا والله تارة وبلى والله أخرى، وبالمحتمل غيره كقوله: والله لأموتن أو لا أصعد إلى السماء فليس بيمين لامتناع الحنث فيه بذاته بخلاف والله لأصعدن السماء فإنه يمين تلزم به الكفارة حالا (و) كتاب (النذور) جمع نذر وهو مصدر نذر بفتح الذال المعجمة ينذر بضمها وكسرها والنذر في اللغة الوعد بخير أو شر وشرعا التزام قربة غير لازمة بأصل الشرع، وزاد بعضهم مقصودة، وقيل إيجاب ما ليس بواجب لحدوث أمر، ومنهم من قال: إن يلزم نفسه بشيء تبرعا من عبادة أو صدقة أو نحوهما. وأما قوله -صلى الله عليه وسلم-: من نذر أن يعصي الله فلا يعصه فإنما سماه نذرا باعتبار الصورة كما قال في الخمر وبائعها مع بطلان البيع، ولذا قال في الحديث الآخر: لا نذر في معصية. ١ - باب١ - باب قول الله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ [المائدة: ٨٩]. (قول الله تعالى) بالرفع وفي نسخة باب قول الله تعالى: (﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾) مصدر لغا يلغو لغوا والباء فيه متعلقة بيؤاخذكم ومعناها السببية، واللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان. قال: إمامنا الشافعي وغيره: هو قول الرجل في عرض حديثه لا والله وبلى والله من غير قصد لها، وقيل هو أن يحلف على شيء يرى أنه صادق ثم يظهر أنه خلاف ذلك، وبه قال أبو حنيفة: والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم (﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾) أي بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها، والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف." (١)

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٣٦٢/٩

" المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه فكلما نقصت الصحة شيئا نقص ذوقه بقدر ذلك أن يكون الله عز و جل ورسوله احب إليه بالنصب خبر يكون قال البيضاوي المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه إصلاح عاجل أو إصلاح آجل والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ويلتذ بذلك التذاذا عقليا إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك وعبر الشارع عن هذه بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة قال وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله وأن لا مانع في الحقيقة سواه وأن ما عداه وسائط وأن الرسول هو الذي يبين له مراد ربه اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه فلا يحب إلا ما يحب ولا يحب من يحب الا من أجله وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق بيقين تخيل إليه الموعود كالواقع فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة وأن العود إلى الكفر القاء في النار قال وأما تثنية الضمير في قوله مما سواهما فللإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها ضائعة لاغية وأمر بالافراد في حديث الخطيب أشعارا بأن كل واحد من المعطوفين مستقل باستلزام **الغواية** إذ العطف في تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم وأن يحب في الله وأن يبغض في الله ." (١)

" ٧٦٩ – أنت نور السماوات والأرض معناه منورهما أي خالق نورهما قال الخطابي في تفسير اسمه سبحانه النور معناه الذي بنوره يبصر ذو العماية وبهدايته يرشد ذو **الغواية** قال ومنه الله نور السماوات والأرض أي منه نورهما قال ويحتمل أن يكون معناه ذو النور ولا يصح أن يكون النور صفة ذات لله سبحانه وتعالى وإنما هو صفة فعل أي هو خالقه وقال غيره معنى نور السماوات والأرض مدبر شمسها وقمرها ونحوهما أنت قيام السماوات والأرض وفي الرواية بعده قيم قال العلماء من صفاته تعالى القيام والقيم والقيوم والقائم والقوام قال بن عباس القيوم الذي لا يزول وقال غيره هو القائم على كل شيء ومعناه مدبر أمر خلقه أنت رب السماوات والأرض قال العلماء ل الرب ثلاثة معان في اللغة السيد المطاع والمصلح والمالك ولكن قال بعضهم إذا كان بمعنى السيد المطاع فشرط المربوب أن يكون ممن يعقل وإليه أشار الخطابي بقوله لا يصح أن يقال سيد الجبال والشجر قال عياض هذا الشرط فاسد بل الجميع مطيع له سبحانه أنت

---

(١) شرح السيوطي لسنن النسائي، ٨/٩٥

الحق معناه المتحقق وجوده وقيل الإله الحق دون ما يقوله الملحدون ووعدك الحق إلى آخره أي كله متحقق لا شك فيه وقيل معنى وعدك الحق أي صدق ومعنى ولقاؤك حق أي البعث لك أسلمت أي استسلمت وانقدت لأمرك ونهيك وبك آمنت أي صدقت بك وبكل ما أخبرت وأمرت ونهيت وإليك أنبت أي أطعت ورجعت إلى عبادتك أي أقبلت عليها وقيل معناه رجعت إليك في تدبيري أي فوضت إليك وبك خاصمت أي بما أعطيتني من البراهين والقوة خاصمت من عاند فيك وكفر بك وقمعته بالحجة والسيف وإليك حاكمت أي كل من جحد الحق حاكمته إليك وجعلتك الحاكم بيني وبينه لا غيرك فاغفر لي إلى آخره معنى سؤاله صلى الله عليه و سلم المغفرة مع أنه مغفور له أنه يسأل ذلك تواضعا وخضوعا وإشفاقا وإجلالا وليقتدي به في أصل الدعاء والخضوع وحسن التضرع ." (١)

"وقوله فى ابتدائه : (فصلى ركعتين خممتيئ ، ثم صلى ركعتين طويلتن) : هاتان الركعتان كان يس!ف!ح بهما (صلى الله عليه وسلم) قيامه ليله ، وقد ذكره مسلم فى الباب من حديث عائشة وذكر فى حديث أبى هريرة أمر النبى (صلى الله عليه وسلم) : (من قام من الليل أن يستفتح صلاته بركعتن خفيفتين) بمعنى هذا ، والله أعلم .١٣١ / بوبهاتين الركعتييئ ثم عدد زيد بن خالد ثلاث عشرة فهو بينة على ما ذكرناه فى تلفيق الروايات ، وفيه أن الوتر واحدة ؛ لأن تمام عددها اثنتا عشرة ، ثم قال : (ثم أوتر) فتلك ثلاث عشرة .وقوله : (فاذهينا إلى مرع! فقال : ألا تشرع ؟) بضم التاء ، رباعى ويروى بفتحها . وقوله : (فأشرعت) المشرعة والشريعة الطريق إلى ورود الماء من حافة نهر أو بحر ، يقول : / ألا تأتى للمشرعة فتقضى من الماء حاجتك وتشرب منها بفيك بغيركة ؟ والمعروف فى هذا شرعت ، ثلاثى إذا فعلت ذلك ، وأشرع ن ا قته ، يحتمل ما جاء رباعياً على هذا . وقوله : (فقمت خلفه ، فأخذ بأذنى فجعلنى عن يمينه) معنى ما جاء فى حديث ابن عباس من الفوائد والمعانى .كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه ١٢٩ قال الإمام : وقوله : ا لك الحمد أنت نور السموات والاءرض) وقول الله : ﴿ الفة ئور السئموات والا رض﴾ (١) قيل : معناه : منور السموات والأرض أى خالق نورهما .قال القاضى : قال أبو عبيد : معناه : بنورك يهتدى أهل السموات والأرض ، قال الخطابى فى تفسير اسمه النور : معناه الذى بنوره يبصر ذو العماية وبهدايته يرشد ذو الغواية ، !ال : ومف قول والى : ﴿ اللة نور السئموات والا رض أى منه نورهما ، قال : ويحتمل أن يكون معناه ذو النور ولا يصح أن يكون النور صفة ذات له وانما يكون صفة فعل ؛ إذ هو خالقه وموجده . وحكى غيره عن مجاهد وابن عباس معناه : مدبر شمسهما

---

(١) شرح السيوطي على مسلم، ٣٧٦/٢

وقمرهما ونجومهما ، قال أبو القاسم القشيرى : وهو منور الافاق بالنجوم والأنوار ، ومنور القلوب بالدلائل ، وقيل : المراد بنور السموات وا لأرض هنا : القرآن ، وقيل : محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وروى عن ابن عباس معناه : هادى أهل السموات والأرض .قال القاضى : حقيقة النور أنه الذى به تنكشف الأمور وتظهر المخبآت وتنكشف (٢) الحجب والسواتر به ، وهو معنى يقوم بالأجسام ، وربما سميت الأجسام الملازمة[بالوصف] (٣) بهذه الأوصاف انوارا ، إذ لاتخلو منها فهو كله خلق من خلق الله وفعل من أفعاله فهو منؤر الافاق بهذه الأنوار ، فيزيل عنها الظلام ، ويكشف اللبس والعشا (٤) من الأبصار ، فيسلكون به سبلهم ويهتدون به إلى شوونهم ، فيهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، وسمى القرآن بذلك ؛ لهداية قلوب المؤمنن ، وكشف الريب والشك ، د ايضاح . سبل الحق وطرق الهدى والرشد ، وسمى النبى (صلى الله عليه وسلم) بذلك ؛ إذ به هدايۃ جميع المؤمنن ، وهو المبن لهم عن الله والموضح لهم شريعته (٥) ومخرجهم من ظلمات الكفر ، والله – تعالى – فاعل ذلك كله ، فهو النور وذو النور ، قال الله ظ لى : ﴿ الله ولن الذين آمنوا يخرخهم نن للاللط ت إلى النور﴾ (٦) وليست ذاته بنور ولا هو صفة على هذا المعنى الذى ذكرناه خلافا لمن قال ذلك من المجسئمة (٧) بل هو تعالى نور من حيث هو خالق النور ، وجاعله أو مدبر خلقه بذلك ، فيكون صفة فعل أو من حيث هو مبين وهاد بإرادته وقدره بذلك وقدرته ، فيكون صفة ذات ، أو على لسان انبيائه وجعل ذلك فى قلوب أوليائه فيكون صفة فعل ، وقد مر من هذا أول الكتاب .(٣) (٥) (٧)النور : ٣٥ . (٢) في س : ترتفع .ساتطة من س . (٤) فى س وللعمى .فى س : سريعتهم . (٦) البقرة : ٢٥٧ .قال الأبى فيما نقله من محصل دلرارى : اختلف فى النور ، فقيل : جسم ، وقيل : عرض ، وإذا لنحصر النور فى لفه جوهر أو عرض استحال أن تكون ذاته تعالى نهش ا لو النور صفة لها . لاستحالة لن تكون ذاته تعالى جوهرأ لو عرضأ ، ثم للنور لغة : اسم لهذه الأضواء الفاضلة على الشمس والقمر والكوكب والنار ، وعلى الأرض والحدرات وغيرها ، ويمتغ أن تكون ذاته – سبحانه وتعالى – نورا بهذا التفسير ة لاستحالة لن تكون ذاته – سبحانه وتعالى – هذه الأضواء . ال مال ٢ / ٣٩٥ .١٣٠ كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب الدعاءفى صلاة الليل وقيامه ٩٧ ١ – (٧٦٧) حئثنا يحيى بن يحيى وأبو بكربن أبى شيبة ، جميغا عن هشييم ، قال أبو بكر : حدثنا هشيم ، أخبرنا أبو حرة ، عن الحسن ، عن سعد بن هشام ، عن عائشة ؛ قالت : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إف! قام من الليل ليصلى ، افتتح صلاته بركعتين خفيفتين .." (١)

---

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم – للقاضي عياض، ٧٥/٣

"موصولة، أي: بالذي شئت من أنواع الكفاية إما بإهلاكهم أو بغيره (فرجف) بفتح أوليه الراء فالجيم: أي تحرك واضطرب (بهم الجبل) فسقطوا أي: بسبب اضطرابه: وفيه نصر من توكل على الله سبحانه وانتصر به وخرج عن حول نفسه وقواها (وجاء) الغلام (يمشي إلى الملك) ليريه آية الله تعالى بنصر أهل دينه لينكشف عن قلبه حجب **الغواية** فيرجع إلى الإيمان (فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله تعالى) وحاق سوء فعلهم بهم (فدفعه إلى نفر) آخرين (من أصحابه، فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور) في النهاية هي السفينة العظيمة وجمعها قراقير (وتوسطوا به البحر) أي: ليبعد الغور فيتعذر الخلاص (فإن رجع عن دينه) فاتركوه (وإلا) أي: وإلا يرجع عنه (فاقذفوه) بكسر الذال المعجمة، أي: ارموه بقوة (فذهبوا به حتى بلغوا وسط البحر (فقال) الغلام (اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة) أي: انقلبت بهم (فغرقوا) يحتمل أنه كان معهم في القرقور فنجاته دونهم آية وهذا هو الأقرب/ ويحتمل أنه كان في قرقور آخر فغرق قرقورهم ونجا ما كان هو فيه (وجاء) الغلام (يمشي إلى الملك) ليريه الآيات الكبرى المرة بعد الأخرى ليبصر ضياء الإيمان، ولكن لا تبصر أعين العميان (فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، فقال) الغلام (للملك: إنك لست بقاتلي) أي: في أي حال من الأحوال كما يقتضيه تأكيد النفي بزيادة الباء في الخبر (حتى تفعل) أي: إلا في حال أن تفعل (ما آمرك به، قال) الملك (ما هو) أي: أي شيء الأمر الذي تأمرني به (قال أن تجمع الناس في صعيد واحد) أي: أرض واحدة ومقام واحد (وتصلبني) بضم اللام من الصلب وهو تعليق الإنسان للقتل، وقيل: شد صلبه على خشبة، كذا في «مفردات الراغب» (على جذع) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة: أي عود من أعواد النخل وجمعه جذوع (ثم خذ سهما من كنانتي) بكسر الكاف وبنونين بينهما ألف: بيت السهام (ثم ضع السهم في كبد) بفتح." (١)

"﴿قل إن كان آباؤكم﴾ (التوبة: ٢٤) إلى أن قال: ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾ ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله: ﴿فتربصوا﴾ قال المصنف: إنما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل. وفيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية. وأما قوله للذي خطب فقال: «ومن يعصهما، فقال: بئس خطيب القوم أنت» فليس من هذا، لأن المراد في الخطب الإيضاح، وأما هنا فالمراد الإيجاز في اللفظ ليحفظ، وثم أجوبة أخرى قال الحافظ في «الفتح»: من محاسنها أن تثنية الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر المجموع المركب من الجهتين لا كل واحدة منهما فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى، وأما أمر الخطيب

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٩٤/١

بالإفراد فلان كلا من العصيان مستقل باستلزام **الغواية** إذ العطف في تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير إليه قوله تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ (النساء:٥٩) فأعاد أطيعوا في الرسول دون أولي الأمر لأنهم لا استقلال في الطاعات كاستقلال الرسول اهـ. ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي (وأن يحب المرء لا يحبه إلا) قال يحيى بن معاذ: حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء (وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه) الإنقاذ أعم من العصمة منه ابتداء بأن يولد على الفطرة ويستمر، أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان كما وقع لكثير من الصحابة، وعلى الأول فيحمل قوله يعود على معنى الصيرورة بخلاف الثاني فإن العود فيه على ظاهره، وعدى العود بفي دون إلى لتضمنه معنى الاستقرار كأنه قيل ويستقر فيه، ومثله قوله تعالى: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها﴾ (الأعراف:٨٩) (كما يكره أن يقذف في النار) الكاف في محل المفعول المطلق واستدل به على فضل من أكره على الكفر فصبر وترك التقية حتى قتل. قال الحافظ: وأخرجه البخاري في الأدب في فضل الحب في الله بلفظ «وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر." [١]

"غنم : قد تكرر فيه ذكر ﴿ الغنيمة، والغنم، والمغنم، والغنائم ﴾ وهو ما أصيب من أموال أهل الحرب، وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب. يقال: غنمت أغنم غنما وغنيمة، والغنائم جمعها، والمغانم: جمع مغنم، والغنم بالضم الاسم، وبالفتح المصدر. والغانم: آخذ الغنيمة. والجمع: الغانمون. ويقال: فلان يتغنم الأمر: أي يحرص عليه كما يحرص على الغنيمة. ومنه الحديث ﴿ الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة ﴾ إنما سماه غنيمة لما فيه من الأجر والثواب. ومنه الحديث ﴿ الرهن لمن رهنه، له غنمه وعليه غرمه ﴾ غنمه: زيادته ونماؤه وفاضل قيمته. وفيه ﴿ السكينة في أهل الغنم ﴾ قيل: أراد بهم أهل اليمن، لأن أكثرهم أهل غنم، بخلاف مضر وربيعة؛ لأنهم أصحاب إبل. وفي حديث عمر ﴿ أعطوا من الصدقة من أبقت له السنة غنما، ولا تعطوها من أبقت له غنمين ﴾ أي أعطوا من أبقت له قطعة واحدة لا يفرق مثلها لقلتها، فتكون قطيعين، ورا تعطوا من أبقت له غنما كثيرة يجعل مثلها قطيعين. وأراد بالسنة الجدبغنن : في حديث أبي هريرة ﴿ أن رجلا أتى على واد مغن ﴾ يقال: أغن الوادي فهو مغن: أي كثرت أصوات ذبانه، جعل الوصف له وهو للذباب. وفي قصيد كعب: إلا أغن غضيض الطرف مكحول الأغن من الغزلان وغيرها: الذي في صوته غنة. ومنه الحديث ﴿كان في الحسين غنة حسنة ﴾غهب : في حديث عطاء ﴿ أنه سئل عن رجل أصاب صيدا غهبا، فقال: عليه الجزاء ﴾ الغهب بالتحريك: أن يصيب غفلة من غير تعمد. يقال: غهب

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٧٢/٤

عن الشيء يغهب غهبا إذا غفل عنه ونسيه. والغيهب: الظلام. وليل غيهب: أي مظلم. ومنه حديث قس ﴿ أرقب الكوكب وأرمق الغيهب ﴾ . ٣باب الغين مع الياءغوا : فيه ﴿ من يطع الله ورسوله فقد رشد. ومن يعصهما فقد غوى ﴾ يقال: غوى يغوي غيا وغواية فهو غاو: أي ضل. والغي: الضلال والانهماك في الباطل. ومنه حديث الإسراء ﴿ لو أخذت الخمر غوت (في ا: ﴿ لغوت ﴾) أمتك ﴾ أي ضلت. ومنه الحديث ﴿ سيكون عليكم أئمة إن أطعتموهم غويتم ﴾ أي إن أطاعوهم فيما يأمرونهم به من الظلم والمعاصي غووا وضلوا. وقد كثر ذكر ﴿ الغي والغواية ﴾ في الحديث. وفي حديث موسى وآدم عليهما السلام ﴿ لأغويت الناس ﴾ أي خيبتهم. يقال: غوى الرجل إذا خاب، وأغواه غيره. وفي حديث مقتل عثمان ﴿ فتغاووا والله عليه حتى قتلوه ﴾ أي تجمعوا وتعاونوا. وأصله من الغواية، والتغاوي: التعاون في الشر. ويقال بالعين المهملة. ومنه حديث المسلم قاتل المشرك الذي كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ فتغاوى المشركون عليه حتى قتلوه ﴾ ويروى بالعين المهملة، وقد تقدم، إلا أن الهروي ذكر مقتل عثمان في الغين المعجمة، والآخر في العين المهملة. وفي حديث عمر ﴿ إن قريشا تريد أن تكون مغويات لمال الله ﴾ قال أبو عبيد: هكذا روي. والذي تكلمت به العرب ﴿ مغويات ﴾ بفتح الواو وتشديدها، واحدتها: مغواة، وهي حفرة كالزبية تحفر للذئب، ويجعل فيها جدي إذا نظر إليه سقط عليه يريده. ومنه قيل لكل مهلكة: مغواة. ومعنى الحديث أنها تريد أن تكون مصائد للمال ومهالك، كتلك المغويات. ٣باب الغين مع الهاءغوث : في حديث هاجر أم إسماعيل ﴿ فهل عندك غواث ﴾ الغواث بالفتح كالغياث بالكسر، من الإغاثة: الإعانة، وقد أغاثه يغيثه. وقد روي بالضم والكسر، وهما أكثر ما يجيء في الأصوات، كالنباح والنداء، والفتح فيها شاذ. ومنه الحديث ﴿ اللهم أغثنا ﴾ بالهمزة من الإغاثة. ويقال فيه: غاثه يغيثه، وهو قليل، وإنما هو من الغيث لا من الإغاثة. ومنه الحديث ﴿ فادع (في ا: ﴿ فادعوا ﴾) الله يغيثنا ﴾ بفتح الياء، يقال: غاث الله البلاد يغيثها: إذا أرسل عليها المطر، وقد تكرر في الحديث. وفي حديث توبة كعب ﴿ فخرجت قريش مغوثين لعيرهم ﴾ أي مغيثين، فجاء به على الأصل ولم يعله، كاستحوذ واستنوق. ولو روي ﴿ مغوثين ﴾ بالتشدبد من غوث بمعنى أغاث لكان وجها." (١)

"نور : في أسماء الله تعالى ﴿ النور ﴾ هو الذي يبصر بنوره ذو العماية، ويرشد بهداه ذو الغواية. وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور. فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا. وفي حديث أبي ذر ﴿ قال له ابن شقيق: لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أسأله: هل رأيت ربك؟ فقال: قد سألته،

---

(١) جامع غريب الحديث، ١٦٠/٢

فقال: نور أنى أراه؟ ﴾ أي هو نور كيف أراه (انظر النووي على مسلم (باب ما جاء في رؤية الله عز وجل، من كتاب الإيمان) ١٢/٣) سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: ما زلت (في اللسان: ﴿ ما رأيت ﴾) منكرا له، وما أدري ما وجهه وقال ابن خزيمة: في القلب من صحة هذا الخبر شيء، فإن ابن شقيق لم يكن يثبت أبا ذر. وقال بعض أهل العلم: النور جسم وعرض، والباري جل وعز ليس بجسم ولا عرض، وإنما المراد أن حجابه النور. وكذا روي في حديث أبي موسى. والمعنى: كيف أراه وحجابه النور: أي إن النور يمنع من رؤيته. وفي حديث الدعاء ﴿ اللهم اجعل في قلبي نورا ﴾ وباقي أعضائه (انظر صحيح مسلم (باب الدعاء في صلاة الليل، من كتاب صلاة المسافرين وقصرها) ص ٥٣٠) أراد ضياء الحق وبيانه، كأنه قال: اللهم استعمل هذه الأعضاء مني في الحق، واجعل تصرفي وتقلبي فيها على سبيل الصواب والخير. وفي صفته صلى الله عليه وسلم ﴿ أنور المتجرد ﴾ أي نير لون الجسم. يقال للحسن المشرق اللون: أنور، وهو أفعل من النور. يقال: نار فهو نير، وأنار فهو منير. وفي حديث مواقيت الصلاة ﴿ أنه نور بالفجر ﴾ أي صلاها وقد استنار الأفق كثيرا. وفي حديث علي ﴿ نائرات الأحكام، ومنيرات الإسلام ﴾ النائرات: الواضحات البينات، والمنيرات كذلك. فالأولى من نار، والثانية من أنار وأنار لازم ومتعد. ومنه الحديث ﴿ فرض عمر للجد ثم أنارها زيد بن ثابت ﴾ أي أوضحها وبينها. وفيه ﴿ لا تستضيئوا بنار المشركين ﴾ أراد بالنار ها هنا (هذا شرح ابن الأعرابي، كما ذكر الهروي) الرأي: أي لا تشاوروهم. فجعل الرأي مثلا للضوء عند الحيرة. وفيه ﴿ أنا بريء من كل مسلم مع مشرك، قيل: لم يا رسول الله؟ قال: لا تراأى نارهما ﴾ أي لا تجتمعان بحيث تكون نار أحدهما مقابل نار الآخر. وقيل: هو من سمة الإبل بالنار. وقد تقدم مشروحا في حرف الراء. ومنه حديث صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ﴿ قال: وما ناراهما في الهروي، والفائق ١٣٣/٣ : ﴿ وما نارهما ﴾؟ ﴾ أي ما سمتهما التي وسمتا بها، يعني ناقتيه الضالتين، فسميت السمة نارا لأنها تكوا بالنار، والسمة: العلامة. وفيه ﴿ الناس شركاء في ثلاثة: الماء والكلأ والنار ﴾ أراد: ليس لصاحب النار أن يمنع من أراد أن يستضيء منها أو يقتبس. وقيل: أراد بالنار الحجارة التي توري النار: أي لا يمنع أحد أن يأخذ منها. وفي حديث الإزار ﴿ وما كان أسفل من ذلك فهو في النار ﴾ معناه أن ما دون الكعبين من قدم صاحب الإزار المسبل في النار، عقوبة له على فعله. وقيل: معناه أن صنيعه ذلك وفعله في النار: أي أنه معدود محسوب من أفعال أهل النار. وفيه ﴿ أنه قال لعشرة أنفس فيهم سمرة: آخركم يموت في النار ﴾ فكان سمرة آخر العشرة موتا . قيل: إن سمرة أصابه كزاز شديد، فكان لا يكاد يدفأ، فأمر بقدر عظيمة فملئت ماء، وأوقد تحتها، واتخذ فوقها مجلسا، وكان يصعد إليه بخارها

فيدفئه، فبينا هو كذلك خسفت به فحصل في النار، فذلك الذي قال له. والله أعلم. وفي حديث أبي هريرة ﴿ العجماء جبار، والنار حبار ﴾ قل: هي النار يوقدها الرجل في ملكه، فتطيرها الريح إلى مال غيره فيحترق ولا يملك ردها، فتكون هدرا. وقيل: الحديث غلط فيه عبد الرزاق، وقد تابعه عبد الملك الصنعاني. وقيل: هو تصحيف ﴿ البئر ﴾ فإن أهل اليمن يميلون النار فتنكسر النون فسمعه بعضهم على الإمالة فكتبه بالياء فقرأوه مصحفا بالباء. والبئر هي التي يحفرها الرجل في ملكه أو في موات، فيقع فيها إنسان فيهلك، فهو هدر. قال الخطابي: لم أزل أسمع أصحاب الحديث يقولون: غلط فيه عبد الرزاق حتى وجدته لأبي داود (انظر سنن أبي داود (باب في الدابة تنفح برجلها، من كتاب الديات) ١٦٧/٢) من طريق أخرى.." (١)

" ١٠٢ – (اتخذوا) ندبا وارشادا (هذه الحمام) كسحاب ما عب وهدر أي شرب الماء بلا مص وصوت يقع على الذكر والأنثى ودخول الهاء لإفادة الوحدة لا للتأنيث قال ابن العماد : ويقع على الذي يألف البيوت واليمام والقماري وساق حر والفاختة والقطا والورشان والعصفور والفتح والحجل والدراج (المقاصيص) جمع مقصوصة أي مقطوعة ريش الأجنحة لئلا تطير . يقال : قصصت الشعر أي قطعته وقصصته بالتثقيل مبالغة (في بيوتكم) بضم الباء وتكسر أي أماكن سكنكم (فإنها تلهي) من لها يلهو لعب (الجن عن) عبثهم بنحو (صبيانكم) وأذاهم قيل وللأحمر في ذلك مزيد خصوصية [ص ١١٢] ولعل وجهه أن الجن تحب من الألوان الحمرة كما ورد في خبر فإذا كان الحمام باللون المحبوب لهم كانوا أكثر إقبالا على اللهو به والإشتغال به عن العبث بالأطفال قال في القاموس : ومجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والجمود والثبات ومن فوائد اتخاذ الحمام أنه يطرد الوحشة فقد أخرج الخطيب في التاريخ عن ابن عباس قال : شكا رجل إلى النبي صلى الله عليه و سلم الوحشة فقال : اتخذ زوج حمام يؤنسك في الليل لكن فيه محمد بن زياد كذاب وأخرج ابن السني عن معاذ أن عليا شكا إلى النبي صلى الله عليه و سلم الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام ويذكر الله تعالى عند هديره وأشار المصطفى صلى الله عليه و سلم بقوله المقاصيص إلى عدم اتخاذ غيرها فإنه يجر إلى اللعب به بالتطير أو المسابقة وذلك مكروه بل ترد الشهادة بإدامته وفيه جواز حبس الطير في القفص مع القيام بمؤنته قال في شرح المقاصد : والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة ويظهر منها أحوال عجيبة والشياطين أجسام نارية شأنها إلقاء الناس في الفساد **والغواية** انتهى . والظاهر أن المراد هنا كل منهما كما يدل عليه السياق (الشيرازي) أبو

---

(١) جامع غريب الحديث، ٤٣٠/٢

بكر أحمد بن عبدان الملقب بالباز الأبيض منسوب إلى شيراز بكسر المعجمة فمثناة تحتية وآخره زاي : قصبة بلاد فارس ودار الملك خرج منها جماعة من أهل التصوف والفقه والحديث منهم هذا الحافظ (في)كتاب (الألقاب) أي ألقاب الرواة

(خط) في ترجمة محمد بن زياد اليشكري (فر عن ابن عباس) قضبته أن مخرجه الخطيب خرجه ساكتا عليه والأمر بخلافه فإنه عقبه بنقله عن أحمد وابن معين وغيرهما أن محمد بن زياد كان كذابا يضع الحديث انتهى . وقال ابن حجر : فيه محمد بن زياد اليشكري كذبوه وفي الميزان كذاب وضاع ثم أورد له هذا الخبر يروي الموضوعات عن الأثبات ومن ثم حكم ابن الجوزي بوضعه وتبعه المؤلف في مختصر الموضوعات ساكتا عليه وحكاه عنه في الكبير وأقره فكان ينبغي حذفه من هذا الكتاب وفاء بشرطه وممن جزم بوضعه ابن عراق والهندي وغيرهما وما في الأدب المفرد للبخاري عن الحسن سمعت عثمان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام فلا دلالة فيه على وضع هذا الحديث ولا عدمه كما وهم ." (١)

" ٣٩١ – (إذا أراد الله بقوم خيرا) قال بقوم ولم يقل بالناس لأن هذا العالم لا يكمل نظامه إلا بوجود الشر فيه ومن جملته إمارة السفهاء وحكم الجهلاء فلا تخلو الأرض من ذلك فإذا أراد بأهل قطر مخصوص خيرا عمل بهم ما ذكره بقوله (ولى عليهم حلمائهم) جمع حليم والحلم بالكسر الأناة والتثبت (وقضى) أي حكم (بينهم علماؤهم) أي صير الحكم بينهم إلى العلماء بأن يلهم الإمام البحث عمن فيه الأهلية ويؤثره بالولاية على أهل الجهل **والغواية** (وجعل المال في سمحائهم) أي كرمائهم جمع سميح وهو الجيد الكريم وذلك ليخرج أحدهم الزكاة بطيب نفس ويقوم بما تقتضيه مكارم الأخلاق من مواساة ذوي الضرورات والحاجات ويتساهل في المعاملات وذلك من علامة رضا الله عن الناس وقد أخرج ابن عساكر عن قتادة قال موسى عليه الصلاة و السلام يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فما علامة غضبك من رضاك قال إذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة رضاي وإذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم (وإذا أراد الله بقوم شرا ولى عليهم سفهاءهم) أي أخفهم أحلاما وأعظمهم طيشا وخفة وهذا إشارة إلى التحذير من إمارة السفهاء ومن فعلهم وما يترتب عليه من الظلم والكذب وما يؤدي إلى طيشهم وخفتهم من سفك الدماء والفساد في الأرض (وقضى بينهم جهالهم) بالأحكام الشرعية (وجعل المال في بخلائهم) الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ولا يقرون الضيف ولا

---

(١) فيض القدير، ١/١١١

يعطون في النائبة وإصلاح ذات البين مع القدرة ونحو ذلك ولو ولى عليهم سفهاءهم وجعل المال في سمحائهم أو عكسه لم يدل على خير ولا شر فيما يظهر

(فر) وكذا ابن لال وعنه خرجه الديلمي فكان الأولى عزوه إليه لأنه الأصل (عن مهران) قال في الفردوس أظنه مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال في مسنده وله صحبة انتهى وإسناده جيد ولم يرمز له بشيء ." (١)

" ٤٧٧ - (إذا أكل أحدكم) أي أراد أن يأكل ويحتمل جعله على ظاهره (طعاما) غير لبن (فليقل) ندبا (اللهم بارك لنا فيه) من البركة وهي زيادة الخير ودوامه (وأبدلنا) بفتح الهمزة (خيرا) اسم تفضيل وأصله أخير فلا يراد أنها ليست على وزن أفعل (منه) من طعام الجنة أو أعم فيشمل خير الدارين ويؤيده أن النكرة في سياق الدعاء تعم وإن كانت للإثبات (وإذا شرب) أي تناول (لبنا) ولو غير حليب وعبر بالشرب لأنه الغالب (فليقل) ندبا (اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) ولا يقل خيرا منه لأنه ليس في الأطعمة خير منه (فإنه ليس بشيء يجزئ) بضم أوله أي يكفي يقال جزأت الإبل بالرطب عن الماء اكتفت (من الطعام والشراب إلا اللبن) يعني لا يكفي في دفع العطش والجوع معا شيء واحد إلا هو لأنه وإن كان بسيطا في الحس لكنه مركب من أصل الخلقة تركيبا طبيعيا من جواهر ثلاث جبنية وسمنية ومائية فالجبنية باردة رطبة مغذية للبدن والسمنية معتدلة في الحرارة والرطوبة ملائمة للبدن الإنساني الصحيح كثيرة المنافع والمائية حارة رطبة مطلقة للطبيعة مرطبة للبدن فلذلك لا يجزئ من الطعام غيره وهو أفضل من العسل على ما عليه السبكي وألف فيه لكن عكس بعضهم وجمع ابن رسلان بأن الأفضل من جهة التغذي والري اللبن والعسل أفضل من حيث جموم المنافع والحلاوة وقضية الحديث أيضا أن اللبن أفضل من اللحم ويعارضه الخبر الآتي أفضل طعام أهل الدنيا والآخرة اللحم (٢) سيأتي في خبر اللبن فطرة قال القرطبي يعني بها فطرة [ص ٢٩٧] دين الإسلام كما قال تعالى ﴿ فطرة الله ﴾ الآية ثم قال ﴿ ذلك الدين القيم ﴾ وقد جعل الله ذلك لجبريل علامة على هداية هذه الأمة لأن اللبن أول ما يتغذى به الإنسان وهو قوت خلي عن المفاسد به قوام الأجساد ولذلك آثره المصطفى صلى الله عليه و سلم على الخمر ليلة الإسراء ودين الإسلام كذلك بل هو أول ما أخذ على بني آدم وهو كالذر ثم هو قوت الأرواح به قوامها

(١) فيض القدير، ٢٦٢/١

(٢) تنبيه

الأبدي وصار اللبن عبارة مطابقة لمعنى دين الإسلام من جميع جهاته فكان العدول عنه إلى الخمر لو وقع علامة على الغواية وقد أعاذ الله تعالى نبيه من ذلك طبعا وشرعا

(حم د ت) وقال حسن (هـ هب عن ابن عباس) رضي الله عنه قال كنت عند ميمونة فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه خالد فجاؤوا بضبين مشويين فتبزق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال خالد : أخالك تقذره فقال : أجل ثم أتى بلبن فذكره وظاهر صنيع المؤلف رحمه الله أن ما ذكر جميعه هو لفظ الحديث والأمر بخلافه فقد ذكر الصدر المناوي عن الخطابي أن قوله فإنه إلى آخره من قول مسدد لا من تتمة الحديث ." (١)

" ٣٤١٥ - (ثلاث) نكرة هي صفة لمحذوف ومن ثم وقعت مبتدأة أي خصال ثلاث والخبر قوله (من كن) أي حصلن (فيه وجد) أصاب (حلاوة الإيمان) أي التلذذ بالطاعة وتحمل المشقة في رضى الله ورسوله وإيثار ذلك على عرض الدنيا وهذا استعارة بالكناية ثم شبه الإيمان بنحو العسل للجهة الجامعة وهو الالتذاذ فأطلق المشبه وأضاف إليه ما هو من خصائص المشبه به ولوازمه وهو الحلاوة على جهة التخييل وادعى بعض الصوفية أنها حلاوة حسية لأن القلب السليم من أمراض الغفلة والهوى يجد طعم الإيمان كذوق الفم طعم العسل يمكن كون الجملة الشرطية صفة لثلاث فيكون الخبر ثم إن هذه الثلاثة لا توجد إلا (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) وأن مصدرية خبر مبتدأ محذوف أي أول الثلاثة كون الله ورسوله في محبته إياهما أكثر محبة من محبة سواهما من نفس وأهل ومال وكل شيء قال النووي : وعبر بما دون من لعمومها وجمعه بين اسم الله ورسوله في ضمير لا ينافيه إنكاره على الخطيب ومن يعصهما لأن المراد في الخطب الإيضاح لا الرمز وهنا إيجاز اللفظ ليحفظ وأولى منه قول البيضاوي ثنى الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها لاغية وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعارا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية إذ العطف في تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم اه . وهنا أجوبة أخرى لا ترتضى ومحبة العبد ربه تنقسم باعتبار سببها والباعث عليها إلى قسمين أحدهما ينشأ عن مشاهدة الإحسان ومطالعة الآلاء والنظر في النعم فإن القلوب جبلت على حب المحسن إليها [ص ٢٨٧] ولا إحسان أعظم من إحسان الرب تقدس وهذا القسم يدخل فيه كل أحد والثاني يتعلق بالخواص وهي محبة الجلال والجمال ولا شيء أكمل ولا أجمل منه فلا يجد كماله ولا يوصف جلاله ولا ينعت جماله وأسباب محبة رسول الله صلى

(١) فيض القدير، ١/٢٩٦

الله عليه و سلم كثيرة منها أنه أنقذنا به من النار وأوجب لنا باتباعه الفلاح الأبدي والنعيم السرمدي (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) أي لا يحبه لغرض إلا لغرض رضى الله حتى تكون محبته لأبويه لكونه سبحانه أمر بالإحسان إليهما ومحبته لولده لكونه ينفعه في الدعاء الصالح له وهكذا (وأن يكره أن يعود في الكفر) أي يصير إليه واستعمال العود بمعنى الصيرورة غير عزيز (بعد إذ انقذه الله منه) أي نحاه منه بالإسلام (كما يكره أن يلقى في النار) لثبوت إيمانه وتمكنه في جنانه بحيث انشرح صدره والتذ به وفيه تنبيه على الكفر كالنار وإشارة إلى التحلي بالفضائل وهو حب الله ورسوله وحب الخلق والتخلي عن الرذائل وهو كراهة الكفر وما يلزمه من النقائص وهو بالحقيقة لازم للأول إذ إرادة الكمال تستلزم كراهة النقصان فهو تصريح باللازم قال البيضاوي : جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان المحصل لتلك اللذة لأنه لا يتم إيمان عبد حتى يتمكن في نفسه أن المنعم والقادر على الإطلاق هو الله وما مانح ولا مانع سواه وما عداه وسائط وأن الرسول هو العطوف الحقيقي الساعي في إصلاح شأنه وإعلاء مكانه وذلك يقتضي أن يتوجه بشراشره نحوه ولا يحب ما يحبه إلا لكونه وسطا بينه وبينه وإن تيقن أن جملة ما وعد به وأوعد حق فيتيقن أن الموعود كالواقع وقال البيضاوي : المراد بالحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل فالمرء لا يؤمن إلا إذا تيقن أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل والعقل يقتضي ترجح جانبه وكماله بأن يمون نفسه بحيث يصير هواه تبعا لعقله ويلتذ به التذاذا عقليا إذ اللذة إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك وليس بين هذه واللذة الحسية نسبة يعتل بها والشارع عبر عن هذه الخلة بالحلاوة لأنها أظهر من اللذات المحسوسة فيحسب مجالس الذكر رياض الجنة وأكل مال اليتيم أكل النار والعود إلى الكفر إلقاء في النار

(حم ق) في الإيمان (ت ن هـ عن أنس) بن مالك رضي الله تعالى عنه قال النووي رحمه الله تعالى : هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام ." (١)

" ٣٩٢٨ - (خلق الله آدم على صورته) أي على صورة آدم التي كان عليها من مبدأ فطرته إلى موته لم تتفاوت قامته ولم تتغير هيئته بخلاف بنيه فإن كلا منهم يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما وأعصابا عارية ثم مكسوة لحما ثم حيوانا مجننا لا يأكل ولا يشرب ثم يكون مولودا رضيعا ثم طفلا مترعرعا ثم مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا أو خلقه على صورة حال يختص به لا يشاركه أنواع أخر من المخلوقات فإنه يوصف مرة بالعلم وأخرى بالجهل وتارة **بالغواية** والعصيان وطورا بالهداية والاستغفار ولحظة يقرن

---

(١) فيض القدير، ٢٨٦/٣

بالشيطان في استحقاق اسم العصيان والإخراج من الجنان ولحظة يتسم بسمة الاجتباء ويتوج بتاج الخلافة والاصطفاء وبرهة يستعمل بتدبير الأرضين وساعة يصعد بروحه إلى عليين وطورا يشارك البهائم في مطعمه ومنكحه وطورا يسابق الكروبيين في ذكره وفكره وتسبيحه وتهليله وقيل الضمير لله تعالى بقرينه رواية خلق آدم على صورة الرحمن (١) والمعنى خلق آدم على صورة اجتباها وجعلها من جميع مخلوقاته إذ ما من موجود إلا وله مثال في صورته ولذلك قيل الإنسان عالم صغير . [١]قال ابن عربي : لما وصل الوقت المعين في علمه تعالى لإيجاد هذا الخليفة الذي يهدي الله المملكة بوجوده وذلك بعد أن مضى من عمر الدنيا سبعة عشر ألف سنة أمر بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كل أجناس تربة الأرض فأتاه بها فأخذها سبحانه وخمرها بيده حتى تغير ريحها وهو المسنون وهو ذلك الجزء الهوائي الذي في الإنسان وجعل جسده محلا للأشقياء والسعداء من ذريته وجمع في طينته الأضداد بحكم المجاورة وأنشأه على الحركة المستقيمة وذلك في دولة السنبلة وجعله ذا جهات ست فوق وهو ما يلي رأسه وتحت وهو ما يلي رجليه ويمين وهو ما يلي جانبه الأقوى وشمال وهو ما يلي جانبه الأضعف وأمام وهو ما يلي الوجه وخلف وهو ما يلي الفضاء وصوره وعدله وسواه ثم نفخ فيه روحه المضاف إليه فسرى في أجزائه أربعة أركان الأخلاط إذ كانت الصفراء عن الركن الناري والسوداء عن التراب والدم عن الهواء وهو قوله مسنون والبلغم من الماء الذي عجن به التراب فصار طينا ثم أحدث فيه القوة الجاذبة التي بها تجذب الأغذية ثم الماسكة وبها يمسك الحيوان ما يتغذى به ثم الهاضمة وبها يهضم الغذاء ثم الدافعة وبها يهضم الفضلات عن نفسه من عرق وبخار

[ص ٤٤٦] وريح وبراز وأما سريان الأبخرة وتقسم الدم في العروق وفي الكبد فبالقوة الجاذبة لا الدافعة ثم أحدث فيه القوة الغاذية والمنمية والحاسة والخيالية والوهمية والحافظة والذاكرة وهذا كله في الإنسان بما هو حيوان لا بما هو إنسان فقط إلا أن هذه القوى الأربع قوة الخيال والوهم والحفظ والذكر في الإنسان أقوى ثم خصت بالقوة المصورة المفكرة والعاقلة وجعل هذه القوى آلات للنفس الناطقة ليصل بها إلى جميع منافعها وجعله دارا لهذه القوى فتبارك الله أحسن الخالقين ثم ما سمى نفسه باسم من الأسماء إلا وجعل للإنسان من التخلق به حظا منه يظهر به في العالم على قدر ما يليق به ولذلك تأول بعضهم قوله في الخبر خلق الله آدم على صورته على هذا المعنى والحديث خرج مخرج الزجر والتهويل لوروده عقب قوله لا تقولوا قبح الله وجهك فإن الله خلق آدم على صورته أي صورة هذا الوجه المقبح ذكره

---

(١) تنبيه

القاضي . (وطوله ستون ذراعا) بذراع نفسه أو بالذراع المتعارف يومئذ للمخاطبين أو بالذراع المعروف عندنا ورجح الأول بأن حسن الخلق يقتضي اعتدال الأعضاء وتناسبها ومن قصرت ذراعه عن ربع قامته أو طالت خرج عن الاعتدال ومن قامته ستون ذراعا بذراع نفسه فذراعه سدس من عشر قامته فيخرج عن الاعتدال وزاد أحمد في روايته بعد ما ذكر في سبعة أذرع عرضا ولم ينتقل أطوارا كذريته (ثم قال له اذهب فسلم على أولئك النفر) فيه إشعار بأنهم كانوا على بعد ولا حجة فيه لمن أوجب ابتداء السلام لأنها واقعة حال لا عموم لها (وهم نفر من الملائكة جلوس) قال ابن حجر : لم أقف على تعيينهم (فاستمع) في رواية فاسمع (ما يحيونك) بمهملة من التحية وفي رواية بجيم من الجواب (فإنها تحيتك وتحية ذريتك) من جهة الشرع أو أراد بالذرية بعضهم وهم المسلمون (فذهب فقال السلام عليكم) يحتمل أنه تعالى علمه كيفية ذلك نصا وكونه فهمه من قوله له سلم وكونه ألهمه ذلك (فقالوا السلام عليك ورحمة الله) وهذا أول مشروعية السلام وتخصيصه لأنه فتح باب المودة وتأليف لقلوب الأخوان المؤدي إلى استكمال الإيمان كما في خبر مسلم : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم واستأنس بهذا من أجاز حذف الواو في الرد ووجهه أن المسلم عليه مأمور بمثل تحية المسلم عدلا وأحسن منها فضلا فإذا رد بالمثل أتى بالعدل (فزادوه) الضمير لآدم والزيادة تتعدى إلى مفعولين ومفعوله الثاني قوله (ورحمة الله) وفيه مشروعية زيادة الرد واتفقوا على وجوب الرد لأن السلام الآمان فإذا ابتدأ به المسلم فلم يحيه أوهم الشر قال القرطبي : وقد دل هذا الخبر على تأكد السلام وأنه من الشرائع القديمة الذي كلف بها آدم ثم لم تنسخ في شريعة اه لكن في خبر ما حسدتكم اليهود إلخ يدل على أنه من خصوصياتنا (فكل من يدخل الجنة) من بني آدم يدخلها وهو (على صورة آدم) أي على صفته في الحسن والجمال والطول ولا يدخلها على صورة نفسه من نحو سواد وعاهة وهو يدل على عفة البعض من نحو سواد ينتفي عند دخولها (في طوله ستون ذراعا) بذراع نفسه أو بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين أو بذراع الشرع المعروف الآن على ما تقرر فيما قبله وروى ابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعا يدخل أهل الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين اه وقال ابن حجر : وروى عبد الرزاق أن آدم لما هبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فحطه الله إلى ستين ذراعا فظاهره أنه كان مفرط الطول في ابتداء فطرته وظاهر هذا الحديث أنه خلق ابتداء على طول ستين ذراعا وهو المعتمد (فلم تزل الخلق تنقص بعده) في الجمال والطول (حتى الآن) فانتهى التناقص إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك فإذا دخل الجنة عادوا إلى ما كان آدم عليه

من الكمال والجمال وامتداد القامة وحسن الهامة وفي مثير الغرام في زيارة القدس والشام أن آدم كان أمرد وإنما حدثت اللحية لولده وكان أجمل البرية

[١] قال السمهودي ما ذكر من الصفات من طول آدم وغيره ثابت لكل من دخل الجنة كما [ص ٤٤٧] تقرر فيشمل من مات صغيرا بل جاء ما يقتضي ثبوت جميع ذلك للسقط فروى البيهقي بسند حسن عن المقداد ما من أحد يموت سقطا ولا هرما وأنحاء الناس فيما بين ذلك إلا بعث ابن ثلاث وثلاثين فإن كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب أيوب ومن كان من أهل النار عظم كالجبال والآن بالنصب ظرف يعني حتى وصل النقصان إلى الوقت الذي ذكر النبي صلى الله عليه و سلم فيه الحديث قيل هذا مقدم في الترتيب على قوله فكل من يدخل الجنة إلخ [٢] قال ابن حجر : يشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السابقة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب المار وعهدهم قديم والزمن الذي بينهم وبين آدم دون ما بينهم وبين أولاد هذه الأمة ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال

(حم ق عن أبي هريرة) ورواه عنه الطبراني وغيره

---

(١) والمراد بالصورة الصفة والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء ." [٣]

"وتعالى. والضمير البارز ثابت في يهده ، وأما في يضلله فغير موجود في أكثر نسخ المشكاة ، وهو عمل بالجائزين ، والأول أصل وفيه وصل والثاني فرع وفيه فصل ، قاله القاري. وهذا الكلام وإن كان خبرا وبيانا للواقع وإثباتا لتفرد الله تعالى بالهداية والإضلال ، لكنه في الحقيقة طلب وسؤال من الله للهداية والحفظ من الضلالة. والمعنى : لا هادي ولا مضل غيرك ، فوفقني للهداية واحفظني من الضلالة ، واعصمني من **الغواية** ، فإنك على كل شيء قدير. (وأشهد أن لا إله إلا الله)الخ ، أتبع الحمد بالشهادتين في الخطبة عملا بما روي عن أبي هريرة مرفوعا : ((كل خطبة ليس فيها شهادة كاليد الجذماء)) أخرجه أحمد وأبوداود في الأدب والترمذي في النكاح وحسنه. وأورد صيغة الجمع في الحمد والاستعانة والاستغفار والتعوذ نظرا

---

(١) تنبيه

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير، ٣/٤٤٥

إلى كثرة الآلاء والتقصيرات والذنوب وكشف الصفات. وأفرد الضمير في مقام التوحيد لأنه إثبات القدم وإسقاط الحدوث ومحل مشاهدة وحدة الذات وسقوط ما سوى الله ، فأشار أولا إلى التفرقة ، وثانيا إلى الجمع ، قال القاري : وقد يقال : إن الأفعال المتقدمة أمور ظاهرية يحكم بوجودها على الغير أيضا بخلاف الشهادة فإنه أمر قلبي غيبي لا يعلم بحقيقته إلا هو - انتهى. يعني أن الشهادة خبر قاطع مطابق للواقع ، فلم يكن للمصنف أن يحكم به بالجزم إلا على نفسه بخلاف الحمد وأخواته ، والله أعلم. (شهادة) مفعول مطلق موصوف بقوله (تكون) الخ ، والشهادة التي تكون سببا للخلاص من العذاب وكفيلة لرفع الدرجات في الجنان إنما هي التي تكون بالصدق والإخلاص ومواطأة القلب وموافقة الظاهر والباطن مع الاستقامة عليها ؛ لقوله عز وجل : "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ... "الآية [٤١ : ٣٠] ، وقال القاري : والمعنى : أن الشهادة إذا تكررت وأنتجت ارتكاب الأعمال الصالحة واجتناب الأفعال." (١)

"رضي الله ربا...))الخ ، وذلك أنه لا تصح محبة الله ورسوله حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله وكراهة الرجوع في الكفر إلا لمن قوي الإيمان في نفسه ، وانشرح له صدره ، وخالط لحمه ودمه ، هذا هو الذي وجد حلاوته ، قال : والحب في الله من ثمرات حب الله (من كان) لا بد من تقدير مضاف قبله ؛ لأنه على الوجه الأول إما بدل أو بيان أو خبر لمبتدأ محذوف هو "هي" أو "هن" ، أو "إحداها" وعلى الثاني خبر ، أي محبة من كان (الله ورسوله) برفعهما (أحب إليه) بالنصب على أنه خبر كان (مما سواهما) من نفس وأهل ومال وكل شيء ، ولم يقل ممن سواهما ليعم من يعقل ومن لا يعقل ، ومحبة العبد ربه بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك محبة الرسول ، وثنى الضمير في سواهما مع أنه رد على الخطيب قوله ((ومن يعصهما فقد غوى)) فقال : ((بئس الخطيب أنت)) إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما ، فإنها وحدها ضائعة لاغية ، وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعارا بأن كل واحد من المعطوفين مستقل باستلزام الغواية ، إذ العطف في تقدير التكرير ، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ، وله أجوبة أخرى ذكرها الحافظ في الفتح (ومن أحب) أيعبدا لا يحبه إلا لله ، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)) متفق عليه.٩- (٨) وعن العباس بن عبدالمطلب قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : ـــــــــ." (٢)

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ١/١١

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ١/١٧٤

"المعد للكيل ، والقضاء بمنزلة الكيل. وفي قول عمر لأبي عبيدة : "أفر من قضاء الله إلى قدر الله" تنبيه على أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله ، فإذا قضى فلا مدفع له ، ويشهد لذلك قوله تعالى : "وكان أمرا مقضيا " [١٩ : ٢١] ، "وكان على ربك حتما مقضيا " [١٩ : ٧١] تنبيها على أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه. وقال الغزالي في المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى : ههنا ثلاثة أشياء ، الحكم والقضاء والقدر. ثم بين الفرق بينها بالتفصيل فارجع إليه. والإيمان بالقدر هو أن يعتقد أن كل ما يوجد في العالم من الخير والشر والضر والنفع حتى إن أفعال العباد من الإيمان والكفر والطاعة والعصيان والغواية والرشد بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته وخلقه وتأثيره ، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة ووعد عليهما الثواب ، ولا يرضى الكفر والمعصية وأوعد عليهما العقاب. قال أهل السنة : إن الله تعالى قدر الأشياء أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها ، ثم أوجد منها ما سبق في عمله ، فلا محدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه وقدرته وإرادته دون خلقه ، وإن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة وإن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله وبقدرة الله وإلهامه"الفصل الأول "٧٩- (١) عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال وكان عرشه على الماء)) ، رواه مسلم.٨٠- (٢) وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : ((كل شيء بقدر حتى العجز والكيس ، ـــــــــ." (١)

"خلق على حالة لا ينفك عن الظلمة إلا من أصابه النور الملقي عليه ، لكن يتوهم الإشكال في تطبيقه بحديث الفطرة الذي يدل على أن المولود عند الولادة يكون على نور الفطرة ، ولا إشكال ؛ لأن حديث الفطرة كما حقق إنما يدل على كون الإنسان متهيئا متمكنا من إصابة الهدى إن تفكر بالنظر الصحيح وتأمل في الآيات والشواهد ، ومع ذلك خلق في ظلمات النفس والطبيعة ، وهذا الحديث إنما يدل على أن إصابة الهدى إنما هو مشيئة الله وتوفيقه وإلقاء نور الهداية في قلبه ، وليس مستقلا مستبدا بإصابة الهدى ، فمن شاء وفقه للنظر الصحيح وألقى نور الهداية كما هو مقتضى الفطرة والروحانية ، ومن لم يشأ لم يوفقه وأوقعه في ظلمة الضلال والغواية ، كما هو مقتضى النفس والطبيعة الجسمانية ، وبالجملة هذا الحديث تنبيه على سابقة التقدير وعلم الله ومشيئته تعالى ، والفطرة كما نبهنا هنالك غير سابقة التقدير فلا تنافي بين الحديثين- انتهى . (ومن أخطأه) أي ذلك النور يعني جاوزه ولم يصل إليه (ضل) أي خرج

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ١/٤٠٠

عن طريق الحق. (فلذلك) أي فلأجل عدم تغير ما جرى في الأزل تقديره من الإيمان والكفر والطاعة والمعصية. (أقول جف القلم) أي فرغت الكتابة ، إشارة إلى أن الذي كتب وقدر لا يتغير حكمه ، فهو كناية عن الفراغ من الكتابة ؛ لأن الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها وكذلك القلم ، فإذا انتهت الكتابة جف الكتابة والقلم. (على علم الله) أ ي على حكمه ؛ لأن معلومه لا بد أن يقع ، فعلمه بمعلوم يستلزم الحكم بوقوعه. وقال القاري : أي على ما علم الله وحكم به في الأزل لا يتغير ولا يتبدل وجفاف القلم عبارة عنه. (رواه أحمد) (ج٢ : ص١٩٧ ، ١٧٦) ، (والترمذي) في أواخر الإيمان ، وقال : "حديث حسن" ، وأخرجه أيضا ابن حبان وصححه والحاكم مطولا وقال : "صحيح على شرط الشيخين" ، وابن جرير والبيهقي.." (١)

"هو الذي مات عليه النبي ﷺ من غير أن يكون له ناسخ ؛ لأنهم كانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمره (تمسكوا بها) أي بالسنة (وعضوا) بفتح العين (عليها) أي على السنة (بالنواجذ) بالذال المعجمة ، وهي الأضراس جمع ناجذة أراد به الجد في لزوم السنة ، كفعل من أمسك الشيء بين أضراسه ، وعض عليه منعا من أن ينتزع ، أو الصبر على ما يصيب من التعب في ذات الله كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه ولا يرد أن يظهره. (وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة) فيه تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة ، وأكد ذلك بقوله : (وكل بدعة ضلالة) والمراد بالبدعة ما أحدث في الدين ما لا أصل له في الشريعة يدل عليه ، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة. وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية ، فمن ذلك قول عمر – رضي الله عنه – لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد ، وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال : نعمت البدعة هذه. فالبدع الشرعية كلها مذمومة ؛ لأنها موجبة للضلال **والغواية** ، وارجع إلى الاعتصام (ج١ : ص١٤٧ ، ١٦٧) وشرع الأربعين لابن رجب (ص١٨٥-١٩٣) (رواه أحمد) (ج٤ : ص١٢٦ ، ١٢٧) (وأبوداود) في السنةوالترمذي ، وابن ماجه ، إلا أنهما لم يذكرا الصلاة.١٦٦- (٢٧) وعن عبدالله بن مسعود قال : ((خط لنا رسول الله ﷺ خطا ، ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، وقال : هذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه. وقرأ "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه " الآية)).رواه أحمد ، والنسائي ،

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٤٦٩/١

والدارمي.____

____

______". (١)

"٧٥٥- قوله : (إذا دخل المسجد) أي : أراد دخوله عند وصول بابه (العظيم) ذاتا وصفة (وسلطانه) أي غلبته وقدرته (القديم) أي : الأزلي الأبدي (من الشيطان) مأخوذ من شطن أي : بعد ، أي : المبعد من رحمة الله تعالى (الرجيم) فعيل بمعنى مفعول أي : المطرود من باب الله تعالى ، أو المشتوم بلعنة الله. والظاهر أنه خبر معناه الدعاء يعني أللهم احفظني من وسوسته وإغوائه ، وخطراته ، وإضلاله ، فإنه السبب في الضلالة ، والباعث على **الغواية** والجهالة ، وإلا ففي الحقيقة إن الله هو الهادي المضل ، ويحتمل أن يكون التعوذ من صفاته وأخلاقه من الحسد ، والعجب والكبر والغرور والإباء والإغواء (قال) أي : رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ (فإذا قال) أي : المؤمن (ذلك) أي : القول المذكور (قال الشيطان حفظ) أي : قائل هذا القول (مني سائر اليوم) أي : بقيته أو جميعه ويقاس عليه الليل ، أو يراد باليوم مطلق الوقت فيشمله ، قال ابن حجر المكي : إن أريد حفظه من جنس الشياطين تعين حمله على حفظه من كل شيء مخصوص كأكبر الكبائر ، أو من إبليس اللعين فقط ، بقى الحفظ على عمومه ، وما يقع منه من إغواء جنوده. وإنما ذكرت ذلك لأنا نرى ونعلم من يقول ذلك ، ويقع في كثير من الذنوب ، فتعين حمل الحديث على ما ذكرته- انتهى. قال القاري : وفيه أن الظاهر أن لام الشيطان للعهد والمراد منه قرينة المؤكل على إغوائه ، وبه يرتفع أصل الإشكال ، والله أعلم (رواه أبوداود) وسكت عليه هو والمنذري.٧٥٦- (٦٣) وعن عطاء بن يسار ، قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : ((اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) رواه مالك مرسلا.٧٥٧- (٦٤) وعن معاذ بن جبل ، قال : ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يستحب الصلاة في الحيطان)).." (٢)

"الوجود (الغني) أي المستغني عن كل شيء لا يحتاج إلى أحد في شيء وكل أحد يحتاج إليه وهذا هو الغني المطلق ولا يشارك الله فيه غيره (المغني) أي الذي يغني من يشاء من عباده عن غيره يعطي من يشاء ما يشاء (المانع) الدافع لأسباب الهلاك والنقص. وقال الجزري : هو الناصر الذي يمنع أولياءه أن يؤذيهم أحد. وقيل : يمنع من يريد من خلقه ما يريد ويعطيه ما يريد (الضار) أي الذي يضر من يشاء من

______

(١) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٦٢٥/١

(٢) مشكاة المصابيح مع شرح مرعاة المفاتيح، ٩٤١/٢

خلقه حيث هو خالق الأشياء كلها خيرها وشرها ونفعها وضرها (النافع) أي الذي يوصل النفع إلى من يشاء من خلقه حيث هو خالق النفع والضر والخير والشر (النور) هو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بهداه ذو **الغواية** فيصل إلى تمام الهداية. وقيل هو الظاهر الذي به كل ظهور فالظاهر بنفسه المظهر لغيره يسمى نورا (الهادي) أي الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد منه في بقاءه ودوام وجوده (البديع) أي الخالق المخترع لا عن مثال سابق ، فعيل بمعنى مفعل يقال أبدع فهو مبدع (الباقي) أي الدائم الوجود الذي لا يقبل الفناء (الوارث) أي الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فناءهم (الرشيد) أي الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلهم عليها فعيل بمعنى مفعل. وقيل : هو الذي تنساق تدابيره إلى غاياتها على سنن السداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد (الصبور) أي الذي لا يعاجل العصاة بالمؤاخذة والانتقام منهم بل يؤخر ذلك إلى أجل مسمى فمعنى الصبور في صفة الله تعالى قريب من معنى الحليم. والفرق بينهما أن العصاة لا يأمنون العقوبة في صفة الصبور كما يأمنونها في صفة الحليم هذا ، ومن أراد استقصاء معاني الأسماء الحسنى فعليه أن يرجع إلى المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للغزالي وأشعة اللمعات للشيخ عبد الحق الدهلوي (رواه الترمذي." (١)

"""""" صفحة رقم ١٤٠ """"""ذر والقابسي غواث بالضم وكلاهما صحيح وعند بعضهم غواث بالكسر وهو صحيح أيضا قال ابن قتيبة يفتح ويضم قال الفراء يقال أجاب الله غواثه وغواثه ولم يأت في الأصوات إلا الضم إلا غواثا وقد جاء مكسورا نحو النداء والغناء وقوله فادع الله يغيثنا بضم الثاء كذا لابن الحذاء ولرواة البخاري في كتاب الاستسقاء أي ادعه بأن يغيثنا وجواب الأمر محذوف يدل عليه الكلام أي يجبك أو يحيى الناس ونحوه كقوله في الرواية الأخرى ادع الله أن يسقينا وعند أكثرهم يغثنا على الجواب ومنهم من ضم الياء من الإغاثة ومنهم من فتحها من الغيث والغوث معا وكذلك يجوز في اللفظ الأول وقوله اللهم أغثنا كذا الرواية وهي من الإغاثة والغوث وهي الإجابة لا من الغيث أي تداركنا من عندك بغوث يقال من ذلك غاثه الله وأغاثه والرباعي اللغة العالية وقال ابن دريد الأصل غاثه يغوثه غوثا فأميت واستعمل أغاثه يغيثه ومن فتح الياء فمن الغيث يقال غيثت الأرض وغاثها الله بالمطر ولا يقال منه أغاث ويحتمل أن يكون اللهم أغثنا أي أعطنا غيثا كما قيل في أسقينا أي جعلنا لهم سقيا وسقينا نا ولنا هم ذلك وقيل هما لغتان وفي البارع قال أبو زيد اللهم أغثنا أي تداركنا من قبلك بغيات(غ و ر) قوله غائر العينين أي غير جاحظتين بل داخلتان في نقرتهما والعرب تسمي العظمين اللذين فيهما المقلتان الغارين وقوله أغار على

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٨٦٩/٧

بني فلان وأشرق ثبير كيما نغير أصل الإغارة الدفع على القوم لاستلاب أموالهم ونفوسهم وقول عمر عسى الغوير أبؤسا للذي أتاه بمنبوذ مثل ضربه لأنه اتهمه أن يكون صاحبه فضرب له هذا المثل أي عسى أن يكون باطن أمرك رديا وللمثل قصة مع الزباء وقصير مذكورة والغوير ماء لكلب سلكه قصير وقيل بل هو في غير هذه القصة وأنه تصغير غار كان فيه ناس فانهار عليهم أو أتاهم فيه عدو قتلهم فصار مثلا لكل ما يخاف أن يأتى منه شر وقيل الغوير طريق قوم من العرب يغيرون منه فكان غيرهم يتواصون بحراسته ليلا يأتيهم منه بأس وقيل هو نفق في حصن الزباء وقال الحربي معنى الغوير هنا الفرج وهو الغار مصغرا أراد عساك قاربت بفرجك باسا وأنت صاحبه فهو من سبب غويرك وهو فرجك وقد تقدم في الباء وجه نصب أبؤسا في العربية(غ و ط) قوله انا في غائط مضبة الغائط المنخفض من الأرض وبه سمي الحدث لأنهم كانوا يقصدونه بذلك يستترون به والمضبة ذات الضباب الكثيرة وقد ذكرناه والخلاف فيه في حرف الحاء وفي حرف الضاد(غ و ل) قوله ولا غول بضم الغين جاء في الحديث تفسيرها الغول التي تغوك بفتح التاء والغين يريد تتلون في صور مثل الغيلان سحرة الجن وكانت العرب تقول إن الغيلان تتراءى للناس فتتغول تغولا أي تتلون لهم وتضلهم عن الطريق وتهلكهم فأبطل النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا الشأن(غ و غ أ) قوله غوغاء الجراد ممدود، قيل هو الجراد نفسه وقيل هو صغارها وإضافته إلى الجراد يصحح هذا وهو إذا ظهرت أجنحته واستقل وماج بعضه في بعض يشبه به سفلة الناس وقال أبو عبيدة هو شيء يشبه البعوض إلا أنه لا يعض(غ وى) قوله غوت أمتك ومن يعصهما فقد غوى وأغويت الناس كله من الغي وهو الانهماك في الشر يقال منه غوى يغوي غيا وغوايةوأما قوله تعالى في آدم فغوى فمعناه جهل وقيل أخطأ وقد قال في الآية الأخرى فنسى.فصل الاختلاف والوهمقوله بينا النبي (صلى الله عليه وسلم)." (١)

"الله آل عمران والأمر بالإفراد هنالك للإشعار بأن كلا من العصيانين مستقل باستلزام الغواية فإن العطف يفيد تكرير العامل واستقلاله بالحكم فهو في قوة التكرار فكأنه قال من عصى الله فقد غوى ومن عصى رسوله فقد غوى لا يقال عصيان أحدهما عصيان للآخر فلا يتصور الإنفراد لأنا نقول كذلك لكن المراد تفظيع المعصية بأنه لو فرض وجودها من رسوله وحده لكانت مستقلة بالإغواء فكيف وهي لا توجد إلا منهما وهو معنى دقيق في غاية التحقيق وفيه إيماء لطيف وإنهاء شريف إلى أن المحبة مادة الاجتماع على وجه الكمال بحيث إنه لا يحتمل المغايرة ولذا قيل أنا من أهوى ومن أهوى أنا والمخالفة موجبة للإفتراق ولذا قال هذا فراق بيني وبينك الكهف ولتلك المحبة علامات من أظهرها ما أشار إليه يحيى بن

---

(١) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ١٤٠/٢

معاذ الرازي بقوله حقيقة المحبة أن لا تزيد بالعطاء ولا تنقص بالجفاء ولا يتم هذا إلا لصديق جذبته أزمة العناية حتى أوقفته على عتبة الولاية وأحلته في رياض الشهود المطلق فرأى أن محبوبه هو الحق وما سواه باطل محقق ومن أحب أي وثانيتهما محبة من أحب عبدا أي موسوما بالعبودية لله حرا كان أو مملوكا لا يحبه أي لشيء إلا الله والإستثناء مفرغ أي لا يحبه لغرض وعرض وعوض ولا يشوب محبته حظ دنيوي ولا أمر بشري بل محبته تكون خالصة لله تعالى فيكون متصفا بالحب في الله وداخلا في المتحابين لله والجملة حال من الفاعل أو المفعول أو منهما ومن يكره أي وثالثتهما كراهة من يكره أن يعود أي يرجع أو يتحول في الكفر وقيل أن يصير بدليل تعديته بفي على حد أو لتعودن في ملتنا الأعراف فيشمل من لم يسبق له كفر أيضا ولا ينافيه قوله بعد أن أنقذه الله منه أي أخلصه ونجاه من الكفر لأن أنقذ بمعنى حفظ بالعصمة ابتداء بأن يولد على الإسلام ويستمر بهذا الوصف على الدوام أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان أو لا يشمله ولكنه مفهوم من طريق المساواة بل الأولى وفيه إيماء إلى قوله تعالى الله." (١)

"التوراة في الألواح لما سبق أن ما في اللوح المحفوظ كتب قبل ذلك بخمسين ألف سنة قبل أن أخلق على صيغة المجهول قال موسى بأربعين عاما المراد منه التحديد أو التكثير قال آدم فهل وجدت فيها أي في التوراة وقرأت وعلمت مضمون قوله تعالى وعصى آدم ربه أي بمخالفة أمره فغوى أي فخرج بالعصيان من أن يكون راشدا في فعله وليس المراد أن لفظه بهذا التركيب بل معناه بالعبرية قال ابن حجر وهذا منه في غاية التواضع لله وإذعان لما جاء عن الله وله تعالى أن يخاطب عبيده ويصفهم بما يشاء إذ المعصية **والغواية** يطلقان على مطلق المخالفة ولو مع النسيان كما هنا فإن آدم لم يتعمد الأكل من الشجرة المنهي عنها بل تأول أو نسي قال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى طه ومع ذلك وصفه ربه بأنه عصى وغوى إقامة لناموس الربوبية عليه لا ليتأسى به الناس في وصفه بذلك لعصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها فلم يوصف بذلك في غير القرآن لأنه يوهم العامة وقوع معصية منه عليه الصلاة والسلام قال أي موسى نعم قال أي آدم أفتلومني أي أتجد في التوراة هذا فتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أي في الألواح أن أعمله بدل من ضمير كتبه المنصوب قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال التوربشتي ليس معنى قول آدم كتبه الله علي ألزمه إياي وأوجبه علي فلم يكن لي في تناول الشجرة كسب واختيار وإنما المعنى إن الله تعالى أثبته في أم الكتاب قبل كوني وحكم بأنه كائن لا محالة فهل يمكن أن يصدر عني خلاف علم الله تعالى فكيف تغفل عن العلم السابق وتذكر الكسب الذي هو السبب وتنسى الأصل

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١/١٨٧

الذي هو القدر وأنت ممن اصطفاك الله ومن المصطفين الذين يشاهدون سر الله من وراء الأستار وأعلم أن هذه القصة تشتمل على معان محررة لدعوى آدم عليه الصلاة والسلام مقررة لحجته منها أن هذه المحاجة لم تكن في عالم الأسباب الذي لم يجوز فيه قطع النظر عن الوسائط والإكتساب بل في عالم العلوي عند ملتقى." (١)

"ويذيقه حلاوة التحقيق حتى يسطع في قلبه أنوار القلوب ويطلع في سره شموس الوصول إلى المحبوب ومن ستر مسلما أي في قبيح يفعله فلا يفضحه أو كساه ثوبا ستره الله أي عيوبه أو عورته في الدنيا والآخرة كما تقدم وفي شرح مسلم أي ستر بدنه بالألباس أو عيوبه بعدم الغيبة له والذب عن معايبه وهذا على من ليس معروفا بالفساد وأما المعروف به فيستحب أن ترفع قصته إلى الوالي ولو رآه في معصية فينكرها بحسب القدرة وإن عجز يرفعها إلى الحاكم إذا لم يترتب عليه مفسدة قال بعض المحققين وفيه إشارة لمن وقف على شيء من مقامات أهل العرفان وكرامات ذوي الإيقان أن يحفظ سره ويكتم عن غيره أمره فإن كشف الأسرار على الأغيار يسد باب العناية ويوجب الحرمان **والغواية** من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا." (٢)

"وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان رسول الله يقول إذا دخل المسجد أي أراد دخوله عند وصول بابه أعوذ أي أعتصم والتجيء بالله العظيم أي ذاتا وصفة وبوجهه أي ذاته الكريم أي المحسن إلى عباده فضلا عن عباده وسلطانه أي غلبته وقدرته وقهره على ما أراد من خلقه القديم أي الأزلي الأبدي من الشيطان مأخوذ من شطن أي بعد يعني المبعود من رحمة الله الرجيم فعيل بمعنى مفعول أي المطرود من باب الله أو المشتوم بلعنة الله والظاهر أنه خبر معناه الدعاء يعني اللهم احفظني من وسوسته واغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله فإنه السبب في الضلالة والباعث على **الغواية** والجهالة وإلا ففي الحقيقة إن الله هو الهادي المضل ولذا قال بعض العارفين لولا أن الله أمرني بالإستعاذة منه لما تعوذت منه فإنه أحقر وأصغر ويحتمل أن يكون التعوذ من صفاته وأخلاقه من الحسد والكبر والعجب والغرور والإباء والإغواء قال أي النبي كذا في نسخة صحيحة فإذا قال ابن حجر الفاء فصيحة أي فقال النبي إذا قال أي قائل ذلك أي القول المذكور وقال الطيبي أي فقال النبي إذا قال المؤمن ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم أي بقيته أو جميعه ويقاس عليه الليل أو يراد باليوم مطلق الوقت فيشمله قال ابن حجر إن أريد حفظه

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٤٦/١

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٠٣/٢

من جنس الشياطين تعين حمله على حفظه من كل شيء مخصوص كأكبر الكبائر أو من إبليس اللعين فقط بقي الحفظ على عمومه وما يقع منه من إغواء جنوده وإنما ذكرت ذلك لأنا نرى ونعلم من يقول ذلك ويقع في كثير من الذنوب فتعين حمل الحديث على ما ذكرته وإن لم أره ا هـ وفيه أن الظاهر أن لام الشيطان للعهد والمراد منه قرينه الموكل على اغوائه وأن القائل ببركة ما ذكر من الذكر يحفظ منه في الجملة ذلك الوقت عن بعض المعاصي وتعيينه عند الله تعالى وبه يرتفع أصل الإشكال والله أعلم بالحال رواه أبو داود وعن عطاء بن يسار تابعي مشهور قال قال رسول الله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد أي لا تجعل." (١)

"اللام للإستغراق ففيه ثلاث دلالات أنت قيم السموات والأرض أي القائم بأمورهما فيعل من قام ومعناه الدائم القائم بحفظ المخلوقات قال الطيبي في النهاية في رواية قيام وفي رواية قيوم وهي من أبنية المبالغة والقيم معناه القائم بأمور الخلق ومدبرهم ومدبر جميع العالم في جميع أحواله والقيوم هو القائم بنفسه الذي يقوم به كل موجود حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به ومن غلب فيه العقلاء فيهن أي في السموات والأرض يعني العلويات والسفليات من المخلوقات ولك الحمد أنت نور السموات والأرض أي منورهما أو مظهرهما أو خالق نورهما أو المعنى أنت الذي به ظهور كل شيء وأنت الذي به استضاء الكون كله وخرج من ظلمة العدم إلى نور الوجود قال الطيبي النور هو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بهداه ذو الغواية قال التوربشتي أضاف النور إلى السموات والأرض للدلالة على سعة إشراقه وثقوب إضاءته وعلى هذا فسر الله نور السموات والأرض أي منورهما يعني أن كل شيء استنار منهما وأضاء فبقدرتك وجودك والأجرام النيرة بدائع فطرتك والعقول والحواس خلقك وعطيتك وقيل المراد أهل السموات أي يستضيئون بنوره وقد استغنينا عنه بقوله ومن فيهن وقيل معنى النور الهادي وفيه نظر لأن اضافة الهداية إلى السموات والأرض لا تكاد تستقيم إلا بالتقدير ولا وجه له ولأن من فيهن يدفعه لما يلزم من جعل المعطوف والمعطوف عليه شيئا واحدا وقد علمنا أن الله تعالى سمى نفسه النور في الكتاب والسنة ففي حديث أبي ذر أنه سأل رسول الله هل رأيت ربك قال نور أنى أراه ومن جملة أسمائه النور وسمي به لما اختص به من إشراق الجمال وسبحان العظمة والجلال اه ما نقله ميرك عن الطيبي ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن أي المتصرف فيهما تصرفا كليا ملكيا وملكيا ظاهريا وباطنيا لا نزاع في ملكه

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣/٢٤٤

ولا شريك له في ملكه ولك الحمد أنت الحق أي الثابت الوجود الحقيقي الدائم الأزلي الأبدي ووعدك الحق لا." (١)

"أنجح للمقصود وأرجح للمردود فإن الله خلق آدم على صورته أي صورة الوجه لأنه أشرف أعضائه ومعدن جماله ومنبع حواسه فلا تغيروه أو على صورة آدم أي على صورة مختصة به لم يخلق عليها غيره أو الله والإضافة للتكريم كما في بيت الله وناقة الله أي أن الله أكرم هذه الصورة لأنه خلقها بيده وأمر ملائكته بالسجود لها فأكرموها ويؤيده ما في رواية على صورة الرحمن وقيلالضمير راجع إلى المضروب هذا مجمل الكلام في هذا المقام وأما تفصيل المرام فقال الطيبي فيه أقوال الأول أن الضمير راجع إلى آدم وهو اختيار ابن الجوزي وفيه وجوه أحدها أنه خلق على صورة آدم ومعنى الإضافة وكل شيء خلق على صورة نفسه أنه خلق على صورته التي كان عليها من مبدأ فطرته إلى منقرض عمره لم تتفاوت قامته ولم تتغير هيئته بخلاف سائر الناس فإن كل واحد منهم يكون أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما وأعصابا عارية ثم عظاما وأعصابا م كسوة لحما ثم حيوانا مخبيا في الرحم لا يأكل ولا يشرب بل يتغذى من عرق كالنبات ثم يكون مولودا رضيعا ثم طفلا مترعرعا ثم مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ثانيها أنه خلق على صورة حال يختص به لا يشاركه نوع آخر من المخلوقات فإنه يوصف مرة بالعلم وأخرى بالجهل وتارة **بالغواية** والعصيان وأخرى بالهداية والاستغفار فلحظة يقرن بالشيطان في استحقاق اسم العصيان والإخراج عن الجنان ولحظة يتسم بسمة الاجتباء ويتوج بتاج الخلافة والاصطفاء وبرهة يستعمل بتدبير الأرضين وساعة يصعد بروحه إلى أعلى عليين وطورا يشارك إليها ثم في مأكله ومشربه ومنكحه وطورا يسابق الكرويين في فكره وذكره وتسبيحه وتهليله وثالثها أنه تعالى اخترعها اختراعا عظيما في خلقه إذ كل مخلوق قد تقدم أمثال له فيخلقون على صورة أمثالهم المتقدمة وأما آدم فاخترع خلقا جديدا عجيبا ملكي الروح حيواني الجسم منتصب القامة فلم يوجد على مثال له تقدم كأنه قال ارتجل صورته اختراعا لا تشبيها بمقدم ولا محاذيا." (٢)

"أحد يفارق الجماعة أي المنتظمة بنصب الإمامة شبرا أي قدرا يسيرا فيموت بالنصب على جواب النفي وفي نسخة بالرفع عطفا على يفارق أي فيموت على ذلك من غير توبة إلا مات استثناء مفرغ من أعم الأحوال ميتة بكسر الميم للهيئة والحالة وهي منصوبة على المصدرية جاهلية أي منسوبة إلى الجاهل في الدين قال الطيبي الميتة والقتلة بالكسر الحالة التي يكون عليها الإنسان من الموت أو القتل والمعنى أن

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٢١/٤

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٩٦/١١

من خرج عن طاعة الإمام وفارق جماعة الإسلام وشذ عنهم وخالف إجماعهم ومات على ذلك فمات على هيئة كان يموت عليها أهل الجاهلية لأنهم ما كانوا يرجعون إلى طاعة أمير فلا يتبعون هدى إمام بل كانوا مستنكفين عنها مستبدين في الأمور لا يجتمعون في شيء ولا يتفقون على رأي متفق عليه وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله يقول من خرج من الطاعة أي طاعة الإمام وفارق الجماعة أي جماعة الإسلام فمات أي على ذلك مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية بالألف أي علم عمية بكسر العين ويضم وبتشديد الميم المكسورة بعدها تحتية مشددة وفي القاموس العمية كغنية ويضم **الغواية** واللجاج وبالكسر والضم مشددتي الميم والياء الكبر والضلال قال النووي بكسر العين وضمها وتشديدها وتشديد الميم والياء لغتان مشهورتان وهي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه كذا قاله ابن حنبل والجمهور وفي الغريبين قال إسحاق هذا في تخارج القوم وقتل بعضهم بعضا وكان أصله من التعمية وهو التلبيس يغضب أي حال كونه يغضب لعصبية وهي الخصلة المنسوبة إلى العصبية أي لا لإعلاء الكلمة الطيبة أو يدعو أي غيره لعصبية أو ينصر أي بالفعل من الضرب والقتل عصبية تمييز أو مفعول له وهو الأظهر قال النووي معناه يقاتل بغير بصيرة وعلم تعصبا كقتال الجاهلية ولا يعرف المحق من المبطل وإنما يغضب لعصبية لا لنصرة الدين والعصبية إعانه قومه على الظلم قال الطيبي قوله تحت راية عمية كناية عن جماعة مجتمعين على أمر مجهول لا يعرف أنه حق أو باطل." (١)

"تنوين التعظيم وتخصيص يوم القيامة دون يوم آخر والحاصل أن المضاعفة إما في الكمية أو في الكيفية ومن ستر مسلما أي بدنه أو عيبه بعدم الغيبة له والذب عن معايبه وهذا بالنسبة إلى من ليس معروفا بالفساد وإلا فيستحب أن ترفع قصته إلى الوالي فإذا رآه في معصية فينكرها بحسب القدرة وإن عجز يرفعها إلى الحاكم إذا لم يترتب عليه مفسدة كذا في شرح مسلم للنووي ستره الله يوم القيامة وفي رواية ستره الله في الدنيا والآخرة وفيه إشارة خفيفة صوفية صفية إلى أن من وقف على شيء من مقامات أهل العرفان وكرامات ذوي إلا يقال إن أن يحفظ سره ويكتم أمره فإن كشف الأسرار على الأغيار يسد باب العناية ويوجب الحرمان **والغواية** من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ما عاش متفق عليه وهو مختصر من حديث طويل ذكره الإمام النووي في أربعينه مسند إلى مسلم عن أبي هريرة وقد سبق ذكره في الكتاب وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله بضم الذال المعجمة من الخذلان وهو ترك النصرة والإعانة ولا يحقره بكسر القاف وفتح أوله أي لا يحتقره بذكر

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٠٥/١١

المعايب وتنابز الألقاب والاستهزاء والسخرية إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لائق في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله التقوى ههنا وقال المظهر يعني لا يجوز تحقير المتقي من الشرك والعاصي والتقوى محله القلب وما كان محله القلب يكون مخفيا عن أعين الناس وإذا كان مخفيا فلا يجوز لأحد أن يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره ويحتمل أن يكون معناه محل التقوى هو القلب فمن كان في قلبه التقوى فلا يحقر مسلما لأن المتقي لا يحقر المسلم قال الطيبي والقول الثاني أوجه والنظم له أدعى لأنه إنما شبه المسلم بالأخ لينبه على المساواة وأن لا يرى أحد لنفسه على أحد من المسلمين فضلا ومزية ويحب له ما يحب لنفسه وتحقيره إياه مما." (١)

"كان في العالم الحسي ذا خلوص وبياض وأول ما يحصل به تربية المولود صيغ منه في العالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية بخلاف الخمر فإنها لكونها ذات مفسدة صيغ منها مثال **الغواية** وما يفسد القوة الروحانية ولهذا قيل له أما بالتخفيف للتنبيه إنك لو أخذت الخمر أي شربت أو ما شربت والمعنى لو ملت إليها أدنى الميل غوت أي ضلت أمتك أي نوعا من **الغواية** المترتبة على شربها بناء على أنه لو شربها لأحل للأمة شربها فوقعوا في ضررها وشرها ولما كان هو معصوما ما لم يقل له غويت على ما تقتضيه المقابلة وفيه إيماء إلى أن استقامة المقتدي من النبي والعالم والسلطان ونحوهم سبب لاستقامة أتباعهم لأنهم بمنزلة القلب للأعضاء متفق عليه." (٢)

"كما في نسخة إلي يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء أي في اظهار الهداية وإبطال **الغواية** كما قال تعالى وبالنجم هم يهتدون النحل بعضها أقوى من بعض أي بحسب مراتب أنوارها المقدرة لها ولكل نور أي وكذلك لكل من الأصحاب نور بقدر استعداده فمن أخذ بشيء مما هم عليه بيان شيء من اختلافهم بيان ما فهو عندي على هدى وفيه أن اختلاف الأئمة رحمة للأمة قال الطيبي المراد به الاختلاف في الفروع لا في الأصول كما يدل عليه قوله فهو عندي على هدى قال السيد جمال الدين الظاهر أن مراده الاختلاف الذي في الدين من غير اختلاف للغرض الدنيوي فلا يشكل باختلاف بعض الصحابة في الخلافة والإمارة قلت الظاهر أن اختلاف الخلافة أيضا من باب اختلاف فروع الدين الناشيء عن اجتهاد كل لا من الغرض الدنيوي الصادر عن الحظ النفسي فلا يقاس الملوك بالحدادين قال أي عمر وقال رسول الله أصحابي كالنجوم أي فاقتدوا بهم جميعهم أو بأكثرهم وإن لم يتيسر فبأيهم اقتديم

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٤٠/١٤

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٦٤/١٦

اهتديتم وكأنه أخذ من هذا بعضهم فقال من تبع عالما لقي الله سالما رواه رزين قال ابن الربيع اعلم أن حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه ابن ماجه كذا ذكره الجلال السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء ولم أجده في سنن ابن ماجه بعد البحث عنه وقد ذكره ابن حجر العسقلاني في تخريج أحاديث الرافعي في باب أدب القضاء وأطال الكلام عليه وذكر أنه ضعيف واه بل ذكر عن ابن حزم أنه موضوع باطل لكن ذكر عن البيهقي أنه قال إن حديث مسلم يؤدي بعض معناه يعني قوله النجوم أمنة للسماء الحديث قال ابن حجر صدق البيهقي وهو يؤدي صحة التشبيه للصحابة بالنجوم أما في الاقتداء فلا يظهر نعم يمكن أن يتلمح ذلك من معنى الاهتداء بالنجوم قلت الظاهر أن الاهتداء فرع الاقتداء قال وظاهر الحديث إنما هو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض الصحابة من طمس السنن وظهور البدع ونشر الجور في أقطار الأرض اه وتكلم على هذا الحديث." (١)

"ومحبتهم ومودتهم وقال الطيبي أي أحذركم الله في شأن أهل بيتي وأقول لكم اتقوا الله ولا تؤذوهم واحفظوهم فالتذكير بمعنى الوعظ يدل عليه قوله وعظ وذكر قلت وقد تقدم التغاير بينهما والحمل على التأسيس أولى أذكركم الله في أهل بيتي كرر الجملة لإفادة المبالغة ولا يبعد أن يكون أراد بأحدهما آله وبالأخرى أزواجه لما سبق من أن أهل البيت يطلق عليهما وفي رواية قال ثلاث مرات وفي رواية أي بدل أولهما كتاب الله الخ كتاب الله هو حبل الله أي ما يوصل العبد إلى ربه ويتوسل به إلى قربه والترقي من حضيض البشرية إلى أوج رفعة الملكية بالحضور في الحضرة الإلهية والغيبة عن شعور أمور الكونية وهو مقتبس من قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا آل عمران من اتبعه أي إيمانا وحفظا وعلما وعملا وإخلاصا كان على الهدى أي على الهداية الكاملة ومن تركه أي بجهة من الجهات المتعددة كان على الضلالة أي الغواية الشاملة فالقرآن كالحبل ذو وجهين يمكن أن يكون وسيلة للترقي وأن يكون ذريعة للتنزل والتدلي كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحبوبين يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا البقرة القرآن حجة لك أو عليك وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا الإسراء نفعنا الله به ورفعنا بسببه رواه مسلم وفي الذخائر فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته." (٢)

"ولعله صلى الله عليه وسلمتشرف بالإيحاء أولا، ثم انتهى الأمر إلى الرؤية، وكانت عيانا. ولذا انتقل إلى تحقيقه وتثبيته في سورة النجم. ولم يكن في الإيحاء أمر بديع في حقه، فذكره كأنه أمر مفروغ عنه.

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣١٤/١٧

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٧/١٨

وإذا نزل إلى ذكر الرؤية أكده بأنها كانت بالفؤاد والعين معا. وكانت بدون الطغيان والزيغ. وهذا على نحو ما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام: الكلام أولا ثم الرؤية ثانيا. ولكنه رآه تعالى ثم غشي عليه؟ أو لم يره وغشي قبله. فأمر يعلمه الله سبحانه، إلا أن نبينا صلى الله عليه وسلمرآه قطعا ولم يغش عليه، ولكن خر ساجدا كما كان يليق بهذا الوقت، وبقي صاحيا لم يأخذه غشي، مؤديا وظيفة العبودية، مؤدبا في حضرة الربوبية.فانظر كيف ذكر رؤيته حيث لم يجعلها مقصودة بالذكر؟ فكأنها أمر مما لا ينكر، إذ كان صلى الله عليه وسلمدعي لذلك، وإنما اهتم برفع ما يمكن أن يقع فيه من اشتباهات، فأزاحها وأكدها بما لا مزيد عليه، فنفى عنه: الضلال، **والغواية**، والنطق عن الهواء، والزيغ، والطغيان، وذكر علمه، وحال معلمه، والمباسطة بينهما، وأثبت له الرؤية بالفؤاد، والعين، وأنه قد تصادقا عليه، فما رآه البصر صدقه الفؤاد ولم يكذبه، ولا تردد فيه، وما ذاك إلا لأنها كانت رؤية بصرية يقظة. ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ (الأعراف: ١٨٥) ولكن ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ (النور: ٤٠) والله تعالى أعلم.(أنواع الوحي)." (١)

"١٥ – قوله : (حدثنا محمد بن المثنى)هو أبو موسى العنزي بفتح النون بعدها زاي ، قال حدثنا عبد الوهاب هو ابن عبد المجيد ، حدثنا أيوب هو ابن أبي تميمة السختياني بفتح السين المهملة على الصحيح وحكي ضمها وكسرها ، عن أبي قلابة بكسر القاف وبباء موحدة .قوله : (ثلاث)هو مبتدأ والجملة الخبر ، وجاز الابتداء بالنكرة لأن التنوين عوض المضاف إليه ، فالتقدير ثلاث خصال ، ويحتمل في إعرابه غير ذلك .قوله : (كن)أي : حصلن ، فهي تامة . وفي قوله " حلاوة الإيمان " استعارة تخييلية ، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه إليه ، وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه ، وكلما نقصت الصحة شيئا ما نقص ذوقه بقدر ذلك ، فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يقوي استدلال المصنف على الزيادة والنقص . قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى (مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة) فالكلمة هي كلمة الإخلاص ، والشجرة أصل الإيمان ، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي ، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير ، وثمرها عمل الطاعات ، وحلاوة الثمر جني الثمرة ، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها .قوله : (أحب إليه)منصوب لأنه خبر يكون ، قال البيضاوي : المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي

---

(١) فيض الباري شرح البخاري، ٢٦/١

العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس ، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله ، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل ، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك ، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له ، ويلتذ بذلك التذاذا عقليا ، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك . وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة . قال : وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى ، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه ، وأن ما عداه وسائط ، وأن الرسول هو الذي يبين له مراد ربه ، اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه : فلا يحب إلا ما يحب ، ولا يحب من يحب إلا من أجله . وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعد حق يقينا . ويخيل إليه الموعود كالواقع ، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة ، وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار . انتهى ملخصا . وشاهد الحديث من القرآن قوله تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم – إلى أن قال – أحب إليكم من الله ورسوله) ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله : (فتربصوا) .(فائدة) :فيه إشارة إلى التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ، فالأول من الأول والأخير من الثاني . وقال غيره : محبة الله على قسمين فرض وندب ، فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدره ، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها ، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية ، أو تستمر الغفلة فيقع . وهذا الثاني يسرع إلى الإقلاع مع الندم . وإلى الثاني يشير حديث " لا يزني الزاني وهو مؤمن " والندب أن يواظب على النوافل ويتجنب الوقوع في الشبهات ، والمتصف عموما بذلك نادر . قال : وكذلك محبة الرسول على قسمين كما تقدم ، ويزاد أن لا يتلقى شيئا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته ، ولا يسلك إلا طريقته ، ويرضى بما شرعه ، حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضاه ، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها ، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان ، وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك . وقال الشيخ محيي الدين : هذا حديث عظيم ، أصل من أصول الدين . ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات ، وتحمل المشاق في الدين ، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا ، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك الرسول . وإنما قال " مما سواهما " ولم يقل " ممن " ليعم من يعقل ومن لا يعقل . قال : وفيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية . وأما قوله للذي خطب فقال : ومن يعصهما " بئس الخطيب أنت " فليس من هذا ؛ لأن المراد في

الخطب الإيضاح ، وأما هنا فالمراد الإيجاز في اللفظ ليحفظ ، ويدل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاله في موضع آخر قال " ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه " . واعترض بأن هذا الحديث إنما ورد أيضا في حديث خطبة النكاح ، وأجيب بأن المقصود في خطبة النكاح أيضا الإيجاز فلا نقض . وثم أجوبة أخرى ، منها : دعوى الترجيح ، فيكون حيز المنع أولى لأنه عام . والآخر يحتمل الخصوصية ؛ ولأنه ناقل والآخر مبني على الأصل ؛ ولأنه قول والآخر فعل . ورد بأن احتمال التخصيص في القول أيضا حاصل بكل قول ليس فيه صيغة عموم أصلا ، ومنها دعوى أنه من الخصائص ، فيمتنع من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاقه التسوية ، بخلافه هو فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك . وإلى هذا مال ابن عبد السلام . ومنها دعوى التفرقة بوجه آخر ، وهو أن كلامه صلى الله عليه وسلم هنا جملة واحدة فلا يحسن إقامة الظاهر فيها مقام المضمر ، وكلام الذي خطب جملتان لا يكره إقامة الظاهر فيهما مقام المضمر . وتعقب هذا بأنه لا يلزم من كونه لا يكره إقامة الظاهر فيهما مقام المضمر أن يكره إقامة المضمر فيها مقام الظاهر ، فما وجه الرد على الخطيب مع أنه هو صلى الله عليه وسلم جمع كما تقدم ؟ ويجاب بأن قصة الخطيب - كما قلنا - ليس فيها صيغة عموم ، بل هي واقعة عين ، فيحتمل أن يكون في ذلك المجلس من يخشى عليه توهم التسوية كما تقدم . ومن محاسن الأجوبة في الجمع بين حديث الباب وقصة الخطيب أن تثنية الضمير هنا للإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين ، لا كل واحدة منهما ، فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى . فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ، ويشير إليه قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فأوقع متابعته مكتنفة بين قطري محبة العباد ومحبة الله تعالى للعباد . وأما أمر الخطيب بالإفراد فلأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية ، إذ العطف في تقدير التكرير ، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ، ويشير إليه قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فأعاد " أطيعوا " في الرسول ولم يعده في أولي الأمر لأنهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول . انتهى ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي . ومنها أجوبة أخرى فيها تكلم : منها أن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه ، ومنها أن له أن يجمع بخلاف غيره .قوله : (وأن يحب المرء)قال يحيى بن معاذ : حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء .قوله : (وأن يكره أن يعود في الكفر)زاد أبو نعيم في المستخرج من طريق الحسن بن سفيان عن محمد بن المثنى شيخ المصنف " بعد إذ أنقذه الله منه " ، وكذا هو في طريق أخرى للمصنف ، والإنقاذ أعم من أن يكون بالعصمة منه ابتداء بأن يولد على الإسلام ويستمر ، أو

بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان كما وقع لكثير من الصحابة ، وعلى الأول فيحمل قوله " يعود " على معنى الصيرورة ، بخلاف الثاني فإن العودة فيه على ظاهره . فإن قيل : فلم عدى العود بفي ولم يعده بإلى ؟ فالجواب أنه ضمنه معنى الاستقرار ، وكأنه قال يستقر فيه . ومثله قوله تعالى (وما يكون لنا أن نعود فيها) .(تنبيه) :هذا الإسناد كله بصريون . وأخرجه المصنف بعد ثلاثة أبواب من طريق شعبة عن قتادة عن أنس ، واستدل به على فضل من أكره على الكفر فترك البتة إلى أن قتل ، وأخرجه من هذا الوجه في الأدب في فضل الحب في الله ، ولفظه في هذه الرواية " وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه " وهي أبلغ من لفظ حديث الباب ؛ لأنه سوى فيه بين الأمرين ، وهنا جعل الوقوع في نار الدنيا أولى من الكفر الذي أنقذه الله بالخروج منه في نار الأخرى ، وكذا رواه مسلم من هذا الوجه ، وصرح النسائي في روايته والإسماعيلي بسماع قتادة له من أنس ، والله الموفق . وأخرجه النسائي من طريق طلق بن حبيب عن أنس وزاد في الخصلة الثانية ذكر البغض في الله ولفظه " وأن يحب في الله ويبغض في الله " وقد تقدم للمصنف في ترجمته " والحب في الله والبغض في الله من الإيمان " وكأنه أشار بذلك إلى هذه الرواية . والله أعلم .." (١)

"٦١٢٤ – قوله (سفيان)هو ابن عيينة .قوله (حفظناه من عمرو)يعني ابن دينار ، ووقع في مسند الحميدي عن سفيان " حدثنا عمرو بن دينار " وأخرجه أبو نعيم في المستخرج من طريق الحميدي .قوله (عن طاوس)في رواية أحمد عن سفيان عن عمرو سمع طاوسا ، وعند الإسماعيلي من طريق محمد بن منصور الخراز عن سفيان عن عمرو بن دينار " سمعت طاوسا "قوله في آخره (وقال سفيان حدثنا أبو الزناد)هو موصول عطفا على قوله : " حفظناه من عمرو " ووقع في رواية الحميدي " قال وحدثنا أبو الزناد " بإثبات الواو وهي أظهر في المراد ، وأخطأ من زعم أن هذه الطريق معلقة ، وقد أخرجها الإسماعيلي منفردة بعد أن ساق طريق طاوس عن جماعة عن سفيان فقال : " أخبرنيه القاسم – يعني ابن زكريا – حدثنا إسحاق بن حاتم العلاف حدثنا سفيان عن عمرو مثله سواء وزاد : قال وحدثني سفيان عن أبي الزناد به " قال ابن عبد البر : هذا الحديث ثابت بالاتفاق رواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أخرى من رواية الأئمة الثقات الأثبات . قلت : وقع لنا من طريق عشرة عن أبي هريرة : منهم طاوس في الصحيحين والأعرج كما ذكرته وهو عند مسلم من رواية الحارث بن أبي الذباب وعند النسائي عن عمرو بن أبي عمرو كلاهما عن الأعرج وأبو صالح السمان عند الترمذي والنسائي وابن

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٢٥/١

خزيمة كلهم من طريق الأعمش عنه والنسائي أيضا من طريق القعقاع بن حكيم عنه ، ومنهم أبو سلمة بن عبد الرحمن عند أحمد وأبي عوانة من رواية الزهري عنه وقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب وقيل عنه عن حميد بن عبد الرحمن ومن رواية أيوب بن النجار عن أبي سلمة في الصحيحين أيضا وقد تقدم في تفسير سورة طه ومن رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عند ابن خزيمة وأبي عوانة وجعفر الفريابي في القدر ومن رواية يحيى بن أبي كثير عنه عند أبي عوانة ، ومنهم حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة كما تقدم في قصة موسى من أحاديث الأنبياء ويأتي في التوحيد وأخرجه مسلم ، ومنهم محمد بن سيرين كما مضى في تفسير طه وأخرجه مسلم ، ومنهم الشعبي أخرجه أبو عوانة والنسائي ، ومنهم همام بن منبه أخرجه مسلم ، ومنهم عمار بن أبي عمار أخرجه أحمد ، ومن رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم عمر عند أبي داود وأبي عوانة وجندب بن عبد الله عند النسائي وأبو سعيد عند البزار وأخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والحارث من وجه آخر عنه ، وقد أشار إلى هذه الثلاثة الترمذي .قوله (احتج آدم وموسى)في رواية همام ومالك " تحاج "كما في الترجمة وهي أوضح ، وفي رواية أيوب ابن النجار ويحيى بن كثير " حج آدم وموسى " وعليها شرح الطيبي فقال : معنى قوله حج آدم وموسى غلبه بالحجة وقوله بعد ذلك " قال موسى أنت آدم إلخ " توضيح لذلك وتفسير لما أجمل ، وقوله في آخره " فحج آدم موسى " تقرير لما سبق وتأكيد له ، وفي رواية يزيد بن هرمز كما تقدمت الإشارة إليه " عند ربهما " وفي رواية محمد بن سيرين " التقى آدم وموسى " وفي رواية عمار والشعبي " لقي آدم موسى " وفي حديث عمر " لقي موسى آدم "كذا عند أبي عوانة ، وأما أبو داود فلفظه كما تقدم " قال موسى يا رب أرني آدم " وقد اختلف العلماء في وقت هذا اللفظ فقيل يحتمل أنه في زمان موسى فأحيا الله له آدم معجزة له فكلمه أو كشف له عن قبره فتحدثا أو أراه الله روحه كما أرى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج أرواح الأنبياء أو أراه الله له في المنام ورؤيا الأنبياء وحي ولو كان يقع في بعضها ما يقبل التعبير كما في قصة الذبيح ، أو كان ذلك بعد وفاة موسى فالتقيا في البرزخ أول ما مات موسى فالتقت أرواحهما في السماء ، وبذلك جزم ابن عبد البر والقابسي ، وقد وقع في حديث عمر لما قال موسى أنت آدم قال له من أنت قال أنا موسى وأن ذلك لم يقع بعد وإنما يقع في الآخرة : والتعبير عنه في الحديث بلفظ الماضي لتحقق وقوعه . وذكر ابن الجوزي احتمال التقائهما في البرزخ واحتمال أن يكون ذلك ضرب مثل والمعنى لو اجتمعا لقالا ذلك ، وخص موسى بالذكر لكونه أول نبي بعث بالتكاليف الشديدة ، قال : وهذا وإن احتمل لكن الأول أولى ، قال : وهذا مما يجب الإيمان به لثبوته عن خبر الصادق وإن لم يطلع على كيفية الحال ، وليس هو بأول

ما يجب علينا الإيمان به وإن لم نقف على حقيقة معناه كعذاب القبر ونعيمه ، ومتى ضاقت الحيل في كشف المشكلات لم يبق إلا التسليم . وقال ابن عبد البر مثل هذا عندي يجب فيه التسليم ولا يوقف فيه على التحقيق ؛ لأنا لم نؤت من جنس هذا العلم إلا قليلا .قوله (أنت أبونا)في رواية يحيى بن أبي كثير " أنت أبو الناس " وكذا في حديث عمر ، وفي رواية الشعبي " أنت آدم أبو البشر "قوله (خيبتنا وأخرجتنا من الجنة)في رواية حميد بن عبد الرحمن " أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة " هكذا في أحاديث الأنبياء عنه ، وفي التوحيد " أخرجت ذريتك " وفي رواية مالك " أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة " ومثله في رواية همام وكذا في رواية أبي صالح ، وفي رواية محمد بن سيرين " أشقيت " بدل " أغويت " ومعنى أغويت كنت سببا لغواية من غوى منهم ، وهو سبب بعيد ؛ إذ لو لم يقع الأكل من الشجرة لم يقع الإخراج من الجنة ، ولو لم يقع الإخراج ما تسلط عليهم الشهوات والشيطان المسبب عنهما الإغواء ، والغي ضد الرشد وهو الانهماك في غير الطاعة ، يطلق أيضا على مجرد الخطأ يقال غوى أي أخطأ صواب ما أمر به . وفي تفسير طه من رواية أبي سلمة " أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك " وعند أحمد من طريقه " أنت الذي أدخلت ذريتك النار " والقول فيه كالقول في أغويت ، وزاد همام " إلى الأرض " وكذا في رواية يزيد بن هرمز " فأهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض " وأوله عنده " أنت الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته " ومثله في رواية أبي صالح لكن قال " ونفخ فيك من روحه " ولم يقل " وأسجد لك ملائكته " ومثله في رواية محمد بن عمرو وزاد " وأسكنك جنته " ومثله في رواية محمد بن سيرين وزاد " ثم صنعت ما صنعت " وفي رواية عمرو بن أبي عمرو عن الأعرج " يا آدم خلقك الله بيده ثم نفخ فيك من روحه ثم قال لك كن فكنت ثم أمر الملائكة فسجدوا لك ثم قال لك (اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) فنهاك عن شجرة واحدة فعصيت " وزاد الفريابي " وأكلت منها " وفي رواية عكرمة بن عمار عن أبي سلمة " أنت آدم الذي خلقك الله بيده " فأعاد الضمير في قوله خلقك إلى قوله أنت والأكثر عوده إلى الموصول ، فكأنه يقول خلقه الله ، ونحو ذلك ما وقع في رواية الأكثر " أنت الذي أخرجتك خطيئتك " وفي حديث عمر بعد قوله أنت آدم " قال نعم ، قال أنت الذي نفخ الله فيك من روحه وعلمك الأسماء كلها ، أمر الملائكة فسجدوا لك ، قال نعم ، قال فلم أخرجتنا ونفسك من الجنة " وفي لفظ لأبي عوانة " فوالله لولا ما فعلت ما دخل أحد من ذريتك النار " ووقع في حديث أبي سعيد عند ابن أبي شيبة " فأهلكتنا وأغويتنا " وذكر ما شاء الله أن يذكر ، من هذا وهذا يشعر بأن جميع ما ذكر في هذه الروايات محفوظ وأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ

الآخر ، وقوله " أنت آدم " استفهام تقرير ، وإضافة الله خلق آدم إلى يده في الآية إضافة تشريف وكذا إضافة روحه إلى الله ، ومن في قوله من روحه زائدة على رأي ، والنفخ بمعنى الخلق أي خلق فيك الروح ، ومعنى قوله أخرجتنا كنت سببا لإخراجنا كما تقدم تقريره ، وقوله أغويتنا وأهلكتنا من إطلاق الكل على البعض بخلاف أخرجتنا فهو على عمومه ، ومعنى قوله أخطأت وعصيت ونحوهما فعلت خلاف ما أمرت به ، وأما قوله : خيبتنا بالخاء المعجمة ثم الموحدة من الخيبة فالمراد به الحرمان ، وقيل هي ك أغويتنا من إطلاق الكل على البعض ، والمراد من يجوز منه وقوع المعصية ، ولا مانع من حمله على عمومه والمعنى أنه لو استمر على ترك الأكل من الشجرة لم يخرج منها ولو استمر فيها لولد له فيها وكان ولده سكان الجنة على الدوام ، فلما وقع الإخراج فات أهل الطاعة من ولده استمرار الدوام في الجنة وإن كانوا إليها ينتقلون ، وفات أهل المعصية تأخر الكون في الجنة مدة الدنيا وما شاء الله من مدة العذاب في الآخرة إما مؤقتا في حق الموحدين وإما مستمرا في حق الكفار فهو حرمان نسبي .قوله (فقال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده)في رواية الأعرج " أنت موسى الذي أعطاك الله علم كل شيء واصطفاك على الناس برسالته " وفي رواية همام نحوه لكن بلفظ " اصطفاك وأعطاه " وزاد في رواية يزيد بن هرمز " وقربك نجيا وأعطاك الألواح فيها بيان كل شيء " وفي رواية ابن سيرين " اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة " وفي رواية أبي سلمة " اصطفاك الله برسالته وكلامه " ووقع في رواية الشعبي " فقال نعم " وفي حديث عمر " قال أنا موسى ، قال نبي بني إسرائيل ؟ قال نعم ، قال أنت الذي كلمك الله من وراء حجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ؟ قال نعم " .قوله (أتلومني على أمر قدر الله علي)كذا للسرخسي والمستملي بحذف المفعول وللباقين " قدره الله علي " .قوله (قبل أن يخلقني بأربعين سنة)في رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة " فكيف تلومني على أمر كتبه الله أو قدره الله علي " ولم يذكر المدة وثبت ذكرها في رواية طاوس ، وفي رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة ولفظه " فكم تجد في التوراة أنه كتب علي العمل الذي عملته قبل أن أخلق ؟ قال : بأربعين سنة . قال : فكيف تلومني عليه " وفي رواية يزيد بن هرمز نحوه وزاد " فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال نعم " وكلام ابن عبد البر قد يوهم تفرد ابن عيينة عن أبي الزناد بزيادتها لكنه بالنسبة لأبي الزناد وإلا فقد ذكر التقييد بالأربعين غير ابن عيينة كما ترى ، وفي رواية الزهري عن أبي سلمة عند أحمد " فهل وجدت فيها – يعني الألواح أو التوراة – أني أهبط " وفي رواية الشعبي أفليس تجد فيما أنزل الله عليك أنه سيخرجني منها قبل أن يدخلنيها ؟ قال بلى " وفي رواية عمار ابن أبي عمار " أنا أقدم أم الذكر ؟ قال بل الذكر " وفي رواية عمرو بن أبي

عمرو عن الأعرج " ألم تعلم أن الله قدر هذا علي قبل أن يخلقني " وفي رواية ابن سيرين " فوجدته كتب علي قبل أن يخلقني ؟ قال نعم " وفي رواية أبي صالح " فتلومني في شيء كتبه الله علي قبل خلقي " وفي حديث عمر قال " فلم تلومني على شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء " ووقع في حديث أبي سعيد الخدري " أتلومني على أمر قدره علي قبل أن يخلق السماوات والأرض " والجمع بينه وبين الرواية المقيدة بأربعين سنة حملها على ما يتعلق بالكتابة وحمل الأخرى على ما يتعلق بالعلم ، وقال ابن التين : يحتمل أن يكون المراد بالأربعين سنة ما بين قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) إلى نفخ الروح في آدم ، وأجاب غيره أن ابتداء المدة وقت الكتابة في الألواح وآخرها ابتداء خلق آدم ، وقال ابن الجوزي : المعلومات كلها قد أحاط بها علم الله القديم قبل وجود المخلوقات كلها ، ولكن كتابتها وقعت في أوقات متفاوتة ، وقد ثبت في الصحيح يعني صحيح مسلم " أن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة " فيجوز أن تكون قصة آدم بخصوصها كتبت قبل خلقه بأربعين سنة ، ويجوز أن يكون ذلك القدر مدة لبثه طينا إلى أن نفخت فيه الروح ، فقد ثبت في صحيح مسلم أن بين تصويره طينا ونفخ الروح فيه كان مدة أربعين سنة ، ولا يخالف ذلك كتابة المقادير عموما قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وقال المازري : الأظهر أن المراد أنه كتبه قبل خلق آدم بأربعين عاما ، ويحتمل أن يكون المراد أظهره للملائكة أو فعل فعلا ما أضاف إليه هذا التاريخ وإلا فمشيئة الله وتقديره قديم ، والأشبه أنه أراد بقوله " قدره الله علي قبل أن أخلق " أي كتبه في التوراة لقوله في الرواية المشار إليها قبل " فكم وجدته كتب في التوراة قبل أن أخلق " وقال النووي : المراد بتقديرها كتبه في اللوح المحفوظ أو في التوراة أو في الألواح ، ولا يجوز أن يراد أصل القدر ؛ لأنه أزلي ولم يزل الله – سبحانه تعالى – مريدا لما يقع من خلقه . وكان بعض شيوخنا يزعم أن المراد إظهار ذلك عند تصوير آدم طينا فإن آدم أقام في طينته أربعين سنة ، والمراد على هذا بخلقه نفخ الروح فيه . قلت : وقد يعكر على هذا رواية الأعمش عن أبي صالح "كتبه الله علي قبل أن يخلق السماوات والأرض " لكنه يحمل قوله فيه "كتبه الله علي " قدره أو على تعدد الكتابة لتعدد المكتوب ، والعلم عند الله تعالى .قوله (فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى ثلاثا)كذا في هذه الطرق ولم يكرر في أكثر الطرق عن أبي هريرة ، ففي رواية أيوب بن النجار كالذي هنا لكن بدون قوله " ثلاثا " وكذا لمسلم من رواية ابن سيرين ، كذا في حديث جندب عند أبي عوانة ، وثبت في حديث عمر بلفظ " فاحتجا إلى الله فحج آدم موسى ، قالها ثلاث مرات " وفي رواية عمرو بن أبي عمرو عن الأعرج " لقد حج آدم موسى ، لقد حج آدم موسى ، لقد حج آدم موسى " وفي حديث أبي سعيد عند الحارث

" فحج آدم موسى ثلاثا " وفي رواية الشعبي عند النسائي " فخصم آدم موسى ، فخصم آدم موسى واتفق الرواة والنقلة والشراح على أن آدم بالرفع وهو الفاعل ، وشذ بعض الناس فقرأه بالنصب على أنه المفعول وموسى في محل الرفع على أنه الفاعل نقله الحافظ أبو بكر بن الخاصية عن مسعود بن ناصر السجزي الحافظ قال : سمعته يقرأ " فحج آدم " بالنصب ، قال وكان قدريا . قلت : هو محجوج بالاتفاق قبله على أن آدم بالرفع على أنه الفاعل ، وقد أخرجه أحمد من رواية الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ " فحجه آدم " وهذا يرفع الإشكال فإن رواته أئمة حفاظ ، والزهري من كبار الفقهاء الحفاظ فروايته هي المعتمدة في ذلك ، ومعني حجه غلبه بالحجة ، يقال حاججت فلانا فحججته مثل خاصمته فخصمته ، قال ابن عبد البر : هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر ، وأن الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله ، قال : وليس فيه حجة للجبرية ، وإن كان في بادئ الرأي يساعدهم . وقال الخطابي في " معالم السنن " : يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وقهر العبد ويتوهم أن غلبة آدم كانت من هذا الوجه ، وليس كذلك وإنما معناه الإخبار عن إثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد وصدورها عن تقدير سابق منه ، فإن القدر اسم لما صدر عن فعل القادر ، وإذا كان كذلك فقد نفى عنهم من وراء علم الله أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور عن قصد وتعمد واختيار ، فالحجة إنما نلزمهم بها واللائمة إنما تتوجه عليها ، وجماع القول في ذلك أنهما أمران لا يبدل أحدهما عن الآخر : أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء ونقضه ، وإنما جهة حجة آدم أن الله علم منهم أنه يتناول من الشجرة فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه ، وإنما خلق للأرض وأنه لا يترك في الجنة بل ينقل منها إلى الأرض فكان تناوله من الشجرة سببا لإهباطه واستخلافه في الأرض كما قال تعالى قبل خلقه (إني جاعل في الأرض خليفة) قال فلما لامه موسى عن نفسه قال له : أتلومني على أمر قدره الله علي ؟ فاللوم عليه من قبلك ساقط عني إذ ليس لأحد أن يعير أحدا بذنب كان منه ، لأن الخلق كلهم تحت العبودية سواء ، وإنما يتجه اللوم من قبل الله – سبحانه وتعالى – إذ كان نهاه فباشر ما نهاه عنه ، قال : وقول موسى وإن كان في النفس منه شبهة وفي ظاهره تعلق لاحتجاجه بالسبب لكن تعلق آدم بالقدر أرجح فلهذا غلبه . والغلبة تقع مع المعارضة كما تقع مع البرهان انتهى ملخصا . وقال في أعلام الحديث نحوه ملخصا وزاد : ومعنى قوله " فحج آدم موسى " دفع حجته التي ألزمه اللوم بها . قال : ولم يقع من آدم إنكار لما صدر منه بل عارضه بأمر دفع به عنه اللوم . قلت : ولم يتلخص من كلامه مع تطويله في الموضعين دفع للشبهة إلا في دعواه أنه ليس للآدمي أن يلوم آخر مثله على فعل ما قدره الله عليه ،

وإنما يكون ذلك لله تعالى لأنه هو الذي أمره ونهاه . وللمعترض أن يقول : وما المانع إذا كان ذلك لله أن يباشره من تلقى عن الله من رسوله ومن تلقى عن رسله ممن أمر بالتبليغ عنهم ؟ وقال القرطبي : إنما غلبه بالحجة ؛ لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه فكان لومه له على ذلك نوع جفاء كما يقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء ، ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتى كأنه لم يكن فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذ محلا انتهى . وهو محصل ما أجاب به المازري وغيره من المحققين ، وهو المعتمد . وقد أنكر القدرية هذا الحديث لأنه صريح في إثبات القدر السابق وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم لآدم على الاحتجاج به وشهادته بأنه غلب موسى فقالوا : لا يصح لأن موسى لا يلوم على أمر قد تاب منه صاحبه ، وقد قتل هو نفسا لم يؤمر بقتلها ، ثم قال : رب اغفر لي ، فغفر له ، فكيف يلوم آدم على أمر قد غفر له ؟ ثانيها لو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذي فرغ من كتابته على العبد لا يصح هذا لكان من عوتب على معصية قد ارتكبها فيحتج بالقدر السابق ولو ساغ ذلك لانسد باب القصاص والحدود ولاحتج به كل أحد على ما يرتكبه من الفواحش ، وهذا يفضي إلى لوازم قطعية ، فدل ذلك على أن هذا الحديث لا أصل له .والجواب من أوجه :أحدها أن آدم إنما احتج بالقدر على المعصية لا المخالفة ، فإن محصل لوم موسى إنما هو على الإخراج فكأنه قال أنا لم أخرجكم وإنما أخرجكم الذي رتب الإخراج على الأكل من الشجرة والذي رتب ذلك قدره قبل أن أخلق فكيف تلومني على أمر ليس لي فيه نسبة إلا الأكل من الشجرة والإخراج المرتب عليها ليس من فعلي . قلت : وهذا الجواب لا يدفع شبهة الجبرية .ثانيها إنما حكم النبي صلى الله عليه وسلم لآدم بالحجة في معنى خاص ، وذلك لأنه لو كانت في المعنى العام لما تقدم من الله تعالى لومه بقوله (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) ولا أخذه بذلك حتى أخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض ، ولكن لما أخذ موسى في لومه وقدم قوله له أنت الذي خلقك الله بيده وأنت وأنت لم فعلت كذا ؟ عارضه آدم بقوله أنت الذي اصطفاك الله وأنت وأنت . وحاصل جوابه إذا كنت بهذه المنزلة كيف يخفى عليك أنه لا محيد من القدر ، وإنما وقعت الغلبة لآدم من وجهين :أحدهما أنه ليس لمخلوق أن يلوم مخلوقا في وقوع ما قدر عليه إلا بإذن من الله تعالى فيكون الشارع هو اللائم ، فلما أخذ موسى في لومه من غير أن يؤذن له في ذلك عارضه بالقدر فأسكته .والثاني أن الذي فعله آدم اجتمع فيه القدر والكسب ، والتوبة تمحو أثر الكسب ، وقد كان الله تاب عليه فلم يبق إلا القدر ، والقدر لا يتوجه عليه لوم لأنه فعل الله ولا يسأل عما يفعل .ثالثها قال ابن عبد البر : هذا عندي مخصوص بآدم لأن المناظرة بينهما وقعت بعد أن تاب الله على آدم قطعا كما قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب

عليه) فحسن منه أن ينكر على موسى لومه على الأكل من الشجرة لأنه كان قد تيب عليه من ذلك وإلا فلا يجوز لأحد أن يقول لمن لامه على ارتكاب معصية كما لو قتل أو زنى أو سرق : هذا سبق في علم الله وقدره علي قبل أن يخلقني فليس لك أن تلومني عليه ، فإن الأمة أجمعت على جواز لوم من وقع منه ذلك بل على استحباب ذلك كما أجمعوا على استحباب محمدة من واظب على الطاعة . قال : وقد حكى ابن وهب في كتاب القدر عن مالك عن يحيى بن سعيد أن ذلك كان من آدم بعد أن تيب عليه .رابعها إنما توجهت الحجة لآدم لأن موسى لامه بعد أن مات واللوم إنما يتوجه على المكلف ما دام في دار التكليف ، فإن الأحكام حينئذ جارية عليهم ، فيلام العاصي ويقام عليه الحد والقصاص وغير ذلك ، وأما بعد أن يموت فقد ثبت النهي عن سب الأموات " ولا تذكروا موتاكم إلا بخير " لأن مرجع أمرهم إلى الله ، وقد ثبت أنه لا يثني العقوبة على من أقيم عليه الحد ، بل ورد النهي عن التثريب على الأمة إذا زنت وأقيم عليها الحد ، وإذا كان كذلك فلوم موسى لآدم إنما وقع بعد انتقاله عن دار التكليف ، وثبت أن الله تاب عليه فسقط عنه اللوم ، فلذلك عدل إلى الاحتجاج بالقدر السابق وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه غلب موسى بالحجة . قال المازري : لما تاب الله على آدم صار ذكر ما صدر منه إنما هو كالبحث عن السبب الذي دعاه إلى ذلك ، فأخبر هو أن الأصل في ذلك القضاء السابق فلذلك غلب بالحجة .قال الداودي فيما نقله ابن التين : إنما قامت حجة آدم لأن الله خلقه ليجعله في الأرض خليفة ، فلم يحتج آدم في أكله من الشجرة بسابق العلم لأنه كان عن اختيار منه ، وإنما احتج بالقدر لخروجه لأنه لم يكن بد من ذلك . وقيل إن آدم أب وموسى ابن وليس للابن أن يلوم أباه ، حكاه القرطبي وغيره ، ومنهم من عبر عنه بأن آدم أكبر منه ، وتعقبه بأنه بعيد من معنى الحديث ، ثم هو ليس على عمومه بل يجوز للابن أن يلوم أباه في عدة مواطن . وقيل إنما غلبه لأنهما في شريعتين متغايرتين ، وتعقب بأنها دعوى لا دليل عليها ، ومن أين يعلم أنه كان في شريعة آدم أن المخالف يحتج بسابق القدر ، وفي شريعة موسى أنه لا يحتج أو أنه يتوجه له اللوم على المخالف ، وفي الجملة فأصح الأجوبة الثاني والثالث ، ولا تنافي بينهما فيمكن أن يمتزج منهما جواب واحد ، وهو أن التائب لا يلام على ما تيب عليه منه ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف . وقد سلك النووي هذا المسلك فقال : معنى كلام آدم أنك يا موسى تعلم أن هذا كتب علي قبل أن أخلق فلا بد من وقوعه ، ولو حرصت أنا والخلق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر فلا تلمني فإن اللوم على المخالفة شرعي لا عقلي ، وإذا تاب الله علي وغفر لي زال اللوم فمن لامني كان محجوجا بالشرع . فإن قيل فالعاصي اليوم لو قال هذه المعصية قدرت علي فينبغي أن يسقط عني اللوم

قلنا الفرق أن هذا العاصي باق في دار التكليف جارية عليه الأحكام من العقوبة واللوم وفي ذلك له ولغيره زجر وعظة ، فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف مستغن عن الزجر فلم يكن للومه فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل فلذلك كان الغلبة له . وقال التوربشتي : ليس معنى قوله كتبه الله علي ألزمني به وإنما معناه أثبته في أم الكتاب قبل أن يخلق آدم وحكم أن ذلك كائن . ثم إن هذه المحاجة إنما وقعت في العالم العلوي عند ملتقى الأرواح ولم تقع في عالم الأسباب ، والفرق بينهما أن عالم الأسباب لا يجوز قطع النظر فيه عن الوسائط والاكتساب ، بخلاف العالم العلوي بعد انقطاع موجب الكسب وارتفاع الأحكام التكليفية ، فلذلك احتج آدم بالقدر السابق .قلت : وهو محصل بعض الأجوبة المتقدم ذكرها ، وفيه استعمال التعريض بصيغة المدح يؤخذ ذلك من قول آدم لموسى " أنت الذي اصطفاك الله برسالته " إلى آخر ما خاطبه به ، وذلك أنه أشار بذلك إلى أنه اطلع على عذره وعرفه بالوحي فلو استحضر ذلك ما لامه مع وضوح عذره ، وأيضا ففيه إشارة إلى شيء آخر أعم من ذلك وإن كان لموسى فيه اختصاص فكأنه قال : لو لم يقع إخراجي الذي رتب على أكلي من الشجرة ما حصلت لك هذه المناقب لأني لو بقيت في الجنة واستمر نسلي فيها ما وجد من تجاهر بالكفر الشنيع بما جاهر به فرعون حتى أرسلت أنت إليه وأعطيت ما أعطيت ، فإذا كنت أنا السبب في حصول هذه الفضائل لك فكيف يسوغ لك أن تلومني .قال الطيبي مذهب الجبرية إثبات القدرة لله ونفيها عن العبد أصلا ، ومذهب المعتزلة بخلافه ، وكلاهما من الإفراط والتفريط على شفا جرف هار ، والطريق المستقيم القصد ، فلما كان سياق كلام موسى يؤول إلى الثاني بأن صدر الجملة بحرف الإنكار والتعجب وصرح باسم آدم ووصفه بالصفات التي كل واحدة منها مستقلة في علية عدم ارتكابه المخالفة ثم أسند الإهباط إليه ونفس الإهباط منزلة دون فكأنه قال : ما أبعد هذا الانحطاط من تلك المناصب العالية ، فأجاب آدم بما يقابلها بل أبلغ فصدر الجملة بهمزة الإنكار أيضا وصرح باسم موسى ووصفه بصفات كل واحدة مستقلة في علية عدم الإنكار عليه ، ثم رتب العلم الأزلي على ذلك ، ثم أتى بهمزة الإنكار بدل كلمة الاستبعاد فكأنه قال : تجد في التوراة هذا ثم تلومني قال : وفي هذا التقرير تنبيه على تحري قصد الأمور . قال وختم النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بقوله " فحج آدم موسى " تنبيها على أن بعض أمته كالمعتزلة ينكرون القدر فاهتم لذلك وبالغ في الإرشاد . قلت : ويقرب من هذا ما تقدم في كتاب الإيمان في الرد على المرجئة بحديث ابن مسعود رفعه " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " فلما كان المقام مقام الرد على المرجئة اكتفى به معرضا عما يقتضيه ظاهره من تقوية مذهب الخوارج المكفرين بالذنب اعتمادا على ما تقرر من دفعه في مكانه ، فكذلك هنا لما كان المراد به الرد على

القدرية الذين ينكرون سبق القدر اكتفى به معرضا عما يوهمه ظاهره من تقوية مذهب الجبرية لما تقرر من دفعه في مكانه والله أعلم .وفي هذا الحديث عدة من الفوائد غير ما تقدم : قال القاضي عياض ففيه حجة لأهل السنة في أن الجنة التي أخرج منها آدم هي جنة الخلد التي وعد المتقون ويدخلونها في الآخرة ، خلافا لمن قال من المعتزلة وغيرهم إنها جنة أخرى ، ومنهم من زاد على ذلك فزعم أنها كانت في الأرض ، وقد سبق الكلام على ذلك في أواخر كتاب الرقاق . وفيه إطلاق العموم وإرادة الخصوص في قوله " أعطاك علم كل شيء " والمراد به كتابه المنزل عليه وكل شيء يتعلق به ؛ وليس المراد عمومه لأنه قد أقر الخضر على قوله " وإني على علم من علم الله لا تعلمه أنت " وقد مضى واضحا في تفسير سورة الكهف . وفيه مشروعية الحجج في المناظرة لإظهار طلب الحق وإباحة التوبيخ والتعريض في أثناء الحجاج ليتوصل إلى ظهور الحجة وأن اللوم على من أيقن وعلم أشد من اللوم على من لم يحصل له ذلك . وفيه مناظرة العالم من هو أكبر منه والابن أباه ومحل مشروعية ذلك إذا كان لإظهار الحق أو الازدياد من العلم والوقوف على حقائق الأمور . وفيه حجة لأهل السنة في إثبات القدر وخلق أفعال العباد . وفيه أنه يغتفر للشخص في بعض الأحوال ما لا يغتفر في بعض كحالة الغضب والأسف وخصوصا ممن طبع على حدة الخلق وشدة الغضب ، فإن موسى عليه السلام لما غلبت عليه حالة الإنكار في المناظرة خاطب آدم مع كونه والده باسمه مجردا وخاطبه بأشياء لم يكن ليخاطب بها في غير تلك الحالة ، ومع ذلك فأقره على ذلك وعدل إلى معارضته فيما أبداه من الحجة في دفع شبهته .." (١)

" (بالله العظيم) أي ذاتا وصفة (وبوجهه) أي ذاته (وسلطانه) أي غلبته وقدرته وقهره على ما أراد من خلقه (القديم) أي الأزلي الأبدي (من الشيطان) مأخوذ من شطن أي بعد يعني المبعود من رحمة الله (الرجيم) فعيل بمعنى مفعول أي المطرود من باب الله أو المشتوم بلعنة الله والظاهر أنه خبر معناه الدعاء يعني اللهم احفظني من وسوسته وإغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله فأنه السبب في الضلالة والباعث على **الغواية** والجهالة وإلا ففي الحقيقة أن الله هو الهادي المضل (قال أقط) الهمزة للاستفهام وقط بمعنى حسب قال عقبة لحيوة أبلغك عني هذا القدر من الحديث فحسب (قلت نعم) قائل هذا حيوة (قال) أي عقبة (فإذا قال) الرجل الداخل (ذلك) الكلام (حفظ مني سائر اليوم) وهذه الجملة من بقية الحديث التي بلغك عني ومعنى حفظ مني سائر اليوم أي بقيته أو جميعه ويقاس عليه الليل أو يراد باليوم مطلق الوقت فيشمله

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤٦١/١٨

قال بن حجر المكي إن أريد حفظه من جنس الشياطين تعين حمله على حفظه من كل شيء مخصوص كأكبر الكبائر أو من إبليس اللعين فقط بقي الحفظ على عمومه وما يقع منه من إغواء جنوده وإنما ذكرت ذلك لأنا نرى ونعلم من يقول ذلك ويقع في كثير من الذنوب فتعين حمل الحديث على ما ذكرته وإن لم أره

انتهى

وفيه أن الظاهر أن لام الشيطان للعهد والمراد منه قرينة الموكل على إغوائه وإن القائل ببركة ما ذكر من الذكر يحفظ منه في الجملة ذلك الوقت عن بعض المعاصي وتعيينه عند الله تعالى وبه يرتفع أصل الإشكال والله أعلم بالحال

كذا في المرقاة

٨ -

([٤٦٧] باب ما جاء في الصلاة عند دخول المسجد)

(فليصل سجدتين) أي ركعتين (من قبل أن يجلس) تعظيما للمسجد قال الخطابي فيه من الفقه أنه إذا دخل المسجد كان عليه أن يصلي ركعتين تحية المسجد قبل أن يجلس ." [١]

" وأرسل عن أم سلمة قال العجلي ثقة صدوق وقال أبو حاتم صدوق

(قالت قراءة النبي) أي في سورة الزمر (بلى قد جاءتك) بكسر الكاف (آياتي) أي القرآن (فكذبت بها) بكسر التاء وقلت إنها ليست من الله تعالى (واستكبرت) بكسر التاء أي تكبرت عن الإيمان بها (وكنت من الكافرين) بكسر التاء كما في الموضعين الأولين على خطاب النفس

والمعنى كأنه بلى قد جاءتك آياتي وبينت لك الهداية من **الغواية** وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على **الغواية** واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فإنما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك قاله النسفي

وقال البيضاوي وتذكير الخطاب على المعنى وقرىء بالتأنيث للنفس انتهى وأخرج عبد بن حميد عن عاصم أنه قرأ بلى قد جاءتك آياتي بنصب الكاف فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين بنصب التاء فيهن كلهن انتهى

---

(١) عون المعبود، ٩٤/٢

وقال شيخ شيخنا السيد محمود الآلوسي في تفسيره روح المعاني وتذكير الخطاب في جاءتك على المعنى لأن المراد بالنفس الشخص وإن لفظها مؤنث سماعي وقرأ بن يعمر والجحدري وأبو حيوة والزعفراني وبن مقسم ومسعود بن صالح والشافعي عن بن كثير ومحمد بن عيسى في اختياره والعبسي جاءتك إلخ بكسر الكاف والتاء وهي قراءة أبي بكر الصديق وابنته عائشة رضي الله عنه وروتها أم سلمة عن النبي وقرأ الحسن والأعمش والأعرج جاءتك بالهمزة من غير مد بوزن فعتك وهو على ما قال أبو حيان مقلوب من جاءتك قدمت لام الكلمة وأخرت العين فسقطت الألف انتهى

قال المنذري قال أبو داود هذا مرسل الربيع لم يدرك أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرؤها أي في سورة الواقعة فروح أي بضم الراء قاله السيوطي والقراءة المشهورة بفتح الراء قال البغوي قرأ يعقوب بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم قال الحسن معناه يخرج روحه في الريحان وقال قتادة الروح الرحمة أي له الرحمة وقيل معناه فحياة وبقاء لهم ومن قرأ بالفتح معناه فله روح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة انتهى وريحان أي وله استراحة وقيل رزق قال في الدر المنثور أخرج أبو عبيد في فضائله وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحكيم الترمذي في النوادر والحاكم وصححه وأبو نعيم في الحلية وبن مردويه عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرأ فروح وريحان برفع الراء انتهى وفي بعض النسخ قال أبو عيسى أي الرملي أحد رواة أبي داود بلغني عن أبي داود أنه قال هذا حديث منكر انتهى قال المنذري وأخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث هارون الأعور هذا آخر كلامه وهارون الأعور هو أبو عبد الله ويقال أبو موسى هارون بن موسى المقرئ النحوي البصري وهو ممن اتفق البخاري ومسلم على الاحتجاج بحديثه انتهى

[٣٩٩٢] (قال) أحمد (بن حنبل يعني عن عطاء) أي يروي عمرو عن عطاء فكأن الأمام أحمد لم يتيقن على ذلك وشك بأن عمرا رواه عن عطاء أو غيره ولذلك صرح بقوله (لم أفهم جيدا) أي لم أفهم فهما كاملا إسناد هذا الحديث عن سفيان بأن عمرا رواه عن عطاء أو غيره ولذلك صرح بقوله لم أفهم جيدا أي لم أفهم كاملا إسناد هذا الحديث عن سفيان بأن عمرا رواه عن عطاء أو غيره لكن روى الحديث ستة من الحفاظ عن سفيان وكلهم رووه عن سفيان عن عمرو عن عطاء بلا شك

قال المزي في الأطراف حديث سمعت النبي يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك ." (١)

---

(١) عون المعبود، ١٥/١١

"(الأسئلة والأجوبة) منها ما قيل ما الحكمة في كون حلاوة الإيمان في هذه الأشياء الثلاثة وأجيب بأن هذه الأمور الثلاثة هي عنوان كمال الإيمان المحصل لتلك الذة لأنه لا يتم إيمان امرىء حتى يتمكن في نفسه أن المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ولا مانح ولا مانع سواه وما عداه تعالى وسائط ليس لها في ذاتها إضرار ولا انفاع وأن الرسول هو العطوف الساعي في صلاح شأنه وذلك يقتضي أن يتوجه بكليته نحوه ولا يحب ما يحبه إلا لكونه وسطا بينه وبينه وأن يتيقن أن جملة ما أوعد ووعد حق تيقنا يخيل إليه الموعود كالواقع والاشتغال بما يؤول إلى الشيء ملابسة به فيحسب مجالس الذكر رياض الجنة وأكل مال اليتيم أكل النار والعود إلى الكفر إلقاء في النار ومنها ما قيل لم عبر عن هذه الحالة بالحلاوة وأجيب لأنها أظهر اللذات المحسوسة وإن كان لا نسبة بين هذه اللذة واللذات الحسية ومنها ما قيل لم قيل مما سواهما ولم يقل ممن سواهما وأجيب بأن ما أعم بخلاف من فإنها للعقلاء فقط ومنها ما قيل كيف قال سواهما بإشراك الضمير بينه وبين الله عز وجل والحال أنه أنكر على من فعل ذلك وهو الخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى فقال بئس الخطيب أنت وأجيب بأن هذا ليس من هذا لأن المراد في الخطب الإيضاح وأما هنا فالمراد الإيجاز في اللفظ ليحفظ وما يدل عليه ما جاء في سنن أبي داود ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه وقال القاضي عياض وأما تثنية الضمير ههنا فللإيماء يماء على أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها ضائعة لاغية وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعارا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزامه **الغواية** إذ العطف في تقرير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم وقال الأصوليون أمر بالإفراد لأنه أشد تعظيما والمقام يقتضي ذلك ويقال إنه من الخصائص فيمتنع من غير النبي ولا يمتنع منه لأن غيره إذا جمع أوهم." (١)

"ذكر معناه قوله يصلى على كل مولود متوفى بضم الياء وتشديد اللام المفتوحة على صيغة المجهول وقوله متوفى صفة مولود قوله لغية بكسر اللام والغين المعجمة وتشديد الياء آخر الحروف مشتق من **الغواية** وهي الضلالة كفرا وغيره وأيضا يقال لولد الزنا ولد الغية ولغيره ولد الرشدة فالمراد منه وإن كان المولود لكافرة أو زانية يصلى عليه إذا مات إذا كان أبواه مسلمين أو أبوه فقط وهو معنى قوله من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام يدعي أبواه الإسلام أو أبوه خاصة يعني دون أمه قوله يدعي جملة حالية والأصل أن مذهب الزهري أنه يصلي على ولد الزنا ولا يمنع ذلك من الصلاة عليه لأنه محكوم بإسلامه تبعا لأبويه أو لأبيه خاصة إذا كانت أمه غير مسلمة قوله إذا استهل أي إذا صاح عند الولادة وهو على صيغة المجهول من الاستهلال

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١/٣٩٩

وهو الصياح عند الولادة قوله صارخا حال مؤكدة من الضمير الذي في استهل قوله سقط بكسر السين المهملة وضمها وفتحها وهو الجنين يسقط قبل تمامه قوله فإن أبا هريرة الفاء فيه للتعليل وقد قلنا أن هذه الرواية منقطعة قوله ما من مولود كلمة من زائدة ومولود مبتدأ و يولد خبره وتقديره ما من مولود يوجد على أمر إلا على الفطرة وهي في اللغة الخلقة والمراد بها هنا ما يراد في الآية الشريفة وهي الدين لأنه قد اعتورها البيان من أول الآية وهو فأقم وجهك للدين (الروم ٣٠) ومن آخرها وهو ذلك الدين القيم (الروم ٣٠) وقال الطيبي كلمة من الاستغراقية في سياق النفي التي تفيد العموم كقولك ما أحد خير منك والتقدير ما مولود يوجد على أمر من الأمور إلا على هذا الأمر والفطرة تدل على نوع منها وهو الابتداء والاختراع كالجلسة والقعدة والمعنى بها ههنا تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة والتهييء لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها لأن هذا الدين حسنه موجود في النفوس وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية والتقليد كقوله تعالى." (١)

"٦٩ - (حدثنا آدم حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال النبي لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)مطابقته للترجمة تؤخذ من قوله لا يحبه إلا لله وآدم هو ابن أبي إياس والحديث قد مر في كتاب الإيمان في باب حب رسول الله من الإيمان عن أبي اليمان وعن يعقوب بن إبراهيم وعن آدم وفي باب حلاوة الإيمان عن محمد بن المثنى وفي باب من كره أن يعود في الكفر ومضى الكلام فيه مستقصى قوله حلاوة الإيمان شبه الإيمان بالعسل بجامع ميل القلب إليهما وأسند إليه ما هو من خواص العسل فهو استعارة قوله المرء بالنصب قوله أحب إليه من أن يرجع فصل بين الأحب وكلمة من لأن في الظرف توسعة قيل المحبة أمر طبيعي لا يدخل تحت الاختيار وأجيب بأن المراد الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل رجحانه ويستدعي اختياره وإن كان خلاف الهوى كالمريض يعاف الدواء ويميل إليه باختياره قوله مما سواهما أي مما سوى الله ورسوله قال الكرماني فإن قلت فما الفرق بينه وبين ما قال لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس الخطيب أنت قلت هو أن المعتبر هو المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فإنها وحدها ضائعة بخلاف المعصية فإن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام **الغواية**." (٢)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٨/١٣

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٢٤/٣٢

"٤٢٥ ٥١٨ – وفي الحديث الثاني أن رجلا خطب فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قل ومن يعص الله ورسوله إنما أنكر عليه لأن جمع الاثنين بلفظ واحد يدل على التساوي فأراد منه الفرق لتعظيم العظيم والغواية الضلالكشف المشكل من مسند جابر بن سمرةوجملة ما روى عن رسول الله مائة حديث وستة وأربعون حديثا أخرج له منها في الصحيحين خمسة وعشرون٤٢٦ ٥١٩ – فمن المشكل في الحديث الأول إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده وأما كسرى فقد ذكرناه في المسند الذي قبل هذا وأما قيصر فقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال قيصر اسم أعجمي وهو اسم لملك الروم كما أن تبعا للعرب وكسرى للفرس والنجاشي للحبشة وقد تكلمت به العرب قديما قال امرؤ القيسبكى صاحبي لما رأى الدرب دونهوأيقن أنا لاحقان بقيصراوقال جريرإذا افتخروا عدوا الصبهبذ منهموكسرى وآل الهرمزان وقيصراوهذا الحديث يشكل على من سمع أن كسرى لما قتل ملك ولده ثم ملك بعده جماعة وكذلك قيصر والذي يزيل الإشكال أن كسرى وقيصر كانا في ملك ثابت فلما زالا تزلزل ملكهما وما زال إلى انمحاق وانقراض وما خلفهما مثلهما وهذا كما يقال للمريض هذا ميت والمعنى أنه قريب من الموت وأن أحواله تحمله إليه فإن قال قائل قدروا صحة هذا في كسرى فكيف بقيصر ومملكة الروم إلى اليوم باقية فقد أجاب عن هذا أبو الوفاء بن عقيل فقال كانت العرب بين هذين الملكين كالكرة يلعبان بهم ويحملون إليهما الهدايا فلما جاء الإسلام صارت كلمة العرب العليا فلا كسرى ولا قيصر من حيث المعنى إنما هو اسم فارغ من المعنى." (١)

"يبصر ذو العماية وبهدايته يرشد ذو الغواية قال ومنه الله نور السماوات والأرض أي منه نورهما قال ويحتمل أن يكون معناه ذو النور ولا يصح أن يكون النور صفة ذات لله سبحانه وتعالى وإنما هو صفة فعل أي هو خالقه وقال غيره معنى نور السماوات والأرض مدبر شمسها وقمرها ونحوهما أنت قيام السماوات والأرض وفي الرواية بعده قيم قال العلماء من صفاته تعالى القيام والقيم والقيوم والقائم والقوام قال بن عباس القيومالذي لا يزول وقال غيره هو القائم على كل شئ ومعناه مدبر أمر خلقه أنت رب السماوات والأرض قال العلماء ل الرب ثلاثة معان في اللغة السيد المطاع والمصلح والمالك ولكن قال بعضهم إذا كان بمعنى السيد المطاع فشرط المربوب أن يكون ممن يعقل وإليه أشار الخطابي بقوله لا يصح أن يقال سيد الجبال والشجر قال عياض هذا الشرط فاسد بل الجميع مطيع له سبحانه أنت الحق معناه المتحقق وجوده وقيل الإله ال حق دون ما يقوله الملحدون ووعدك الحق إلى آخره أي كله متحقق لا شك فيه وقيل معنى وعدك

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/٢٨٨

الحق أي صدق ومعنى ولقاؤك حق أي البعث لك أسلمت أي استسلمت وانقدت لأمرك ونهيك وبك آمنت أي صدقت بك وبكل ما أخبرت وأمرت ونهيت وإليك أنبت أي أطعت ورجعت إلى عبادتك أي أقبلت عليها وقيل معناه رجعت إليك في تدبيري أي فوضت إليك وبك خاصمت أي بما أعطيتني من البراهين والقوة خاصمت من عاند." (١)

"وقال تعالى: ﴿هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا﴾(١)(٤٤) سورة الكهف.----------------صفات أولياء الشيطان(٢)وذكر " أولياء الشيطان " فقال تعالى:﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (٩٨) إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (١٠٠)(٣)[______________(١) - وفي مثل هذه الحال من الشدائد والمحن ، تكون الموالاة ، وتكون النصرة لله وحده . وفي الشدائد يرجع الناس إلى الله تعالى ، يعلنون خضوعهم واعترافهم بربوبيته ، فهو خيرٌ من أثاب ، وخير من جازى . والأعمال التي تكون خالصة لله عز وجل ، تكون عاقبتها خيرا ورشدا لفاعليها(٢) - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشبخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بتحقيقي ص ١٣٩-١٤٣(٣) - يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين ، على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم ، إذا أرادوا قراءة القرآن .من عمل الأعمال الصالحة ، وقام بما فرض الله عليه ، وهو مؤمن بالله ، مصدق كتبه ورسله ، فإن الله تعالى يعده بأن يحييه حياة طيبة ، تصحبها القناعة بما قسم الله له ، والرضا بما قدره اللهُ وقضاه ، إذ هو يعلم أن ما حصل عليه من رزق إنما حصل له بتدبير الله تعالى وقسمته ، والله محسن كريم ، لا يفعل إلا ما فيه المصلحة ، وفي الآخرة يجزيه الله الجزء الأوفى ، ويثيبه أحسن الثواب ، جزاء ما قدم من عمل صالح ، وما تحلى به من إيمان .يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين ، على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم ، إذا أرادوا قراءة القرآن .ويخبر الله تعالى : أن الشيطان لا سلطة له ولا سلطان على المؤمنين المتوكلين على الله ، ولا يستطيع أن يحملهم على ارْتكاب ذنب لا يتوبون منه .إنما تسلطه **بالغواية** والضلالة يكون على الذين يجعلونه نصيرا فيحبونه ويطيعونه ، ويستجيبون لدعوته ، والذين هم بسبب إغوائه يشركون بربهم .." (٢)

---

(١) الديباج على مسلم، ٢/٣٧٥

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٣٠١

"الملك/٨-١٠]، فأخبر أنه كلما ألقي في النار فوج أقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه، فدل ذلك على أنه لا يلقى فيها فوج إلا من كذب النذير . وقال تعالى في خطابه لإبليس ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾(١)(٨٥) سورة ص، فأخبر أنه يملؤها بإبليس ومن اتبعه ؛ فإذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم . فعلم أنه لا يدخل النار إلا من تبع الشيطان، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا ذنب له، فإنه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنبا ،وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل .--------------اجتماع الولاية والعداوة في الشخص الواحد(٢)____________(١) - لقد أقسم الله تعالى على أنه سيملأ جهنم من إبليس وذريته ، وممن يتبع غواية الشيطان وحبائله من ذرية آدم ، فيضله الشيطان عن طريق الله القويم .(٢) - انظر كتاب أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السلفي ص ٢٣ فما بعدها." (١)

"(٢) أخرجه الترمذي ،الطب / ٢١ ما جاء في الرقى : ٣٩٩/٤-٤٠٠ رقم (٢٠٦٥) ، والقدر /١٢ ماجاء لايرد القدر الرقى ولا الدواء: ٤٥٣/٤ -٤٥٤ رقم ٢١٤٨ ، وابن ماجه ،الطب /٣١ ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء : ١١٣٧/٢ رقم (٣٤٣٧) ، وأحمد في " المسند " : ٤٢١/٣ .حرص الإسلام على أن يكون المرء المسلم نموذجا ومثالا للاستقامة والتقوى ، فخط له الطريق ، وأوضح له السبل ، وبين الله طريق الهداية والرشاد ورغب فيها ، كما بين طريق الغواية والضلال وحذر منها ورغب عنها .وأعمال المرء في حياته تتردد بين الاقتراب من طريق الهدايه (الإيمان) ، وبين طريق الغوايه والضلال (الكفر) وهذه الأعمال تتنوع إلى صغائر ولمم ، وإلى كبائر مهلكات .والصغائر تكفرها الصلاة والأعمال الصالحة ،وهي لا يكاد يخلو منها مؤمن قال تعالى : ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾(١) وقال :﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾(٢) وقال - صلى الله عليه وسلم - : " الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر " (٣) فالصغائر إذا شأنها يهون إذا اقترنت باستغفار وإحداث للطاعات ، أما الكبائر فشأنها آخر ، والكلام فيها يتفرع ، والمذاهب تتنوع .فمنها ما هو مفرط في التشديد يرى أن مرتكب الكبيرة قد فارق اسم الإيمان وانتقل إلى غيره ، ومنها ما هو مفرط متساهل يرى أن مرتكب الكبيرة مؤمن ويكفيه التصديق بالقلب : إذ

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي، ص/٣٩٢

لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعةوبينهما مذاهب .وتحصل من استقراء مذاهب الفرق في هذه المسأله بالنظر إلى الاسم والمثال ما يلي:." (١)

"والخلاصة : أنه يعسر علينا أن نحكم بتعارض العقل مع الحديث ، بل إن التسليم لهذا الأمر غير سائغ ، لأن الذي يحكم العقل قناعات صاحبه وتكوينه ، ولهذا فإن ورد علينا أن العقل قد تعارض مع حديث ، فإن اقصى ما يمكن ادعاؤه هو أن العقل فيما بدا لفلان قد تعارض مع الحديث .أما أن يتعارض العقل السليم المهتدي بهدى النقل ، مع النقل الصحيح فهذا لا يحدث ولا يكون لأن العقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح كما قرر ذلك ابن تيميه–رحمه الله–(٣).وإذا افترضنا أن العقل تعارض ظاهريا مع النقل أو الحديث فإن المنطق يقضي بعدم تقديم أحدهما على الآخر قبل الدراسه والبحث .ولكن بعض المفتونين بما يسمونه " المعقول" قد انحرفوا عن هذا السبيل ، فقدموا حكم العقل كالمعتزلة القدماء ، وبعض من سار على منهجهم من المحدثين الذين بهروا بمنهج المعتزلة فاستعاروا الفكرة منهم ، في حين إنهم لم يتعمقوا في النقل ، بل ولم يحكموا حجة العقل أيضا فأطلقوا كلمات غير مدروسة مجاراة منهم لأسلافهم .(١) انظر : عبد السلام البسيوني – العقلانية هداية أم غواية : ٥٦ دار الوفاء – المنصوره ، ط الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .(٢) المصدر السابق(٣) كما بين ذلك في " موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول " المطبوع بهامش منهاج السنه النبويه ، مكتبة الرياض الحديثه – الرياض ، وطبع كذلك باسم : " درء تعارض العقل والنقل " تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ط الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ في (١١) مجلدا .." (٢)

" تقدم ما يتعلق بهذا في مواضع عديدة

قال وخصه بالذكر إكراما وتشريفا وأنه خلقه إبداعا من غير واسطة أب وأم (ونفخ فيك من روحه) الأضافة للتشريف والتخصيص أي من الروح الذي هو مخلوق ولا يد لأحد فيه (أغويت الناس) قال الحافظ معنى أغويت كنت سببا لغواية من غوى منهم وهو سبب بعيد إذ لو لم يقع الأكل من الشجرة لم يقع الاخراج من الجنة ولو لم يقع الاخراج ما تسلط عليهم الشهوات والشيطان المسبب عنهما الاغواء والغي ضد الرشد وهو الانهماك في غير الطاعة ويطلق أيضا على مجرد الخطأ يقال غوى أي أخطأ صواب ما أمر به (وأخرجتهم من الجنة) أي خطيئتك التي صدرت منك (فقال ادم أنت موسى الذي اصطفاك

---

(١) التعارض في الحديث، ص/٨٠

(٢) التعارض في الحديث، ص/١٣١

الله بكلامه) أي اختارك بتكليمه إياك (كتبه الله علي قبل أن يخلق السماوات والأرض) أي قدره وقضاه قبل خلق السماوات والأرض وفي رواية البخاري قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة

قال الحافظ والجمع بينه (يعني الرواية التي ليست مقيدة بأربعين سنة) وبين الرواية المقيدة بأربعين سنة حملها على ما يتعلق بالكتابة وحمل الأخرى على ما يتعلق بالعلم وقال بن التين يحتمل أن يكون المراد بالأربعين سنة ما بين قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة إلى نفخ الروح في ادم وأجاب غيره أن ابتداء المدة وقت الكتابة في الألواح واخرها ابتداء خلق ادم (فحج ادم موسى) برفع ادم على أنه الفاعل أي غلبه بالحجة يقال حاججت فلانا فحججته مثل خاصمته فخصمته

قال بن عبد البر هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله فإن قيل فالعاصي منا لو قال هذه المعصية قدرها الله علي لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك وإن كان صادقا فيما قاله فالجواب أن هذا العاصي باق في دار التكليف جار عليه أحكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل وهو محتاج إلى الزجر ما لم يمت فأما ادم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة إلى الزجر فلم يكن في القول المذكور له فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل كذا في شرح مسلم للنووي

قوله (وفي الباب عن عمر وجندب) أما حديث عمر فأخرجه أبو داود وأبو عوانة وأما حديث جندب فأخرجه النسائي ." (١)

" واختلفت الروايات أيضا في مكان عرض الانية ففي رواية مسلم عن أنس ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فأخذت اللبن

وفي بعض روايات البخاري أتى رسول الله ليلة أسري به بإيلياء بإناء فيه خمر وإناء فيه لبن فنظر إليهما فأخذ اللبن

فهاتان الروايتان تدلان على أن عرض الانية كان في بيت المقدس

وفي بعض روايات البخاري المذكورة أنه كان في السماء

قال الحافظ بعد ذكر هذه الروايات وغيرها يجمع بين هذا الاختلاف إما بحمل ثم على غير بابها من الترتيب وإنما هي بمعنى الواو هنا وإما بوقوع عرض الانية مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس وسببه ما وقع له من العطش كما في حديث شداد فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش

---

(١) تحفة الأحوذي، ٢٨٢/٦

أشد ما أخذني فأتيت بإناءين أحدهما لبن والآخر عسل الخ ومرة عند وصوله إلى سدرة المنتهى ورؤية الأنهار الأربعة وأما الاختلاف في عدد الانية وما فيها فيحمل على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر ومجموعها أربعة آنية فيها أربعة أشياء من الأنهار الأربعة التي رآها نخرج من أصل سدرة المنتهى

ووقع في حديث أبي هريرة عند الطبري لما ذكر سدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل نهر إناء انتهى (هديت للفطرة أو أصبت الفطرة) شك من الراوي والأول بصيغة الخطاب مجهولا والثاني معلوما

قال القرطبي يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه والسر في ميل النبي إليه دون غيره لكونه كان مألوفا له ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة (أما) بالتخفيف حرف التنبيه (إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك) أي ضلت نوعا من الغواية المترتبة على شربها بناء على أنه لو شربها لأحل للأمة شربها فوقعوا في ضررها وشرها وفيه إيماء إلى أن استقامة المقتدي من النبي والعالم والسلطان ونحوهم سبب لاستقامة أتباعهم لأنهم بمنزلة القلب للأعضاء كذا في المرقاة

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه الشيخان

قوله (أتى بالبراق) بضم الموحدة وتخفيف الراء مشتق من البريق فقد جاء في لونه أنه ." (١)

" المغني أي الذي يغني من يشاء من عباده المانع أي الذي يمنع عن أهل طاعته ويحوطهم وينصرهم

وقيل يمنع من يريد من خلقه ما يريد ويعطيه ما يريد الضار أي الذي يضر من يشاء من خلقه حيث هو خالق الأشياء كلها خيرها وشرها ونفعها وضرها النافع أي الذي يوصل النفع إلى من يشاء من خلقه حيث هو خالق النفع والضر والخير والشر النور أي الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بهداه ذو الغواية وقيل هو الظاهر الذي به كل ظهور فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا الهادي أي الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده البديع أي الخالق المخترع لا عن مثال سابق فعيل بمعنى مفعل يقال أبدع فهو مبدع الباقي أي الدائم الوجود الذي لا يقبل الفناء الوارث أي الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائم الرشيد أي الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلهم عليها فعيل بمعنى مفعل وقبل هو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سنن السداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد الصبور أي الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو من أبنية المبالغة ومعناه

---

(١) تحفة الأحوذي، ٤٤٧/٨

قريب من معنى الحليم والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم

قوله (هذا حديث غريب) وأخرجه بن ماجة وبن حبان والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدعوات الكبير

قوله (ولا نعرفه إلا من حديث) صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث قال الحافظ ولم ينفرد به صفوان فقد أخرجه البيهقي من طريق موسى بن أيوب النصيبي وهو ثقة عن الوليد أيضا وقد اختلف في سنده على الوليد ثم ذكر الحافظ الاختلاف وبسط الكلام ها هنا (وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث) المراد بكبير شيء من الروايات أي في كثير منها واختلف العلماء في سرد الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة فمشى كثير منهم على الأول واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم لأن كثيرا من هذه الأسماء كذلك

وذهب آخرون إلى أن التعين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه ونقله عبد العزيز اليخشبي عن كثير من العلماء

قال الحاكم بعد تخريج الحديث من طريق صفوان بن صالح عن ." (١)

"و ((إيلياء)) : هي بيت المقدس ، وهو ممدود بهمزة التأنيث ، ولذلك لاينصرف . ويقال : إيليا مقصورا ، ويقال : إليا على وزن عليا ؛ ثلاث لغات .وقول جبريل ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ((الحمد لله الذى هداك للفطرة)) ؛ يعني بها : فطرة دين الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾ ، ثم قال : ﴿ ذلك الدين القيم ﴾(٢). وقيل : جعل الله ذلك علامة لجبريل على هداية هذه الأمة ؛ لأن اللبن أزل ما ينغذيه الإنسان . وهو قوت خلي عن المفاسد ، به قوام الأجسام ، ولذلك آثره النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الخمر ، كما ذكرناه في الإسراء . ودين الإسلام كذلك ، هو أول ما أخذ على بني آدم ، وهم كالذر ، ثم هو قوت الأرواح ، به قوامها ، وحياتها الأبدية ، وصار اللبن عبارة مطابقة لمعنى دين الإسلام من جميع جهاته ، والخمر على النقيض من ذلك في جميع جهاتها ، فكان العدول إليه لو كان ووقع علامة على **الغواية** . وقد أعاذ الله من ذلك نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ طبعا وشرعا . والحمد لله تعالى . ويفهم من نسبة **الغواية** إلى الخمر تحريمه ، لكن ليس بصريح ، ولذلك لم يكتف النبي ـ صلى

---

(١) تحفة الأحوذي، ٣٤٣/٩

الله عليه وسلم . بمثل ذلك في التحريم حتى قدم المدينة فشربوها زمانا ، حتى أنزل الله التحريم .ومن باب الأمر بتغطية الإناءقوله : ((غطوا الإناء ، وأوكوا السقاء)) ؛ جميع أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة الدنيوية ، كقوله تعالى : ﴿ وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾. وليس الأمر الذي قصد به الإيجاب ، وغايته أن يكون من باب الندب ، بل قد جعله كثير من الأصوليين قسما منفردا بنفسه عن الوجوب والندب .و ((إيكاء السقاء)) : شده بالخيط . وهو الوكاء ، ممدود مهموز ، ولذلك يجب أن يكون ((أوكئوا)) رباعيا مهموز اللام.و ((الفويسقة)) : الفأرة ، سميت بذلك لخروجها من جحرها للفساد .." (١)

"وقوله : "أنت آدم الذي خلقك الله بيده ") هو استفهام تقرير ، وإضافة الله خلق آدم إلى يده إضافة تشريف ، ويصخ أن يراد باليد هنا : القدرة والنعمة ، إذ كلاهما موجود في اللسان مستعمل فيه ، فأما يد الجارحة فالله منزه عن ذلك قطعا. وقوله : "ونفخ فيك من رره ،) يحتمل أن تكون (من) زائدة على المذهب الكوفي . ونفخ : بمعنى خلق ، أي : خلق فيك روحه ، فاضاف الروح إليه على جهة الملك تخصيصا وتشريفا ، كما قال : بيتي ، وعبادي . واستعار د(خلق) : نفخ ؛ لأن الروح من نوع الريح ، ويحتمل تأويلأ اخر ، رالهه بمراده أعلم ، والتسليم للمتشابهات أسلم ، وهي طريقة الشلف ، وأهل الاقتداء من الخلف . وقوله في الأم : "أنت الذي خيبتنا ، وأخرجتنا من الجئة")(١) أي : كنت سبب ذلك كله ، وقال في رواية أخرى : "أنت الذي أغويت الناس ، (٢) أي : كنت سبب غواية من غوى منهم ، والغواية ضد الرشد ، كما قال الله تعالى : !فدتبين ألزشدمن اليئ ، ألبقرة : ٢٥٦أ ، وقد يراد بها الخطا ، وعليها يحمل : ا وعصفء آدم رتبم فنوئ " أطه : ١١٢١ ، أي : أخطا صواب ما أمر به ، وهذا أحسن ما قيل في ذلك -إن شاء الله تعالى-. وقوله : "وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء ") يعني : الألواح التي قالى الله تعالى فيها : ا رمحتننا للم فى اكاتواح من ئحل ثف ، ، أالأعراف : ١١٤٥ ، وير ". (٢)

"حكم متفرقة:حق على العاقل أن يتخذ مرآتين؛ فينظر من إحداهما في مساوئ نفسه، فيتصاغر بها، ويصلح ما استطاع منها، وينظر في الأخرى في محاسن الناس، فيحليهم بها١، ويأخذ ما استطاع منها.احذر خصومة الأهل، والولد، والصديق، والضعيف، واحتج عليهم بالحجج.لا يوقعنك بلاء، خلصت منه في آخر، لعلك لا تخلص منه.الورع لا يخدع، والأريب٢ لا يخدع.ومن ورع الرجل أن لا يقول ما لا يعلم، ومن

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٦/١٧

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣٠/٢٢

الإرب٣ أن يتثبت فيما يعلم.وكان يقال: عمل الرجل فيما يعلم أنه خطأ هوى، والهوى آفة العفاف، وتركه العمل بما يعلم أنه صواب تهاون، والتهاون آفة الدين، وإقدامه على ما لا يدري، أصواب هو أم خطأ جماح٤، والجماح آفة العقل.وكان يقال: وقر من فوقك، ولن لمن دونك، وأحسن مؤاتاة أكفائك، وليكن آثر ذلك عندك مؤاتاة الإخوان، فإن______________١ يحليهم: يزينهم، أو يصفهم بالتحلي بها.٢ الأريب: العاقل.٣ الإرب: الدهاء.٤ الجماح: أراد به **الغواية** والضلال.." (١)

"تعليق التمائموأما قوله: (ونهى عن تعليق التمائم) .وهو أن يعلق خرزة كى لا تصيبه الآفة، وخرزة كى يذهب الجنى. وأن العبد إذا اتكل على شيء وكله الله إليه وخذله وأعطاه مناه حيث قصد له استدراجا.فقد كره العلماء كل شيء يعقد، مثل الوتر والأعواد التى تقطع فيمسكه الإنسان للفروج، والحديد الفولاذ الذى يجعله في العضد كيلا تصيبه آفة الجن. فهذا وأشباهه **غواية** الشيطان؛ ومن أجل هذا كره العلماء كثيرا من التعويذات والعزائم. وإنما كرهوا من جهتين: إحداهما: هذه، والثانى: أن فيه اسم الله تعالى ويخالط به الخلاء.وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من تعلق شيئا وكل إليه) .وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه: أنه رأى في عنق ولده شيئا من ذلك، فقال: أن آل محمد ابن أم عبد لأغنياء عن الشرك.وذكر عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه رأى على رجل." (٢)

"حب الطاعة كما أن العدو مجبول على **الغواية** مطبوع على حب المعصية فيلقي الملك الإلهام وهو خطوره على القلب بقدح خواطره يأمر بتقييد ذلك ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو إلهام التقوى والرشد وينظر الملك إلى اليقين كما ينظر العدو إلى النفس فيشهد اليقين للملك بذلك فيطمئن العقل ويسسكن إلى شهادة اليقين ويصير العقل الآن بإذن الله تعالى مع الملك بتأييد الله تعالى كما كان مع النفس أول مرة مطمئنا إليها فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر فيقوى سلطان اليقين لصفاء الإيمان وتندرج ظلمة الهوى في نور اليقين وتنطفئ شعلة الشهوة لظهور نور الإيمان ويزين الإيمان بزينة الحياء فتضعف صفات النفس لسقوط الشهوة ويقوى القلب لضعف النفس ويزيد الإيمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم فتغلب الهدايةلمزيد الإيمان ولبسة الحياء فتظهر الطاعة لغلبة الحق والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.ذكر نوع آخر من البيانوقد تختلف اللمتان من الملك والعدو ويتفاوت الإلهام والوسوسة في المعاني من الخير والشر، فربما تقدمت لمة العدو بالأمر بالشر وتقدح بعدها لمة الملك

---

(١) الأدب الصغير والأدب الكبير ابن المقفع ص/٤٣

(٢) المنهيات الترمذي، الحكيم ص/٦٥

نصرة للعبد وتثبيتا على الخير وعناية من الرب تعالى فينهي عن ذلك، فعلى العبد أن يعصي الخاطر الأول ويطبع الخاطر الثاني، وقديتقدم إلهام الملك بالأمر بالخير ثم يقدح بعده خاطر العدو بالنهي عنه والتثبيط والإملاء فيه بالتأخير محنة من الله تعالى للعبد لينظر كيف يعمل وحسدا من العدو فعليه أن يطيع الخاطر الأول ويعصي الخاطر الثاني، ثم تدق الخواطر من إلهام الملك بالخير ومن وسوسة العدو بالشر، وقد يتفاوت ذلك من ضعف خاطر الخبر لقوة الرغبة في الدنيا ومن قوة خاطر الشر لقوة الشهوة والهوى وفي المزيد والنقص منهما والتقديم والتأخير بهما لتفاوت الأحكام والإرادة من الحاكم ومن قبل تقليب القدرة وغرائب الأحكام بالمشيئة لأن له في خزانة الخير خزانة الشر إذا شاء وله في خزانة الشر خزائن الخير إذا أحب لمن يحبه لئلا يسكن إلى سواه ولا يدل العبد بما منه أبداه، فإذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولم يدل به أبدا لأنه لا يأمن مكر الله تعالى بتقليب خزائن الشر من خزائن الخير إذا عليه أبداه ولم ييأس من شر عليه أبداه لأنه يرجو تقليب خزائن الخير من خزئان الشر فيكون بين الخوف والرجاء ولا يدرك ذلك إلا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وغوامض الفطن وصفاء الأنوار من تعليم الرحيم الجبار، فما كان للعبد يجد بعد خطرة الشر خطرة خير منها تنهاه عنها فهو منظور إليه متدارك وهذا هو الواعظ القائم في القلب والزاجر المؤيد للعقل، وقد تترادف خواطر الشر من النفس والهوى فلا يتعاقبها خاطر خير من الملك وهذا علامة البعد ونهاية قسوة القلب، وقد تتابع خواطر الخير والبر من الروح والملك ويعافى العبد من خاطريالهوى." (١)

"بتأميلها فملكت العبد ملكا أشد من ملك، فإذا ملكت النفس العبد كان مملوكها وأسيرها وكانت بالهوى أميرة فاستهواه الشيطان حينئذ **بالغواية** والإضلال واستحوذ عليه بمعاني المشاركة في الأولاد والأموال، فشغله بذلك عن الله سبحانه وتعالى وأنساه ذكر الله عز وجل، وهذا هو الاقتران الذي ذمه الله تعالى في قوله: (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا) النساء: ٣٨ وهو فوق النزغ الهمز والخاطر بعد الهمة وهو خطور العدو على القلب بالوسوسة يزين الهمة ويملي للعبد ويرجيه ويفسح له في أمله ويمنيه بالتوبة حتى تهون عليه المصية ويعده بعدها بالمغفرة حتى يجرئه على الخطيئة وهذا هو الوعد بالغرور وبعده الهلاك والثبور، كما قال يعدهم أي التوبة ويمنيهم المغفرة وما يعدهم الشيطان إلا غرورا، وهذا كله تصديق ظن العدو بالعبد واتباع العبد له بالهوى عن مقام البعد وكشف لعلم الله تعالى بإظهار الحكم وإنفاذ المشيئة وهو الابتلاء بالأسباب فصار العدو سببا لقوله تعالى: (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢١٥/١

المؤمنين) سبأ: ٢٠، ثم أحكم ذلك بسابق علمه فقال (وما كان له عليهم من سلطان) سبأ: ٢١، يعني بحوله وقوته وبقهره ومشيئته إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي لنرى وقيل لنعلم العلم الذي يجازي عليه بالثواب والعقاب وقيل: لنختبر ونكشف وقيل: لنعلم المؤمنين ذلك فيستبين لهم ويعلم من عمل تلك الأعمال التي ظهرت منه فتوقع عليه بذلك الحجة ويتبين له كذبه كما قال: (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) العنكبوت: ٣، فعلى هذه المعاني مجاز كل ما في كتاب الله عز وجل من قوله لنعلم وحتى نعلم إذ كان علمه تعالى قد سبق المعلومات وإذا كانت الأشياء عن علمه بعلمه جاريات فجعل تسليط العدو بسلطانه كشفا وإظهارا لما أخفاه من سابق علمه كما جعل أفعال العباد الظاهر كشفا وإظهارا لإرادته الباطنة، وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبق العلم وجف القلم وقضى القضاء وتم القدر بالسعادة من الله تعالى لأهل طاعته وبالشقاء من الله تعالى لأهل معصيته.ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل أسمائهافأما تسمية جملة الخواطر فما وقع في القلب من علم الخبر فهو إلهام وما وقع من علم الشر فهو وسواس وما وقع في القلب من المخاوف فهو الحساس وما كان من تقدير الخير وتأميله فهو نية وما كان من تدبيرالأمور المباحات وترجيها والطمع فيها فهو أمنية وأمل وما كان من تذكرة الآخرة والوعد والوعيد فهو تذكر وتفكير وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة وما كان من تحدث بمعاشها وتصريف أحوالها فهو هم وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لمم، ويسمى جميع ذلك خواطر لأنه خطور همة نفس أو خطور عدو بحسد أو خطرة ملك بهمس، ثم إن ترتيب الخواطر المنشأة من خزائن الغيب القادحة في القلب على ستة معان، وهذه حدود الشيء المظهر ثلاثة منها معفوة وثلاثة منها مطالب بها، فأول ذلك الهمة وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشيء." (١)

"الخطيئة الثانية: إنعاظ الفرج عن شهوة القلب وهذا عمل، وقبض الرجل على فرجه متعظا معصية ثالثة، فإن ظهرت الشهوة من الفرج فهو معصية رابعة، ومس الفرج باليمين مكروه، فمتى وقعت هذه المعاني فإنها تغير القلب عن الخشوع، وتدخل عليه النقصان، ومتى لم يبتل العبد بها، فإن الخلوة أفضل المعاني، وفيها يجد لذة الوجود وحلاوة المعاملة، ويقبل على نفسه ويشتغل بحاله ولا يهتم بحال غيره، فيحمل حاله على حال غيره فيقصر، أو يقوم بحكم آخر فيعجز، ويعالج شيطانا آخر مع شيطانه، وتنضم نفس أخرى إلى نفسه، وله في مجاهدة نفسه ومصابرة هواه وعدوه أكبر الأشغال، ومنها أن المكاسب قد فسدت فليس ينال أكثرها إلا يمعصية وهو مسؤول من أين اكتسبه وفيم أنفقه، فإن كان كسب من غير حله حسب ذلك

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١/٢٢٠

عليه، وإن أنفق على هواه لم يحسب ذلك له، ومنها أن أكثر النساء قليلات الدين والصلاح، والأغلب عليهن الجهل والهوى، فلا يأمن أن ينقاد لهن لأجل هواه فيخسر آخرته، أو يمانعهن فيغالطهن، فلا ينقدن له فيتنغص عليه عيش دنياه، وقال الحسن رحمه الله: والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله في النار، ومنها أن الأغنياء في مقام الظالمين للفقراء لبخس حقوقهم عنهم، وتقصيرهم عما أوجب الله عز وجل عليهم لهم، فإن كان المتأهل فقيرا لقي شدة وجهدا وعنتا وكدا ولم يأمن دخول الآفات عليه لأجل عيلته، وقد سئل ابن عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال: كثرة العيال، وقلة المال، وقال بعض السلف: قلة العيال أحد اليسارين، وكثرة العيال أحد الفقرين، ويقال: إن العيال عقوبة شهوة الحلال وإن الحرص عقوبة طلب فوق الكفاية فهو عقوبة الموحدين.وقد جاء في الأثر: الوحدة خير من قرين السوء وهو من القرين الصالح على غير يقين، فلا يزال اليقين بالشك، فإن أكثر النساء من لا صلاح فيه لغلبة الهوى وحب الدنيا عليهن، وفي الخبر: مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم من مائة غراب، يعني الأبيض البطن، وفي وصية لقمان لابنه: يا بني اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل المشيب، واتق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير، وكان من خيارهن على حذر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في خيرات النساء: إنكن صواحبات يوسف عليه السلام، إن صرفكن أبا بكر رضي الله عنه عن الإمامة ميل منكن إلى الهوى وتزيين وإغواء، كما أن زليخا حين راودت يوسف عليه السلام كان ذلك منها غواية وتسويلا، ففيه اعتذار ليوسف عليه السلام وإيقاع اللوم عليها وتشبه لهن بها، وقال الله فيهن حين أفشين سر النبي صلى الله عليه وسلم: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) التحريم: ٤، يعن مالت إلى الهوى فأمرهما بالتوبة للميل إلى الهوى، ثم قال: وإن تظاهرا عليه يعني تعاونا وهما من خير الأزواج فماظنك بمن شاكلته الجهالة ووصف الهوى والضلالة؟.." (١)

"وإن كان مبدؤها من المزاج ومن الحواس كالخور الذي مبدأه ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهي وكالعشق الذي مبدأه النظر مع الفراغ والبطالة قصدنا أيضا علاجه بما يخص هذه.وأيضا لما كان طب الأبدان ينقسم بالقسمة الأولى إلى قسمين أحدهما حفظ صحتها إذا كانت حاضرة والآخر ردها إليها. إذا كانت غائبة وجب أن نقسم طب النفسو هذه القسمة بعينها فنردها إذا كانت غائبة ونتقدم في حفظ صحتها إذا كانت حاضرة فنقول إذا كانت خيرة فاضلة تحب نيل الفضائل وتحرص على إصابتها وتشتاق إلى العلوم الحقيقية والمعارف الصحيحة فيجب على صاحبها أن يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله.

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٩٧/٢

ولا يأنس بغيرهم ولا يجالس سواهم. ويحذر كل الحذر من معاشرة أهل الشر والمجون والمجاهرين بإصابة اللذات القبيحة وركوب الفواحش المتفتخرين بها المنهمكين فيها ولا يصغى إلى أخبارهم مسطيبا ولا يروى أشعاهم مستحسنا ولا يحضر مجالسهم مبتهجا. وذلك أن حضور مجلس واحد من مجالسهم وسماع خبر واحد من أخبارهم يعلق من وضره ووسخه بالنفس ما لا يغسل عنها إلا بالزمان الطويل والعلاج الصعب وربما كان سببا لفساد الفاضل المحنك وغواية العالم المستبصر حتى يصير فتنة لهما فضلا عن الحدث الناشيء المسترشد.والعلة في ذلك أن محبة اللذات البدنية والراحات الجسمية طبيعة للإنسان لأجل النقائص التي فيه فنحن بالجبلة الأولى والفطرة السابقة إلينا نميل إليها ونحرص عليها وإنما نزم أنفسنا عنها بزمام العقل حتى نقف عند ما يرسم لنا ونقتصر على المقدار الضروري منها. وإنما استثنيت في أول هذا الكلام وشرطت بما شرطت لأن معاشرة الأصدقاء الذين ذكرت أحوالهم في المقالة المتقدمة وحكمت بتمام السعادة معهم ولهم. لا تتم إلا بالمؤانسة والمداخلة.." (١)

"بالأجر؛ فعل المستأجر بأجيره، فقال تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (١٠)وأين الأجر وإن كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء، ثم قال في الصبر:(يوفى) ، فلم يسم فاعله، وقال في الشكر: ((وسنجزي الشاكرين (١٤٥) ،(وسيجزي الله الشاكرين (١٤٤)فانظر إلى هذا اللطف في المقال قبل الانتهاء إلى الفعال ولم يذكر من أنبيائه بالشكر إلا اثنين كما تقدم ووصف جماعتهمبالصبر فقال: (كل من الصابرين (٨٥)وقال: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٥)فجعل الصبر مبدأ والشكر منتهى؛ ولأن الصبر محمول عليهقهرا والشكر مؤدى تطوعا.الغيبة والنميمةالغيبة: أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب من غير أن يحوج إلى ذكره،وقد عظم الله – عز وجل – أمرها فقال: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه)وقال تعالى: (هماز مشاء بنميم (١١)وقال عليه الصلاة والسلام: " لا يدخل الجنة قتات "، وروي: " النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء "، وقل من وجد عائبا إلا كان معيبا، وقال قتيبة لرجل رآه يغتاب آخر: لقد تلمظت بما يعافه الكرام، وحق الإنسان أن لا يتعودها فإن لها ضراوة، ولذلك عير إنسان آخر بالغيبة فقال: لو تلمظت بها لما صبرت عنها، ثم إن من اغتاب اغتيب، ومن عاب عيب، فبحثه عن عيوب الناس يحمل الناس على البحث عن عيوبه وكما يجب أن يتحراها بقوله يجب أن يتجنب من سماعها وسماع كل قبيح من الكذب، لئلا يعلق وضره ووسخه بفكرته فوضر كل كلمة عوراء لا يمكنتطهير القلب عنه إلا بزمان مديد وعلاج شديد، وسماع القبيح قد يصير سببا لفساد الكبير

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ابن مسكويه ص/١٨٦

المجيد وغواية العالم المستبصر، فضلا عن فساد الحدث الغر والناشئ الغمر، ولذلك قال تعالى في مدح قوم: (وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢)وقد أجاد من قال:وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق بهوكقبح الغيبة والنميمة المسابة، قال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه: " ما تساب.." (١)

"جبار الأرض والسمواتالأصل الثاني أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار جميعافأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب لهوأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد في الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعليق يعبر عنه بالاكتسابوليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط إذ قدره الله تعالى في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بهاالأصل الثالث أن فعل العبد وإن كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانهفلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئتهومنه الشر والخير والنفع والضر والإسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والإيمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها وإنما هي جارية على وفق إرادة العدو إبليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة لو ردت إليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايتهوالمعصية هي

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ص/٢٠٠

الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيراثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة لهفإن قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد قلنا الأمر غير الإرادةولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لايريد امتثاله ولو لم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محالالأصل الرابع أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليهوقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما آجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموتوإما أن يراد به الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول." (١)

"السلام عليك قلت وعليكوالأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منها إلى حد التحريم قال تعالى ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم﴾ الآية وقال صلى الله عليه وسلم المسلم والمشرك لا تتراءى ناراهما (١)وقال عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ الآيةالثاني المبتدع الذي يدعو إلى بدعتهفإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذمي لأنه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه على الكافر لأن شر الكافر غير متعد فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعي لنفسه الإسلام واعتقاد الحقأما المبتدع الذي يدعوا إلا البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب في إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن علمت أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١١١/١

بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب أولى لأن جواب الإسلام وإن كان واجبا فيسقط بأذني غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الإنسان في الحمام أو في قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض وإن كان في ملأ فترك الجواب أول تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كف الإحسان إليه والإعانة له لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن أهان صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر من ألان له وأكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (٢)الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يقابح بالتغليظ والإهانة بل يتلطف به في النصح فإن قلوب العوام سريعة التقلب فإن لم ينفع النصح وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الإعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادهاوأما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغضب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وأمثالهاأو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيء أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذي يشرب ويزني وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة وكل واحد فإما أن يكون مصرا عليه أو غير مصر فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلكا واحداالقسم الأول وهو أشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلقثم هؤلاء______________(١) حديث المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما رواه أبو داود والترمذي من حديث جرير أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم قال لا تراءى ناراهما رواه النسائي مرسلا وقال البخاري الصحيح أنه مرسل(٢) حديث من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية والهروي في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف." (١)

"والصبح (١) وأوقف على عثمان فضلهما)، وقد بينا أن مسلما أسنده (٢)، وإنما خصهما النبي، - صلى الله عليه وسلم -، في هذا الموضع بالتنبيه على الفضل لأن الصبح تأتي في وقت فيه النوم والعتمة،

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢/١٦٩

تأتي في وقت يستولي فيه على البدن النصب؛ فإذا قابل استيلاء النصب وغلبة النوم إيمانا ضعيفا أخرهما أو تركهما استخفافا وتكاسلا، وإذا غلب اليقين قام إلى فعلهما، وضرب المثل بالمنافقين مجازا لأنه قد يتركهما من ليس بمنافق. ووجه المجاز في ذلك أن الله تعالى قال في صفة المنافقين ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ (٣).نكتة أصولية: غفر الله تعالى للرجل الذي وجد غصن شوك على الطريق فنزعه (٤)، كما غفر للبغي التي سقت الكلب بموقها (٥) وهذا المقدار من الحسنات لم يواز أجره قدر وزر الزنا في السيئات ولكن فيه ثلاث معان:أحدها: أن هذا الفعل إنضاف إلى سواه، وذكر دون غيره تنبيها على قدره.الثاني: أنه كان سببا للتوبة فترتب الغفران عليها وترتبت هي على هذا السبب فأضيف الحكم إلى السبب الأول تنبيها على اكتساب الحسنات، فإن الحسنة إلى الحسنة ولاية والسيئة إلى السيئة غواية.الثالث: في معنى غفر الله له أي غفر له من ذنوبه بمقدار هذا الفعل من الأجر.__________(١) مالك عن عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي عن سعيد بن المسيب أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال (بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح لا يستطيعونهما ..).الموطأ ١/ ١٣٠ قال ابن عبد البر: هذا الحديث مرسل في الموطأ لا يحفظ عن النبي – صلى الله عليه وسلم – مسندا؛ ومعناه محفوظ من وجوه ثابتة. تنوير الحوالك ١/ ١٥١.(٢) مسلم في كتاب المساجد باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة ٤/ ٤٥١، ورواه الترمذي ١/ ٤٣٣، وقال حسن صحيح، وقال وقد روي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن عثمان موقوفا، وروي من غير وجه عن عثمان مرفوعا، وأحمد في المسند رقم ٤٠٨ و ٤٩١، وابن خزيمة ٢/ ٣٦٥ وأورده الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٦٨، ولفظ الحديث عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، يقول: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله".(٣) سورة النساء آية ١٤٢.(٤) متفق عليه. البخاري في كتاب الأذان باب فضل التهجير إلى الظهر ١/ ١٦٦ ومسلم في كتاب الأمارة باب بيان الشهداء ٣/ ١٥٢١، والموطأ ١/ ١٣١ كلهم عن أبي هريرة.(٥) مسلم في كتاب السلام باب فضل سقى البهائم المحترمة وإطعامها ٤/ ١٧٦١ عن أبي هريرة.." (١)

"وكذلك اختلفوا في التكبير المطلق اختلافا كثيرا في مذهبنا وعند (١) غيرنا وأقواه في النظر أن يكون التكبير من غروب الشمس آخر أيام الصوم لقول الله (٢) تعالى ﴿ولتكملوا (٣) العدة ولتكبروا الله على ما

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/٣٠٨

هداكم﴾ (٤) ففرق بينهما.ــــــــــــــ(١) قال الحافظ: وللعلماء اختلاف في ابتدائه وانتهائه فقيل: من صبح يوم عرفة، وقيل من ظهره، وقيل: من عصره، وقيل: من صح يوم النحر، وقيل: من ظهره، وقيل: في الانتهاء إلى ظهر يوم النحر، وقيل: إلى عصره، وقيل: إلى ظهر ثانيه، وقيل: إلى صبح آخر أيام التشريق، وقيل: إلى ظهره، وقيل: إلى عصره.حكى هذه الأقوال كلها النووي إلا الثاني من الانتهاء، وقد رواه البيهقي عن أصحاب ابن مسعود ولم يثبت في شيء من ذلك عن النبي، - صلى الله عليه وسلم -، حديث، وأصح ما ورد فيه عن الصحابة قول علي وابن مسعود أنه من صبح يوم عرفة إلى آخر أيام منى، أخرجه ابن المنذر وغيره، والله أعلم.فتح الباري ٢/ ٤٦٢.(٢) في (م) تبارك وتعالى.(٣) سورة البقرة آية ١٨٥.(٤) قال في الأحكام ١/ ٨٩: وأختار علماؤنا التكبير المطلق، وهو ظاهر القرآن، وإليه أميل. وكانت الحكمة في ذلك علي ما ذكره علماؤنا، رحمة الله عليهم، الإقبال على التكبير والتهليل وذكر الله تعالى عند انقضاء المناسك شكرا علي ما أولى من الهداية وانفذ به من **الغواية**، وبدلا عما كانت الجاهلية تفعله من التفاخر بالآباء والتظاهر بالأحساب وتعديد المناقب.." (١)

"وبسقوط سرقسطة بدأت مرحلة جديدة من المؤامرة الخبيثة، مرحلة تعاون أبناء هود - ملوك سرقسطة - مع الموحدين من جهة، ومع النصارى من جهة أخرى.فقد عوض الفونسو ريموندس سيف الدولة أحمد بن عبد الملك بن هود أميرها عن أملاكه بها بأراض فى ولاية طليطلة، ثم سيره إلى قرطبة على رأس قوة من جند النصارى الذين أمدهم بها ملك قشتالة، ونودى به ملكا على قرطبة، ولم يلبث حكمه بها أكثر من ثمانية أيام، فقد قام عليه أهل قرطبة لما انكشف لهم أثر عمالته، واضطروه إلى حصن بعض أوليائه فرنجو لسن (١).وظل هذا حال أبناء هود حتى عاون ابن حمدين الموحدين فى الاستيلاء على إشبيلية سنة (٥٤١ هـ/ أوائل سنة ١١٤٧ م) إذ كان حزبه هو الغالب فيها.فى هذه الأثناء سقطت مراكش، وانتهت دولة المرابطين فى إفريقية، استولى عليها عبد المؤمن، بعد حصار طويل أكلت فيها الأطعمة الفاسدة والرديئة، والجثث البشرية، وأكل السجناء فى السجن بعضهم بعضا، وانتشرت الأمراض حتى فنى من أبنائها فى وقت قصير زهاء مائتى ألف نفس، وكان أزهق مثلها من سكان تلمسان (٢).وكان ابن تومرت قد لقى عبد المؤمن حين نزل ملالة بعد أن طرد من مراكش عام (٥١٤ هـ) فاستبشر به لما رأى فيه من نجابة ناسبته، وصحبه على هذه **الغواية**، وجعله صاحب الأمر من بعده، وإليه يرجع وزر التمكين لدولة الموحدين.وما كان لمراكش أن تنالها أيدى الموحدين ويدخلوها قاهرين، لولا خيانة فرسان النصارى الأندلسيين، الذين كانوا فى جيش

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/٣٧٤

إبراهيم بن تاشفين، حيث كانوا من خاصته، فهم الذين عمدوا إلى جنود الموحدين ففتحوا لهم أبواب مراكش. وبسقوط مراكش تعطل الجهاد وبدأ المد الإسلامى فى الغرب فى الانحسار.على ضوء هذه الوقائع ينبغى أن ننظر إلى ما صدر عن ابن تومرت من فعال، وما تمتع به من خلال، فبغير هذا يضطرب الباحث، وقد يخرج بنتائج غير مستقيمة مع الوقائع (٣)._________(١) تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين: ٢١١ - ٢٢٢.(٢) السابق: ٢٠٣، وفيه: أن القتل استمر فى مراكش ثلاثة أيام، بعدها هلك فيها من سكانها ستون ألفا.(٣) وذلك كقول ابن خلدون: ولم تحفظ عنه فلتة فى البدعة إلا ما كان وفاقه الإمامية من الشيعة فى القول بالإمام المعصوم. العبر ٦/ ٢٢٩.وأى داء أدوى فى العقيدة من هذا الداء، وما كان مؤخرا من إجازة رسالة علمية فى المهدى بن تومرت من جامعة الأزهر، تلمس فيها الطالب عبد المجيد النجار كل سبل لتبرئة هذا العميل ورفعه لمقام الأئمة المصلحين. رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين برقم (١٤٢٦).." (١)

". . . . . ._____قال الإمام: وقوله: " لك الحمد أنت نور السماوات والأرض " وقول الله: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ (١) قيل: معناه: منور السماوات والأرض أى خالق نورهما.قال القاضى: قال أبو عبيد: معناه: بنورك يهتدى أهل السماوات والأرض، قال الخطابى فى تفسير اسمه النور: معناه الذى بنوره يبصر ذو العماية وبهدايته يرشد ذو الغواية، قال: ومنه قول تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ أى منه نورهما، قال: ويحتمل أن يكون معناه ذو النور ولا يصح أن يكون النور صفة ذات له وإنما يكون صفة فعل؛ إذ هو خالقه وموجده. وحكى غيره عن مجاهد وابن عباس معناه: مدبر شمسهما وقمرهما ونجومهما، قال أبو القاسم القشيرى: وهو منور الآفاق بالنجوم والأنوار، ومنور القلوب بالدلائل، وقيل: المراد بنور السماوات والأرض هنا: القرآن، وقيل: محمد صلى الله عليه وسلم، وروى عن ابن عباس معناه: هادى أهل السماوات والأرض.قال القاضى: حقيقة النور أنه الذى به تنكشف الأمور وتظهر المخبآت وتنكشف (٢) الحجب والسواتر به، وهو معنى يقوم بالأجسام، وربما سميت الأجسام الملازمة [بالوصف] (٣) بهذه الأوصاف أنوارا، إذ لا تخلو منها فهو كله خلق من خلق الله وفعل من أفعاله فهو منور الآفاق بهذه الأنوار، فيزيل عنها الظلام، ويكشف اللبس والعشا (٤) من الأبصار، فيسلكون به سبلهم ويهتدون به إلى شؤونهم، فيهتدى بها فى ظلمات البر والبحر، وسمى القرآن بذلك؛ لهداية قلوب المؤمنين، وكشف الريب والشك، وإيضاح. سبل الحق وطرق الهدى والرشد، وسمى

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ١٨/١

النبى صلى الله عليه وسلم بذلك؛ إذ به هداية جميع المؤمنين، وهو المبين لهم عن الله والموضح لهم شريعته (٥) ومخرجهم من ظلمات الكفر، والله - تعالى - فاعل ذلك كله، فهو النور وذو النور، قال الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ (٦) وليست ذاته بنور ولا هو صفة على هذا المعنى الذى ذكرناه خلافا لمن قال ذلك من المجسمة (٧) بل هو تعالى نور من حيث هو خالق النور، وجاعله أو مدبر خلقه بذلك، فيكون صفة فعل أو من حيث هو مبين وهاد بإرادته وقدره بذلك وقدرته، فيكون صفة ذات، أو على لسان أنبيائه وجعل ذلك فى قلوب أوليائه فيكون صفة فعل، وقد مر من هذا أول الكتاب.______________(١) النور: ٣٥.(٢) في س: ترتفع.(٣) ساقطة من س.(٤) فى س والعمى.(٥) فى س: شريعتهم.(٦) البقرة: ٢٥٧.(٧) قال الأبى فيما نقله من محصل الرازى: اختلف فى النور، فقيل: جسم، وقيل: عرض، وإذا انحصر النور فى أنه جوهر أو عرض استحال أن تكون ذاته تعالى نورا أو النور صفة لها. لاستحالة أن تكون ذاته تعالى جوهرا أو عرضا، ثم النور لغة: اسم لهذه الأضواء الفاضلة على الشمس والقمر والكوكب والنار، وعلى الأرض والحدرات وغيرها، ويمتنع أن تكون ذاته - سبحانه وتعالى - نورا بهذا التفسير؛ لاستحالة أن تكون ذاته - سبحانه وتعالى - هذه الأضواء. الإكمال ٢/ ٣٩٥.." [(١)]

""غوغاء الجراد" (١) صغاره إذا ظهرت أجنحته وماج بعضه في بعض، يشبه به سفلة الناس، وقيل: هو الجراد نفسه، والأول أحسن؛ لأنه قد أضافه إلى الجراد. وقال أبو عبيدة: هو شيء يشبه البعوض إلا أنه لا يعض.قول موسى لآدم عليه السلام: "أغويت (٢) الناس" (٣) أي: خيبتهم، يقال: غوى الرجل: خاب، وأغواه غيره: (خيبه، ذكره النحاس في كتاب "الإعراب" (٤).قوله: "غوت أمتك (٥) " (٦) الغي: الانهماك في الشر، يقال منه: غوى يغوي غيا وغواية.وقوله (٧) في آدم عليه السلام: ﴿فغوى﴾ [طه: ١٢١]، معناه: جهل. وقيل: أخطأ، وقد قال في الآية (٨) الأخرى: ﴿فنسى﴾ [طه: ١١٥] قلت: ليس هذا تفسيرا لذلك، إنما نسي (٩) العهد، وغوى بالفعل الذي فعل.______________(١) البخاري، كتاب التفسير، سورة القارعة، قبل حديث (٤٩٦٤).(٢) في (س، أ، ش): (لأغويت).(٣) "الموطأ" ٢/ ٨٩٨، مسلم (٢٦٥٢/ ١٤) من حديث أبي هريرة.(٤) "إعراب القر"ن" ٢/ ٣٨١.(٥) في النسخ الخطية:

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ١٢٩/٣

(أمته)، والمثبت من "المشارف" ٢/ ١٤٠.(٦) البخاري (٣٣٩٤)، مسلم (١٦٨) من حديث أبي هريرة.(٧) ساقطة من (س).(٨) في (س): (الرواية).(٩) في (س): (سمي) وسقطت من (د).." [١]

"حببه إلي، فبذلت الوسع في تحصيل ما وفقت له من أنواعه، حتى صارت في قوة الاطلاع على خفاياه، وإدراك خباياه، ولم آل جهدا -والله الموفق- في إجمال الطلب، وابتغاء الأرب، إلى أن تشبثت من كل بطرف تشبهت فيه بأضرابي، ولا أقول: تميزت به على أترابي، والله الحمد على ما أنعم به من فضله، وأجزل من طوله، وإليه المفزع في الإسعاد بالزلفى يوم المعاد، والأمن من الفزع الأكبر يوم التناد، وأن يوزعني شكر ما منحنيه من الهداية، وجنبنيه من **الغواية**، وآتانيه من نعمة الفهم والدراية، منذ المنشأ والبداية.قال الإمام الذهبي في السير (١):روى الكتب نازلا فأسند صحيح البخاري عن ابن سرايا عن أبي الوقت، وصحيح مسلم عن أبي ياسر بن أبي حبة عن إسماعيل ابن السمرقندي، عن التنكتي، عن أبي الحسن عبد الغفار، ثم عن ابن سكينة إجازة عن الفروي والموطأ عن ابن سعدون، وسنن أبي داود والترمذي بسماعة من ابن سكينة، وسنن النسائي أخبرنا يعش بن صدقة عن ابن محمويه.وقد تتلمذ على طائفة من المشايخ في كافة علوم الشريعة، فأخذ عن أبي محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي النحو، وأبي الحرم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني الأدب والنحو، وكذلك من أبي بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي، وأبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب وغيرها.وسمع ببغداد من أبي القاسم يعش بن صدقة الفراتي، وأبي الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب الحراني، وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي وغيرهم.عقيدته:مع أن الإمام الشافعي -رحمه الله- كان سلفي الاعتقاد على منهج أهل______________(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٩).." [٢]

""والاستنصار": طلب النصر."والتعوذ بالشيء": الالتجاء إليه والاحتماء به، عاذ به يعوذ إذا التجأ إليه."والشرور": جمع شر على غير قياس، لأن الشر اسم جنس فلا يجمع إلا إذا اختلفت أنواعه."والسيئات": جمع سيئة وهي الخصلة الرديئة من الفعل والقول، وهي الأوصاف العالية على الأسماء لأن الأصل فيها الوصف، ثم لما كثر استعمالها جرت مجرى الأسماء."والمضل": اسم فاعل من الإضلال ضد الهدى.والرشاد والرشد: خلاف الغي تقول: رشد يرشد رشدا، ورشد يرشد رشدا."وغوى" الرجل يغوي غيا **وغواية**: إذا ضل عن القصد في القول والفعل وكأنه بالفعل أشبه."وفاء يفيء": إذا رجع يريد حتى يرجع

---

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار ابن قرقول ١٧١/٥

(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي ابن الأثير، أبو السعادات ٩/١

إلى الحق والهدى اللذين هما مضمون أمر الله، لأن الله يأمر بالعدل والإحسان. وأخبرنا الشافعي –رضي الله عنه–: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني عمرو أن النبي – صلى الله عليه وسلم – خطب يوما فقال في خطبته: "ألا إن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، ألا وإن الآخرة أجل صادق يقضي فيها مالك قادر، ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة، ألا وإن الشر كله بحذافيره في النار، ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره".العرض بفتح العين والراء: ما كان من مال قل أم كثر ومنه قولهم: الدنيا عرض زائل، ومنه اصطلاح المتكلمين على أن العرض: ما لا يقوم بنفسه من الموجودات كالألوان، والطعوم والأصوات وأشباه ذلك؛ ولذلك قالوا: إن العرض لا يبقى زمانين فهو أبدا متجدد.." (١)

"واعلم: أن المخالف لأمر الله تعالى على أقسام:أحدهما: أن يكون كافرا، فإن كان حربيا فهو مستحق للقتل والإرقاق، وليس بعد هذين إهانة، وإن كان ذميا فلا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه، والتحقير له بالاضطرار له إلى أضيق الطريق، وترك البداءة بالسلام. فإن سلم قيل له: وعليك.والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته، ومن المكروه الاسترسال إليه والانبساط كما يفعل بالأصدقاء.القسم الثاني: المبتدع، فان كان ممن يدعو إلى بدعة، وكانت البدعة بحيث يكفر بها، فأمره أشد من الذمي، لأنه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة، وإن كان ممن لا يكفر بها، فأمر اشد من الذمى، لأنه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة، وإن كان ممن لا يكفر بها. فأمره بينه وبين الله تعالى أخف من أمر الكافر لا محالة، ولكن الأمر فى الإنكار عليه أشد منه على الكافر، لأن شر الكافر غير متعد، لأنه لا يلتفت إلي قوله، بخلاف المبتدع الذي يدعو إلى بدعته لأنه يزعم أن ما يدعو إليه حق، فيكون سببا لغواية الخلق، فشره متعد، فإظهار بغضه والانقطاع عنه ومعاداته وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد.فأما المبتدع العامى الذي لا يقدر أن يدعو ولا يخاف الاقتداء به، فأمره أهون، والأولى أن يتلطف به فى النصح، فإن قلوب العوام سريعة التقلب، فإن لم ينفع النصح وكان فى الإعراض عنه تقبيح لبدعته فى عينه، تأكد استحباب الإعراض عنه، وأن علم أن ذلك لا يؤثر لجمود طبعه ورسوخ اعتقاده فى قلبه، فالأعراض عنه أولى، لأن البدعة إذا لم يبالغ فى تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها.القسم الثالث: العاصي بفعله لا باعتقاده، فإن كانت بحيث يتأذى بها غيره، كالظلم والغضب وشهادة الزور والغيبة والنميمة ونحو ذلك، فالأولى الأعراض عنه وترك مخالطته والانقباض عن معاملته، وكذلك الحكم فيمن يدعو إلى الفساد، كالذى يجمع بين الرجال والنساء

---

(١) الشافي في شرح مسند الشافعي ابن الأثير، أبو السعادات ٢٠١/٢

ويهيء أسباب الشرب لأهل الفساد، فهذا ينبغى إهانته ومقاطعته والإعراض عنه.فأما الذي يفسق فى نفسه بشرب خمر أو زنا أو سرقة أو ترك واجب، فالأمر فيه أخف، ولكنه فى وقت مباشرته إن صودف، وجب منعه بما يمتنع به، فإن كان النصح يرده وكان أنفع له، نصح وإلا أغلظ له.." (١)

"٩ – وعن العباس بن عبد المطلب، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (ذاق طعم الإيمان منرضى الله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا) رواه مسلم.ــــــــإنما جعل هذه [كذا] الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان المحصل لتلك اللذة لأنه لا يتم إيمانه امرئحتى يتمكن في نفسه أن المنعم والقادر على الإطلاق هو الله (تعالى) ولا مانح ولا مانع سواه،وما عداه وسائط لها، وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو العطوف الحقيقي الساعي في إصلاح شأنه، وإعلاءمكانه، وذلك يقتضي أن يتوجه بشراشره نحوه، ولا يحب ما يحبه إلا لكونه وسطا بينهوبينه، وأن يتيقن أن جملة ما وعد به وأوعد حق لا يحوم الريب حوله، فيتيقن أن الموعودكالواقع، وأن بما ينول إليه الشيء كملابسه، فيحسب مجالس الذكر رياض الجنة، وأكل مالاليتيم أكل النار، والعود إلى الكفر الإلقاء في النار، فيكره أن يلقى في النار.فإن قيل: لم ثنى الضمير ههنا؟ ورد على الخطيب (ومن عصاهما فقد غوى) في حديثعدى بن حاتم (رضي الله عنه) وأمره بالإفراد؟ والجواب: ثنى الضمير ههنا إيماء إلى أن المعتبرهو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة فإنها وحدها ضائعة لا غية، وأمر بالإفراد فيحديث عدى (رضي الله عنه) إشعارا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام **الغواية**، فإنقوله: (ومن عصى الله ورسوله) من حيث أن العطف في تقدير التكرير، والأصل فيه استقلالكل من المعطوف والمعطوف عليه في الحكم في قولنا: ومن عصى الله فقد غوى، ومن عصالرسول فقد غوى.وأقول: هذا كلام حسن متين، ويؤيده الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله (تعالى): (قل إنكنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) حيث أوقع متابعته – صلى الله عليه وسلم – مكتنفة بين نظري محبة العباد للهومحبة الله للعباد. وقوله (تعالى): (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) لم يعد(أطيعوا) في (أولى الأمر منكم) كما أعاد في (أطيعوا الرسول)؛ ليؤذن بأنه لا استقلال لهم فيالطاعة استقلال الرسول – صلى الله عليه وسلم -. وأما السنة فما روى الترمذي وأبو داود وابن ماجة عن المقدام بنمعديكرب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألايوشك رجل شعبان على أريكته، ويقول: عليكم بهذا القرآن).الحديث السابع عن العباس (رضي

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٩٨

الله عنه):قوله: (ذاق طعم الإيمان) (قال الراغب:الذوق وجود الطعم في الفم، وأصله فيما يقل تناوله، فإذا كثر يقال له: الأكل، فاستعمل فيـــ." (١)

"(٣٢) باب ما يقول إذا قام من الليلالفصل الأول١٢١١ - عن ابن عباس، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: ((اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض، ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومنـــــباب ما يقول إذا قام من الليلالفصل الأولالحديث الأول عن ابن عباس: قوله: ((قال: اللهم لك الحمد)): ((قض)) ((وشف)): ((يتهجد)) حال من الضمير في ((قام)). و ((قام)) في موضع النصب علي أنه خبر ((كان)) أي كان صلى الله عليه وسلم عند قيامه من الليل متهجدا يقول: ((اللهم لك الحمد)) وإنما قال: ((من)) ولم يقل: ((ما)) تغليبا للعقلاء علي غيرهم. وأقول: الظاهر أن ((قال)) جواب ((إذا)) والجملة الشرطية خبر ((كان)).قوله: ((قيم السماوات)) ((نه)): في رواية ((قيام)) وفي أخرى ((قيوم)) وهي من أبنية المبالغة. و ((القيم)) معناه القائم بأمور الخلق، ومدبرهم، ومدبر العالم في جميع أحواله. ومنه: قيم ((القيم)) معناه القائم بأمور الخلق، ومدبرهم، ومدبر العالم في جميع أحواله. ومنه: قيم الطفل. والقيوم: هو القائم بنفسه مطلقا لا بغيره، ويقوم بكل موجود حتى لا يتصور وجود شيء، ولا دوام وجوده، إلا به. ((تو)): المعنى أنت الذي تقوم بحفظها، وحفظ كل من أحاطت به واشتملت عليه تؤتي كلا ما به قوامه، وتقوم علي كل شيء من خلقك بما تراه من تدبيره.قوله: ((أنت نور السماوات والأرض)) ((نه)): النور هو الذي يبصر بنوره ذو العماية، ويرشد بهداه ذو **الغواية**. ((تو)): أضاف النور إلي السماوات والأرض؛ للدلالة علي سعة إشراقه وفشو إضاءته. وعلي هذا فسر ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ أي منورهما، يعين كل شيء استنار منهما واستضاء بقدرتك وجودك، والأجرام النيرة بدائع فطرتك، والعقل والحواس خلقك وعطيتك. وقيل: المراد أهل السماوات، أي يستضيئون بنوره. وقد استغنينا عنه بقوله: ((ومن فيهن)). وقيل: معنى النور: الهادي. وفيه نظر لأن إضافة الهداية إلي السماوات والأرض لا يكاد يستقيم إلا بالتقدير، ولا وجه له؛ لأن ((من فيهن)) يدفعه، لما يلزم منه جعل المعطوف والمعطوف عليه شيئا واحدا. وإذ قد علمنا أن الله تعالي سمى نفسه النور في الكتاب والسنة، وفي حديث أبي ذرك أنه سأل رسول الله صلى

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢/٤٤٥

الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال ((نور، أنى أراه!)) ومن جملة أسماء الله الحسنى نور. وسمى بالنور؛ لما اختص به من إشراق الجلال، وسبحات العظمة التي." (١)

"٣٥٢٥ – وعنه، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم علي صورته)) متفق عليه.ـــــــرءوسهن ليظهرن وجوههن ورءوسهن، والمائلات الزائغات عن العفاف واستعمال الطاعة، أو المائلات إلي الهوى والفجور، والمميلات غيرهن في مثل فعلهن من الزيغ والفجور.قوله: ((لا يدخلن الجنة)) معناه أنهن لا يدخلنها ولا يجدن ريحها حين ما يدخلها ويجد ريحها العفائف المتورعات، لا أنهن لا يدخلن أبدا؛ لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر: ((وإن زنى وإن سرق)) ثلاثا. والله أعلم. أقول: قوله: ((كاسيات عاريات)) أثبت لهن الكسوة ثم نفاها؛ لأن حقيقة الاكتساء ستر العورة، فإذا لم يتحقق الستر فكأنه لا اكتساء، ومنه قول الشاعر:خلقوا وما خلقوا لمكرمة فكأنهم خلقوا وما خلقوارزقوا وما رزقوا سماح يد فكأنهم رزقوا وما رزقواوالله أعلم.الحديث السادس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ((خلق آدم علي صورته)) فيه أقوال، والأول: أن الضمير راجع إلي آدم، وهو اختيار ابن الجوزي، وفيه وجوه، أحدهما: أنه خلق علي صورته التي كان عليها من مبدأ فطرته إلي منقرض عمره ولم تتفاوت قامته ولم تتغير هيئته، بخلاف سائر الناس؛ فإن كل واحد منهم يكون أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة، ثم عظاما وأعصابا عارية، ثم عظاما وأعصابا مكسوبة لحما، ثم حيوانا ماجنا في الرحم لا يأكل ولا يشرب، بل يتغذى من عرق كالنبات، ثم يكون مولودا رضيعا، ثم طفلا ثم مترعرعا، ثم مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا.وثإنيها: أنه خلق علي صورة حال تختص به لا يشاركه نوع أخر من المخلوقات؛ فإنه يوصف مرة بالعلم وأخرى بالجهل، وتارة بالغواية والعصيان والإخراج من الجنان، ولحظة يتسم بسمة الاجتباء ويتوج بتاج الخلافة والاصطفاء، وبرهة يستعمل بتدبير الأرضين، وساعة يصعد بروحه إلي أعلي عليين، وطورا يشارك البهائم في مأكله ومشربه ومنكحه، وطورا يسابق الكروبيين في فكره وذكره وتسبيحه وتهليله.وثالثهما: أنه تعالي اخترعها اختراعا عظيما في خلقها؛ إذ كل مخلوق قد تقدم أمثال له، فيخلقون علي صور أمثالهم المتقدمة، وإما آدم فاخترع خلقا جديدا عجيبا ملكي الروح حيوإني الجسم منتصب القامة، فلم يجد علي مثال له تقدم، وكأنه قال: ارتجل صورته اختراعا لا تشبيها بتقدم ولا محاذيا لخلق آخر، بل تولي القديم بنفسه خلق هذه الصورة إبداعا جديدا وخلقا عجيبا، لم يسبقه ما يشبهه بصفة ما. وتعظيم وجه الإنسان إما لأنه أشرف جزء من الإنسان إذ أكثر الحواس فيه؛ أو لأنه إذا عدم عدم الكل

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٤/١١٩٣

بخلاف بقية الأعضاء.ــــــوفي هذا التأويل إضمار، كأنه قيل: هذا المضروب من أولاد آدم، فاجتنبوا ضرب العضو الأشراف منه احتراما له؛ لأنه يشبه وجه آدم. والثاني أن الضمير راجع إلي المضروب. قال الشيخ محي الدين: وهو رواية مسلم. ويحتمل أن يرجع إلي ((الوجه))." (١)

"المانع هو الذي يمنع أسباب الهلاك والنقصان في الأبدان والأديان بما يخلقه من الأسباب المعدة للحفظ وقد يكون من المنع والحرمان لمن لا يستحق العطاء لقوله صلى الله عليه وسلم (لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت) فمنعه سبحانه حكمة وعطاؤه جود ورحمةالضار النافع الكلام في الجميع بينهما كما تقدم في القابض والباسط ونحوهما لأن في اجتماعهما وصفا له سبحانه بالقدرة على نفع من شاء وضر من شاء فهو مرجو مخوف ولتضمنهما أن الخير والشر بقدر اللهالنور هو الظاهر الذي به كل ظهور فبنوره يبصر ذو العماية وبهدايته يرشد ذو **الغواية**البديع هو الذي فطر الخلق مبتدعا له لا على مثال سبقالرشيد هو الذي تنساق الموجودات بتدبيره وإرشاده إلى غاياتها على سنن الرشادالصبور هو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام منهم بل يؤخر ذلك إلى أجل مسمى ويمهلهم لوقت معلوم فمعنى الصبور قريب من معنى الحليم إلا أن الفرق بينهما أن العقوبة لا تؤمن في صفة الصبور كما يؤمن منها في صفة الحليم والله أعلم." (٢)

"لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقدوا في أبيات رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نارا. فقلت: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – جيران من الأنصار كان لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أبياتهم، فيسقينا.ثامنها:حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "اللهم ارزق آل محمد قوتا".الشرح:قوله في الحديث الأول: (إن أبا هريرة كان يقول: آلله الذي لا إله إلا هو) يجوز في الله الخفض والنصب. قال ابن التين: ورويناه بالنصب. قال ابن جني: إذا حذفت حرف القسم نصبت الاسم بعده بالفعل المقدر تقول: الله لأذهبن. قال امرئ القيس:فقالت: يمين الله ما لك حيلة ... وما إن أرى عنك **الغواية** تنجليومن العرب من يجر اسم الله وحده مع حذف حرف الجر، فيقول: الله لأقومن؛ وذلك لكثرة ما يستعملون هذا الاسم، وتقول: أي هالله ذا، فتجر الاسم بها؛ لأنها صارت بدلا من الواو، وكذلك قولهم في الاستفهام: ألله لتذهبن؟ صارت همزة الاستفهام عوضا من الواو فجررت الاسم، وتقول

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢٤٩١/٨

(٢) سلاح المؤمن في الدعاء ابن الإمام ص/٢٦٥

في التعجب: لله لأقومن (١)!وقوله: (إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض) الكبد بكسر الباء وسكونها مثل فخذ وفخذ.وقوله: (وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع) قال الخطابي:ــــــــــــــــــ(١) "اللمع في العربية" ص ١٨٥.." (١)

"قال رسول الله (ص): "إن مما في صحف إبراهيم (س) ... ، وعلى العاقل أن يكون عارفا بزمانه، مقبلا على شأنه ممسكا للسانه" (١) الحديث، فمعرفة الزمان وأهله صعب، والكلام فيه متسع رحب، وفيه من الآفات الدنيوية، ما نسأل الله السلامة منه، ومن تحريك الآثار النفسانية، مما نرغب إلى الله في الخلو عنه، لا سيما ما يشتبه فيها الحق بالباطل، ويظهر المتحلي به كالعاطل، فإن النفوس تسرع لإنكاره، ولا يصح من المشفق على نفسه وجود إظهاره، لما يحرك من عقارب التعصب والإذاية، وما يوجبه من اشتداد ظلمة **الغواية**، لكن الحق أبلج، والباطل لجلج، والدين النصيحة، والسكوت في الحق فضيحة، فوجب أن نأتي من ذلك، بما هو الأهم، لشيوعه في الوقت، حماية لمن وقف عليه من أسباب البعد والمقت، فنذكر أمورا يدعي أهلها أنهم على طريقة السادة الصوفية، ويرون أنهم في ذلك على حالة سنية، من غير دليل واضح قاطع، ولا نور ظاهر ساطع، ويدعون إلى ذلك بحسب إمكانهم، ويمنعون مما سواه كافة إخوانهم، ويقولون: إن قبولهم ذلك من قوة إيمانهم، وتحقق إحسانهم، وإن ذلك هو عين الحقيقة، ومنهاج سلوك السبيل والطريقة، وإنما هي طريقة معوجة، وأمور ملبسة مروجة، يغتر بها الجاهل، فيتبع، ويحتج بها المتعصب، فيضل ويبدع، أعاذنا الله مما ابتلاهم به، وسلك بنا طريق الحق بفضله، وإنما يظهر الحق في ذلك بالتبصر، ويزول اللبس فيه ويذهب التستر، وهذا حين نشرع في المقصود وبالله التوفيق، فنقول:ــــــــــــــــــ(١) هو من كلام وهب بن منبه رواه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ٢٢ قال: "من حكمة آل داود" وخرجه ابن حبان من حديث أبي ذر ٢/ ٧٨ وعزاه الزيلعي في تخريج الحديث والآثار ٢/ ٣٩٠ إلى الحاكم في المستدرك والطبراني في معجمه والبيهقي في شعب الإيمان، وفيه يحيى السعدي ضعيف. قال: وله طريق آخر رواه أحمد وإسحاق في مسنديهما، وفيه معان وعلي بن يزيد والقاسم ثلاثتهم ضعفاء. وفي إسناد ابن حبان إبراهيم بن هشام الغساني كذبه أبو حاتم وأبو زرعة، فالحديث ضعيف جدا حتى إن ابن الجوزي ذكره في الموضوعات واتهم به إبراهيم المذكور. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢/ ٧٧ وتخريج الأحاديث والآثار ٢/ ٣٩.." (٢)

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٤٧٥/٢٩

(٢) عدة المريد الصادق زروق ص/٣٥

"٣٥ – فصلفي ذكر شبهتهم في ذلك وفيما قبله.وهو أن المريد المشرف على غير الحقيقة يتعين عليه إفراد الوجه بكل حال، فلا ينطق إلا بذكر مناسب لحاله، ولا ينظر إلا بفكر مناسب لأمره، ولا يتحرك إلا بحركة مناسبة لتوجهه، حتى تنصبغ حقيقته بمعاني ما فتح له، فيعود للأحكام العامة، وإنما يعمل بذلك دواء لعلة تفرقته عند آخر أمرها، وهي مرتبة لا تجوز للمبتدئ لعدم تهيئه لها، فكيف بالناسك المقتدي، لأن شأنه اشتغال عوالم جنسه، وحفظ النظام بوجهه بالتزام التقوى، ثم بالاستقامة، حتى إذا استكملنا فيه، طولب بمراقبة أنفاسه، وعند ذلك يسوغ له الاستئذان في كل شيء، لغليان قلبه، وجريان الخواطر عليه مع الأنفاس، وحركات أحواله مع التقلبالت، ليسلم من الغلط، ويبرأ من الرعونة والدعاوى، ويهتدي فيما دق كما اهتدى فيما جل، وما لم يفعل ذلك كان الغلط والضلال والضرر أقرب إليه من كل شيء، حتى إذا صار فيه ذلك كالمطبوع، نقل لتحقيق الحقيقة بإفراد الوجه وإخلاء الباطن عن الغير، وهنا يضيقون عليه أنفاسه، ويضبطون عليه حواسه، ويمنعونه المخالطة والمماسة، حتى إذا صح توجهه، ألقوا إليه ما يصلح له من الذكر المفرد، اللائق به على حسب ما يرونه من شاهد حاله، ثم إذا تمكن ذلك منه عادوا به للمبادئ في الصورة، وإنما هو لتكميل الحقيقة، فالنهاية الرجوع للبداية، وليست البداية التعلق بالنهاية، فمن طلب بداية في نهاية فاتته العناية، ومن طلب نهاية في بداية حصل على **الغواية**، وما هو إلا كمن يريد منفعة الإكسير (١)، في المعدن قبل تطهيره، فيتلفه بغير منفعة، وهذه حالة هؤلاء المساكين الذين بادؤوا المبتدئ بالتجريد، فخرجوا به إلى محل النفي والتبعيد، واغتروا في ذلك بحركات المشايخ مع المريدين الذين علمت، همتهم، إما بسلوك سابق، أو بجذب غالب،_____________(١) الإكسير: الكيمياء، انظر تاج العروس (كسر).." (١)

"فسلم لهم فالقوم أهل عناية ... وخاملهم في الوصف لا يتحقر (١)وإن كنت يا هذا بهم متمسكا ... فتبقى بطول الدهر لا تتغير(قلت: وذلك انبساط حرمة الله عليهم، وحرمة الجناب إذا انبسطت لم تتوقف على من واجهته، بل تتعدى لكل من له منه نسبة والله أعلم (٢)، وبالجملة، فالاعتقاد خير كله، والانتقاد شر كله (٣)، والاغترار أصل كل **غواية**، والحذر أصل كل هداية، رقد جاء في الحديث ما يؤيد هذه الجملة مفرقا، غير أن مذهب الفقهاء تقديم سوء الظن للحذر، حتى يتحقق الرافع، ومذهب الصوفية تقديم حسن الظن، عملا بسلامة الصدر، حتى يتحقق الرافع، والحذر عند كل منهما واجب، لقوله (ص): "الحزم سوء الظن" (٤)، و"المؤمن كيس فطن حذر" (٥)، الحديث، وإذا كان الله حذر المؤمنين من بعض

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١١٧

أزواجهم وأولادهم فكيف بغيرهم، فالحذر شأن ذوي العزم، لكن مع_______________(١) ورد البيتان في كتاب النصيحة للمؤلف على النحو الآتي:فسلم لهم فالقوم أهل عناية ... وجاملهم فالوصف لا يتحقرفإن كنت في أذيالهم متمسكا ... فإنك طول الدهر لا تتغيرالنصيحة ص ١٤٨.(٢) لا يوجد في ت ١.(٣) لكن ينبغي الإنكار على من صدر منه ما يخالف الشريعة كما يأتي للمؤلف في قوله: (فمن ثم صح إنكار الفقيه على الصوفي، ولم ينكر الصوفي عليه)، وقال في ص ١٣٠: (وطائفة اعتقدت الإباحة للولي)، انظر النص.(٤) "الحزم سوء الظن، هو أن تستشير ذا الرأي تطيع أمره في الهوى"، بهذا اللفظ خرجه الديلمي عن عبد الرحمان بن عائذ مرفوعا كما في الفردوس، وجاء في النسخة المحققة من الفردوس (عامر بدل عائذ) وهو تصحيف، حديث رقم ٢٧٩٧، وقال في المقاصد ص ٢٣: خرجه أبو الشيخ وهو مرسل، وقال: طرقه كلها ضعيفة يتقوى بعضها ببعض، وعزاه أيضا إلى الديلمي في مسنده عن علي بن أبي طالب من قوله، وهو ضعيف أيضا، وانظر تحفة التحصيل للعراقي ص ١٩٩ والمراسل لابن أبي حاتم ص ١٢٤.(٥) خرجه بهذا اللفظ الديلمي والقضاعي من حديث أبان ابن أبي عياش عن أنس مرفوعا كما في المقاصد الحسنة، وأبان ابن أبي عياش متروك كما في التقريب ص ٨٧.." (١)

"أصحاب الشيخ بمصر، لأنه لما بلغه الكتاب المذكور، طلبه منه بعض الملوك، فأدركته الغيرة من بذله لغير أهله، فستره وبعث بهذا لهم، والله أعلم بالأمر.وقد حذر الناصحون من تلبيس ابن الجوزي (١)، بل ومن مواضع في مواعظه، وفتوحات الحاتمي، وتائية ابن الفارض بل كل قصائده، وأزجال الششتري (٢) وتآليف شيخه ابن سبعين، وكتاب (خلع النعلين) لابن قسي (٣)، وابن ذي سكين (٤)، والعفيف التلمساني (٥) والعجمي الأيكي (٦)، والأقطع (٧) وابن أجلاء (٨) ومن نحا نحوهم، واختلف الناس فيهم اختلافا متباينا، فمن معتقد فيهم الولاية، ومن معتقد **الغواية**، ومن آخذ بالتسليم (٩) ومن قائم_______________(١) هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي، المحدث الفقيه (ت ٩٧ هـ) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤٢.(٢) هو علي بن عبد الله النميري الششتري، متصوف أندلسي ت ٦٦٨ هجرية. الأعلام ٥/ ١٢٠.(٣) شيخ من شيوخ الصوفية. اسمه أحمد بن الحسين بن قسي، أندلسي، ادعى الهداية، وتسمى بالإمام، كثر خوض أتباعه في موضوعات الغلاة من الباطنية ت ٥٤٦ هجرية الأعلام ١/ ١١٣. وهامش نفح الطيب ٦/ ٣٠٥.(٤) هكذا ورد ولعل الصواب ابن سودكين وهو أبو طاهر إسماعيل بن سودكين الثوري الحنفي، له كلام عن الصوف وصحب ابن العربي (ت ٦٤٦ هـ) تكملة إكمال الإكمال

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/١٦٢

١/ ٣١ وكشف الظنون ٢/ ١٥٦٦.(٥) هو سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، كان يتكلم في اصطلاح القوم، يتبع طريقة ابن عربي، اتهمه قوم برقة الدين والزندقة، انظر الأعلام ٣/ ١٩٣.(٦) العجمي الأيكي هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي الشافعي، رماه أبو حيان بالإلحاد (ت ٦٩٧) شذرات الذهب ٥/ ٤٣٩.(٧) في ت ٢: والعجمي الأيكي الأقطع.(٨) هكذا ورد ولعله ابن أحلاء كما ذكر، التنبكتي في نيل الابتهاج في ترجمة علي بن عبد الله الششتري.(٩) في ب ١: بالتعليم، من المعتقدين فيهم **الغواية** من الحفاظ: الذهبي وابن حجر والبلقيني، فقد قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٤/ ٣١٧ عن ابن الفارض: فتدبر نظمه، ولا تستعجل، ولكنك حسن الظن بالصوفية، وما تم إلا زي الصوفية، وإشارات مجملة، وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعي، فقد نصحتك، والله الموعد، =." [١]

"إضمار مضاف قبل كان لاستقامة المعنى، تقديره قبل من محبة "من كان الله"."مما سواهما".قال البيضاوي: "فإن قيل: لما ثنى الضمير هنا ورد على الخطيب: "ومن عصاهم فقد غوى" وأمره بالإفراد؟ فالجواب: أنه ثنى هنا إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة، فإنها وحدها لاغية، وأمر بالإفراد هنا كإشعار بأن كل واحد من العصيانيين مستقل باستلزام **الغواية**، فإن قوله: "ومن عصى الله ورسوله" من حيث أن العطف في تقدير التكرير، والأصل فيه استقلال كل من المعطوف والمعطوف عليه في قوة قولنا: ومن عصى الله فقد غوى، ومن عصى الرسول فقد غوى".قال الطيبي: " هذا كلام حسن متين، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ لم يعد ﴿أطيعوا﴾ في أولى الأمر، كما." [٢]

"١٠٢ – (اتخذوا) ندبا وارشادا (هذه الحمام) كسحاب ما عب وهدر أي شرب الماء بلا مص وصوت يقع على الذكر والأنثى ودخول الهاء لإفادة الوحدة لا للتأنيث قال ابن العماد: ويقع على الذي يألف البيوت واليمام والقماري وساق حر والفاختة والقطا والورشان والعصفور والفتح والحجل والدراج (المقاصيص) جمع مقصوصة أي مقطوعة ريش الأجنحة لئلا تطير. يقال: قصصت الشعر أي قطعته وقصصته بالتثقيل مبالغة (في بيوتكم) بضم الباء وتكسر أي أماكن سكنكم (فإنها تلهي) من لها يلهو لعب (الجن عن) عبثهم بنحو (صبيانكم) وأذاهم قيل وللأحمر في ذلك مزيد خصوصية -[١١٢]- ولعل وجهه أن الجن تحب من الألوان الحمرة كما ورد في خبر فإذا كان الحمام باللون المحبوب لهم كانوا أكثر إقبالا

---

(١) عدة المريد الصادق زروق ص/٢٤٣

(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي السيوطي ٢/٦٤٨

على اللهو به والإشتغال به عن العبث بالأطفال قال في القاموس: ومجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والجمود والثبات ومن فوائد اتخاذ الحمام أنه يطرد الوحشة فقد أخرج الخطيب في التاريخ عن ابن عباس قال: شكا رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال: اتخذ زوج حمام يؤنسك في الليل لكن فيه محمد بن زياد كذاب وأخرج ابن السني عن معاذ أن عليا شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام ويذكر الله تعالى عند هديره وأشار المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله المقاصيص إلى عدم اتخاذ غيرها فإنه يجر إلى اللعب به بالتطير أو المسابقة وذلك مكروه بل ترد الشهادة بإدامته وفيه جواز حبس الطير في القفص مع القيام بمؤنته قال في شرح المقاصد: والجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل بأشكال مختلفة ويظهر منها أحوال عجيبة والشياطين أجسام نارية شأنها إلقاء الناس في الفساد والغواية انتهى. والظاهر أن المراد هنا كل منهما كما يدل عليه السياق (الشيرازي) أبو بكر أحمد بن عبدان الملقب بالباز الأبيض منسوب إلى شيراز بكسر المعجمة فمثناة تحتية وآخره زاي: قصبة بلاد فارس ودار الملك خرج منها جماعة من أهل التصوف والفقه والحديث منهم هذا الحافظ (في) كتاب (الألقاب) أي ألقاب الرواة(خط) في ترجمة محمد بن زياد اليشكري (فر عن ابن عباس) قضبته أن مخرجه الخطيب خرجه ساكتا عليه والأمر بخلافه فإنه عقبه بنقله عن أحمد وابن معين وغيرهما أن محمد بن زياد كان كذابا يضع الحديث انتهى. وقال ابن حجر: فيه محمد بن زياد اليشكري كذبوه وفي الميزان كذاب وضاع ثم أورد له هذا الخبر يروي الموضوعات عن الأثبات ومن ثم حكم ابن الجوزي بوضعه وتبعه المؤلف في مختصر الموضوعات ساكتا عليه وحكاه عنه في الكبير وأقره فكان ينبغي حذفه من هذا الكتاب وفاء بشرطه وممن جزم بوضعه ابن عراق والهندي وغيرهما وما في الأدب المفرد للبخاري عن الحسن سمعت عثمان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام فلا دلالة فيه على وضع هذا الحديث ولا عدمه كما وهم." (١)

"٣٩١ - (إذا أراد الله بقوم خيرا) قال بقوم ولم يقل بالناس لأن هذا العالم لا يكمل نظامه إلا بوجود الشر فيه ومن جملته إمارة السفهاء وحكم الجهلاء فلا تخلو الأرض من ذلك فإذا أراد بأهل قطر مخصوص خيرا عمل بهم ما ذكره بقوله (ولى عليهم حلمائهم) جمع حليم والحلم بالكسر الأناة والتثبت (وقضى) أي حكم (بينهم علماؤهم) أي صير الحكم بينهم إلى العلماء بأن يلهم الإمام البحث عمن فيه الأهلية ويؤثره بالولاية على أهل الجهل والغواية (وجعل المال في سمحائهم) أي كرمائهم جمع سميح وهو الجيد الكريم

---

(١) فيض القدير المناوي ١/١١١

وذلك ليخرج أحدهم الزكاة بطيب نفس ويقوم بما تقتضيه مكارم الأخلاق من مواساة ذوي الضرورات والحاجات ويتساهل في المعاملات وذلك من علامة رضا الله عن الناس وقد أخرج ابن عساكر عن قتادة قال موسى عليه الصلاة والسلام يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فما علامة غضبك من رضاك قال إذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة رضاي وإذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم (وإذا أراد الله بقوم شرا ولى عليهم سفهاءهم) أي أخفهم أحلاما وأعظمهم طيشا وخفة وهذا إشارة إلى التحذير من إمارة السفهاء ومن فعلهم وما يترتب عليه من الظلم والكذب وما يؤدي إلى طيشهم وخفتهم من سفك الدماء والفساد في الأرض (وقضى بينهم جهالهم) بالأحكام الشرعية (وجعل المال في بخلائهم) الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ولا يقرون الضيف ولا يعطون في النائبة وإصلاح ذات البين مع القدرة ونحو ذلك ولو ولى عليهم سفهاءهم وجعل المال في سمحائهم أو عكسه لم يدل على خير ولا شر فيما يظهر(فر) وكذا ابن لال وعنه خرجه الديلمي فكان الأولى عزوه إليه لأنه الأصل (عن مهران) قال في الفردوس أظنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مسنده وله صحبة انتهى وإسناده جيد ولم يرمز له بشيء." (١)

"٤٧٧ - (إذا أكل أحدكم) أي أراد أن يأكل ويحتمل جعله على ظاهره (طعاما) غير لبن (فليقل) ندبا (اللهم بارك لنا فيه) من البركة وهي زيادة الخير ودوامه (وأبدلنا) بفتح الهمزة (خيرا) اسم تفضيل وأصله أخير فلا يراد أنها ليست على وزن أفعل (منه) من طعام الجنة أو أعم فيشمل خير الدارين ويؤيده أن النكرة في سياق الدعاء تعم وإن كانت للإثبات (وإذا شرب) أي تناول (لبنا) ولو غير حليب وعبر بالشرب لأنه الغالب (فليقل) ندبا (اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) ولا يقل خيرا منه لأنه ليس في الأطعمة خير منه (فإنه ليس بشيء يجزئ) بضم أوله أي يكفي يقال جزأت الإبل بالرطب عن الماء اكتفت (من الطعام والشراب إلا اللبن) يعني لا يكفي في دفع العطش والجوع معا شيء واحد إلا هو لأنه وإن كان بسيطا في الحس لكنه مركب من أصل الخلقة تركيبا طبيعيا من جواهر ثلاث جبنية وسمنية ومائية فالجبنية باردة رطبة مغذية للبدن والسمنية معتدلة في الحرارة والرطوبة ملائمة للبدن الإنساني الصحيح كثيرة المنافع والمائية حارة رطبة مطلقة للطبيعة مرطبة للبدن فلذلك لا يجزئ من الطعام غيره وهو أفضل من العسل على ما عليه السبكي وألف فيه لكن عكس بعضهم وجمع ابن رسلان بأن الأفضل من جهة التغذي والري اللبن والعسل أفضل من حيث جموم المنافع والحلاوة وقضية الحديث أيضا أن اللبن أفضل من اللحم ويعارضه الخبر الآتي

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٦٢/١

أفضل طعام أهل الدنيا والآخرة اللحم سيأتي في خبر اللبن فطرة قال القرطبي يعني بها فطرة -[٢٩٧]- دين الإسلام كما قال تعالى ﴿فطرة الله﴾ الآية ثم قال ﴿ذلك الدين القيم﴾ وقد جعل الله ذلك لجبريل علامة على هداية هذه الأمة لأن اللبن أول ما يتغذى به الإنسان وهو قوت خلي عن المفاسد به قوام الأجساد ولذلك آثره المصطفى صلى الله عليه وسلم على الخمر ليلة الإسراء ودين الإسلام كذلك بل هو أول ما أخذ على بني آدم وهو كالذر ثم هو قوت الأرواح به قوامها الأبدي وصار اللبن عبارة مطابقة لمعنى دين الإسلام من جميع جهاته فكان العدول عنه إلى الخمر لو وقع علامة على الغواية وقد أعاذ الله تعالى نبيه من ذلك طبعا وشرعا(حم د ت) وقال حسن (هـ هب عن ابن عباس) رضي الله عنه قال كنت عند ميمونة فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه خالد فجاؤوا بضبين مشويين فتبزق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال خالد: أخالك تقذره فقال: أجل ثم أتى بلبن فذكره وظاهر صنيع المؤلف رحمه الله أن ما ذكر جميعه هو لفظ الحديث والأمر بخلافه فقد ذكر الصدر المناوي عن الخطابي أن قوله فإنه إلى آخره من قول مسدد لا من تتمة الحديث." (١)

"٣٤١٥ - (ثلاث) نكرة هي صفة لمحذوف ومن ثم وقعت مبتدأة أي خصال ثلاث والخبر قوله (من كن) أي حصلن (فيه وجد) أصاب (حلاوة الإيمان) أي التلذذ بالطاعة وتحمل المشقة في رضى الله ورسوله وإيثار ذلك على عرض الدنيا وهذا استعارة بالكناية ثم شبه الإيمان بنحو العسل للجهة الجامعة وهو الالتذاذ فأطلق المشبه وأضاف إليه ما هو من خصائص المشبه به ولوازمه وهو الحلاوة على جهة التخييل وادعى بعض الصوفية أنها حلاوة حسية لأن القلب السليم من أمراض الغفلة والهوى يجد طعم الإيمان كذوق الفم طعم العسل يمكن كون الجملة الشرطية صفة لثلاث فيكون الخبر ثم إن هذه الثلاثة لا توجد إلا (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) وأن مصدرية خبر مبتدأ محذوف أي أول الثلاثة كون الله ورسوله في محبته إياهما أكثر محبة من محبة سواهما من نفس وأهل ومال وكل شيء قال النووي: وعبر بما دون من لعمومها وجمعه بين اسم الله ورسوله في ضمير لا ينافيه إنكاره على الخطيب ومن يعصهما لأن المراد في الخطب الإيضاح لا الرمز وهنا إيجاز اللفظ ليحفظ وأولى منه قول البيضاوي ثنى الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها لاغية وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعارا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية إذ العطف في تقدير التكرير والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم اهـ. وهنا أجوبة أخرى لا ترتضى ومحبة العبد ربه تنقسم

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٩٦/١

باعتبار سببها والباعث عليها إلى قسمين أحدهما ينشأ عن مشاهدة الإحسان ومطالعة الآلاء والنظر في النعم فإن القلوب جبلت على حب المحسن إليها -[٢٨٧]- ولا إحسان أعظم من إحسان الرب تقدس وهذا القسم يدخل فيه كل أحد والثاني يتعلق بالخواص وهي محبة الجلال والجمال ولا شيء أكمل ولا أجمل منه فلا يجد كماله ولا يوصف جلاله ولا ينعت جماله وأسباب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة منها أنه أنقذنا به من النار وأوجب لنا باتباعه الفلاح الأبدي والنعيم السرمدي (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) أي لا يحبه لغرض إلا لغرض رضى الله حتى تكون محبته لأبويه لكونه سبحانه أمر بالإحسان إليهما ومحبته لولده لكونه ينفعه في الدعاء الصالح له وهكذا (وأن يكره أن يعود في الكفر) أي يصير إليه واستعمال العود بمعنى الصيرورة غير عزيز (بعد إذ انقذه الله منه) أي نحاه منه بالإسلام (كما يكره أن يلقى في النار) لثبوت إيمانه وتمكنه في جنانه بحيث انشرح صدره والتذ به وفيه تنبيه على الكفر كالنار وإشارة إلى التحلي بالفضائل وهو حب الله ورسوله وحب الخلق والتخلي عن الرذائل وهو كراهة الكفر وما يلزمه من النقائص وهو بالحقيقة لازم للأول إذ إرادة الكمال تستلزم كراهة النقصان فهو تصريح باللازم قال البيضاوي: جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان المحصل لتلك اللذة لأنه لا يتم إيمان عبد حتى يتمكن في نفسه أن المنعم والقادر على الإطلاق هو الله وما مانح ولا مانع سواه وما عداه وسائط وأن الرسول هو العطوف الحقيقي الساعي في إصلاح شأنه وإعلاء مكانه وذلك يقتضي أن يتوجه بشراشره نحوه ولا يحب ما يحبه إلا لكونه وسطا بينه وبينه وإن تيقن أن جملة ما وعد به وأوعد حق فيتيقن أن الموعود كالواقع وقال البيضاوي: المراد بالحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل فالمرء لا يؤمن إلا إذا تيقن أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل والعقل يقتضي ترجح جانبه وكماله بأن يمون نفسه بحيث يصير هواه تبعا لعقله ويلتذ به التذاذا عقليا إذ اللذة إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك وليس بين هذه واللذة الحسية نسبة يعتل بها والشارع عبر عن هذه الخلة بالحلاوة لأنها أظهر من اللذات المحسوسة فيحسب مجالس الذكر رياض الجنة وأكل مال اليتيم أكل النار والعود إلى الكفر إلقاء في النار(حم ق) في الإيمان (ت ن هـ عن أنس) بن مالك رضي الله تعالى عنه قال النووي رحمه الله تعالى: هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام." (١)

"٣٩٢٨ - (خلق الله آدم على صورته) أي على صورة آدم التي كان عليها من مبدأ فطرته إلى موته لم تتفاوت قامته ولم تتغير هيئته بخلاف بنيه فإن كلا منهم يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما وأعصابا

---

(١) فيض القدير المناوي ٢٨٦/٣

عارية ثم مكسوة لحما ثم حيوانا مجننا لا يأكل ولا يشرب ثم يكون مولودا رضيعا ثم طفلا مترعرعا ثم مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا أو خلقه على صورة حال يختص به لا يشاركه أنواع أخر من المخلوقات فإنه يوصف مرة بالعلم وأخرى بالجهل وتارة **بالغواية** والعصيان وطورا بالهداية والاستغفار ولحظة يقرن بالشيطان في استحقاق اسم العصيان والإخراج من الجنان ولحظة يتسم بسمة الاجتباء ويتوج بتاج الخلافة والاصطفاء وبرهة يستعمل بتدبير الأرضين وساعة يصعد بروحه إلى عليين وطورا يشارك البهائم في مطعمه ومنكحه وطورا يسابق الكروبيين في ذكره وفكره وتسبيحه وتهليله وقيل الضمير لله تعالى بقرينه رواية خلق آدم على صورة الرحمن (١) والمعنى خلق آدم على صورة اجتباها وجعلها من جميع مخلوقاته إذ ما من موجود إلا وله مثال في صورته ولذلك قيل الإنسان عالم صغير. قال ابن عربي: لما وصل الوقت المعين في علمه تعالى لإيجاد هذا الخليفة الذي يهدي الله المملكة بوجوده وذلك بعد أن مضى من عمر الدنيا سبعة عشر ألف سنة أمر بعض ملائكته أن يأتيه بقبضة من كل أجناس تربة الأرض فأتاه بها فأخذها سبحانه وخمرها بيده حتى تغير ريحها وهو المسنون وهو ذلك الجزء الهوائي الذي في الإنسان وجعل جسده محلا للأشقياء والسعداء من ذريته وجمع في طينته الأضداد بحكم المجاورة وأنشأه على الحركة المستقيمة وذلك في دولة السنبلة وجعله ذا جهات ست فوق وهو ما يلي رأسه وتحت وهو ما يلي رجليه ويمين وهو ما يلي جانبه الأقوى وشمال وهو ما يلي جانبه الأضعف وأمام وهو ما يلي الوجه وخلف وهو ما يلي الفضاء وصوره وعدله وسواه ثم نفخ فيه روحه المضاف إليه فسرى في أجزائه أربعة أركان الأخلاط إذ كانت الصفراء عن الركن الناري والسوداء عن التراب والدم عن الهواء وهو قوله مسنون والبلغم من الماء الذي عجن به التراب فصار طينا ثم أحدث فيه القوة الجاذبة التي بها تجذب الأغذية ثم الماسكة وبها يمسك الحيوان ما يتغذى به ثم الهاضمة وبها يهضم الغذاء ثم الدافعة وبها يهضم الفضلات عن نفسه من عرق وبخار-[٤٤٦]- وريح وبراز وأما سريان الأبخرة وتقسم الدم في العروق وفي الكبد فبالقوة الجاذبة لا الدافعة ثم أحدث فيه القوة الغاذية والمنمية والحاسة والخيالية والوهمية والحافظة والذاكرة وهذا كله في الإنسان بما هو حيوان لا بما هو إنسان فقط إلا أن هذه القوى الأربع قوة الخيال والوهم والحفظ والذكر في الإنسان أقوى ثم خصت بالقوة المصورة المفكرة والعاقلة وجعل هذه القوى آلات للنفس الناطقة ليصل بها إلى جميع منافعها وجعله دارا لهذه القوى فتبارك الله أحسن الخالقين ثم ما سمى نفسه باسم من الأسماء إلا وجعل للإنسان من التخلق به حظا منه يظهر به في العالم على قدر ما يليق به ولذلك تأول بعضهم قوله في الخبر خلق الله آدم على صورته على هذا المعنى والحديث خرج مخرج الزجر والتهويل لوروده عقب قوله لا تقولوا قبح الله

وجهك فإن الله خلق آدم على صورته أي صورة هذا الوجه المقبح ذكره القاضي. (وطوله ستون ذراعا) بذراع نفسه أو بالذراع المتعارف يومئذ للمخاطبين أو بالذراع المعروف عندنا ورجح الأول بأن حسن الخلق يقتضي اعتدال الأعضاء وتناسبها ومن قصرت ذراعه عن ربع قامته أو طالت خرج عن الاعتدال ومن قامته ستون ذراعا بذراع نفسه فذراعه سدس من عشر قامته فيخرج عن الاعتدال وزاد أحمد في روايته بعد ما ذكر في سبعة أذرع عرضا ولم ينتقل أطوارا كذريته (ثم قال له اذهب فسلم على أولئك النفر) فيه إشعار بأنهم كانوا على بعد ولا حجة فيه لمن أوجب ابتداء السلام لأنها واقعة حال لا عموم لها (وهم نفر من الملائكة جلوس) قال ابن حجر: لم أقف على تعيينهم (فاستمع) في رواية فاسمع (ما يحيونك) بمهملة من التحية وفي رواية بجيم من الجواب (فإنها تحيتك وتحية ذريتك) من جهة الشرع أو أراد بالذرية بعضهم وهم المسلمون (فذهب فقال السلام عليكم) يحتمل أنه تعالى علمه كيفية ذلك نصا وكونه فهمه من قوله له سلم وكونه ألهمه ذلك (فقالوا السلام عليك ورحمة الله) وهذا أول مشروعية السلام وتخصيصه لأنه فتح باب المودة وتأليف لقلوب الأخوان المؤدي إلى استكمال الإيمان كما في خبر مسلم: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم واستأنس بهذا من أجاز حذف الواو في الرد ووجهه أن المسلم عليه مأمور بمثل تحية المسلم عدلا وأحسن منها فضلا فإذا رد بالمثل أتى بالعدل (فزادوه) الضمير لآدم والزيادة تتعدى إلى مفعولين ومفعوله الثاني قوله (ورحمة الله) وفيه مشروعية زيادة الرد واتفقوا على وجوب الرد لأن السلام الآمان فإذا ابتدأ به المسلم فلم يحيه أوهم الشر قال القرطبي: وقد دل هذا الخبر على تأكد السلام وأنه من الشرائع القديمة الذي كلف بها آدم ثم لم تنسخ في شريعة اه لكن في خبر ما حسدتكم اليهود إلخ يدل على أنه من خصوصياتنا (فكل من يدخل الجنة) من بني آدم يدخلها وهو (على صورة آدم) أي على صفته في الحسن والجمال والطول ولا يدخلها على صورة نفسه من نحو سواد وعاهة وهو يدل على عفة البعض من نحو سواد ينتفي عند دخولها (في طوله ستون ذراعا) بذراع نفسه أو بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين أو بذراع الشرع المعروف الآن على ما تقرر فيما قبله وروى ابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعا يدخل أهل الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين اه وقال ابن حجر: وروى عبد الرزاق أن آدم لما هبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فحطه الله إلى ستين ذراعا فظاهره أنه كان مفرط الطول في ابتداء فطرته وظاهر هذا الحديث أنه خلق ابتداء على طول ستين ذراعا وهو المعتمد (فلم تزل الخلق تنقص بعده) في الجمال والطول (حتى الآن) فانتهى التناقص إلى هذه الأمة واستقر

الأمر على ذلك فإذا دخل الجنة عادوا إلى ما كان آدم عليه من الكمال والجمال وامتداد القامة وحسن الهامة وفي مثير الغرام في زيارة القدس والشام أن آدم كان أمرد وإنما حدثت اللحية لولده وكان أجمل البريةقال السمهودي ما ذكر من الصفات من طول آدم وغيره ثابت لكل من دخل الجنة كما -[٤٤٧]- تقرر فيشمل من مات صغيرا بل جاء ما يقتضي ثبوت جميع ذلك للسقط فروى البيهقي بسند حسن عن المقداد ما من أحد يموت سقطا ولا هرما وأنحاء الناس فيما بين ذلك إلا بعث ابن ثلاث وثلاثين فإن كان من أه ل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب أيوب ومن كان من أهل النار عظم كالجبال والآن بالنصب ظرف يعني حتى وصل النقصان إلى الوقت الذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيه الحديث قيل هذا مقدم في الترتيب على قوله فكل من يدخل الجنة إلخ قال ابن حجر: يشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السابقة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب المار وعهدهم قديم والزمن الذي بينهم وبين آدم دون ما بينهم وبين أولاد هذه الأمة ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال(حم ق عن أبي هريرة) ورواه عنه الطبراني وغيره____________(١) والمراد بالصورة الصفة والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء." (١)

"في مقام الخطبة وهي تقتضي عدم الألغاز والمبالغة في الإيضاح بخلاف هنا، فالمراد اختصار اللفظ ليحفظ كذا قيل، وقال البيضاوي: ثنى الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدها لاغية وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعار بأن كل واحد من العصيانين [٢/ ٣٣٧] مستقل باستلزام **الغواية**.قلت: وكنت أجيب عن سؤال في هذا أنه نهى - صلى الله عليه وسلم - عن التثنية في كلام غيره لإيهامه عدم تعظيم الله تعالى لا في كلامه - صلى الله عليه وسلم - فإنها وردت لأنه لا إيهام فيها لذلك، وتقدم الكلام على معنى المحبة والحامل عليها في حقه تعالى من إحسانه إليهم وإفضاله بكل نعيم، وأنه يحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحب الله ولأنه الذي أنقذ العباد من الشرور وغير ذلك، قال البيضاوي (١): والمراد بالحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل فالمرء لا يؤمن إلا إذا تيقن أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل والعقل يقتضي ترجيح جانبه وكماله بأن يأسر هواه بحيث تصير تبعا لعقله ويلتذ به التذاذا عقليا إذا للذة إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك وليس بين هذه اللذة واللذة الحسية نسبة يعقد بها. (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) أي

---

(١) فيض القدير المناوي ٣/٤٤٥

لأن الله أمر بحبه فيحب أبويه لأن الله أمر بمحبتهما ويحب ولده لذلك ونحو ذلك وبالجملة أن يحب العبد لا لغوض من الأغراض إلا لأجل الله تعالى. (وأن يكره أن يعود في الكفر) الكراهة أمر طبيعي يوجبها ما يعلمه من الشر الذي يكرهه، وإذا علم أن الكفر جالب لكل بلاء في الدنيا والآخرة كرهه (والعود) مستعمل في معنى الضرورة وهو يستعمل فيها كثيرا إلا أن قوله: (بعد أن أنقذه الله منه) يشعر أن___________(١) انظر فتح الباري (٦٠١).." [١]

"ولله فهي كلها تعمل بالحق للحق " انتهى.وأقول: هذا الوجه السابع يرجع إلى الوجه الثاني، كما رجع إليه قول البعض.هذا ولا يخفاك أن جعل كنت سمعه بمعنى سامع دعائه مجيبه إلى مطلوبه فيه من البعد ما لا يخفى على من يفهم تصاريف الكلام ووجوه إفاداته.إذا عرفت ما اشتملت عليه هذه الوجوه التي ذكرها ابن حجر في الفتح، وعرفت ما قلناه في كل وجه منها.فاعلم أن الذي يظهر لي في معنى هذا الحديث القدسي، أنه إمداد الرب سبحانه لهذه الأعضاء بنوره الذي تلوح به طرائق الهداية وتنقشع عنده سحب الغواية. وقد نطق القرآن العظيم بأن الله سبحانه هو نور السموات والأرض. وقال النبي [صلى الله عليه وسلم] وآله وسلم لما سئل هل رأى ربه قال: " نور أني أراه " وهو في الصحيح.وثبت أنه سبحانه محتجب بالأنوار وثبت في الصحيحين وغيرهما من دعائه [صلى الله عليه وسلم] وآله وسلم إذا خرج إلى الصلاة " اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وخلفي نورا وفي عصبي نورا، وفي لحمي نورا وفي دمي نورا وفي شعري نورا وفي بشري نورا " وزاد مسلم: " وفي لساني نورا واجعل في نفسي نورا وأعظم لي نورا ".وأي مانع من أي يمد الله سبحانه عبده من نوره فيصير صافيا من كدورات الحيوانية الإنسانية لاحقا بالعالم العلوي سامعا بنور الله مبصرا بنور الله باطشا." [٢]

"(بالله العظيم) أي ذاتا وصفة (وبوجهه) أي ذاته (وسلطانه) أي غلبته وقدرته وقهره على ما أراد من خلقه (القديم) أي الأزلي الأبدي (من الشيطان) مأخوذ من شطن أي بعد يعني المبعود من رحمة الله (الرجيم) فعيل بمعنى مفعول أي المطرود من باب الله أو المشتوم بلعنة الله والظاهر أنه خبر معناه الدعاء يعني اللهم احفظني من وسوسته وإغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله فإنه السبب في الضلالة والباعث على الغواية والجهالة وإلا ففي الحقيقة أن الله هو الهادي المضل (قال أقط) الهمزة للاستفهام وقط بمعنى حسب قال عقبة لحيوة أبلغك عني هذا القدر من الحديث فحسب (قلت نعم) قائل هذا حيوة (قال) أي

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ١٣٤/٥

(٢) قطر الولي على حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها الشوكاني ص/٤١٥

عقبة (فإذا قال) الرجل الداخل (ذلك) الكلام (حفظ مني سائر اليوم) وهذه الجملة من بقية الحديث التي بلغك عني ومعنى حفظ مني سائر اليوم أي بقيته أو جميعه ويقاس عليه الليل أو يراد باليوم مطلق الوقت فيشملهقال بن حجر المكي إن أريد حفظه من جنس الشياطين تعين حمله على حفظه من كل شيء مخصوص كأكبر الكبائر أو من إبليس اللعين فقط بقي الحفظ على عمومه وما يقع منه من إغواء جنوده وإنما ذكرت ذلك لأنا نرى ونعلم من يقول ذلك ويقع في كثير من الذنوب فتعين حمل الحديث على ما ذكرته وإن لم أرهانتهوفيه أن الظاهر أن لام الشيطان للعهد والمراد منه قرينه الموكل على إغوائه وأن القائل ببركة ما ذكر من الذكر يحفظ منه في الجملة ذلك الوقت عن بعض المعاصي وتعيينه عند الله تعالى وبه يرتفع أصل الإشكال والله أعلم بالحالكذا في المرقاة٨ - (باب ما جاء في الصلاة عند دخول المسجد)[٤٦٧] (فليصل سجدتين) أي ركعتين (من قبل أن يجلس) تعظيما للمسجد قال الخطابي فيه من الفقه أنه إذا دخل المسجد كان عليه أن يصلي ركعتين تحية المسجد قبل أن يجلس." (١)

"وأرسل عن أم سلمة قال العجلي ثقة صدوق وقال أبو حاتم صدوق(قالت قراءة النبي) أي في سورة الزمر (بلى قد جاءتك) بكسر الكاف (آياتي) أي القرآن (فكذبت بها) بكسر التاء وقلت إنها ليست من الله تعالى (واستكبرت) بكسر التاء أي تكبرت عن الإيمان بها (وكنت من الكافرين) بكسر التاء كما في الموضعين الأولين على خطاب النفسوالمعنى كأنه بلى قد جاءتك آياتي وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق من الباطل ومكنتك من اختيار الهداية على الغواية واختيار الحق على الباطل ولكن تركت ذلك وضيعته واستكبرت عن قبوله وآثرت الضلالة على الهدى واشتغلت بضد ما أمرت به فإنما جاء التضييع من قبلك فلا عذر لك قاله النسفيوقال البيضاوي وتذكير الخطاب على المعنى وقرىء بالتأنيث للنفس انتهى وأخرج عبد بن حميد عن عاصم أنه قرأ بلى قد جاءتك آياتي بنصب الكاف فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين بنصب التاء فيهن كلهن انتهوقال شيخ شيخنا السيد محمود الألوسي في تفسيره روح المعاني وتذكير الخطاب في جاءتك على المعنى لأن المراد بالنفس الشخص وإن لفظها مؤنث سماعي وقرأ بن يعمر والجحدري وأبو حيوة والزعفراني وبن مقسم ومسعود بن صالح والشافعي عن بن كثير ومحمد بن عيسى في اختياره والعبسي جاءتك إلخ بكسر الكاف والتاء وهي قراءة أبي بكر الصديق وابنته عائشة رضي الله عنه وروتها أم سلمة عن النبي وقرأ الحسن والأعمش والأعرج جاءتك بالهمزة من غير مد بوزن فعتك وهو على ما قال أبو حيان مقلوب من جاءتك قدمت لام الكلمة وأخرت العين فسقطت الألف انتهىقال

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٢/٩٤

المنذري قال أبو داود هذا مرسل الربيع لم يدرك أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها أي في سورة الواقعة فروح أي بضم الراء قاله السيوطي والقراءة المشهورة بفتح الراء قال البغوي قرأ يعقوب بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم قال الحسن معناه يخرج روحه في الريحان وقال قتادة الروح الرحمة أي له الرحمة وقيل معناه فحياة وبقاء لهم ومن قرأ بالفتح معناه فله روح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة انتهى وريحان أي وله استراحة وقيل رزق قال في الدر المنثور أخرج أبو عبيد في فضائله وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحكيم الترمذي في النوادر والحاكم وصححه وأبو نعيم في الحلية وبن مردويه عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فروح وريحان برفع الراء انتهى وفي بعض النسخ قال أبو عيسى أي الرملي أحد رواة أبي داود بلغني عن أبي داود أنه قال هذا حديث منكر انتهى قال المنذري وأخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث هارون الأعور هذا آخر كلامه وهارون الأعور هو أبو عبد الله ويقال أبو موسى هارون بن موسى المقرئ النحوي البصري وهو ممن اتفق البخاري ومسلم على الاحتجاج بحديثه انتهى[٣٩٩٢] (قال) أحمد (بن حنبل يعني عن عطاء) أي يروي عمرو عن عطاء فكأن الإمام أحمد لم يتيقن على ذلك وشك بأن عمرا رواه عن عطاء أو غيره ولذلك صرح بقوله (لم أفهم جيدا) أي لم أفهم فهما كاملا إسناد هذا الحديث عن سفيان بأن عمرا رواه عن عطاء أو غيره ولذلك صرح بقوله لم أفهم جيدا أي لم أفهم كاملا إسناد هذا الحديث عن سفيان بأن عمرا رواه عن عطاء أو غيره لكن روى الحديث ستة من الحفاظ عن سفيان وكلهم رووه عن سفيان عن عمرو عن عطاء بلا شكقال المزي في الأطراف حديث سمعت النبي يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك." (١)

"الجناح «١» ضعيفي المنة. لا يقدرون على دفع عوادي الأيام وكلب «٢» الزمان.زد على ذلك أيضا أن الإبطاء في الزواج يزيد في كثرة الفتيات العانسات «٣» ويفوت عليهن زمن نضرتهن، وجني ثمارهن في إبانه وليس لهن القوة على مدافعة الشهوة كالرجال فتطغى عليهن وتجبرهن على سلوك طريق **الغواية** والفساد وهناك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، من اختلاط الأنساب وانتهاك حرمة الأعراض وتمزيق ثوب الحياء، والاستهتار بما يزيل الكرامة ويذل الشرف والعزة ويقضي على الإباء والمروءة والنخوة «٤» .وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم العلاج لغير القادر على الزواج وهو الصوم فإنه يكسر الشهوة ويقتل الميل والرغبة في النساء لأنه يضعف البدن وينقص من الدم الذي يبعث الحرارة والقوة فتقل دوافع الشهوة

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ١٥/١١

وتضمحل «٥» شدتها.٩٩- باب: استئذان المرأة في الزواجعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن» ، قالوا يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال:«أن تسكت» . [رواه الجماعة «٦»] .________(١) مهيضي الجناح: مكسوري الجناح.(٢) كلب الزمان: أذاه وشره.(٣) العانسات: الفتيات الأبكار اللواتي فاتهن سن الزواج.(٤) النخوة: الحماسة والمروءة.(٥) تضمحل: تضعف.(٦) رواه البخاري في كتاب: النكاح، باب: لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاهما (٥١٣٦) . ورواه مسلم في كتاب: النكاح، باب: استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت (٣٤٥٨) . ورواه النسائي في كتاب: النكاح، باب: إذن البكر (٣٢٦٧) . ورواه ابن ماجه في كتاب: النكاح، باب: استئمار البكر والثيب (١٨٧١) بنحوه. ورواه أبو داود في كتاب: النكاح، باب: في الاستئمار (٢٠٩٢) .." (١)

"تقدم ما يتعلق بهذا في مواضع عديدةقال وخصه بالذكر إكراما وتشريفا وأنه خلقه إبداعا من غير واسطة أب وأم (ونفخ فيك من روحه) الإضافة للتشريف والتخصيص أي من الروح الذي هو مخلوق ولا يد لأحد فيه (أغويت الناس) قال الحافظ معنى أغويت كنت سببا **لغواية** من غوى منهم وهو سبب بعيد إذ لو لم يقع الأكل من الشجرة لم يقع الإخراج من الجنة ولو لم يقع الإخراج ما تسلط عليهم الشهوات والشيطان المسبب عنهما الإغواء والغي ضد الرشد وهو الانهماك في غير الطاعة ويطلق أيضا على مجرد الخطأ يقال غوى أي أخطأ صواب ما أمر به (وأخرجتهم من الجنة) أي خطيئتك التي صدرت منك (فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه) أي اختارك بتكليمه إياك (كتبه الله علي قبل أن يخلق السماوات والأرض) أي قدره وقضاه قبل خلق السماوات والأرض وفي رواية البخاري قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنةقال الحافظ والجمع بينه (يعني الرواية التي ليست مقيدة بأربعين سنة) وبين الرواية المقيدة بأربعين سنة حملها على ما يتعلق بالكتابة وحمل الأخرى على ما يتعلق بالعلم وقال بن التين يحتمل أن يكون المراد بالأربعين سنة ما بين قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة إلى نفخ الروح في آدم وأجاب غيره أن ابتداء المدة وقت الكتابة في الألواح وآخرها ابتداء خلق آدم (فحج آدم موسى) برفع آدم على أنه الفاعل أي غلبه بالحجة يقال حاججت فلانا فحججته مثل خاصمته فخصمتهقال بن عبد البر هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله فإن قيل فالعاصي منا لو قال هذه المعصية قدرها الله علي لم يسقط عنه اللوم والعقوبة

---

(١) الأدب النبوي محمد عبد العزيز الخولي ص/٢٤٤

بذلك وإن كان صادقا فيما قاله فالجواب أن هذا العاصي باق في دار التكليف جار عليه أحكام المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل وهو محتاج إلى الزجر ما لم يمت فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة إلى الزجر فلم يكن في القول المذكور له فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل كذا في شرح مسلم للنوويقوله (وفي الباب عن عمر وجندب) أما حديث عمر فأخرجه أبو داود وأبو عوانة وأما حديث جندب فأخرجه النسائي." (١)

"واختلفت الروايات أيضا في مكان عرض الآنية ففي رواية مسلم عن أنس ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فأخذت اللبنوفي بعض روايات البخاري أتي رسول الله ليلة أسري به بإيلياء بإناء فيه خمر وإناء فيه لبن فنظر إليهما فأخذ اللبنفهاتان الروايتان تدلان على أن عرض الآنية كان في بيت المقدسوفي بعض روايات البخاري المذكورة أنه كان في السماءقال الحافظ بعد ذكر هذه الروايات وغيرها يجمع بين هذا الاختلاف إما بحمل ثم على غير بابها من الترتيب وإنما هي بمعنى الواو هنا وإما بوقوع عرض الآنية مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس وسببه ما وقع له من العطش كما في حديث شداد فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين أحدهما لبن والآخر عسل إلخ ومرة عند وصوله إلى سدرة المنتهى ورؤية الأنهار الأربعة وأما الاختلاف في عدد الآنية وما فيها فيحمل على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ومجموعها أربعة آنية فيها أربعة أشياء من الأنهار الأربعة التي رآها نخرج من أصل سدرة المنتهوووقع في حديث أبي هريرة عند الطبري لما ذكر سدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل نهر إناء انتهى (هديت للفطرة أو أصبت الفطرة) شك من الراوي والأول بصيغة الخطاب مجهولا والثاني معلوماقال القرطبي يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه والسر في ميل النبي إليه دون غيره لكونه كان مألوفا له ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة (أما) بالتخفيف حرف التنبيه (إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك) أي ضلت نوعا من **الغواية** المترتبة على شربها بناء على أنه لو شربها لأحل للأمة شربها فوقعوا في ضررها وشرها وفيه إيماء إلى أن استقامة المقتدي من النبي والعالم والسلطان ونحوهم سبب

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٢٨٢/٦

لاستقامة أتباعهم لأنهم بمنزلة القلب للأعضاء كذا في المرقاةقوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه الشيخانقوله (أتي بالبراق) بضم الموحدة وتخفيف الراء مشتق من البريق فقد جاء في لونه أنه." (١)

"المغني أي الذي يغني من يشاء من عباده المانع أي الذي يمنع عن أهل طاعته ويحوطهم وينصرهموقيل يمنع من يريد من خلقه ما يريد ويعطيه ما يريد الضار أي الذي يضر من يشاء من خلقه حيث هو خالق الأشياء كلها خيرها وشرها ونفعها وضرها النافع أي الذي يوصل النفع إلى من يشاء من خلقه حيث هو خالق النفع والضر والخير والشر النور أي الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بهداه ذو **الغواية** وقيل هو الظاهر الذي به كل ظهور فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا الهادي أي الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده البديع أي الخالق المخترع لا عن مثال سابق فعيل بمعنى مفعل يقال أبدع فهو مبدع الباقي أي الدائم الوجود الذي لا يقبل الفناء الوارث أي الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائم الرشيد أي الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلهم ع‌ريها فعيل بمعنى مفعل وقبل هو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سنن السداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد الصبور أي الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو من أبنية المبالغة ومعناه قريب من معنى الحليم والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليمقوله (هذا حديث غريب) وأخرجه بن ماجة وبن حبان والحاكم في مستدركه والبيهقي في الدعوات الكبيرقوله (ولا نعرفه إلا من حديث) صفوان بن صالح وهو ثقة عند أهل الحديث قال الحافظ ولم ينفرد به صفوان فقد أخرجه البيهقي من طريق موسى بن أيوب النصيبي وهو ثقة عن الوليد أيضا وقد اختلف في سنده على الوليد ثم ذكر الحافظ الاختلاف وبسط الكلام ها هنا (وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث) المراد بكبير شيء من الروايات أي في كثير منها واختلف العلماء في سرد الأسماء هل هو مرفوع أو مدرج في الخبر من بعض الرواة فمشى كثير منهم على الأول واستدلوا به على جواز تسمية الله تعالى بما لم يرد في القرآن بصيغة الاسم لأن كثيرا من هذه الأسماء كذلكوذهب آخرون إلى أن التعين مدرج لخلو أكثر الروايات عنه ونقله عبد العزيز اليخشبي عن كثير من العلماءقال الحاكم بعد تخريج الحديث من طريق صفوان بن صالح عن." (٢)

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٤٤٧/٨

(٢) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٣٤٣/٩

"وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: عبر بالحلاوة؛ لأن الله تعالى شبه الإيمان بالشجرة في قوله: ﴿كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ [إبراهيم: ٢٤] فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل للإيمان، وأغصانها اتباع الأمر، واجتناب النهي، وزهرها ما يهم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جنى الشجرة، وعامة كماله تناهي نضج الثمرة، وبه تظهر حلاوتها.(أن يكون) بدل من ثلاث، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أحدها أن يكون (الله) عز وجل (ورسوله) صلى الله عليه وسلم (أحب إليه) ولم يطابق خبر كان اسمه؛ لأنه أفعل تفضيل مستعمل بمن، وهو مفرد مذكر لا غير، وأما قضية الفصل فقد تقدمت.(مما سواهما) بضمير التثنية إشارة إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبين لا كل واحدة منها، فإنها وحدها لا اعتداد بها، فمن يدعي حب الله مثلا، ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١]. بخلاف قصة الخطيب حيث قال: ومن يعصهما فقد غوى، فقال له عليه السلام: ((بئس الخطيب أنت)).فأمره بالإفراد؛ إشعارا بأن كل واحد من العصيانين مستقل في استلزام **الغواية**، إذ العطف في تقدير التكرير على أنه يمكن أن يكون من الخصائص، فيمتنع من غيره عليه السلام، ولا يمتنع منه؛ لأن غيره إذا جمع أوهم التسوية بخلافه عليه السلام، فإن منصبه لا يتطرق إليه إبهام ذلك، وقال: ((مما)) ولم يقل ممن ليعم العاقل وغيره.قال البيضاوي: المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه، وإن كان على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه، فينفر عنه ويميل إليه بمقتضى عقله، فهوى تناوله لما يعلم أن صلاحه فيه.فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبع، له، ويلتذ بذلك التذاذا عقليا، فإن الالتذاذ العقلي هو إدراك ما هو[ج ١ ص ١٩٩]كمال وخير من حيث هو كذلك.وقال ابن بطال: محبة العبد لخالقه التزام طاعته، والانتهاء عما نهى عنه، ومحبة الرسول التزام شريعته. وقال بعضهم: المحبة: توطين القلب على ما يرضي الرب سبحانه، فيحب ما أحب، ويكره ما يكره.." (١)

"١٣٥٨ - (حدثنا أبو اليمان) الحكم بن نافع، قال: (أخبرنا شعيب) هو: ابن أبي حمزة الحمصي (قال ابن شهاب) الزهري: (يصلى) على صيغة البناء للمفعول (على كل مولود متوفى) بفتح الفاء المشددة صفة مولود.(وإن كان) أي: المولود (لغية) باللام الجارة، والغية _ بفتح الغين المعجمة وتشديد المثناة التحتية _ مشتق من **الغواية**، وهي الضلالة كفرا أو غيره، ويقال: لولد الزنا أيضا ولد الغية، ولغيره ولد الرشد،

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٥٤

فالمراد منه وإن كان المولود لكافرة أو زانية.(من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام) أي: ملته (يدعي أبواه الإسلام، أو) يدعي (أبوه خاصة، وإن كانت أمه على غير) دين (الإسلام) وقوله: «يدعي» جملة حالية.والحاصل أن مذهب الزهري أنه يصلى على ولد الزنا، ولا يمنع ذلك من الصلاة عليه، وهذا مصير منه إلى تسمية الزاني أبا لمن زنا بأمه، وهو قول مالك وأنه يتبعه في الإسلام وأن الولد محكوم بإسلامه تبعا لأبويه أو لأبيه فقط.(إذا استهل) أي: إذا صاح عند الولادة، وقوله: (صارخا) حال مؤكدة من فاعل «استهل»، والمراد العلم بحياته بصياح أو غيره كاختلاج وتحرك بعد الانفصال (صلي عليه) بضم الصاد وكسر اللام المشددة، على البناء للمفعول، وفي رواية:[1].(ولا يصلى) بفتح اللام المشددة على البناء للمفعول أيضا (على من لا يستهل) أو لم يتحرك (من أجل أنه سقط) بتثليث السين المهملة، والمشهور هو الكسر، وهو الجنين يسقط قبل تمامه، قال أصحابنا: إذا استهل المولود سمي وغسل وصلي عليه.وعند الطحاوي أن الجنين الميت يغسل قال: ولم نجد فيه خلافا، وعن محمد: في سقط استبان خلقه، وذلك بعد أن بلغ مائة وعشرين يوما فحينئذ ينفخ فيه الروح أنه يغسل ويكفن ويحنط ولا يصلى عليه ولا يورث.وقال أبو حنيفة رحمه الله: إذا خرج أكثر الولد وهو يتحرك صلي عليه وإن خرج أقله لم يصل عليه، وفي «شرح المهذب»: إذا استهل السقط صلي عليه؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما[ج ٦ ص ٤٨٠]مرفوعا: ((إذا استهل السقط صلي عليه وورث)) وهو حديث غريب، وإنما هو معروف من قول جابر رضي الله عنه.." [2]

"٦٠٤١ - (حدثنا آدم)[ج ٢٥ ص ٤٦٨]هو: ابن أبي إياس، قال: (حدثنا شعبة) أي: ابن الحجاج (عن قتادة) أي: ابن دعامة السدوسي (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه، أنه (قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يجد أحد حلاوة الإيمان) شبه الإيمان بالعسل بجامع ميل القلب إليهما، وأسند إليه ما هو من خواص العسل فهو استعارة بالكناية (حتى يحب المرء) بالنصب (لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار) على البناء للمفعول (أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه) وفي نسخة سقط: «منه»، وفصل بين «أحب» وكلمة «من»؛ لأن في الظرف توسعة (وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) أي: مما سوى الله ورسوله. فإن قيل: ثنى الضمير هنا في قوله: «سواهما»، وقد رد على الخطيب حيث قال: ومن يعصهما فقد غوى، وقال: ((بئس الخطيب أنت)) وأمره بالإفراد؟فالجواب: أن المعتبر هو

---

(١) إذا استهل صلي عليه صارخا

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٥٥٢٨

المركب من المحبتين، لا كل واحدة منهما، فإنها وحدها ضائعة بخلاف المعصية، فإن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية، فالأصل فيه استقلال كل من المعطوف والمعطوف عليه في الحكم، كأن يقال: ومن عصى الله فقد غوى، ومن عصى الرسول فقد غوى، وقيل: المحبة أمر طبيعي لا يدخل تحت الاختيار؟وأجيب: بأن المراد: الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل رجحانه، ويستدعي اختياره، وإن كان على خلاف الهوى؛ كالمريض يعاف الدواء، ويميل إليه باختياره؛ يعني: أن من استكمل الإيمان علم أن حق الله ورسوله آكد عليه من حق أبيه وأمه وزوجته وجميع الناس؛ لأن الفوز بالجنة والخلاص من النار إنما كان بذلك، ومن علامات محبته نصر دينه بالقول والفعل، والذب عن شريعته.وقال البيضاوي: إنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان المحصل لتلك اللذة؛ لأنه لا يتم إيمان امرئ حتى يتمكن في نفسه أن القادر والمنعم على الإطلاق هو الله تعالى، ولا مانح ولا مانع سواه، وما عداه وسائط، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو العطوف الحقيقي الساعي في إصلاح شأنه وإعلاء مكانه.." (١)

"من الجنة))، هكذا في «أحاديث الأنبياء» عنه [خ¦٣٤٠٩]، وفي التوحيد: ((أخرجت ذريتك)) [خ¦٧٥١٥]. وفي رواية مالك: ((أنت الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة))، ومثله في رواية همام، وكذا في رواية أبي صالح. وفي رواية محمد بن سيرين: ((أشفيت))، بدل: ((أغويت)).ومعنى «أغويت»: كنت سببا لغواية من غوى منهم، وهو سبب بعيد، إذ لو لم يقع الأكل من الشجرة لم يقع الإخراج من الجنة، ولو لم يقع الإخراج ما سلط عليهم الشهوات والشيطان المسبب عنهما الإغواء، والغي ضد: الرشد، وهو الانهماك في غير الطاعة، ويطلق أيضا على مجرد الخطأ. يقال: غوى؛ أي: أخطأ صواب ما أمر به، وفي «تفسير طه» من رواية أبي سلمة: ((أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك؟)). [خ¦٤٧٣٨] وعند أحمد من طريقه: ((أنت أدخلت ذريتك النار؟))، والقول فيه كالقول في «أغويت»، وزاد همام: ((إلى الأرض)). وفي رواية يزيد بن هرمز: ((وأهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض))، وأوله عنده: ((وأنت الذي خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته))، ومثله في رواية أبي صالح. لكن قال: ((ونفخ فيك من روحه))، ولم يقل: ((وأسجد لك ملائكته))، ومثله في رواية محمد بن عمرو، وزاد: ((وأسكنك جنته)). ومثله في رواية ابن سيرين وزاد: ((ثم صنعت ما صنعت)).وفي رواية عمرو بن أبي عمرو عن الأعرج: ((يا آدم خلقك الله بيده، ثم نفخ فيك من روحه، ثم قال لك: كن فكنت، ثم أمر الملائكة، فسجدوا لك، ثم قال لك:

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢١٠٠٩

﴿اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة﴾ [البقرة: ٣٥]، فنهاك عن شجرة واحدة فعصيت)). زاد الفريابي: ((وأكلت منها))، وفي رواية عكرمة عن أبي سلمة: ((أنت آدم الذي خلقك الله بيده))، وأعاد الضمير في قوله: ((خلقك))، إلى قوله: ((أنت)). والأكثر عوده إلى الموصول كأن يقول: خلقه الله، ونحو ذلك ما وقع في رواية الأكثر: ((أنت الذي[ج ٢٧ ص ٨١٥]." [١]

"١٦ - (باب) يذكر فيه (﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾) اللام في ﴿لنهتدي﴾ لتأكيد النفي و ﴿أن﴾ وما في حيزها في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، وجواب ﴿لولا﴾ مدلول عليه بقوله: [ج ٢٧ ص ٥٩٨]

﴿وما كنا لنهتدي﴾ تقديره: لولا هداية الله لنا موجودة لشقينا، أو ما كنا مهتدين، وقد دلت على أن المهتدي من هداه الله وأن من لم يهده الله لم يهتد. ومذهب المعتزلة: أن كل ما فعله الله في حق الأنبياء والأولياء من أنواع الهداية والإرشاد، فعند فعله في حق جميع الكفار والفساق، وإنما حصل الامتياز بين المؤمن والكافر والمحق والمبطل بسعي نفسه واختيار نفسه، فكان يجب عليه أن يحمد نفسه؛ لأنه هو الذي حصل لنفسه الإيمان، وهو الذي أوصل نفسه إلى درجات الجنة وخلصها من دركات النيران، فلما لم يحمد نفسه البتة إنما حمد الله تعالى فقط علمنا أن الهادي ليس إلا الله تعالى، وقوله تعالى: (﴿لو أن الله هدانِي﴾) أي: أعطاني الهداية (﴿لكنت من المتقين﴾) أي: من الذين يتقون الشرك وهاتان الآيتان، وكذا حديث الباب نص على أن الله تعالى انفرد بخلق الهدى والضلال، وأنه أقدر العباد على اكتساب ما أراد منهم من إيمان وكفر، وأن ذلك ليس بخلق للعباد، كما زعمت القدرية.

قال الشيخ أبو منصور في تفسير الآية الثانية: وهذا الكافر أعرف بالهداية من المعتزلة، وكذا أولئك الكفرة الذين قالوا لأتباعهم، ﴿قالوا: لو هدانا الله لهديناكم﴾، يقولون: لو وفقنا الله للهداية وأعطانا الهدى لدعوناكم إليه، ولكن علم منا اختيار الضلالة **والغواية** فخذلنا ولم يوفقنا، والمعتزلة يقولون: بل هداهم وأعطاهم التوفيق، لكنهم لم يهتدوا.

والحاصل: أن عند الله لطفا من أعطي ذلك اهتدى، وهو التوفيق والعصمة ومن لم يعطه ضل وغوى، وكان استيجابه [العذاب] وتضييعه الحق بعد ما مكن من تحصيله لذلك، والحاصل من مذهب أهل السنة أنه تعالى أقدر العباد على اكتساب ما أراد منهم كما تقدم.

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢٧٧٨

=================." (١)

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢٢٨٠٣